

الكشف والبيان في تفسير القرآن

المعروف بـ

تفسير الثعلبي

للإمام العالم العلامة أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي

المتوفى ٤٢٧ هـ

تحقيق

الشيخ سيد كسروي حسن

الجزء الخامس

المحتوى:

من أول سورة العنكبوت - إلى آخر سورة الطور

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

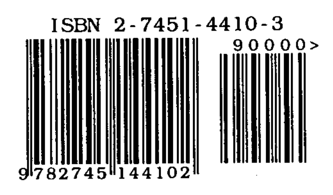
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ١٣/١٢/١١/٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4410-3



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت

مكية[1]، وهى أربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون حرفًا
وألف وتسعمائة وإحدى وثمانون كلمة، وتسع وستون آية

أخبرنا الخبازى قال: أخبرنا ابن حيان، قال: أخبرنا محمد بن على الفرقدى قال: حدثنا إسماعيل بن عمرو قال: حدثنا يوسف بن عطية قال: حدثنا هارون بن كثير قال: حدثنا زيد ابن أسلم، عن أبيه، عن أبى أمامة، عن أبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ المؤمنين والمنافقين».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠

(١) قال القرطبى فى صدر تفسيره لهذه السورة: مكية كلها فى قول الحسن وعكرمة وعطاء، وجابر. ومدنية كلها فى أحد قولى ابن عباس وقتادة. وفى القول الآخر لهما؛ وهو قول يحيى بن سلام: إنها مكية إلا عشر آيات من أولها، فإنها نزلت بالمدينة فى شأن من كان من المسلمين بمكة.
وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: نزلت بين مكة والمدينة.

وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾

﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ﴾: أظن وأصله من الحساب ﴿ٱلنَّاسُ﴾: يعنى الذين جزعوا من أصحاب رسول الله ﷺ من أذى المشركين ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾: بغير اختبار ولا ابتلاء بأن قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ كلا لنختبرنهم لنتبين الصادق من الكاذب، ﴿أَن﴾ الأولى منصوبة بـ ﴿أَحَسِبَ﴾ والثانية خفض بنزع الخافض، أى لأن يقولوا، والعرب لا تقول: تركت فلانًا أن يذهب، وإنّما تقول: تركته يذهب، معه جوابان: أحدهما يشتركوا لأن يقولوا، والثانى: على التكرير تقديره: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ أحسبوا ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: لا يبتلون ليظهر المخلص من المنافق، وقيل: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يصابون بشدائد الدنيا، يعنى: أنّ البلاء لا يدفع عنهم فى الدنيا لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال ابن جريج وابن عمير: نزلت فى عمار بن ياسر إذ كان يعذّب فى الله.

وقال الشعبى: نزلت هاتان الآيتان فى أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة أنّه لا يقبل منكم إقرار بإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عائدين إلى المدينة، فاتبعهم المشركون فردوهم، فنزلت فيهم هذه الآية، فكتبوا إليهم أنّه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج، فإن اتبعنا أحد قاتلناه. فخرجوا، فاتبعهم المشركون، فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله سبحانه فيهم هاتين الآيتين، وقال مقاتل: نزلت فى مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب كان أول قتيل يوم بدر رماه عامر بن الحضرمى بسهم فقتله، فقال النبى ﷺ: «يومئذ سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة»، فجزع عليه أبواه وامرأته، فأنزل الله سبحانه فيهم هذه الآية وأخبر أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة فى ذات الله تعالى، وقيل: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ بالأوامر والنواهى.

ثم عزّاهم، فقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار، وعلمه قديم تام، وإنّما معنى ذلك: فليظهرنّ الله تعالى ذلك حتّى يوجد معلومة.

قال مقاتل: فليرين الله، الأخفش: فليميزنّ الله.

وقال القتيبى: علم الله سبحانه نوعان: أحدهما: علم شىء كان يعلم أنّه كان، والثانى:

علم شيء يكون، فعلم أنّه يكون وقت كذا ولا يعلمه كائنًا واقعًا إلاّ بعد كونه ووقوعه، بيانه قوله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (محمّد: ٣١) أى نعلم المجاهدين منكم مجاهدين ونعلم الصابرين صابرين، فكذلك هاهنا فليعلمنّ الله ذاك موجوداً كائنًا وهذا سبيل علم الله فى الاستقبال.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الشرك ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: يعجزونا ويقولوا ما بأنفسهم فلا يقدر على الانتقام منهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: أى ساء حكمهم الذى يحكمون ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾: قال ابن عباس ومقاتل: من كان يخشى البعث. سعيد بن جبير: من كان يطمع فى ثواب الله ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾: يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب الكائن ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾: له ثوابه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: أى بأحسن أعمالهم وهو الطاعة.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾: اختلف النحاة فى وجه نصب الحسن، فقال أهل البصرة: على التكرير تقديره ووصيناه حسنًا أى بالحسن، كما يقول: وصيته خيراً، أى بخير، وقال أهل الكوفة: معناه ووصينا الإنسان أن يفعل حسنًا، فحذفه لدلالة الكلام عليه كقول الراجز:

عجبت من دهماء إذ تشكونا ومن أبى دهماء إذ يوصينا

خيرًا بها كأنّنا جافونا

أى يوصينا أن نفعل بها خيراً، وهو مثل قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ (ص: ٣٣) أى يمسح مسحًا.

وقيل معناه: وألزمناه حسنًا، وقرأ العامة ﴿حُسْنًا﴾: بضم الحاء وجزم السين، وقرأ أبو رجاء العطاردى بفتح الحاء والسين.

وفى مصحف أبى (إحسانًا): نزلت فى سعد بن أبى وقاص الزهرى. واسم أبى وقاص: مالك بن وهبان، وذلك أنّه لما أسلم قالت له أمه حنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: يا سعد بلغنى أنّك صبوت فوالله لا يظلنى سقف بيت من الضح والريح ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه، وكان أحب ولدها إليها، فأبى سعد وصبرت هى ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل بظل، فأتى سعد النبى ﷺ وشكا ذلك إليه فأنزل الله سبحانه هذه الآية والتى فى لقمان والأحقاف، فأمره النبى ﷺ أن يترضاها ويحسن إليها ولا يطيعها فى الشرك وذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إنّه لى شريك ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أخبرنا عبد الله بن حامد ـ قراءة ـ قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا نمير بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قلت: يا رسول الله من أبرّ؟ قال: «أمّك»، قلت: ثم مَن؟ قال: «أمّك»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم أمّك»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب».

وأخبرنا عبد الله ـ إجازة ـ قال: أخبرنا عثمان بن أحمد قال: حدثنا على بن إبراهيم الواسطى قال: حدثنا منصور بن مهاجر قال: حدثنا أبو النصر الأبار، عن أنس بن مالك قال: قال النبى ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾: أى فى زمرتهم وجملتهم، وقال محمد بن جرير: أى فى مدخل الصالحين وهو الجنة، وقيل: ﴿فِي﴾ بمعنى مع، والصالحون هم الأولياء والأنبياء.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾: أى أذاهم وعداءهم ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: فى الآخرة فارتد عن إيمانه ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾: هؤلاء المرتدون ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: وهم كاذبون ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾: أى ليميزنهم ويظهر أمرهم بالابتلاء والاختبار والفتن والمحن.

واختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية:

فقال مجاهد: نزلت فى ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة فى أنفسهم افتتنوا. الضحاك: نزلت فى ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك. عكرمة عن ابن عباس: نزلت فى المؤمنين الذين أخرجهم المشركون معهم إلى بدر، فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ (النساء: ٩٧) الآية، وقد مضت القصة. قتادة: نزلت هذه الآية فى القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة.

وهذه الآيات العشر مدنية إلى هاهنا، وسائرها مكى، وقال مقاتل والكلبى: نزلت فى عياش[١] بن أبى ربيعة بن مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى، وذلك أنّه أسلم فخاف أهل بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبى ﷺ، فحلفت أمه أسماء بنت مخرمة ابن أبى جندل بن نهشل التميمى أن لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل لها رأسًا ولا تدخل بيتًا حتى يرجع إليها، فلما رأى ابناها ـ أبو جهل والحارث ابنا هشام وهما أخوا عيّاش لأُمّه ـ جزعها وحلفها رهبا فى ظلمة حتى أتيا المدينة فلقياه، فقال أبو جهل لأخيه عياش بن أبى ربيعة: قد

(١) فى المخطوط: العباس، وهو تحريف و التصويب من القرطبى.

علمت أنّك أحبّ إلى أمّك من جميع ولدها وكنت بها باراً، وقد حلفت أمك أنّها لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها ولا تدخل بيتًا حتى ترجع إليها، وأنت تزعم أنّ فى دينك بر الوالدين، فارجع إليها فإنّ ربّك الذى تعبده بالمدينة هو ربك بمكة فاعبده بها، فلم يزالا به حتى أخذ عليهما المواثيق لا يحركاه لا يصرفاه عن دينه، فأعطياه ما سأل من المواثيق فتبعهما، وقد صبرت أمه ثلاثة أيام ثم أكلت وشربت، قالا: فلما خرجوا من أهل المدينة أخذاه فأوثقاه وجلده كلّ واحد منهما مائة جلدة حتى تبرأ من دين محمّد (رحمهما الله) جزعا من الضرب وقال ما لا ينبغى، فأنزل الله سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ ...﴾ الآية.

قالا: وكان الحارث أشدهما عليه وأسوأهما قولا، فحلف عياش بالله لئن قدر عليه خارجًا من الحرم ليضربنّ عنقه، فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حينًا ثم هاجر النبى ﷺ والمؤمنون إلى المدينة، فهاجر عياش وأسلم وحسن إسلامه.

ثـم إنّ الله تعالى قذف الإيمان فى قلب الحارث بن هشام، فهاجر إلى المدينة وبايع النبى ﷺ على الإسلام ولم يحضر عياش، فلقيه عياش يومًا بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه، فضرب عنقه، فقيل له: إنّ الرجل قد أسلم، فاسترجع عياش وبكى، ثم أتى النبى ﷺ وأخبره بذلك، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ (النساء: ٩٢) الآية.



﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ

ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من أهل مكة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: أوزاركم، قال الفراء: لفظة أمر ومعناه: جزاء، مجازه إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كقوله سبحانه: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ (طه: ٣٩) وقوله سبحانه: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ (النمل: ١٨) لفظة نهى وتأويله جزاء. وقال الشاعر:

فقلت ادعى وادع فإنّ أندى لصـوت أن ينادى داعيان

يريد إن دعوت دعوتُ.

فأكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزار أنفسهم وأثقال من أضلوا وصدوا عن سبيل الله ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: نظيرها ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (النحل: ٢٥) الآية.

روى عوف، عن الحسن أنّ النبى ﷺ قال: «أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه وعمل به فله مثل أجور الذين اتبعوه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا وأيما داع دعا إلى ضلالة، فاتبع عليها وعمل بها فعليه مثل أوزار الذين اتبعوه ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا» ثم قرأ الحسن ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن عبد الرحمن بن هلال العنسى، عن جرير قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحثّنا على الصدقة، فأبطأ الناس حتى رُئى فى وجهه الغضب، ثم إنّ رجلا من الأنصار قام فجاء بصرّة وأعطاها، فتتابع الناس، فأعطوا حتى رُئى فى وجهه السرور، فقال رسول الله ﷺ: «من سن سنة حسنة كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سنّ سنة سيّئة كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شىء».

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

قال ابن عباس: بعث نوح (عليه السلام) لأربعين سنة وبقى فى قومه يدعوهم ألف سنة إلاّ خمسين عامًا وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ .

وتقولون كذبًا، وقال مجاهد: وتصنعون أصنامًا بأيديكم فتسمونها آلهة، نظيره قوله سبحانه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (الصافات: ٩٥)، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى ﴿وَتَخَلَّقُونَ إِفْكًا﴾: على المبالغة والكثرة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: فأهلكوا ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: بالتاء كوفى غيرهم بالياء ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ﴾: الله، ﴿ٱلْخَلْقَ﴾: يعنى فانظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم ولم يتعذر عليه مبدئًا فكذلك لا يتعذر عليه إنشاؤها معيدًا.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ﴾: أى يبدأ البدأة ﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾: بعد الموت.

وفيها لغتان: (نشأة): بالمد وهى قراءة ابن كثير والحسن وأبى عمر وحبيب كانت، و (نشأة): بالقصر وتسكين الشين وهى قراءة الناس ونظيرها الرأفة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تردون.



﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝﴾

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: اختلف أهل المعانى فى وجهها، فقال الفراء:

معناه ولا من فى السماء بمعجز، وهو من غامض العربية الضمير الذى لم يظهر فى الثانى. كقول حسان بن ثابت:

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

أراد ومن يمدحه وينصره فأضمر من وإلى هذا التأويل ذهب عبد الرحمن بن زيد قال: لا يعجزه أهل الأرض فى الأرض ولا أهل السماء فى السماء إن عصوا.

وقال قطرب: ولا فى السماء لو كنت فيها، ما يفوتنى فلان بالبصرة ولا هاهنا فى بلدى، وهو معك فى البلد أى ولا بالبصرة لو صار إليها.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: فأعرض سبحانه بهذه الآيات تذكيراً وتحذيراً لأهل مكة، ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال عز من قائل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ قرأ العامة بنصب الباء على خبر كان وإن قالوا: فى محل الرفع على اسم كان، وقرأ سالم الأفطس ﴿جَوَابُ﴾ رفعًا على اسم كان، وإن موضعه نصب على خبره ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: وجعلها عليه بردًا وسلامًا، قال كعب: ما حرقت منه إلاّ وثاقه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ﴾: يعنى إبراهيم (عليه السلام) لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ اختلف القرّاء فيها، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ويعقوب ﴿مَّوَدَّةُ﴾: رفعًا ﴿بَيْنِكُمْ﴾: خفضًا بالإضافة، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم على معنى: إنّ الذين اتخذتم من دون الله أوثانًا هى ﴿مَّوَدَّةُ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: لم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ ثم قال: ﴿بَلَـٰغٌ﴾ (الأحقاف: ٣٥) أى هذا بلاغ، وقوله سبحانه: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ ثم قال: ﴿مَتَـٰعٌ﴾ (يونس: ٦٩، ٧٠) أى متاع، فكذلك أضمروا هاهنا هى ويجوز أن تكون خبر إن.

وقرأ عاصم فى بعض الروايات ﴿مَّوَدَّةٌ﴾: مرفوعة منونة ﴿بَيْنَكُمْ﴾: نصبًا وهو راجع إلى معنى القراءة الأولى، وقرأ حمزة ﴿مَّوَدَّةَ﴾ بالنصب ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بالخفض على الإضافة بوقوع الاتحاد عليها وجعل إنّما حرفًا واحدًا وهى رواية حفص عن عاصم، وقرأ الآخرون: ﴿مَّوَدَّةً﴾ نصبًا منونة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالنصب وهى راجعة إلى قراءة حمزة ومعنى الآية أنكم اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم فى الحياة الدنيا.

﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تتوادون وتتحابون على عبادتها وتتواصلون عليها.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: وتتبرأ الأوثان من عابديها

﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾ : جميعًا العابدون والمعبودون ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ : وهو أول من صدق إبراهيم (عليه السلام) حين رأى أنّ النار لم تضرّه.

﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ : فهاجر من كوتى - من سواد الكوفة - إلى حران ثم إلى الشام ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة، وهو أول من هاجر، قال مقاتل: هاجر إبراهيم (عليه السلام) وهو ابن خمس وسبعين سنة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.



﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾

﴿وَلُوطًا﴾ : فاذكر لوطًا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ : مجلسكم ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾.

حدثنا أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد المروزى، قال: حدثنا جدى لأُمّى أبو الحسن المحمودى، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: أنّ بشر بن معاذ العمقدى حدثهم قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا حاتم بن أبى صغيرة، (ح)[1] وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبة قال: حدثنا عمير بن مرداس الدونقى، قال: حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى، قال: حدثنا يحيى بن أبى الحجاج أبو أيوب البصرى قال: حدثنا أبو يونس حاتم بن

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

أبى صغيرة، عن سماك بن حرب، عن أبى مولى أم هانئ، عن أم هانئ بنت أبى طالب قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله سبحانه: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قلت: ما المنكر الذى كانوا يأتون؟ قال: «كانوا يخذفون أهل الطرق ويسخرون بهم».

وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين، قال: حدثنا موسى بن محمد، قال: حدثنا الحسن ابن علوية، قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى، قال: حدثنا المسيب، قال: سمعت زياد بن أبى زياد يحدّث عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ قوم لوط كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كلّ رجل منه قصعة فيها حصى، فإذا مر به عابر سبيل قذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به» وذلك قول الله سبحانه: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والخذف فإنّه لا ينكأ العدو ولا يصيب الصيد، ولكن يفقأ العين ويكسر السن».

وأخبرنا الحسين قال: أخبرنا أبو على بن حنيش المقرى قال: حدثنى أبو جعفر محمد بن جعفر المقرى، قال: حدثنا إبراهيم بن الحسين الكسائى، قال: حدثنا هارون بن حاتم، قال: أخبرنا أبو بكر بن أوس المدنى، عن أبيه، عن يزيد بن بكر بن دأب، عن القاسم بن محمد ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾: قال: الضراط، كانوا يتضارطون فى مجالسهم، وقال مجاهد: كان يجامع بعضهم بعضًا فى مجالسهم.

أخبرنا أبو جعفر الخلفانى قال: حدثنا أبو العباس التبانى قال: حدثنا أبو لبيد السرخسى، قال: حدثنا الحسن بن عمر بن شفيق، قال: حدثنا سليمان بن ظريف عن مكحول، قال: عشرة فى هذه الأمة من أخلاق قوم لوط: مضغ العلك، وتطويق الأصابع بالحناء، وحل الأزرار، وتنقيص الأصابع[1] والعمامة التى يلف بها على الرأس، والسلينية، ورمى الجُلاهق[2]، والصفير، والخذف واللوطية.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: إنّه نازل بنا وذلك إنّه أوعدهم العذاب، ﴿قَالَ﴾: لوط ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾: من الله سبحانه إسحاق ويعقوب: ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنى قوم لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ قَالَ﴾: إبراهيم للرسل: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ

---

(١) فرقعة الأصابع وهى معروفة.

(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة جلهق: الجُلاهق: البندق، ومنه قوس الجُلاهق، وأصله بالفارسية جُلَهْ وهى كُبَّةُ غزل، والكثير جُلَها، وبها سمى الحائك.

وقال النضر: الجُلاهق الطين المُدَوَّر المُدَمْلَق وجُلاهقة واحدة، وجُلاهقتان.

وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ وحسب أنّهم من الإنس ﴿سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ : عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ : عبرة ظاهرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وهى الخبر عما صنع بهم[1]، وقال ابن عباس: هى آثار منازلهم الخرباء. أبو العالية وقتادة: هى الحجارة التى ألقاها الله. مجاهد: الماء الأسود على وجه الأرض.

❖ ❖ ❖

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ۝ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ۝ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ : وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنى ابن شنبة قال: حدثنا أبو حامد المستملى قال: حدثنا محمد بن حاتم الرمنى قال: حدثنا محمد بن سلامة الجمحى قال: قال يوسف النحوى: ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ يعنى اخشوا ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ : فى الضلالة، قال مجاهد وقتادة: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ فى ضلالهم معجبين بها. الفراء: عقلاء ذوى بصائر. ضحاك ومقاتل والكلبى: حسبوا أنّهم على الهدى والحق وهم على الباطل.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ : فائتين من عذابنا ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا﴾: عاقبنا ﴿بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: ريحًا تأتى فى الحصباء وهى الحصى الصغار، وهم قوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: يعنى ثمودًا.

---

(١) العبارة فى المخطوط على هذا النحو: وهى أخبر عما يصنع بهم.
وقد أصابها خلل أو تحريف فصوبت على المناسب أو المراد. والله أعلم.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ : قارون وأصحابه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ : فرعون وقومه وقوم نوح.
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .



﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ۝ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝﴾

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنام يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ : لنفسها كيما يكنّها فلم يغن عنها بناؤها شيئًا عند حاجتها إياه، فكما أنّ بيت العنكبوت لا يدفع عنها بردًا ولا حرًا كذلك هذه الأوثان لا تملك لعابديها نفعًا ولا ضرًا ولا خيرًا ولا شرًا.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ : أضعف ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ : قال النحاة: العنكبوت مؤنثة التاء التي فيها، وقد يذكّرها بعض العرب، أنشد الفراء:

على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها

وزنته فعللوت.

أخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا أبو حامد المستملي، قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي، قال: حدثنا محمد بن سليمان المكي، قال: حدثني عبد الله بن ميمون القداح، قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي يقول: قال علي بن أبي طالب: طهّروا بيوتكم من نسيج العنكبوت، فإن تركه في البيوت يورث الفقر[1]، قال: سمعت عليًا يقول: منع الخميرة يورث الفقر[2].

(١) هذا قول نسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما أظنه تفوه به، وإن كان في الخبر دعوة إلى نظافة وتطهير البيوت مما يعلق بها من أمثال تلك الأشياء إلا أنه لا يصح نسبة القول إلى سيدنا علي.

(٢) الخميرة هي ما يخمّر به الخبز أو يسرع به في تجهيزه للخبز، وحكمه حكم سابقه وفيه حض على عدم منع ما يسهل على الناس معاشهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ﴾: بالياء أهل البصرة واختاره أبو عبيد قال: لذكر الأمم قبلها. واختلف فيها عن عاصم، غيرهم بالتاء.

﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾: الأشياء والأوصاف، والمثل: قول سائر يشبّه حال الثانى بالأول ﴿نَضۡرِبُهَا﴾ يبيّنها ﴿لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾. أخبرنى ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن مندة قال: حدثنا الحارث بن أبى أسامة قال: حدثنا داود بن المحبر قال: حدثنا عباد بن كثير، عن أبى جريج، عن عطاء وأبى الزبير، عن جابر أنّ النبى ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ فقال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه».

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾: قال ابن عمر: تغنى. الفراء: أن تنهى عن الفحشاء والمنكر ودليل هذا التأويل قوله: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ (الإسراء: ١١٠) أى بقراءتك. وقال آخرون: هى الصلاة التى فيها الركوع والسجود.

قال ابن مسعود وابن عباس: يقول: فى الصلاة: منتهى ومزدجر عن معاصى الله سبحانه وتعالى، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلاّ بعدًا. وقال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وإطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر».

وروى أبو سفيان عن جابر قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانًا يصلى بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «إنّ صلاته لتردعه».

وقال أنس بن مالك: كان فتى من الأنصار يصلى الصلاة مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئًا من الفواحش إلاّ ركبه، فوصف لرسول الله ﷺ حاله، فقال: «إنّ صلاته تنهاه يومًا ما»، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله، فقال رسول ﷺ: «ألم أقل لكم إنّ صلاته تنهاه يومًا ما».

وقال ابن عون: معناه أنّ الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها، وقال أهل المعانى: ينبغى أن تنهاه صلاته كقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ (آل عمران: ٩٧).

﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾: اختلفوا فى تأويله، فقال قوم: معناه ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ﴾: إياكم أفضل من ذكركم إياه، وهو قول عبد الله وسلمان ومجاهد وعطية وعكرمة وسعيد بن جبير، ورواية عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس، وقد روى ذلك مرفوعًا:

أخبرناه الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق

السنى، قال: حدثنى أحمد بن على بن الحسين، قال: حدثنا إبراهيم بن أبى داود البزكى، قال: حدثنا الحسين اللهبنى، قال: حدثنا صالح بن عبد الله بن أبى فروة، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمّه موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال فى قول الله سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: «ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه».

قالت الحكماء: لأنّ ذكر الله سبحانه للعبد على حدّ الاستغناء، وذكر العبد إياه على حدّ الافتقار، ولأنّ ذكره دائم، وذكر العبد مؤقت، ولأنّ ذكر العبد بجلب نفع أو دفع ضر، وذكر الله سبحانه إياه للفضل والكرم. وقال ذو النون: لأنّك ذكرته بعد أن ذكرك، وقال ابن عطاء: لأنّ ذكره لك بلا علة، وذكرك مشوب بالعلل. أبو بكر الوراق: لأنّ ذكره تعالى للعبد أطلق لسانه بذكره له، ولأن ذكر العبد مخلوق. وذكره غير مخلوق وقال أبو الدرداء وابن زيد وقتادة: معناه ولذكر الله أكبر مما سواه وهو أفضل من كل شىء.

أخبرنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن محمد الثقفى الحافظ قال: حدثنا أبو حذيفة أحمد ابن محمد بن على قال: حدثنا زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسى، قال: حدثنا عيسى بن يونس قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن جويبر عن الضحاك، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: «ذكر الله على كل حال أحسن وأفضل، والذكر أن نذكره عندما حرم، فندع ما حرم ونذكره عندما أحل فنأخذ ما أحل».

وأخبرنى الحسين بن محمد قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا جعفر بن محمد الفربانى قال حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا إسحاق بن سليمان الرازى قال: سمعت موسى بن عبيدة الزيدى يحدث أبا عبد الله القراظ، عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ نسير بالدف من حمدان إذ استنبه، فقال: «يا معاذ إن السابقين الذين يستهترون بذكر الله، من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله سبحانه».

قال إسحاق بن سليمان: سمعت حريز بن عثمان يحدث، عن أبى بحرية، عن معاذ بن جبل، قال: ما عمل آدمى عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله سبحانه، قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: لا ولو ضرب بسيفه، قال الله سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾. وأخبرنى الحسين بن محمد، قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا جعفر بن محمد الفربانى، قال: حدثنا يحيى بن عمار المصيصى، قال: حدثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبى غريب، عن كثير بن مرة الحضرمى، قال: سمعت أبا الدرداء يقول: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم وأحبها إلى مليككم وأتمها فى درجاتكم، وخير من أن تغزوا عدوكم فتضرب

رقابكم وتضربون رقابهم، وخير من إعطاء الدنانير والدراهم، قالوا: وما هو يا أبا الدرداء؟ قال: ذكر الله، قال الله سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ .

وقيل لسلمان: أى العمل أفضل؟ قال: أما تقرأ القرآن﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ لا شىء أفضل من ذكر الله سبحانه.

وأنبأنى عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا محمد بن يعقوب، قال: حدثنا حميد بن داود، قال: حدثنى يزيد بن خالد قال: حدثنا عبد الرحمن بن ثابت، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن هبير، عن مالك بن عامر، عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله: أى الأعمال أحب إلى الله؟

قال ﷺ: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله».

وأنبأنى عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا سلمة بن محمد ابن أحمد بن مجاشع الباهلى، قال: حدثنا خالد بن يزيد العمرى، قال: حدثنا سفيان الثورى، عن عطاء بن قرة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلاّ ذكر الله عز وجل وما والاه أوعالم أو متعلم».

قالت الحكماء: وإنّما كان الذكر أفضل الأشياء لأنّ ثواب الذكر الذكر، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢) ويؤيد هذا ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكى ابن عبدان، قال: حدثنا عبد الله بن هشام، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن اقترب إلى شبراً اقتربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إلى ذراعًا اقتربت إليه باعًا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة».

أخبرنا عبد الله قال: أخبرنا على قال: أخبرنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبى إسحاق، عن الأعز أبى مسلم، قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنّهما شهدا على رسول الله ﷺ أنّه قال: «ما جلس قوم يذكرون الله سبحانه إلاّ حفّت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم فيمن عنده».

وأخبرنى ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن شيبة، قال: حدثنا الفريانى، قال: حدثنا أبو بكر ابن أبى شنبة، قال: حدثنا عبد الله، عن إسرائيل، عن السدى، عن أبى مالك: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: ذكر الله العبد فى الصلاة أكبر من الصلاة، ابن عون: معناه: الصلاة التى أنت

فيها وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر، وقال ابن عطاء: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أن تبقى معه بالمعصية.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الجدال: فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه، وأصله شدة الفتل ومنه قيل للصقر: أجدل لشدة فتل بدنه وقوة خلقه، وقيل: الجدال من الجدالة وهو أن يروم كل واحد من الخصمين قهر صاحبه وصرعه على الجدالة وهى الأرض[1].

---

(١) قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة جدل.

الجَدَل: اللدود فى الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً، ورجل جدل، ومجدل ومجدال شديد الجدل، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً، أى غلبته، ورجل جدل إذا كان أقوى فى الخصام، وجادله أى خاصمه، مجادلة وجدالاً.

والاسم الجَدَل: وهو شدة الخصومة وفى الحديث: ما أوتى الجدل قومًا إلاّ ضلوا. =

﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: ألطف وأرفق، وهو الجميل من القول والدعاء إلى الله والبينة على آيات الله وحججه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾: قال مجاهد: يعنى إن قالوا شرًا فقولوا خيرًا ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾: أى أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فأولئك انتصروا منهم وجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يقرّوا بالجزية. قال سعيد بن جبير: هم أهل الحرب من لا عهد لهم فجادلوهم بالسيف. ابن زيد: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ بالإقامة على كفرهم بعد قيام الحجة عليهم.

ومجاز الآية: إلاّ الذين ظلموكم لأنّ جميعهم ظالم. وقال قتادة ومقاتل: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ...﴾ (التوبة: ٢٩) الآية[١].

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾: أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى، قال: أخبرنى ابن أبى نملة الأنصارى: أنّ أبا نملة أخبره واسمه عمّار إنّه بينما هو عند رسول الله ﷺ جالس جاءه رجل من اليهود ومر بجنازة.

فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم»، فقال: اليهودى: إنّها تتكلم.

فقال رسول الله ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقًا لم تكذبوهم».

وروى أبو سلمة عن أبى هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية.

وروى سفيان ومسعود، عن سعد بن إبراهيم، عن عطاء بن يسار قال: بينما رجل من أهل الكتاب يحدث أصحابه وهم يسبّحون كلما ذكر شيئًا من أمرهم، قال: فأتوا رسول الله (ﷺ) فأخبروه، فقال: لا تصدقوهم ولا تكذبوهم ولكن ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾.

﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ﴾: أى وكما أنزلنا الكتاب عليهم.

= والجدل: مقابلة الحجة بالحجة. والمجادلة: المناظرة والمخاصمة.
والمراد به فى الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار الحق، فإن ذلك محمود لقوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾.

(١) يرى بعض العلماء أن الآيتين محكمتان ولا تعارض بينهما، فلكل آية حكمها فى وقتها وموقعها وموقف أهل الكتاب منها. هو الذى يجرى أو يقدم إحداهما على الأخرى.

﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ﴾ : يعنى مؤمنى أهل الكتاب - عبد الله ابن سلام وأصحابه.

﴿وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ : الذين هم بين ظهرانيك اليوم ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ قال قتادة: إنّما يكون الجحود بعد المعرفة.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟﴾ : يا محمد ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ : أى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلنا عليك ﴿مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ﴾ : تكتبه ﴿بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ : يعنى: لو كنت تكتب أو تقرأ الكتب قبل الوحى إذًا لشك المبطلون - أى المشركون - من أهل مكة وقالوا: هذا شىء تعلّمه محمد وكتبه، قاله قتادة.

وقال مقاتل: ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ هم اليهود، ومعنى الآية: إذا لشكّوا فيك واتهموك يا محمد، وقالوا: إنّ الذى نجد نعته فى التوراة هو أمى لا يقرأ ولا يكتب.

﴿بَلْ هُوَ﴾ : يعنى القرآن ﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ : عن الحسن، وقال ابن عباس وقتادة: ﴿بَلْ هُوَ﴾ يعنى محمد ﷺ والعلم بأنه أمى ﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ : أهل العلم من أهل الكتاب يجدونها فى كتبهم. ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود وابن السميقع (بل هى آيات).

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ﴾ : كما أنزل على الأنبياء قبلك، قرأ ابن كثير والأعمش وحمزة والكسائى وخلف وأيوب وعاصم برواية أبى بكر (آية): على الواحد، الباقون ﴿ءَايَـٰتٌ﴾ : بالجمع واختاره أبو عبيد لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ حتى إذا شاء أرسلها، وليست عندى ولا بيدى.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ : هذا جواب لقولهم ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ﴾ : وروى حجاج، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة أنّ أناسًا من المسلمين أتوا نبى الله (ﷺ) بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر فيها ألقاها ثم قال: «كفى بها حماقة قوم - أو ضلالة قوم - أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم»، فنزلت ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ...﴾ الآية.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ﴾ : أى رسوله، وأن هذا القرآن كتابه. ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ﴾ : نزلت فى النضر بن الحارث حين قال: فأمطر علينا حجارة من السماء وقال: عجل لنا قطنا.

﴿وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ : فى نزول العذاب، وقال ابن عباس: يعنى ما وعدتك أن لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة، بيانه قوله: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ (القمر:٤٦) الآية، وقال الضحاك: يعنى مدة أعمارهم فى الدنيا. وقيل: يوم بدر.

﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم﴾ : يعنى العذاب وقيل: الأجل ﴿بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۞ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ : لا يبقى منهم أحد إلاّ دخلها، وقيل: هو متصل بقوله: ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ﴾ يصيبهم ﴿ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ : يعنى: إذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنّم.

﴿وَيَقُولُ﴾ : بالياء كوفى ونافع وأيوب، غيرهم بالنون ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٦١ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٦٢ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٦٣ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٦٤ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٦٥ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٦٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ۝٦٧ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝٦٨ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: بإرسال الياء عراقى غير عاصم، سائرهم بفتحها ﴿إِنَّ أَرۡضِي﴾:

مفتوحة الياء ابن عامر، غيره ساكنة ﴿وَاسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾: توحدون من غير طاعة مخلوق في معصيتي، قال سعيد بن جبير: إذا عُمل في أرض بالمعاصي، فاهربوا فإنّ أرضي واسعة.

مجاهد: ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ فهاجروا وجاهدوا، وقال مقاتل والكلبي: نزلت في المستضعفين المؤمنين الذين كانوا بمكة لا يقدرون على إظهار الإيمان وعبادة الرحمن، يحثهم على الهجرة ويقول لهم: إنّ أرض المدينة واسعة آمنة. وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: ﴿أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ أي رزقي لكم واسع، أُخرج من الأرض ما يكون بها.

أخبرنا عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان، قال: حدثنا جيعويه بن محمد الترمذي، قال: حدثنا صالح بن محمد، عن سليمان، عن عباد بن منصور الناجي، عن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد (عليهما السلام)».

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾: فلا تقيموا بدار المشركين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا﴾: علالي، قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء، غيرهم بالياء أي لينزلنّهم ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَكَأَيِّن﴾: وكم ﴿مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾: وذلك أنّ رسول الله (عليه السلام) قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: «اخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة فيها».

فقالوا: يا رسول الله كيف نخرج إلى المدينة ليس لنا بها دار ولا عقار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ﴾ ذات حاجة إلى غذاء لا تحمل رزقا فيرفعه لغذائها يعني الطير والبهائم.

﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾: يومًا بيوم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالكم: نخشى لفراق أوطاننا العيلة. ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾: العليم بما في قلوبكم وما إليه صائرة أموركم.

أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الرقاق، وقال: حدثنا محمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا إسماعيل بن زرارة الرقي، قال: حدثنا أبو العطوف الجراح بن المنهال الجوزي، عن الزهري، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله ﷺ حائطًا من حيطان الأنصار، فجعل رسول الله ﷺ يلقط الرطب بيده ويأكل فقال: «كل يا ابن عمر»، قلت: لا أشتهيها يا رسول الله، قال: «لكني أشتهيه وهذه صبحة رابعة لم أذق طعامًا ولم أجده».

فقلت: إنّا لله، الله المستعان، قال: «يا ابن عمر لو سألت ربّى لأعطانى مثل ملك كسرى وقيصر أضعافاً مضاعفة، ولكنى أجوع يومًا وأشبع يومًا فكيف بك يا عمر إذا عمرت وبقيت فى حثالة من الناس يخبّئون رزق سنة ويضعف اليقين»، فنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ الآية.

أخبرنى ابن فنجويه، حدثنا ابن حنش، حدثنا أبو يعلى الموصلى، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا يحيى بن اليمان، عن سفيان، عن على بن الأرقم ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾: قال: لا تدخر شيئًا لغد.

قال سفيان: ليس شىء مما خلق الله يخبّئ إلاّ الإنسان والفأرة والنملة.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾: يعنى الدائمة الباقية التى لا زوال لها ولا موت فيها. ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾: ولكنهم لا يعلمون ذلك.

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾: وخافوا الغرق والهلاك ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ۝ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾: ليجحدوا نعمه فى إنجائه إياهم وسائر الآية ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ﴾: جزم لامه الأعمش وحمزة والكسائى وخلف وأيوب، واختلف فيه عن عاصم ونافع وابن كثير، الباقون بكسر اللام واختاره أبو عبيد ليكفروا لكون الكلام نسقًا. ومن جزم احتج بقراءة أبى بن كعب (يمتعوا). ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾.

أخبرنى أبو محمد عبد الله بن حامد ـ فيما أذن لى روايته عنه ـ قال: أخبرنا أحمد بن محمد ابن أبى سعيد، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أسكت، قال: حدثنا عقال، قال: حدثنا جعفر بن سلمان قال: حدثنا مالك بن دينار، قال: سمعت أبا العالية قرأ (ليكفروا بما أتيناهم فتمتعوافسوف يعلمون): بالياء فالكسر على كى والجزم على التهديد.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾: بالأصنام ﴿يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ﴾: يعنى الإيمان ﴿يَكۡفُرُونَ ۝ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: فزعموا أنّ لله شريكًا، وقالوا إذا فعلوا فاحشة، ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ (الأعراف: ٢٨).

﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: بمحمد والقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى﴾: منزل ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾: أى والذين قاتلوا لأجلنا أعداءنا لنصرة ديننا لنثبتهم على ما

قاتلوا عنه.

قال أبو سورة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ﴾ فى الغزو ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ : سبيل الشهادة أو المغفرة.

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغر فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ .

وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينّهم سبل العمل به.

وأخبرنى أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، قال: حدثنى أبو الطيب محمد بن أحمد ابن حمدون، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسين، قال: حدثنا محمد بن إدريس، قال: حدثنا أحمد بن أبى الحوارى، قال: قال أبو أحمد - يعنى عباس الهمدانى - وأبو سليمان الدارانى فى قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ قال: الذين يعملون بما يعلمون يهديهم ربّهم إلى ما لا يعلمون.

وعن عمر بن عبد العزيز أنّه تكلم بكلمات وعنده نفر من العلماء، فقال له الوضين بن عطاء: بمَ أوتيت هذا العلم يا أبا مروان؟ قال: ويحك يا وضين إنّما قصر بنا من علم ما جهلنا بتقصيرنا فى العمل بما علمنا، ولو أنّا عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علمًا لا تقوم به أبداننا.

وعن عبد الله بن الزبير قال: تقول الحكمة: من طلبنى فلم يجدنى فليطلبنى فى موضعين: أن يعمل بأحسن ما يعلمه، أو يدع أسوأ ما يعلمه.

وروى عن ابن عباس: والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. ضحاك: والذين جاهدوا بالهجرة لنهدينّهم سبل الثبات على الإيمان، وقيل: والذين جاهدوا بالثبات على الإيمان لنهدينهم سبل دخول الجنان، سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا فى إقامة السنّة لنهدينّهم سبل الجنة ثم قال: مثل السنّة فى الدنيا كمثل الجنة فى العقبى، من دخل الجنة فى العقبى سلم، فكذلك من لزم السنة فى الدنيا سلم، وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير مجازه: والذين هديناهم سبيلنا جاهدوا فينا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ : بالنصر والمعونة فى دنياهم، وبالثواب والمغفرة فى عقباهم.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الرُّومِ

مكّية، وهى ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفًا
وثمانمائة وتسع عشرة كلمة، وستّون آية

أخبرنا المغازى غير مرّة، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجانى، وأبو الشيخ عبد الله بن أحمد الأصبهانى قالا: حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك الكوفى، قال: حدّثنا أحمد بن يونس اليربوعى، قال: حدّثنا سلام بن سليمان المدائنى، قال: حدّثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه، عن أبى أمامة، عن أُبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ سورة الرّوم كان له من الأجر، عشر حسنات بعدد كلّ ملك سبّحَ لله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيّع فى يومه وليلته».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾

قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ الآية.

قال المفسرون: كانت فى فارس امرأة لا تلد إلاّ الملوك والأبطال، فدعاها كسرى فقال: إنّى أُريد أن أبعث إلى الروم جيشًا وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك فأشيرى علىَّ أيّهم أستعمل؟ فقالت: هذا فلان، أروغ من ثعلب، وأحذر من صفرد[1]، وهذا فرخان أنفذ من سنان، وهذا

(١) قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة «صفر»: الصفرد: طائر أعظم من العصفور.
وفى المثل: أجبن من صفرد.
قال ابن الأعرابى: هو طائر جبان يفزع من الصَّعْوَة وغيرها.
وقال الليث: هو طائر يألف البيوت، وهو أجبن طائر والله أعلم.
قلت: فجبنه ورثه شدة الحذر فضرب بحذره المثل.

شهريراز هو أحلم من كذا، فاستعمل أيّهم شئت. قال: فإنّى استعملتُ الحليم، فاستعمل شهريراز، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع زيتونهم، وكان قيصر بعث رجلاً يدعى يحنس وبعث كسرى شهريراز فالتقيا بأذرعات[١] وبصرى وهى أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فَغَلَبت فارسُ الرومَ، فبلغ ذلك النبىّ ﷺ وأصحابه بمكّة فشقّ عليهم، وكان النبىّ ﷺ يكره أنْ يظهر الأمّيّون من المجوس على أهل الكتاب من الروم.

وفرح كفّار مكّة وشمتوا ولقوا أصحاب النبىّ ﷺ فقالوا: إنّكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أُمّيون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم. فإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم.

فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ...﴾ إلى آخر الآيات.

فخرج الصديق رضى الله عنه إلى الكفّار فقال: فرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرّنَ الله أعينكم، فوالله ليظهرنّ الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبيُّنا، فقام إليه أُبىّ بن خلف الجمحى فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر: أنتَ أكذب يا عدوّ الله، فقال: اجعل بيننا أجلاً أُناحبُكَ عليه، والمناحبة: المراهنة[٢] على عشر قلائص[٣] منّى وعشر قلائص منك، فإنْ ظهرت الروم على فارس غرمتُ، وإنْ ظهرت فارس غرمتَ، ففعل ذلك وجعلوا الأجل ثلاث سنين.

فجاء أبو بكر إلى النبى ﷺ وأخبره وذلك قبل تحريم القمار، فقال رسول الله ﷺ: ما هكذا ذكرتُ، إنّما البضع ما بين ثلاث إلى التسع فزايدهُ فى الخطر ومادّه فى الأجل، فخرج أبو بكر فلقى أُبيًا فقال: لعلّك ندمت قال: لا، قال: فتعال أزايدك فى الخطر وأُمادّك فى الأجل فأجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت فلمّا خشى أُبىّ بن خلف أن

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان: هو بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان وينسب إليه الخمر.
وقال الحافظ أبو القاسم: أذرعات: مدينة ببلقاء.

(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب:
المناحبة: المخاطرة والمراهنة.
والمناحبة: المحاكمة. ويقال للقمار: النحب لأنه كالمساهمة.

(٣) القلائص: النوق أو الإبل السمينة ذات السنام. قال ابن منظور فى لسان العرب: القلوص: الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء.
وقيل: هى الثنية. وقيل هى ابنة المخاض، وقيل: هى كل أنثى من الإبل حين تركب، وإن كانت بنت لبون أو حقة إلى أن تصير بكرة أو تبزل.
زاد فى التهذيب: سميت قلوصًا لطول قوائمها ولم تجسم بعد.
وقال العدوى: القلوص أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثنى فإذا أثنت فهى ناقة.

يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه فقال: إنّى أخاف أن تخرج من مكّة فأقم لى كفيلاً، فكفل له ابنه عبد الله بن أبى بكر.

فلمّا أراد أُبى بن خلف أن يخرج إلى أحُد أتاه عبد الله بن أبى بكر فلزمه قال: والله لا أدعك حتّى تعطينى كفيلاً فأعطاه كفيلاً ثمّ خرج إلى أحُد، ثمّ رجع أُبىّ بن خلف فمات بمكّة من جُراحته التى جرحه رسول الله ﷺ حين بارزه.

وظَهرت الروم على فارس يوم الحُديبيّة وذلك عن رأس سبع سنين من مناحبتهم. هذا قول أكثر المفسّرين.

وقال أبو سعيد الخدرى ومقاتل: لمّا كان يوم بدر غلب المسلمون كفّار مكّة وأتاهم الخبر أنّ الروم قد غلبوا فارس ففرح المؤمنون بذلك. قال الشعبى: لم تمضِ تلك المدّة التى عقدوا المناحبة بينهم، أهل مكّة وصاحب قمارهم أبىّ بن خلف، والمسلمونَ وصاحب قمارهم أبو بكر، وذلك قبل تحريم القمار حتّى غلَبت الرومُ فارسَ وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فَقَمَر أبو بكر أُبيًا، وأخذ مال الخطر من ورثته وجاء به يحمله إلى النبى ﷺ فقال له النبىّ ﷺ: «تصدّق به».

وكان سبب غلبة الروم فارسَ على ما قال عكرمة وغيره أنّ شهريراز بعدما غلب الروم لم يزل يطأهم ويخرّب مدائنهم حتّى بلغ الخليج، فبينا أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لأصحابه: لقد رأيت كأنّى جالس على سرير كسرى، فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهريراز: إذا أتاك كتابى فابعث إلىّ برأس فرخان.

فكتب إليه: أيّها الملك إنّك لن تجد مثل فرخان، إن له نكاية وصوتًا فى العدوّ فلا تفعل، فكتب إليه: إنّ فى رجال فارس خَلَفًا منه فعجّل إلىّ برأسه، فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه، وبعث بريدًا إلى أهل فارس إنّى قد نزعت عنكم شهريراز واستعملت عليكم فرخان. ثمّ دفع إلى البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهريراز وقال: إذا ولىَ فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه، فلمّا قرأ شهريراز الكتاب قال: سمعًا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان فدفع إليه الصحَيفة فقال: ائتونى بشهريراز فقدّمه ليضرب عنقه.

قال: لا تعجل حتّى أكتب وصيّتى، قال: نعم، قال: فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كلّ هذه الصحف (كتب)[1] فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلنى بكتاب واحد، فَردَّ المُلْكَ إلى أخيه. فكتب شهريراز إلى قيصر ملك الروم: إنّ لى حاجة لا يحملها

(١) زيادة يتطلبها السياق.

البريد ولا تبلغها الصحف فألقنى ولا تلقنى إلاّ فى خمسين روميًا فأنّى ألقاك فى خمسين فارسيًا.

فأقبل قيصر فى خمسمائة ألف رومى وجعل يضعون العيون بين يديه فى الطريق وخاف أن يكون قد مُكرَ به حتّى أنبأه عيونه أنّه ليس معه إلا خمسون رجلاً ثمّ بسط لهما والتقيا فى قبّة ديباج ضربت لهما ومع كلّ واحد منهما سكين، فدعيا بترجمان بينهما فقال شهريراز: إنّ الذين خرّبوا مدائنك أنا وأخى بكيدنا ومكرنا وشجاعتنا، وإنّ كسرى حسدنا وأراد أنْ أقتل أخى فأبيت.

ثمّ أمر أخى أن يقتلنى. فقد خلعناه جميعًا فنحن نقاتله معك، قال: قد أصبتما ثمّ أشار أحدهما إلى صاحبه أنّ السرّ بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا، فقتلا الترجمان جميعًا بسكّينيهما فأُديلت الروم على فارس عند ذلك فأتبعوهم يقتلونهم ومات كسرى.

وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح ومن معه، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس وهى أذرعات.

قال ابن عباس: طرف الشام. مجاهد: أرض الجزيرة. مقاتل: الأردن وفلسطين، عكرمة: أذرعات وكسكر. مقاتل بن حبان: هى ريف الشام.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾: أى غلبتهم فحذفت التاء منه كما حذفت من قوله: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (النور: ٣٧) وإنّما هو إقامتها.

وقرأ أبو حيوة الشامى (غَلْبهمْ) بسكون اللام وهما لغتان مثل الطّعْن والطّعَن.

﴿سَيَغْلِبُونَ﴾: فارس ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾: وقرأ عبد الله بن عمرو وأبو سعيد الخدرى والحسن وعيسى بن عمر ﴿غَلَبَتِ﴾: بفتح الغين واللام ﴿سَيُغْلَبُونَ﴾: بضم الواو وفتح اللام.

قالوا: نزلت هذه الآية حين أخبر الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ عن غلبة الروم فارسَ، ومعنى الآية: ألم غلبت الروم فارس فى أدنى الأرض إليكم. وقرأ سعيد بن جبير وطلحة بن مطرف فى أدانى الأرض بالجمع ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾: سيغلبهم المسلمون. ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾: وعند انقضاء هذه المدّة أخذ المسلمون فى جهاد الروم.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدويه، عن الحسين بن الحسن بن أيّوب، عن على بن عبد العزيز قال: أخبرنى أبو عبيد عن حمّاد بن خالد الخيّاط عن معاوية بن صالح عن مرثد بن سمى قال: سمعت أبا الدرداء يقول: سيجىء قوم يقرءون: (الم غَلَبت الروم) وإنّما هى

﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ . قال أبو عبيد بضم الغين يعنى الآخيرة.

قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ يعنى من قبل دولة الروم على فارس ومن بعد وهما مرفوعان على الغاية. ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ : الروم لأنّهم أهل كتاب، وبنصر الله المؤمنين على الكافرين ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

أخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه عن عبد الله بن محمد بن شنبة، عن على بن محمد ابن هامان، عن على بن محمد الطّنافسى عن النعمان بن محمد عن أبى إسحاق الفزارى، عن الأوزاعى، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى قال: قال رسول الله ﷺ: «فارس نطحة أو نطحتان» ثمّ قال: «لا فارس بعدها أبدًا، والروم ذات القرون أصحاب بحر وصخر، كلّما ذهب قرن خلف قرن، هيهات إلى آخر الأبد».

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ : نصب على المصدر ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ : يعنى أمر معايشهم كيف يكتسبون ويتّجرون ومتى يغرسون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون.

﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ : وبها جاهلون ولها مضيّعون، لا يتفكّرون فيها ولا يعملون لها. فعمّروا دنياهم وخرّبوا آخرتهم.



﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ

وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : يعنى ولوقت معلوم إذا انتهت إليه فُنيت، وهو يوم القيامة[١].

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ : حرثوها وقلّبوها للزراعة والعمارة. ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ﴾ : فلم يؤمنوا وأهلكهم الله عزّ وجلّ.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ : العمل ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ : يعنى الخلّة التى تسوؤهم وهى النار. وقيل: (السّوأى) اسم لجهنّم كما أنّ (الحسنى) اسم للجنة.

﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ : يعنى لأن كذّبوا. وقيل: تفسير (السّوأى) ما بعدها وهو قوله: ﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ : يعنى: ثمّ كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات على أنْ كذّبوا ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ : استهزءوا بها.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

روى ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: (يبلس) يكتئب. أبو يحيى عنه: يفتضح. قتادة ومقاتل والكلبى: بياءين، ابن زيد: المبلس الذى قد نزل به البلاء والشرّ. الفرّاء: ينقطع كلامهم وحجتهم. أبو عبيدة: يندمون، وأنشد:

يا صاح هل تعرف رسمًا مكرسا ... قال نعم أعرفه وأبلسا

وقرأ السلمى ﴿يُبْلَسُ﴾: بفتح اللاّم، والأوّل أجود[٢]. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ : أوثانهم التى عبدوها من دون الله ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ : جاحدين وعنهم متبرّين.

---

(١) قال القرطبى: إنهم لم يؤمروا أن يتفكروا فى خلق أنفسهم إنما أمروا أن يستعملوا التفكر فى خلق السموات والأرض وأنفسهم حتى يعلموا أن الله لم يخلق السموات وغيرها إلا بالحق.
﴿وأجل مسمى﴾ : أى للسموات والأرض أجل ينتهيان إليه وهو يوم القيامة.
وفى هذا تنبيه على الفناء، وعلى أن لكل مخلوق أجلاً، وعلى ثواب المحسن وعقاب المسىء.
وقيل: ﴿وأجل مسمى﴾ أى خلق ما خلق فى وقت سماه لأن يخلق ذلك الشىء فيه.

(٢) قال القرطبى: وقد زعم بعض النحويين أن إبليس مشتق من هذا، وأنه أبلس لأنه انقطعت حجته.
وقال النحاس: ولو كان كما قال: لوجب أن ينصرف وهو فى القرآن غير منصرف.
وقال الزجاج: المبلس الساكت المنقطع فى حجته البائس من أن يهتدى إليها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾ بستان ﴿يُحْبَرُونَ﴾ قال ابن عباس: يكرمون. مجاهد وقتادة: ينعمون. أبو عبيدة: يسرّون، ومنه قيل: كلّ حبرة تتبعها عبرة. وقال العجاج:

فالحمدُ لله الذى أعطى الحبر   موالى الحقّ إن المولى شكر

أى السرور. وقال بعضهم: الحبرة فى اللغة كلّ نعمة حسنة. والتّحبير: التحسين. ومنه قيل للمداد: حبر لأنّه يُحسّن به الأوراق. والعالم: حِبْر لأنّه متخلّق بالأخلاق الحسنة[١]، وقال الشاعر:

❖ يحبرها الكاتب الحميرى ❖

وقيل: يحبرون يلذّذون بالسّماع.

أخبرنا عبد الله بن حامد، عن حامد بن محمد بن عبد الله عن محمد بن يونس، عن روح عن الأوزاعى، عن يحيى بن أبى كثير﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ قال: السماع فى الجنّة.

أخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله عن ابن شنبه، عن عمير بن مرداس عن سلمة بن شبيب عن عبد القدّوس بن الحجّاج قال: سمعت الأوزاعى يقول: ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ قال: السّماع. وقال: إذا أخذ فى السّماع لم يبق فى الجنّة شجرة إلاّ وَرّدَت[٢]. وبه عن سلمة ابن شبيب عن داود بن الجرّاح، العسقلانى قال: سمعت الأوزاعى يقول: ليس أحد ممّن خلق الله أحسن صوتًا من إسرافيل؛ فإذا أخذ فى السّماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم[٣].

وأخبرنا الحسين بن محمد الدينورى، عن أحمد بن الحسن بن ماجة القزوينى، عن الحسن ابن أيّوب، عن عبد الله بن عراد الشيبانى قالا: أخبرنا القاسم بن مطيب العجلى، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين منها كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها سموّا وأوسطها محلاً، ومنها تنفجر أنهار الجنّة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة».

---

(١) إيجازاً فالحبور هو الفرح والسرور وهو المعروف والمشهور بين الناس ولا يحتاج إلى كل هذه الإطالة، ومما قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة: «حبر»: والحَبْر والحَبَرُ، والحَبْرَةُ، والحُبُورُ كله السرور.

(٢) هذا تأويل مبالغ فيه خرج بالآية عن ظاهرها وباعد بها عن مقصودها وحير السامع لها عن مرادها.

(٣) الأوزاعى إمام جليل فقيه صاحب مذهب مشهور تتلمذ على يديه كثير من مشاهير العلماء، فلا أظن أن يصدر مثل هذا القول عنه، وإنما أحسب أنه قد وضعه عليه الوضاعون الذين أرادوا أن يقدحوا فيه لخصومة بينهم وبينه والله أعلم.

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إنّى رجل حُبّب إلىّ الصّوت، فهل فى الجنّة صوت حسن؟ قال: إى والذى نفسى بيده، إنّ الله سبحانه ليوحى إلى شجرة فى الجنّة أن أسمعى عبادى الذين اشتغلوا بعبادتى وذكرى عن عَزف البرابط والمزامير، فترفع صوتًا لم يسمع الخلائق مثله قط من تسبيح الربّ وتقديسه.

وأخبرنى الحسين بن محمد عن هارون، عن محمّد بن هارون العطّار، عن حازم بن يحيى الحلوانى، عن الوليد بن عبد الملك، عن مسروح الحرّانى، عن سليمان بن عطاء، عن سلمة ابن عبد الله الجهنى، عن عمّه، عن أبى الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ يذكّر الناس فذكر الجنّة وما فيها من الأزواج والنعيم وفى آخر القوم أعرابى فجثا لركبتيه وقال: يا رسول الله هل فى الجنّة من سماع؟ قال: «نعم يا أعرابى إنّ فى الجنّة لنهرًا حافتاه الأبكار من كلّ بيضاء خوضانية[1]، يتغنّين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، فذلك أفضل نعيم أهل الجنّة».

قال: فسألت أبا الدرداء بمَ يتغنّين؟ قال: بالتسبيح إن شاء الله. قال: والخوصانية[2]: المرهفة الأعلى الضخمة الأسفل. وأخبرنى الحسين بن محمد عن أحمد بن محمد بن على الهمدانى عن على بن سعيد العسكرى قال: أخبرنى أبو بدر عبّاد بن الوليد الغبرى، عن محمّد بن موسى الخراسانى عن عبد الله بن عرادة الشيبانى، عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم قال: «إنّ فى الجنّة لأشجارًا عليها أجراس من فضّة فإذا أراد أهل الجنّة السمع بعث الله عزّ وجلّ ريحًا من تحت العرش فتقع فى تلك الأشجار فتحرّك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الأرض ماتوا طربًا»[3].

وأخبرنى الحسين، عن أبى شنبة وعبد الله بن يوسف قالا: قال محمد بن عمران، عن محمد بن منصور، قال: أخبرنى يحيى بن أبى الحجّاج، عن عبد الله بن مسلم عن مولى لبنى

---

(١) كذا فى المخطوط، وفى تفسير القرطبى: خُمْصَانية، وما فى القرطبى أصوب لغة.

(٢) كذا أيضًا فى المخطوط، وفى القرطبى: والخمصَانية: المُرهَفة الأعلى، الخمصانة البطن، الضخمة الأسفل قلت: ولم أقف عليه وفى إسناده مجهول مما يضعف الحديث.

(٣) من المعلوم لدى الكافة من المؤمنين والمسلمين أن الله تعالى أخبرنا عن الجنة بآيات شتى تبين ما فى الجنة من نعيم مقيم وسرور وسعادة وحبور، ومما وصف الله تعالى به الجنة إجمالا ما قاله فى سورة السجدة: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ فمن تجاوز هذا الوصف إلى ما وراء ما أخبر الله سبحانه وتعالى فقد ظلم نفسه وأساء إلى رسول الله ﷺ إذ إنه يصف ما فى حدود خياله المحدود وحاشى لله أن يأتى بمثل هذه الأشياء التافهة التى نعلمها نحن فى الدنيا لندخل بها على أنفسنا السرور وتدخل علينا مع هذا السرور الصداع والإرهاق مهما صاحبهما من لذة فعلى المؤمن أن يرضى بما وصف الله تعالى ويقنع بما ورد عن رسول الله ﷺ من صحيح الأخبار عما فى الجنة من نعيم مقيم وسرور ومتعة ونظر إلى وجة ربنا سبحانه وتعالى رزقنا الله وإياكم ذلك آمين.

أُميّة يقال له: سليمان، قال: سمعت أبا هريرة يسأل: هل لأهل الجنّة من سماع؟

قال: نعم، شجرة أصلها من ذهب وأغصانها فضّة وثمرها اللؤلؤ والزّبرجد والياقوت يبعث الله سبحانه وتعالى ريحًا فيحكّ بعضها بعضًا، فما سمع أحد شيئًا أحسن منه.

قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ۝ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾ فصلّوا لله ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: وهو صلاة العصر والمغرب ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صلاة الصبح ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾: وهو صلاة العشاء الآخرة. أيّ وسبّحوه عشيًا ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: صلاة الظهر.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزّان عن أحمد بن محمد بن الحسين الحافظ، عن محمد بن يحيى، عن عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، عن عاصم، عن أبى رزين قال نافع بن الأزرق لابن عبّاس: هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن؟ قال: نعم ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

حدّثنا أبو بكر بن عبدوس قال: حدّثنى أبو بكر الشرقى قال: حدّثنى أبو حاتم الرازى قال: حدّثنى أبو صالح كاتب الليث، حدّثنى الليث، عن سعيد بن بشير، عن محمد بن عبد الرحمن السلمانى، عن أبيه، عن ابن عبّاس، عن النبىّ ﷺ قال: «من قال حين يصبح ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاته فى يومه، ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته»[1].

وأخبرنى محمد بن القاسم بن أحمد قال: كتب إلىّ عمر بن أحمد بن عثمان البغدادى أنّ زيد بن محمد بن خلف القرشى عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمى، عن الماضى بن محمد عن جويبر، عن الضحّاك عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ هذه الآيات الثلاث من سورة الروم وآخر سورة الصافات ـ دبر كلّ صلاة يصليها كُتبَ له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد تراب الأرض، فإذا مَات أُجرى له بكلّ حسنة عشر حسنات فى قبره»[2].

---

(١) فى إسناد هذا الحديث سعيد بن بشير الأنصارى البخارى، وقد ذكره البخارى فى الضعفاء وقال: لا يصح حديثه وليس له سوى هذا الحديث وقد ذكره به ابن عدى فى كتاب الكامل فى الضعفاء (٣/ ١٢٢٦).

(٢) وكذلك هذا الحديث لا يصح وفى إسناده الماضى بن محمد بن مسعود الغافقى. وقال أبو حاتم عنه: لا أعرفه والحديث الذى رواه باطل.

وقال ابن يونس: كان يضعف. وقال ابن عدى: منكر الحديث، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه ولا أعلم روى عنه إلا ابن وهب. الكامل فى الضعفاء (٤/ ١٣٤٦).

وأخبرنى عبد الله بن فنجويه، عن ابن شنبة وأحمد بن جعفر بن حمدان والفضل بن الفضل قالوا: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام الزنجانى، عن الحجّاج بن يوسف بن قتيبة بن مسلم، عن بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدى، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الصافات: ١٨٠- ١٨٢).

وأخبرنى ابن فنجويه عن عمر بن أحمد بن القاسم عن محمد بن عبد الغفّار عن حبارة بن المغلس عن كثير عن الضحاك قال: من قال: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ إلى آخر الآية كان له من الأجر كعدل مائتى رقبة من ولد إسماعيل (عليه السلام).

وأخبرنى ابن فنجويه عن ابن شنبة عن على بن محمد الطيالسى، عن يحيى بن آدم عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن زيد العمى، عن محمد بن واسع، عن كعب قال: من قال حين يصبح: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى آخر الآية، لم يفتهُ خير كان من يومه ولم يدركه شرّ كان فيه، ومن قالها حين يمسى لم يدركه شرّ كان فى ليله ولم يفتهُ خير كان فى ليله، وكان إبراهيم خليل الله صلّى الله عليه يقولها فى كلّ يوم وليلة ستّ مرّات.

❖ ❖ ❖

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ : يعنى آدم (عليه السلام).

﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ : يعنى ذُريته.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ : أى من جنسكم ولم يجعلهنّ من الجنّ، وقيل: من ضلع آدم وقيل: من نطف الرجال.

﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ : أُلفة ومحبّة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

أخبرنى الحسين بن محمد، عن موسى بن محمد بن على قال: أخبرنى أبو شعيب الحرانى، عن يحيى بن عبد الله البابلى، عن صفوان بن عمرو، عن المشيخة أنّ رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا نبىّ الله لقد عجبتُ من أمر وإنَّه لعجب، إنّ الرجل ليتزوّج المرأة وما رآها وما رأتهُ قط حتى إذا ابتنى بها اصطحبا وما شىء أحبّ إليهما من الآخر.

فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [1]، ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ فعربى وأعجمى.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ : أبيض وأسود وأحمر وأنتم وُلْد رجل واحد وامرأة واحدة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ : بكسر اللاّم حفص، والباقون بفتحها.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ : وحذف أنْ من قوله (يريكم) لدلالة الكلام عليه، كقول طرفة:

ألا أيهـذا الزاجرى أحضر الوغى وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدى

أراد أنْ أحضَر. وقيل: هو على التقديم والتأخير تقديره: ويريكم البرق خوفًا، من آياته.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [2]: أى من قبوركم،

---

(١) وفى تقديم المودة على الرحمة فى الآية إعجاز قرآنى فى تركيب عباراته حيث إن فى بداية الزواج تكون صفة المودة هى المسيطرة بين الزوجين حيث يود كلا منهما صاحبه أى يتودد إليه فيولد هذا التودد الرحمة التى تكبر معهما حتى تصير شفقة حيث يتقدم بهما السن فتجد أن كلا منهما يشفق على صاحبه شفقة أكثر من شفقة الوالدين بولديهما فسبحان خالق الإنسان ومرتب القرآن حيث لم يقدم الرحمة على المودة سبحانه علام الغيوب.

(٢) فى القرطبى: أى قيامها واستمساكها بقدرته بلا عمد.

وقيل: بتدبيره وحكمته أى يمسكها بغير عمد لمنافع الخلق وقيل: (بأمره) بإذنه، والمعنى واحد.

عن ابن عبّاس ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ : منها ، وأكثر العلماء على أنّ معنى الآية ثمّ إذا دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرجون من الأرض .

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ : فقرأ ابن مسعود : يبدى ، ودليله قوله : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾ (البروج : ١٣) .

ودليل العامّة ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف : ٢٩) ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ قال الربيع بن خيثم والحسن : وهو هيّن عليه وما شىء عليه بعزيز ، وهى رواية العوفى عن ابن عبّاس ، وهذا كقول الفرزدق :

إنّ الذى سمك السما بنى لنا[1] بيتًا دعائمُـه أعزّ وأطـولُ

أى عزيزة طويلة .

وقال آخر :

لعمـركَ إنّ الزبرقان لباذل معروفه عند السنين وأفضلُ

أى فاضل .

وقال مجاهد وعكرمة : الإعادة أهون عليه من البدأة أى أيسر . وهى رواية الوالبى عن ابن عبّاس : ووجه هذا التأويل أنّ هذا مَثَل ضربه الله تعالى ، يقول : إعادة الشىء على الخلق أهون من ابتدائه فينبغى أن يكون البعث أهون عليه عندكم من الإنشاء . وقال قوم : وهو أهون عليه ، أى على الخلق ، يُصاح بهم صيحة فيقومون ، ويقال لهم : كونوا فيكونون أهون عليه من أن يكونوا نطفًا ثمّ علقًا ثمّ مضغًا إلى أن يصيروا رجالاً ونساء . وهذا معنى رواية حسان ، عن الكلبى ، عن أبى صالح عن ابن عبّاس واختيار قطرب .

﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ : أى الصفة العليا ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ : قال ابن عبّاس : ليس كمثله شىء . وقال قتادة : مثله أنّه لا إله إلاّ هو ولا ربّ غيره . ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ .

❖ ❖ ❖

(١) فى المخطوط : بنى لها . والتصويب من تفسير القرطبى ، وزاد بعده لابن عبيدة إنشاده :

إنى لأمنحك الصـدود وإننى قسمًا إليك مع الصدود لأَمْيَلُ

أراد : لمائل ، وأنشد أحمد بن يحيى :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أراد بواحد .

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾: مِنْ عبيدكم وإمائكم ﴿مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: من المال ﴿فَأَنتُمْ﴾: وهم ﴿فِيهِ﴾: شرع ﴿سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا، وقيل: تخافون هؤلاء الشركاء أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضًا، وهذا معنى قول أبى مجلز، فإذ لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التى تعبدونها لى شركاء؟ وأنتم وهم عبيدى وأنا مالككم جميعًا، فكما لا يجوز استواء المملوك مع سيّده فكذلك لا يجوز استواء المخلوق مع خالقه.

ثمّ قال: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ﴾.

دين الله وهو نصب على المصدر أى فطر فطرة. ومعنى الآية: إنّ الدّين الحنيفية، فطرة الله[1] ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقيل: نصب على الإغراء. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لدين الله، أى لا يصلح ذلك ولا ينبغى أن يفعل، ظاهره نفى ومعناه نهى، هذا قول أكثر العلماء والمفسرين.

---

(١) فى القرطبى: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ دين الإسلام، وإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد فى أعمال الدين، وخص الوجه بالذكر لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه.
ودخل فى هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل.

وقال عكرمة ومجاهد: لا تغيير لخلق الله من البهائم بالخصاء ونحوه[١].

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى، عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة هل تحسون فيها من جدعاء؟» قال: ثمّ يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية.

وأخبرني عبد الله بن حامد قال: أخبرني أبو بكر محمد بن جعفر المطيري، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدّب عن عبد الرزاق، وأخبرنا أبو سعيد التاجر (ح)[٢] قال: أخبرني أبو حامد الشرقي وحدّثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر والسلمي، قالوا: قال عبد الرزّاق عن معمر عن همام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلاّ يولد على هذه الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصّرانه كما تنتجون البهيمة فهل تجدون فيها من جدعاء حتّى تكونوا أنتم تجدعونها؟ قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين».

وقال الأسود بن سريع: غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات وإنّ أقوامًا منا ولوا[٣] الذرّية بالقتل فقال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام قتلوا المقاتلة ثمّ تناولوا الذرّية؟» فقال رجل: يا رسول الله إنّما هم أولاد المشركين، فقال ﷺ: «إنّ خياركم أولاد المشركين، والذي نفسي بيده ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة فما يزال عليها حتّى يبيّن عنه لسانه فأبواه يهوّدانه وينصّرانه»[٤].

---

(١) هي عادة مشهور في القرى والأرياف مسألة إخصاء الذكور من الماعز والضأن ليزداد لحم الذكر فيستفاد بلحمه، ووسم بعض الدواب وما شابه ذلك مما نهى عنه الإسلام لما فيه من الايذاء البدني للحيوان وغيره من ذوات الأكباد الرطبة والتي في سقياها صدقة وأجر للفاعل بها خيراً.
ومن ذلك في المجال البشري ما اشتهر في عصورنا حتى صار وكأنه أمر لا شيء فيه بل لا يكاد أحد يفكر في حرمته حلق اللحية الذي عم وطم حتى ما تكاد تجد رجل ملتح إلا وهو موصوم من القوم بالتطرف أو الإرهاب.

(٢) زيادة حديثية يتطلبها السياق.

(٣) يريد قاموا بقتل الأطفال وقد نهى الإسلام عن قتل الأطفال أيًا كان انتماء أبويهم العقائدي حيث إنه غير مكلف ولم يجر عليه القلم ليختار أو يميز بين العقائد الصائبة والخاطئة، وكذا نهى عن قتل النساء حيث لا يباشرن القتال، وكذلك الشيوخ حيث أقعدهم السن عن المقاومة، ونهى أيضًا عن قتل العباد الذين شغلتهم عبادتهم عن مجاهدة المسلمين ولم يتدخلوا في الشئون السياسية للدولة.

(٤) هذا من الأحاديث المشهورة وله عدة طرق وروايات وألفاظ ومنها ما ذكره البخاري في الصحيح (٢/ ١١٨)، ومسلم في الصحيح (القدر ٢٢، ٢٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٠٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٤٦)، وأبي نعيم في الحلية (٩/ ٢٦)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٦١).

وروى قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عياض بن حمار المجاشعى قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أمرنى أن أعلّمكم ما جهلتم ممّا علّمنى فى يومى هذا وإنّه قال: إن كلّ مال نحلته عبادى فهو لهم حلال وإنى خلقت عبادى كلّهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحَرَّمت عليهم ما أحللت لهم وأَمَرَتْهُم أنْ يشركوا بى ما لم أُنزّلْ به سلطانًا». وذكر الحديث.

قال أبو بكر الورّاق: فطرة الله التى فطر النّاس عليها هى الفقر والفاقة. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فرقًا كاليهود والنصارى.

أخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله الدينورى، عن محمد بن عمر بن إسحاق بن حبيش الكلوازى، عن عبد الله بن سليمان بن الأشعث، عن محمد بن مصفى، عن بقية بن الوليد عن شعبة أو غيره، عن مجالد، عن الشعبى، عن شريح، عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول الله ﷺ لعائشة: «يا عائشة إنّ الّذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا هم أهل البدع والضّلالة من هذه الأمّة، يا عائشة إنّ لكلّ صاحب ذنب توبة إلا صاحب البدع والأهواء ليست لهم توبة، أنا منهم برىء وهم منّى براء»[1].

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً...﴾ خصبًا ونعمة[2] ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وفى مصحف عبد الله وليتمتعوا ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾. قال ابن عبّاس والضحاك: حجّة وعذرًا. قتادة والربيع كتابًا.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾: ينطق ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾: يعذرهم على شركهم ويأمرهم به.



(١) هذا حديث غير صحيح وأطرافه عند: الطبرانى فى الصغير: (١/ ٢٠٣)، الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ١٨٨)، (٧/ ٢٢)، أبى نعيم فى الحلية (٤/ ١٣٨)، والسيوطى فى الدر المنثور (٣/ ٦٣)، المتقى الهندى فى كنز العمال (٢٩٨٦، ٢٩٨٧).

(٢) فى القرطبى: قال ابن عباس مقبلين عليه بكل قلوبهم لا يشركون.
ومعنى هذا الكلام التعجب، عجب نبيه من المشركين فى ترك الإنابة إلى الله تعالى مع تتابع الحجج عليهم، أى إذا مَسّ هؤلاء الكفار ضر من مرض وشدة دعوا ربهم أى استغاثوا به فى كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون الأصنام لعلمهم بأنه لا فرج عندها.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ٤٢ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ٤٣ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ٤٤ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٥ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٤٦ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٨ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ٤٩ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٥٣﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا﴾ قرأ ابن كثير (ءاتيتم) مقصوراً غير ممدود ﴿لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ

﴿ٱلنَّاسِ﴾. قرأ الحسن وعكرمة وأهل المدينة (لتربوا): بضمّ التاء وجزم الواو على الخطاب أى لتربوا أنتم، وهى قراءة ابن عبّاس واختيار يعقوب وأيّوب وأبى حاتم.

وقرأ الآخرون (لِّيَرْبُوَا) بياء مفتوحة ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا. واختاره أبو عبيد لقوله: ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل فلا يربى. واختلف المفسرون فى معنى الآية: فقال سعيد ابن جبير ومجاهد وطاووس وقتادة والضحاك: هو الرجل يعطى الرجل العطية ويهدى الهدية ليثاب أكثر منها، فهذا ربًا حلال ليس فيه أجر ولا وزر، وهذا للناس عامّة، فأمّا النبىّ ﷺ خاصّة فكان هذا عليه حرامًا لقوله عزّ وجلّ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ (المدثر:٦). وقال الشعبى: هو الرجل يلزق بالرجل فيحف له ويخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله ليجزيه وإنّما أعطاه التماس عونه ولم يرد به وجه الله. وقال النخعى: هذا فى الرجل يقول للرجل: لأمولنّك فيعطيه مراعاة، وكان الرجل فى الجاهلية يعطى ذا القرابة له المال ليكثر ماله، وهى رواية أبى حسين عن ابن عبّاس. وقال السدى: نزلت فى ثقيف كانوا يعطون الربا.

﴿فَلَا يَرْبُواْ﴾: يزكو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: لأنه لم يرد به وجه الله. ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ قال قتادة: هذا الذى يقبله الله ويضاعفه له عشر أمثالها وأكثر من ذلك[1] ومعنى قوله: (المضعفون). أهل التضعيف. كقول العرب: أصبحتم مسمنين، إذا سمنت إبلهم، ومعطشين إذا عطشت. ورجل مقو إذا كانت إبل قويّة، ومضعف إذا كانت ضعيفة، ومنه الخبيث المخبّث أى أصابه خبث.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ أى قحط المطر ونقص الغلاّت وذهاب البركة ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ تقول: أجدبت البرّ وانقطعت مادّة البحر[2] ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾: بشؤم ذنوبهم.

قال قتادة: هذا قبل أنْ يبعث الله نبيّه ﷺ امتلأت الأرض ظلمًا وضلالة، فلمّا بعث الله عزّ وجلّ محمّدًا ﷺ رجع راجعون من الناس. فالبرّ أهل العمود والمفاوز والبرارى، والبحر أهل

---

(١) أى من يعطى ابتغاء وجهه ومرضاته فهو الذى له أجر ما أنفق وأضعافه أضعافًا كثيرة على منهج الخط العام للإسلام ولإخبار القرآن بذلك بأن جزاء الإحسان فى الدنيا الثواب العظيم والإحسان الجزيل فى الآخرة كل ذلك مقيد بإخلاص العمل لله سبحانه وتعالى مجردًا تجردًا تامًا مما سواه سبحانه.

(٢) ومما قال القرطبى: فى تفسيرها أن قال: اختلف العلماء فى معنى الفساد فى البر والبحر؛ فقال قتادة والسدى: ﴿الفساد﴾: الشرك، وهو أعظم الفساد.
وقال النحاس: إن الفساد فى البحر انقطاع صيده بذنوب بنى آدم.

الرّيف والقرى. قال مجاهد: أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كلّ قرية على ماء جار فهو بحر. وقال عكرمة: العرب تسمّى الأمصار بحرًا. وقال عطية وغيره: البرّ ظهر الأرض، الأمصار وغيرها، والبحر هو البحر المعروف. وقال عطية: إذا قلّ المطر قلّ الغوص[١]. وقال ابن عبّاس: إذا مطرت السماء تفتح الأصداف فمها فى البحر فما وقع فيها من ماء السماء فهو لؤلؤ. وقال الحسن: البحر القرى على شاطئ البحر. قال ابن عبّاس وعكرمة ومجاهد: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ بقتل ابن آدم أخاه ﴿وَالْبَحْرِ﴾ بالملك الجائر الذى كان يأخذ كلّ سفينة غصبًا واسمه الجلندا، رجل من الأزد.

﴿لِيُذِيقَهُم﴾: قرأ السلمى بالنون وهو اختيار أبى حاتم. والباقون بالياء ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: أى عقوبة بعض الذى عملوا من ذنوبهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن كفرهم وأعمالهم الخبيثة. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ۝ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتفرّقون، فريق فى الجنّة وفريق فى السعير ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يفرشون ويسوّون المضاجع فى القبور[٢]. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ ثوابه ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ نعمته المطر. ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: أشركوا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: فى العاقبة، فكذلك نحن ناصروك ومظفروك على مَن عاداك وناوأك. قال الحسن: يعنى أنجاهم مع الرسل من عذاب الأمم.

أخبرنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الدينورى، قال أبو العبّاس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصرى، عن الحسين بن محمد المطبقى، عن الربيع بن سليمان، عن على بن معبد عن موسى بن أعين، عن بشير بن أبى سليمان، عن عمرو بن مرّة عن شهر بن

---

(١) زاد فى القرطبى بعد هذا: وأخفق الصيادون وعميت دواب البحر.
وقيل: الفساد: كساد الأسعار وقلة المعاش.
وقيل: الفساد المعاصى وقطع السبيل، والظلم، أى صار هذا العمل مانعًا من الزرع والعمارات، والتجارات.
والمعنى كله متقارب، والبر والبحر هما المعروفان المشهوران فى اللغة عند الناس لا ما قاله بعض العُبّاد: إن البر اللسان، والبحر القلب، لظهور ما على اللسان، وخفاء ما فى القلب.
(٢) قال القرطبى: أى يوطئون لأنفسهم فى الآخرة فراشًا ومسكنًا، وقرارًا بالعمل الصالح، ومنه مهد الصبى، والمهاد الفراش، وقد مهدت الفراش مهدًا بسطته ووطأته وتمهيد الأمور تسويتها وإصلاحها.

حوشب عن أُم الدرداء عن أبى الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ يردُّ عن عرض أخيه إلاّ كان حقًا على الله سبحانه أن يردَّ عنهُ جهنّم يوم القيامة»، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أخبرنى ابن فنجويه عن مخلد الباقرحى، عن الحسن بن علويه، عن إسماعيل بن عيسى، عن إسحاق بن بشر، أخبرنا إدريس أبو إلياس، عن وهب ابن منبه: أنّ الأرض شكت إلى الله عزّ وجلّ أيّام الطوفان لأنّ الله عزّ وجلّ أرسل الماء بغير وزن ولا كيل فخرج الماء غضبًا لله عزّ وجلّ فخدش الأرض وخدّدها فقالت: يا ربّ إنّ الماء خددنى وخدشنى، فقال الله عزّ وجلّ فيما بلغنى - والله أعلم - إنّى سأجعل للماء غربالاً لا يخدّدك ولا يخدشك، فجعل السّحاب غربال المطر (٢).

﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ ردّ الكناية إلى لفظ السحاب لذلك ذكرها. والسحاب جمع كما يُقال: هذا تمر جيد ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ قطعًا متفرّقة. ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وسطه. وقرأ ابن عبّاس من خلَله. ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾: أى بالودق ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَإِن كَانُوا۟﴾: وقد كانوا ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾: وقيل: وما كانوا إلاّ. قال قطرب والفائدة فى تكرار قبل هاهنا أنّ الأُولى للإنزال والثانية للمطر، وقيل على التأكيد، كقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ (آل عمران: ١٨٨) كرّر تَحسَبنَّ للتأكيد.

وقال الشاعر:

إذا أنا لم أؤمن عليك ولم يكن ... لقاؤك إلاّ من وراء وراء

وفى حرف ابن مسعود (ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب) غير مكرّر، وفى حرفه أيضًا: (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين) غير مكرّر.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ﴾ بالألف على الجمع - أهل الشام والكوفة. واختلف فيه عن أصم، وغيرهم: أثر على الواحد ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى المطر ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ

(١) وهذا أيضًا خبر ضعيف فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف، والخبر فى شرح السنة للبغوى (١٣/ ١٠٦ برقم ٣٥٢٨)، والسيوطى فى الدر المنثور (٥/ ١٥٧).

(٢) هذا من قول وهب بن منبه وهو موقوف عليه وهو رحمه الله تعالى وإيانا وإن كان ثقة فى الحديث فإنما لنا روايته لا رأيه ولا قوله إلا ما وافق الكتاب الكريم أو صحيح السنة الشريفة وما عدا ذلك فهو قول رجل له ما له وعليه ما عليه وما ورد فى هذا الخبر لا نقبله حيث لم يوافق القرآن ولا السنة الصحيحة وهو غير ملزم حتى لو كان صوابًا.

﴿ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ من البعث وغيره[١].

﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا﴾ : باردة مضرّة فأفسدت ما أنبتَ الغيث ﴿فَرَأَوۡهُ﴾ : يعنى الزرع والنبات كناية عن غير مذكور ﴿مُصۡفَرّٗا﴾ : يابسًا بعد خضرته ونضرته ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾ : وقد رأوا هذه الآيات الواضحات، ثمّ ضرب لهم مثلاً[٢] فقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾.



﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ۝ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ۝ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ۝ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ نطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ : شبابًا ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا﴾ : هرمًا ﴿وَشَيۡبَةٗ﴾ . قرأ يحيى وعاصم والأعمش وحمزة بفتح الضاد من الضعف، غيرهم بالضمّ فيها كلّها، واختارها أبو عبيد لأنّها لغة النبى ﷺ.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، عن حامد بن محمد، عن على بن عبد العزيز قال أبو نعيم، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفى قال: قرأت على ابن عمر ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا﴾ : يعنى بالضم، ثمّ قال: إنّى قرأتها على رسول الله ﷺ فأخذها علىّ كما أخذتها عليك، وكان عاصم الجحدرى يقرأ (الله الذى خلقكم من ضَعف ثم جعل من بعد ضُعف) ـ بالضم ـ ﴿قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا﴾ ـ بالفتح ـ أراد أن يجمع بين اللغتين. قال الفرّاء: الضمّ لغة قريش والنصب لغة تميم ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ

(١) قال القرطبى فى تفسيره لها: استدلال الشاهد على الغائب.

(٢) قال القرطبى فى تفسير هذه الآية: أى ليظلّن وحسن وقوع الماضى فى موضع المستقبل لما فى الكلام من معنى المجازاة، والمجازاة لا تكون إلاّ بالمستقبل. قاله الخليل، وغيره.

﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾.

وقوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ يحلف المشركون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾: في الدنيا ﴿غَيۡرَ سَاعَةٍ﴾ استقلّ القوم أجل الدنيا لمّا عاينوا الآخرة. وقال مقاتل والكلبي: يعني ما لبثوا في قبورهم غير ساعة، استقلّوا ذلك لما استقبلوا من هول يوم القيامة، نظيرها قوله عزّ وجلّ: ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً﴾ (يونس: ٤٥): من النهار ومن نهار ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ﴾ يكذّبون في الدُّنيا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه[1]. وقيل: في حكم الله، كقول الشاعر:

ومال الولاء بالبلاء فملتمُ ... وما ذاكَ قال الله إذ هو يكتبُ

أي يحكم. وقال قتادة ومقاتل: هذا من مقاديم الكلام تأويلها: وَقَالَ الَّذينَ أُوتُوا الْعلْمَ في كتاب الله والإيمانَ لقد لبثتُم ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾: فيَ الدنيا أنّه يكونَ وأنّكم مبعوثون ومجزيّون فكنتم به تكذّبون.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾: يسترجعون[2].

﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾: ما أنتم إلاّ على باطل ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾: في نصرك وتمكينك ﴿حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ يستزلنّك ويستخفنّ رأيك عن حكمك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.



(١) في القرطبي: في حكم الله، ثم ساق نحو ما هو هنا.

(٢) في القرطبي: أي لا ينفعهم العلم بالقيامة، ولا الاعتذار يومئذ.
وقيل: لما ردّ عليهم المؤمنون سألوا الرجوع إلى الدنيا، واعتذروا، فلم يعذروا.
﴿ولا هم يستعتبون﴾: أي ولا حالهم حال من يستعتب ويرجع. يقال استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني، وذلك إذا كنت جانيًا عليه.
وحقيقة أعتبته: أزلت عنه.

سُورَةُ لُقْمَانَ

مكيّة، وهى ألفان ومائة وعشرة أحرف
وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة، وأربع وثلاثون آية

أخبرنى أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد الفقيه قال: أخبرنى أبو عبد الله محمد بن يزيد المعدل قال: أخبرنى أبو يحيى البزار، عن محمد بن منصور، عن محمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبى ليلى، حدّثنى أبى، عن مخالد بن عبد الواحد، عن الحجّاج بن عبد الله، عن أبى الخليل، عن على بن زيد وعطاء بن أبى ميمونة، عن زر بن حبيش، عن أُبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقًا فى يوم القيامة وأُعطى من الحسنات عشرًا بقَدر من عمل المعروف، ونهى عن المنكر»(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

---

(١) فى المخطوط: وعمل بالمنكر، فأثبت ما هو موافق لسياق الكلام.
أما عن الحديث فليس بحديث صحيح ففى إسناده على بن زيد، وهو ابن جدعان وهو ضعيف الحديث، وعلى العموم معظم الأحاديث الواردة فى فضل القرآن الواردة فى هذا الكتاب فى أوائل السور تكاد تكون كلها ضعيفة لهذا فأنا لا أعلق عليها لما قدمته فى مقدمة الكتاب فى هذا الشأن.

﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝١١﴾

﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾: قرأ العامة بالنصب على الحال والقطع، وقرأ حمزة (ورحمةٌ) بالرفع على الابتداء ﴿لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾.

قال الكلبى ومقاتل: نزلت فى النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار بن قصى، كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشترى أخبار الأعاجم فيرويها ويحدِّث بها قريشًا ويقول لهم: إنَّ محمّدًا يحدّثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أُحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأعاجم والأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، وقال مجاهد: يعنى شراء القيان والمغنّين، ووجه الكلام على هذا التأويل: يشترى ذات أو ذا لَهْو الْحَدِيث.

أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المزكى سنة ثلاث وثمانين، حدّثنى جدّى محمد بن إسحاق بن خزيمة عن على بن خزيمة عن على بن حجرة، عن مُستمغل بن ملجان الطائى، عن مطرح بن يزيد، عن عبيد الله بن زجر، عن على بن يزيد، عن القاسم عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ تعليم المغنيات ولا بيعهن، وأثمانهن حرام، وفى مثل هذا نزلت الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾» إلى آخر الآية.

وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلاّ بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتّى يكون هو الذى يسكت[1]. وقال آخرون: معناه يستبدل ويختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال: سبيل الله: القرآن.

وقال أبو الصهباء البكرى: سألت ابن مسعود عن هذه الآية، فقال: هو الغناء والله الذى لا إله إلاّ هو يردّدها ثلاث مرّات، ومثله روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس: ابن جريج: هو الطبل. عبيد عن الضحّاك: هو الشرك. جويبر عنه: الغناء، وقال: الغناء مفسدة للمال، مسخطة للربّ مفسدة للقلب. وقال ثور بن أبى فاختة عن أبيه عن ابن عبّاس: نزلت هذه الآية

(١) وهذا أيضًا حديث لا يصح فى إسناده مطرح بن يزيد أبو المهلب الكنانى وهو ضعيف الحديث والخبر مذكور فى كتب الحديث الضعيفة ككتاب العمل المتناهية فى الضعف (٢/ ٢٩٨)، وابن عدى فى الكامل فى الضعفاء (٦/ ٢٣١٥)، وكنز العمال (٩٣٩٤).

فى رجل اشترى جارية تغنّيه ليلاً ونهاراً. وكلّ ما كان من الحديث مُلهيًا عن سبيل الله إلى ما نهى عنه فهو لهو ومنه الغناء وغيره[1]. وقال قتادة: هو كلّ لهو ولعب. قال عطاء: هو الترّهات والبسابس. وقال مكحول: مَن اشترى جارية ضرّابة ليمسكها لغناها وضَرْبها مقيمًا عليه حتّى يموت لم أُصلِّ عليه، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ إلى آخر الآية.

وروى على بن يزيد عن القاسم بن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى بعثنى رحمةً وهدًى للعالمين وأمرنى بمحق المعازف والمزامير والأوتار والصّلب وأمر الجاهلية، وحلفَ ربّى بعزّته لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من خمر متعمّداً إلا سقيته من الصديد مثلها يوم القيامة مغفوراً له أو معذبًا، ولا يسقيها صبيًا صغيراً ضعيفًا مسلمًا إلاّ سقيته مثلها من الصديد يوم القيامة مغفوراً له أو معذبًا، ولا يتركها من مخافتى إلاّ سقيته من حياض القدس يوم القيامة. لا يحلّ بيعهن ولا شراؤهن ولا تعليمهن ولا التجارة بهن وثمنهنّ حرام». يعنى الضوارب[2]. وروى حمّاد عن إبراهيم قال: الغناء ينبت النفاق فى القلب. وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يحرقُون الدفوف.

أخبرنا عبد الله بن حامد، عن ابن شاذان، عن جيغويه، عن صالح بن محمد، عن إبراهيم ابن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: بلغنى أنَّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزّهون أنفسهم وأسماعهم عن اللّهو ومزامير الشيطان؟ أدخلوهم رياض المسك، ثمّ يقول للملائكة: أسمعوا عبادى وحمدى وثنائى وتمجيدى وأخبروهم أنْ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ قرأ الأعمش وحمزة والكسائى وخلف ويعقوب ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بنصب الذال عطفًا على قوله: ﴿لِيُضِلَّ﴾ وهو اختيار أبى عبيد قال: لقربه من المنصوب، وقرأ الآخرون بالرفع نسقًا على قوله: ﴿يَشْتَرِى﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ﴾ أخبره ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا

---

(١) هذا القول هو الذى فى الشفاء فى تأويل هذه الآية ولا داعى لكثرة الأقاويل فكل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده فخذ من كل بقدر ما لا يشغلك عن ذكر الله ولا يجعلك تمل العبادة فإن الله لا يمل حتى تملوا.

(٢) على بن زيد هو ابن جدعان وهو ضعيف الحديث ويضاف إلى ذلك ركاكة المتن والمبالغة فى العقوبة حتى مع من يغفر الله له فكيف يسقيه الصديد، وقد غفر له؟! أليس هذا من عجيب الموضوعات وتناقض الأقوال هدانا الله وإياكم إلى ما هو صواب ورزقنا الله وإياكم حسن الختام بالموت على دين الإسلام اللهم آمين.

وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ **أى نوعًا حسنًا** ﴿هَٰذَا﴾ **هذا الذى ذكرت مما يعاينون** ﴿خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ **من آلهتكم التى تعبدونها** ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۝ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ۝ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ۝ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾

قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ **يعنى العقل والعلم والعمل به والإصابة فى الأمور.**

قال محمّد بن إسحاق بن يسار: وهو لقمان بن باعور[اء][1] بن باحور بن تارح[2] وهو آزر [أبو إبراهيم][1]، وقال وهب: كان ابن أُخت أيّوب. وقال مقاتل: ذُكر أنّ لقمان كان ابن

---

(١) زيادة من القرطبى.

(٢) زاد فى القرطبى: وقيل: لقمان بن عنقاء ابن سرون، وكان نوبيًا من أهل أيلة ذكره السهيلى.

خالة أيوب.

قال الواقدي: كان قاضيًا في بني إسرائيل، واتّفق العلماء على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًا إلاّ عكرمة فإنّه قال: كان لقمان نبيًا، تفرّد بهذا القول.

حدّثنا أبو منصور الجمشاذي قال: حدّثني أبو عبد الله محمد بن يوسف، عن الحسين بن محمد، عن عبد الله بن هاشم، عن وكيع عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة قال: كان لقمان نبيًا. وقال بعضهم: خُيِّر لقمان بين النبوّة والحكمة، فاختار الحكمة.

وروى عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «حقًا أقول لم يكن لقمان نبيًا ولكن عبد صمصامة كثير التفكير، حسن اليقين، أحبَّ الله فأحبّه وضمن عليه بالحكمة».

وروى أنّ لقمان في ابتداء أمره كان نائمًا نصف النهار إذ جاءهُ نداء: يا لقمان هل لك أنْ يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحقّ؟ فأجاب الصوت فقال: إنْ خيّرني ربّي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإنْ عزم عليَّ فسمعًا وطاعة. فإنّي أعلم إنْ فعل ذلك بي عصمني وأعانني، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لمَ يا لقمان؟ قال: لأنّ الحاكم بأشدّ المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كلّ مكان إن وفى فبالحَرى أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وفي الآخرة شريفًا خير من أن يكون في الدنيا شريفًا وفي الآخرة ذليلاً.

ومن تخيّر الدنيا على الآخرة تفتهُ الدنيا ولا يصيب الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأُعطي الحكمة. فانتبه يتكلّم بها.

ثمّ نودي داود بعده[1] فقبلها ولم يشترط ما شرط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرّة كلّ ذلك يعفو الله عزّ وجلّ عنه، وكان لقمان يؤازره بحكمته، فقال له داود: طوبى لك يا لقمان أُعطيت الحكمة وصُرفت عنك البلوى. وأُعطي داود الخلافة وابتلي بالبليّة والفتنة[2].

وحدّثنا الإمام أبو منصور بن الجمشاذي لفظًا قال: حدّثني أبو عبد الله بن يوسف عن الحسن بن محمد، عن عبد الله بن هاشم، عن وكيع، عن محمّد بن حسّان، عن خالد الربعي قال: كان لقمان عبدًا حبشيًا نجّارًا. وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه قال: حدّثني أبو بكر بن

---

(١) يعني: نودي بالخلافة في الأرض.

(٢) هذا خبر لا يصح عن رسول الله ﷺ في إسناده نوفل بن سليمان الهنائي وقد ضعفه الدارقطني، وأبو حاتم وفي متن الحديث ما يفيد عدم صحته، قد ذكره المتقي في الكنز برقم (٣٧٨٦٥).

مالك القطيعى ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبى عن أسود بن عامر ، عن حمّاد ، عن على بن يزيد ، عن سعيد بن المسيب أنّ لقمان كان خياطًا .

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ : يعنى وقلنا له : أن اشكر لله .

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ .

قال مجاهد : كان لقمان عبدًا أسود عظيم الشفتين ، متشقّق القدمين[١] . وروى الأوزاعى عن عبد الرحمن بن حرملة قال : جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد : لا تحزن من أجل أنّك أسود ، فإنّه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ واسمه أنعم[٢] ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ قال ابن عبّاس : شدّة بعد شدّة . الضحاك : ضعف على ضعف . قتادة : جهدًا على جهد . مجاهد وابن كيسان : مشقّة على مشقّة .

﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ : فطامه . وروى عن يعقوب : وفصله ﴿فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ : أنبأنى عبد الله بن حامد الأصفهانى ، عن الحسين بن محمد بن الحسين البلخى قال : أخبرنى أبو بكر محمّد بن القاسم البلخى ، عن نصير بن يحيى ، عن سفيان بن عيينة فى قول الله عز وجل : ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ قال : من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات فقد شكر للوالدين .

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ : عِشْرة

---

(١) لا يضر الشكل مع حال الصلاح ولا عيب فى ذلك ، ولكن من أين لمن قال هذا القول الدليل على صدقه فلكل قول حقيقة ودليل وبرهان وحجة ، وهذا القول خال من أى شىء من ذلك وإنما هى اجتهادات وافتراضات ما يفيد إن كان أشقر أم أسمر أم أسود فالعلة فى الإسلام والمدار إنما هو على التقوى ، وقد مدح هذا الرجل من قبل رب السموات والأرض فما فائدة مثل هذا القول أو الوصف الذى قد يصيب بعض الناس بعدم الرضا ، وإن كان سوف يسعد آخرين بغير وجه حق إلا لأنهم سودان فأرجو أن يترك العلماء مثل هذه الشكليات ويهتموا بما يفيد الناس فى دينهم ويأخذ بهم إلى ربهم .

(٢) فى القرطبى أقوال أخرى فى اسمه وإن كنت لا أوافق على شىء منها حيث لا يجدى ذلك إلا أنى أردت أن أحيطك بحجم الخلاف فيما لا فائد فيه فقال : قال السهيلى : ابنه ثاران فى قول الطبرى والقُتيبى ، وقال الكلبى : مشكم .

وقيل : أنعم . حكاه النقاش .

وذكر القشيرى : أن ابنه وامرأته كانا كافرين فما زال بهما يعظهما حتى أسلما .

جميلة، وتقديره: بالمعروف.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: واسلك طريق محمّد وأصحابه.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: نزلت هاتان الآيتان فى سعد بن أبى وقّاص وأُمّه، وقد مضت القصة.

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: قال بعض النحاة: هذه الكناية راجعة إلى الخطيئة والمعصية، يعنى: إنْ تَكُ[1]. يدلّ عليه قول مقاتل: قال أنعم بن لقمان لأبيه: يا أبة إنْ عملت بالخطيئة حيث لا يرانى أحد كيف يعلمها الله؟ فقال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ﴾. وقال آخرون: هذه الهاء عماد، وإنّما أنّث لأنّه ذهب بها إلى الحبّة، كقول الشاعر:

ويشرق بالقول الذى قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم

ويرفع المثقال وينصب، فالنّصب على خبر كان والرّفع على اسمها ومجازه: إنْ تقع وحينئذ لا خبر له: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾: قال قتادة: فى جبل، وقال ابن عبّاس: هى صخرة تحت الأرضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجّار، وخضرة السماء منها[2]، وقال السدى: خلق الله الأرض على حوت وهو النون الذى ذكره الله عزّ وجلّ فى القرآن ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ (القلم: ١) والحوت فى الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك والملك، على صخرة، وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ولا فى الأرض، والصخرة على الرّيح[2].

﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾: عالم بمكانها. ورأيت فى بعض الكتب أنّ لقمان (عليه السلام) قال لابنه: يا بُنى ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ إلى آخر الآية. فانفطر من هيبة هذه الكلمة فمات فكانت آخر حكمته.

قوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

أى الأُمور الواجبة التى أمر الله بها، وقال ابن عباس: حزم الأُمور. مقاتل: حقّ الأُمور.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: قرأ النخعى ونافع وأبو عمرو وابن محيصن ويحيى بن وثاب

(١) يعنى إن تحدث.

(٢) هذه الأقوال لا يقول بها عاقل فضلاً عن عالم مسلم، ولمثل هؤلاء تنسب أقوال كثيرة اعتماداً على أسمائهم وما لها من ثقل عند الناس وهم من هذه الأقوال براء براءة الذئب من دم ابن سيدنا يعقوب، فعلى المسلم أن يرد مثل هذه الأقوال بأن لا ينظر إليها، وإن سمعها صد عنها أذنه ولا يناقش القائلين بها أما إن احتج بها عليه عالم من غير أهل الإسلام فعليه أن يبين له أنها ليست من دين الله فى شىء وأنها مكذوبة على هؤلاء العلماء الأفاضل.

والأعمش وحمزة والكسائى تصاعر بالألف.

أخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه قال: أخبرنى أبو حبش قال أبو القاسم بن الفضل قال أبو زرعة: حدّثنى نضر بن على قال: أخبرنى أبى عن معلى الورّاق عن عاصم الجحدرى (ولا تُصْعِرْ): بضم التاء وجزم الصاد من أصعر. الباقون ﴿تُصَعِّرْ﴾: من التصعير. قال ابن عبّاس: يقول لا تتكبّر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلّموك. مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبينك إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه. عكرمة: هو الذى إذا سُلّم عليه لوى عنقه تكبّرًا. الربيع وقتادة: لا تحقّر الفقراء، ليكن الفقير والغنى عندك سواء.

عطاء: هو الذى يلوى شدقه. أخبرنا عبد الله بن حامد، عن حامد بن محمد، عن محمد ابن صالح، عن عبد الصمد، عن خارجة بن مصعب، عن المغيرة، عن إبراهيم فى قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ قال: التشديق فى الكلام. وقال المؤرج: لا تعبس فى وجوه الناس. وأصل هذه الكلمة من المَيل، يقال: رجل أصعَر إذا كان مائل العنق. وجمعهُ صُعر، ومنه، الصِّعر: وهو داء يأخذ الإبل فى أعناقها ورؤوسها حتى يلفت أعناقها، فشُبّه الرجل المتكبّر الذى يعرض عن الناس احتقاراً لهم بذلك. قال الشاعر يصف إبلاً:

وردناه فى مجرى سهيل يمانيًا ... بصعر البرى من بين جمع وخادج

أى مائلات البرى. وقال آخر:

وكنّا إذا الجبّار صعّر خدّه ... أقمنا به من ميله فتقوّما

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: أى خيلاءَ. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: فى مشيته ﴿فَخُورٍ﴾: على الناس.

أخبرنى عبد الله بن حامد الوزان، عن أحمد بن محمد بن شاذان، عن جيعويه، عن صالح ابن محمد، عن جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: خرج رجل يتبختر فى الجاهلية عليه حُلّة، فأمر الله عزّ وجلّ الأرضَ فأخذتْه، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[1].

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: أى تواضع ولا تتبختر وليكن مشيك قصداً لا بخيلاء ولا إسراع.

أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة قال: أخبرنى أبو العبّاس محمد بن إسحاق السرّاج وأبو الوفا، المؤيّد بن الحسين بن عيسى قالا: قال

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح: (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب ٤٧ حديث رقم ٢٤٩١ ج ٤/ص ٥٦٥)، وقال حديث صحيح.

عبّاس بن محمد الدورى، عن الوليد بن سلمة قاضى الأردن، عن عمر بن صهبان، عن نافع عن ابن عمر أنّ النبىّ ﷺ قال: «سرعة المشى يذهب بهاء المؤمن»[١].

﴿وَٱغۡضُضۡ﴾: واخفض[٢]﴿مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾: قال مجاهد وقتادة والضحاك: أقبح، أوّله زفير وآخره شهيق، أمره بالاقتصاد فى صوته. عكرمة والحكم بن عيينة: أشدّ. ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً ما جعله للحمير.

أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الحرى قال: أخبرنى حامد أحمد بن عبدون بن عمارة الأعمش قال: أخبرنى أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلى، عن يحيى بن صالح الوحاضى، عن موسى بن أعين قال: سمعت سفيان يقول فى قوله عزّ وجل: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ يقول: صياح كلّ شىء تسبيح لله عزّ وجلّ إلاّ الحمار[٣]. وقيل: لأنّه ينهق بلا فائدة.

أخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه، عن محمد بن الحسين بن بشر، قال: أخبرنى أبو بكر ابن أبى الخصيب، عن عبد الله بن جابر، عن عبد الله بن الوليد الحرانى، عن عثمان بن عبد الرحمن، عن عنبسة بن عبد الرحمن، عن محمد بن زاذان، عن أمّ سعد قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله عزّ وجلّ يبغض ثلاثة أصوات: نهقة الحمار، ونباح الكلب، والداعية بالحرب»[٤].

فصل فى ذكر بعض ما روى من حكم لقمان

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزّان الأصفهانى، عن أحمد بن شاذان، عن جيغويه بن محمد عن صالح بن محمد عن إبراهيم بن أبى يحيى، عن محمد بن عجلان قال: قال لقمان: ليس مال كصحّة، ولا نعيم كطيب نفس.

---

(١) خبر ضعيف ذكره العجلونى فى كشف الخفا (١/ ٥٤٧)، والألبانى فى الضعيفة (٥٥).

(٢) فى القرطبى: أى اخفض منه أى لا تتكلف برفع الصوت، وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذى والمراد بذلك كله التواضع، وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مريطاؤك، والمؤذن هو أبو محذورة سمرة بن معير، والمريطاء: ما بين السرة إلى العانة.

(٣) هذا قول مخالف لصريح القرآن حيث إن القرآن لم يحص شيئًا دون شىء وبين أننا معشر الإنس لا نفقه تسبيح الأشياء الأخرى من جمادات أو نباتات أو حيوانات وكذلك قولهم: إنه ينهق بلا فائدة، فكيف عرفوا ذلك وأنّى لهم أنه ينهق بغير فائدة وقد عشنا فى القرى والأرياف وعلمنا أنه لا ينهق إلاّ لسبب يعرفه غالبًا صاحبه أو الناظر إليه.

(٤) هذا خبر لا يصح فى إسناده عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص، وهو متروك الحديث لكونه وضاعًا كان يضع الحديث.

وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الدينورى، عن عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى، عن محمد بن عبد الغفّار الزرقانى، عن أبى سكين زكريا بن يحيى بن عمر بن حفص عن عمّه أبى زجر بن حصن، عن جدّه حميد بن منهب قال: حدّثنى طاوس، عن أبى هريرة قال: مرَّ رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال: ألست بالعبد الأسود الذى كُنتَ راعيًا بموضع كذا وكذا؟ قال: بلى. قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنينى.

وأخبرنى الحسين بن محمد قال: أخبرنى أبو الحسين بكر بن مالك القطيعى، عن عبد الله ابن أحمد بن حنبل، عن أُبى، عن وكيع قال: أخبرنى أبو الأشهب، عن خالد الربعى قال: كان لقمان عبدًا حبشيًا نجّارًا، فقال له سيّده: اذبح لنا شاة، فذبح له شاة، فقال له: ائتنى بأطيب المضغتين فيها، فأتاه باللسان والقلب. فقال: ما كان فيها شىء أطيب من هذا؟ قال: لا قال: فسكت عنه ما سكت، ثمّ قال له: اذبح لنا شاة، فذبح شاة، [فقال: ارمِ بأخبثها مضغتين] [(١)]، فرمى باللسان والقلب، فقال: أمرتك أن تأتينى بأطيبها مضغتين فأتيتنى باللّسان والقلب وأمرتك أنْ تلقى أخبثها مضغتين فألقيتَ اللسان والقلب؟! فقال: لأنّه ليس شىء بأطيب منهما إذا طابا وأخبث منهما إذا خبثا.

وأخبرنى الحسين بن محمد، عن أحمد بن جعفر بن حمدان، عن يوسف بن عبد الله عن موسى بن إسماعيل، عن حمّاد بن سلمة، عن أنس أنّ لقمان كان عند داود (عليه السلام) وهو يسرد درعًا فجعل لقمان يتعجّب ممّا يرى، ويريد أن يسأله، ويمنعه حكمه عن السؤال، فلمّا فرغ منها وجاء بها وصبها قال: نِعمَ درع الحرب هذه! فقال لقمان: إنّ من الحكم الصمت وقليل فاعله[(٢)].

وأخبرنى الحسين بن محمد بن ماهان عن على بن محمد الطنافسى قال: أخبرنى أبو أُسامة ووكيع قالا: أخبرنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة قال: كان لقمان من أهون مملوكيه على سيّده. قال فبعثه مولاه فى رقيق له إلى بستان له ليأتوه من ثمره، فجاؤوا وليس معهم شىء، وقد أكلوا الثمر، وأحالوا على لقمان. فقال لقمان لمولاه: إنّ ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينًا، فاسقنى وإيّاهم ماءً حميمًا ثمّ أرسلنا فلْنعدُ، ففعل، فجعلوا يقيئون تلك الفاكهة وجعل

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق نظرًا لما جاء بعد هذا فى القصة أو الخبر.

(٢) يريد أنه لما صمت عن السؤال جاءته الإجابة وحفظ عليه الصمت مشقة أو مذلة السؤال، وقد قيل: السؤال مذلة ولو: أين الطريق؟.

لقمان يقيء ماءً، فعرف صدقه وكذبهم.

قال: أوّل ما روى من حكمته، أنّه بينا هو مع مولاه، إذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس، فناداه لقمان: إنّ طول الجلوس على الحاجة ينجع منه الكبد، ويورث الباسور، ويصعد الحرارة إلى الرأس، فاجلس هونًا، وقم هونًا، قال: فخرج وكتب حكمته على باب الحش[(١)].

قال: وسكر مولاه يومًا فخاطر قومًا على أن يشرب ماء بحيرة، فلمّا أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان فقال: لمثل هذا كنتُ اجتبيتك، فقال: أخرج كرسيّك وأباريقك ثمّ اجمعهم، فلمّا اجتمعوا قال: على أيّ شيء خاطرتموه[(٢)]؟ قالوا: على أن يشرب ماء هذه البحيرة، قال: فإنّ لها موادّ[(٣)] احتبسوا موادّها عنها، قالوا: وكيف نستطيع أن نحبس موادها عنها؟ قال لقمان: وكيف يستطيع شربها ولها موادّ؟!

وأخبرنى الحسين بن محمد، قال حدثنا ابن شنبة، قال حدثنا على بن محمد بن ماهان، قال حدثنا على بن محمد الطنافسى قال حدثنا أبو الحسين العكلى عن بكر بن عبد الله المزنى عن أبيه قال: قال لقمان: ضَرْب الوالد ولده: السماد والزرع[(٤)].

وأخبرنى الحسين بن محمد، عن عبيد الله بن محمد بن شنبة، عن على بن محمد بن ماهان، عن على بن محمد الطنافسى قال: أخبرنى أبو الحسين العكلى عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل، عن داود بن عمر، عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار أنّ لقمان قدم من سفر فلقى غلامه فى الطريق، فقال: ما فعل أبى؟ قال: مات، قال الحمد لله، ملكت أمرى. قال: ما فعلت امرأتى؟ قال: ماتت. قال: جدَّدَ فراشى، قال: ما فعلت أُختى؟ قال: ماتت، قال: سترَ عورتى، قال: ما فعل أخى؟ قال: مات، قال: كُسر ظهرى[(٥)].

---

(١) هذه من النصائح الطبية المشهورة التى دائمًا ما نسمع عنها من عدم استحباب طول المكث داخل الحمامات أو المراحيض أو ما تسميه اليوم بدورات المياه.

(٢) المخاطرة: المراهنة.

(٣) المواد: المراد بها العيون أو العروق التى تمد البحيرة بالماء وغالبًا ما تكون تحتها ولا تعرف على وجه التحديد بالدقة.

(٤) المراد هنا أن الوالد إنما هو لا يضرب ابنه بغضًا وإنما يضربه إصلاحًا وتقويمًا وحرصًا على ما ينفعه دينًا ودنيا فشبه ضرب الوالد لولده بالسماد لأنه يصلح الزرع ويحسنه ويقويه فكذلك الوالد وولده، وهيهات أن تجد فى هذه بر الولد بولده.

(٥) كثيراً ما أسمع عن أهمية علاقة الأخ بأخيه وكم هى نافعة وصحية ومفيدة وممتعة للحياة خصوصًا إذا كان الأخ صالحًا فإن لم يكن صالحًا وكان لا يسيء إلى أخيه كانت أيضًا نافعة لهما فى الدنيا، ولكن إذا فسدت هذه العلاقة من الناحيتين الدينية والدنيوية فأجاركم الله تعالى منها فقد جربتها فما وجدت أمر منها هى والعقوق إلا الكفر بالله والعياذ بالله من هذا، فقد عققت من ابنى، وفسد حال إخوتى دنيا ودين وفشلت كل محاولات إصلاحى لهم، فكم كنت أتمنى أن أذوق طعم الأخوة النسبية فإنى أسمع عنها كثيراً وأشعر أن لها طعمًا جميلاً من حديث الناس=

وأخبرنى الحسين بن محمد قال: أخبرنى أبو بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبى، عن سفيان، قال: قيل للقمان: أىّ الناس شرّ؟ قال: الذى لا يبالى أنْ يراه الناس مسيئًا، وقيل للقمان: ما أقبح وجهك! قال: تعيب بهذا على النقش أو على النقّاش[1]؟.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾.

قرأ نافع وشيبة وأبو جعفر وأبو رجاء العطاردى وأبو مجلز وأبو عمرو والأعرج وأيّوب وحفص ﴿نِعَمَهُ﴾: بالجمع والإضافة، واختاره أبو عبيد وأبو معاذ النحوى وأبو حاتم، وقرأ الآخرون منوّنة على الواحد ومعناها جمع أيضًا، ودليله قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤) وقال مجاهد وسفيان: هى لاَ إلهَ إلاّ الله، وتصديقه أيضًا ما أخبرنى أبو القاسم الحبيبى أنّه رأى فى مصحف عبد الله (نعمته): بالإضافة والتوحيد ﴿ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾: اختلفوا فيها فأكثروا. فقال ابن عبّاس: أمّا الظاهرة فالدين والرياش، وأمّا الباطنة فما غاب عن العباد وَعَلِمَهُ الله.

مقاتل: الظاهر تسوية الخَلق والرّزق والإسلام، والباطنة ما ستر من ذنوب بنى آدم فلم يعلم بها أحد ولم يعاقب عليها، الضحّاك: الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء، والباطنة المغفرة. القرظى: الظاهرة محمّد ﷺ والباطنة المعرفة. ربيع: الظاهرة بالجوارح والباطنة بالقلب. عطاء الخراسانى: الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة الشفاعة. مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء، والباطنة الإمداد بالملائكة.

أخبرنا الحسين بن محمد بن إبراهيم النيستانى، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ابن محمش، قال: أخبرنى أبو يحيى زكريا بن يحيى بن الحرب، عن محمد بن يوسف بن محمد بن سابق الكوفى قال: أخبرنى أبو مالك الجنبى، عن جويبر، عن الضحاك قال: سألت ابن عباس عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ فقال: هذا من محرزى الذى سألت رسول الله ﷺ: قلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ قال: أمّا الظاهرة فالإسلام وما حسن من خلقك وما أفضل عليك من الرزق، وأمّا الباطنة ما ستر من سوء عملك، يا ابن عبّاس يقول الله تعالى: إنّى جعلت للمؤمن ثلثا صلاة المؤمنين عليه بعد

= عنها، ولكنى قد عوضنى الله سبحانه وتعالى بأخوة هى أوثق وأدوم وأبقى وهى الأخوة فى الله سبحانه فعسى الله سبحانه أن يديمها علىّ وعلى من أعرف ومن لا أعرف من المسلمين حتى نلقاه سبحانه غير مبدلين ولا مغيرين آمين حتى نجالس سيد المرسلين فى جنات رب العالمين آمين.

(١) يريد هل تعيب على المخلوق أم على الخالق؟ فإن كنت تريد أن تعيب المخلوق فليس من الحكمة ذلك، وإن كنت تريد أن تعيب على الخالق فهذا كفر والعياذ بالله تعالى.

انقطاع عمله أُكفّر به عن خطاياه، وجعلت له ثلث ماله ليكفّر به عنه من خطاياه وسترت عليه سوء عمله الذى لو قد أبديته للناس . . .[١] أهله فما سواهم.

وقال محمّد بن على الترمذى: النعمة الظاهرة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ (المائدة ٣) والباطنة قوله[٢]: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

الحارث بن أسد المحاسبى: الظاهرة نعيم الدنيا، والباطنة نعيم العقبى. عمرو بن عثمان الصدفى: الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع.

وقيل: الظاهرة الجزاء، والباطنة الرضا. سهل بن عبد الله: الظاهرة اتباع الرسول، والباطنة محبته. وقيل: الظاهرة تسوية الظواهر والباطنة تصفية السرائر. وقيل: الظاهرة التبيين، بيانه قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ (النساء: ١٧٦) ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ٢٢١) والباطنة التزين قوله: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ٧) وقيل: الظاهرة الرزق المكتسب، والباطنة الرزق من حيث لا يُحتسب.

وقيل: الظاهرة المدخل للغذاء، والباطنة المخرج للأذى. وقيل: الظاهرة الجوارح، والباطنة المصالح. وقيل: الظاهرة الخَلق، والباطنة الخُلق. وقيل الظاهرة التنعيم، بيانه قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الحمد: ٧) والباطنة التعليم. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١) وقيل: الظاهرة ما أعطى وحبا من النعماء، وقيل الباطنة: ما طوى وزوى من أنواع البلاء، وقيل: الظاهرة الدعوة، بيانه قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ والباطنة الهداية. بيانه قوله: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (يونس: ٢٥).

وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة، والباطنة إلقاء الرعب فى قلوب الكفّار، وقيل: الظاهرة تفصيل الطاعات، وهو أنّه ذكَر طاعتك واحدة فواحدة وأثنى عليك بها وأثابك عليها، بيانه قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ (التوبة: ١١٢) قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١) وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥) إلى آخر الآية. والباطنة إجمال المعاصى وذلك أنه دعاك منها إلى التوبة باسم الإيمان من غير عدّها وتفصيلها، بيانه قوله: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (النور: ٣١). وقيل: الظاهرة إنزال الأقطار والأمطار، والباطنة إحياء الأقطار والأمصار.

وقيل: الظاهرة التوفيق للعبادات، والباطنة الإخلاص والعصمة من المراءات، وقيل: الظاهرة ذكر اللسان، والباطنة ذكر الجنان، وقيل: الظاهرة تلاوة القرآن والباطنة معرفته.

---

(١) موضع النقط بياض فى المخطوط وقدره ثلاث كلمات.

(٢) فى المخطوط: قولكم. وهو تحريف حيث إن ما ورد بعدها جزء من آية.

وقيل الظاهرة ضياء النهار للتصرّف والمعاش، والباطنة ظلمة الليل للسكون والقرار. وقيل: الظاهرة النطق، والباطنة العقل، وقيل: الظاهرة نِعَمُهُ عليك بعدما خرجت من بطن أُمّك، والباطنة: نِعَمُهُ عليك وأنت فى بطن أُمّك.

وقيل: الظاهرة الشهادة الناطقة، والباطنة السعادة السابقة. وقيل: الظاهرة ألوان العطايا، والباطنة غفران الخطايا، وقيل: الظاهرة وضع الوزر ورفع الذّكر، والباطنة شرح الصدر.

وقيل: الظاهرة فتح المسالك والباطنة نزع الممالك ممّن خالفك، وقيل الظاهرة المال والأولاد، والباطنة الهدى والإرشاد، وقيل: الظاهرة القول السديد والباطنة التأييد والتسديد، وقيل: الظاهرة ما يكفِّر الله به الخطايا من الرزايا والبلايا، والباطنة ما يعفو عنه ولا يؤاخذ به فى الدنيا والعقبى، وقيل: الظاهرة ما بينك وبين خلقه من الأنساب والأصهار، والباطنة ما بينك وبينه من القرب والأسرار والمناجاة فى الأسحار، وقيل: الظاهرة العلو بيانه قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ (آل عمران: ١٣٩) والباطنة الدنوّ بيانه قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ١١).

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ نزلت فى النضر بن الحارث حين زعم أنّ الملائكة بنات الله ﴿وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ﴾ قال الأخفش: لفظه استفهام ومعناه تقرير، وقال أبو عبيدة: لو هاهنا متروك الجواب مجازه ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: أى موجباته فيتبعونه.



﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٢٢ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٢٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٥ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٦ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٢٧ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ

إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴿٣٤﴾﴾

قوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أى يخلص دينه لله ويفوّض أمره إليه.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى (يُسلِّمُ) بالتشديد، وقراءة العامّة بالتخفيف من الإسلام وهو الاختيار لقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١١٢) وأشباه ذلك.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: فى عمله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: أى: اعتصم بالطريق الأوثق الذى لا يخاف انقطاعه. وقال ابن عبّاس: هى: (لا إله إلا الله).

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: يعنى مرجعها. ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ﴾: نعمّرهم ونمهلهم ﴿قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾: نُلجئهم، ونردّهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ الآية. قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الرّوح فأنزل الله بمكّة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ (الإسراء: ٨٥) الآية، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود، فقالوا: يا محمّد بلغنا عنك أنّك تقول: وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً، أفعنيتنا أم قومك؟ فقال ﷺ: «كلاً قد عنيت. قالوا: ألستَ تتلو

فيما جاءَك: إنّا قد أُوتينا التّوراة وفيها علم كلّ شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «هى فى علم الله قليلٌ وقد آتاكم الله ما إنْ عملتم به انتفعتم. قالوا: يا محمّد كيف تزعم هذا وأنت تقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة ٢٦٩) فكيف يجتمع هذا قليل وخير كثير(١)؟ فأنزل الله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ﴾ أى بريت أقلامًا ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾: بالنصب ابن أبى إسحاق وأبو عمرو ويعقوب. غيرهم بالرّفع، وحجّتهم: قراءة عبد الله (وبحر يمده): أى يزيده وينصب عليه ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من خلفه ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ﴾: وفى هذه الآية اختصار تقديرها: ولو أنّ ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدُّه من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفدت كلمات الله، وهذه الآية تقتضى أنّ كلامه غير مخلوق؛ لأنّه لا نهاية له ولما يتعلّق به من معناه فهو غير مخلوق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: هذه الآية على قول عطاء بن يسار: مدنيّة، قال: نزلت بعد الهجرة كما حكينا. وعلى قول غيره: مكّيّة، قالوا: إنّما أمر اليهود وفد قريش أنْ يسألوا رسول الله ﷺ عنه ويقولوا له ذلك وهو بعد بمكّة، والله أعلم.

قوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعنى إلا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شىء وهذا كقوله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ (الأحزاب: ١٩) أى كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ذَٰلِكَ﴾: الذى ذكرتُ لتعلموا: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ برحمة الله، ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: على أمر الله ﴿شَكُورٍ﴾: على نعَمه. قال أهل المعانى: أراد لكلّ مؤمن، لأنّ الصّبر والشكر من أفضل خصال المؤمنين.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾: قال مقاتل: كالجبال. وقال الكلبى: كالسحاب (وَالظُّلَل) جمع ظلّة شَبَّهَ الموجَ بها فى كثرتها وارتفاعها ـ كقول النّابغة فى صفة [بحر](٢):

يماشيهن أخضر ذو ظلال   على حافاته فلق الدنان

وإنما شبّه الموج وهو واحد بالظلل وهى جمع، لأنّ الموج يأتى شىء بعد شىء ويركب بعضه

(١) وهذا خبر لا يصح فى إسناده محمد بن إسحاق وهو ضعيف الحديث راجع الحديث بإسناده فى تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من القرطبى وموضعه فى المخطوط بياض.

بعضًا كالظلل. وقيل: هو بمعنى الجمع، وإنّما لم يجمع لأنّه مصدر، وأصله من الحركة والازدحام.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: قال ابن عباس: موفٍّ بما عاهد الله عليه فى البحر. ابن كيسان: مؤمن. مجاهد: مقتصد فى القول مضمر للكفر. الكلبى: مقتصد فى القول من الكفّار لأنّ بعضهم أشدّ قولاً وأغلى فى الافتراء من بعض. ابن زيد: المقتصد الذى على صلاح من الأمر. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدّار ﴿كَفُورٍ﴾: جحود، والختر أسوأ الغدر. وقال عمرو بن معدى كرب:

وإنّك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غذر وختر

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى﴾ لا يقضى ولا يُغنى ولا يكفّر ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾. قراءة العامة: بفتح الغين هاهنا وفى سورة الملائكة والحديد وقالوا: هو الشيطان. وقال سعيد بن جبير: هو أن يعمل بالمعصية ويتمنّى المغفرة. قرأ سماك بن حرب: بضم الغين ومعناه لا تغتروا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية: نزلت فى الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن خصفة من أهل البادية، أتى النبىّ ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال: إنّ أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث؟ وتركتُ امرأتى حبلى فما تلد؟ وقد علمتُ أين وُلدت فبأىّ أرض تموت؟ فأنزل الله هذه الآية.

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبى عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مفاتيحُ الغيب خمسة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية.

وروى يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد أنّ رجلاً قال: يا رسول الله هل من العلم علم لم تؤته؟ فقال: لقد أُوتيتُ علمًا كثيرًا أو علمًا حسنًا أو كما قال رسول الله ﷺ ثمّ تلا رسول الله ﷺ هذ الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿خَبِيرٌ﴾ فقال: هؤلاء خمسة لا يعلمهنّ إلا الله تبارك وتعالى.

وأخبرنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الحربى قال: أخبرنى أبو حامد أحمد بن حمدون بن عمارة الأعمش، عن على بن حشرم، عن الفضل بن موسى، عن رجل سمّاه قال: بلغ ابن

عبّاس أنَّ يهوديًا خرج من المدينة يحسب حساب النجوم(١) فأتاه فسأله . فقال : إنْ شئت أنبأتك عن نفسك وعن ولدك . فقال : إنّك ترجع إلى منزلك وتلقى لك بابن محموم ، ولا تمكث عشرة أيّام حتى يموت الصبى ، وأنت لا تخرج من الدُّنيا حتى تعمى ، فقال ابن عباس : وأنت يا يهودى؟ قال : لا يحول علىَّ الحول حتى أموت ، قال : فأين موتك؟ قال : لا أدرى . قال ابن عبّاس : صدق الله ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ . قال : فرجع ابن عبّاس فتلقّى بابن محموم فما بلغَ عشرًا حتّى مات الصبى ، وسأل عن اليهودى قبل الحول فقالوا : مات ، وما خرجَ ابن عبّاس من الدنيا حتّى ذهب بصره . قال على : هذا أعجب حديث(٢) .

قوله : ﴿بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ كان حقه بأيّة أرض ، وبه قرأ أُبىّ بن كعب ، إلاّ أنّ مَن ذَكَّر قال : لأنّ الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شىء . وقيل : أراد بالأرض المكان فلذلك ذَكَّر ، واحتجَّ بقول الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا الأرض أبقل إبقالها



(١) للنجوم حساب خاص بأهل الفلك لا علاقة له بالغيب من قريب أو بعيد .

(٢) هذا خبر لا يصح لأن فيه مجهول ، وكذلك ما روى من كون ابن عباس عمى فإنه توافق قدرى أو ترتيب من وضع الخبر ليتوافق .

سورة السجدة

مكّية، وهى ألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفًا
وثلاثمائة وثمانون كلمة، وثلاثون آية

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبى الفراتى، عن عمران بن موسى، عن مكى بن عبدان، عن سليمان بن داود، عن أحمد بن نصر قال: أخبرنى أبو معاد، عن أبى عصمة نوح بن أبى مريم، عن زيد العمى عن أبى نضرة، عن ابن عبّاس، عن أُبىّ بن كعب أنّ النبىّ ﷺ قال: «من قرأ سورة الم تَنْزِيل أُعطى من الأجر كأنّما أحيا ليلة القدر»(١).

وأخبرنا أبو الحسن بن أبى الفضل الفهنرزى بها، عن حمزة بن محمد بن العبّاس ببغداد، عن عبد الله بن روح عن شبابة بن سوار عن المغيرة بن مسلم، عن ابن الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ: أنّه لا ينام حتّى يقرأ ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ السجدة و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ (الملك: ١) ويقول: «هما تفضلان كلّ سورة فى القرآن سبعين حسنة، ومن قرأهما كتبت له سبعون حسنة، ومحى عنه سبعون سيئة، ورفع له سبعون درجة»(٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ٱلَّذِىٓ

(١) هذا خبر ضعيف لأن فى إسناده زيد العمى، وهو أبو الحوارى البصرى قاضى هَراة.
(٢) وكذا هذا الخبر فى إسناده أبو الزبير المكى وهو محمد بن مسلم بن تدرس وهو موصوف بالتدليس وقد عنعن ثم إن منهم من ضعفه، فالخبر لا تقوم به حجة.

أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ۝ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ﴾. أى، بل يقولون وقيل: الميم صلة، أى أيقولون استفهام توبيخ. وقيل: هو بمعنى الواو يعنى ويقولون. وقيل: فيه إضمار مجازه: فهل يؤمنون به، أَمْ يقولون: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ ثمّ قال: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ أى لم يأتهم ﴿مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

قال قتادة: كانوا أُمّةً أُمّيّة لم يأتهم نذير قبل محمّد ﷺ. قال ابن عباس ومقاتل: ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ومحمّد ﷺ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: أى ينزل الوحى مع جبرائيل من السماء إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾: يصعد ﴿إِلَيْهِ﴾: جبرائيل بالأمر فى يوم واحد من أيّام الدُّنيا، وَقَدْرُ مسيره ألف سنة، خمسمائة نزوله من السماء إلى الأرض، وخمسمائة صعوده من الأرض إلى السماء. وما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة سنة يقول: لو ساره أحد من بنى آدم لم يسره إلاّ فى ألف سنة، والملائكة يقطعون هذه المسافة بيوم واحد، فعلى هذا التأويل نزلت الآية فى وصف مقدار عروج الملائكة من الأرض إلى السماء، ونزولهم من السماء إلى الأرض[1]، وأمّا قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤) فإنّه أراد مدّة المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التى فيها مقام

(١) هذه الأقوال وما يليها وما سبقها أقوال فاسدة إذ ليس عليها دليل، وقد فتن بقانون أنشتين أو قانون سرعة الضوء فصدقها كثيرون إذ جعلوه مقياسًا لسرعة نزول أمر الله سبحانه وتعالى وقال بذلك علماء كبار وكتبت فى ذلك الكتب الكبيرة التى تقيس سرعة وصول أمر الله تعالى إلى الأرض وكذلك بحثوا فى موعد يوم القيامة وزعم كثير منهم تحديدها وحددوها بأيام وسنين وساعاتٍ منها ما مر فى حياتى وكان آخر ذلك يوم (٢٦/ ٤/ ١٩٩٨) ميلادية على زعم أحد الكتاب ومن العجيب أن كثيراً من الكتاب أيده بل وصرح الأزهر فى مصر بطبع الكتاب ولم ير فيه عيبًا وغيرهم أنكر دوران الأرض وساق على ذلك أدلته العقلية وحساباته ولم يعترض الأزهر أيضًا وأرفق بكتابه صورة ضوئية لتصريح الأزهر بالطبع، فيا أيها المسلمون إلى متى تطعنون فى دينكم بما لا يمكن أن يجد أعداؤكم أقوى منها هدمًا لدينكم فهل من خائف من يوم القيامة وهل من مقدر لله قدره كيف تجعلون عقولكم تسعى خلف هذا الخيال المريض حتى تقودكم إلى الهاوية.

جبرائيل (عليه السلام).

يقول: يسير جبرائيل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة فى يوم واحد من أيّام الدنيا، وهذا كلّه معنى قول مجاهد وقتادة والضحّاك، وأمّا معنى قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾: على هذا التأويل فإنّه يعنى إلى مكان الملك الذى أمره الله أنْ يعرج إليه، كقول إبراهيم (عليه السلام) ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (الصافات: ٩٩) وإنّما أراد أرض الشام. وقال: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ (النساء: ١٠٠) أى إلى المدينة، ولم يكن الله تعالى بالمدينة ولا بالشام.

أخبرنى ابن فنجويه، عن هارون بن محمد بن هارون، عن حازم بن يحيى الحلوانى، عن محمد بن المتوكل، عن عمرو بن أبى سلمة، عن صدقة بن عبد الله عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى ملك برسالة من الله عزّ وجلّ، ثمّ رفع رجله فوضعها فوق السماء، والأُخرى فى الأرض لم يرفعها»[1]. وقال بعضهم يُدبرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إلى الأرض مدّة أيّام الدنيا، ثم يَعْرُجُ إليه الأمر والتدبير، ويرجع يعود إليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وهو يوم القيامة.

وأمّا قوله: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤) فإنّه أراد على الكافر، جعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة، وعلى المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاّها فى دار الدنيا. ويجوز أن يكون ليوم القيامة أوّل وليس له آخر وفيه أوقات شتى بعضها ألف سنة وبعضها خمسين ألف سنة. ويجوز أن يكون هذا إخبار عن شدته وهوله ومشقّته لأنّ العرب تصف أيّام المكروه بالطّول وأيّام السرور بالقصر، وإلى هذا التأويل ذهب جماعة من المفسّرين.

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرنى ابن أبى مليكة قال: دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفّان على ابن عبّاس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية، فقال له ابن عبّاس: مَنْ أنت؟ قال: أنا عبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفّان، فقال عبد الله بن عبّاس: أيّام سمّاها الله لا أدرى ما هى، وأكره أنْ أقول فى كتاب الله ما لا أعلم. قال ابن أبى مليكة: فضرب الدهر حتّى دخلتُ على سعيد بن المسيّب فسئل عنها فلم يدر ما يقول، فقلت له: ألا أخبرك ما حضرتُ من ابن عباس، فأخبرته، فقال ابن المسيب للسائل: هذا ابن عباس قد اتّقى

(١) على مثل هذه الأخبار يبنى بعض الكتاب أفكارهم ويؤلفون الكتب وتوافقهم الجهات الدينية وفى مثل هذا الخبر الذى بين أيدينا صدقة بن عبد الله السمين أبو معاوية الدمشقى وهو ضعيف الحديث وقد ذكره بالضعف غير واحد، وكذا ذكره الذهبى بالضعف فى ميزان الاعتدال وذكر له هذا الحديث برقم (٣٨٧٢).

أنْ يقول فيها وهو أعلم منّى .

قوله : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ قرأ نافع وأهل الكوفة (خَلَقه) بفتح اللاّم على الفعل ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ثمّ قالا : لسهولتها فى المعنى وهى قراءة سعيد بن المسيب . وقرأ الآخرون بسكون اللام . قال الأخفش : هو على البدل ومجازه : الذى أحسَنَ خلقَ كلِّ شىء .

قال ابن عباس : أتقنه وأحكمه ، ثمّ قال : أما إنَّ است القرد ليست بحسنة ولكنّه أحكم خلقها . وقال قتادة : حسنة . مقاتل : علم كيف يخلق كلّ شىء ، من قولك فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه .

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ : يعنى آدم (عليه السلام) ﴿مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ : ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ : من نطفة ، سمّيت بذلك لأنها تنسل من الإنسان ، أى تخرج ، ومنه قيل للولد : سلالة . وقال ابن عباس : وهى صفو الماء ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ : ضعيف ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَقَالُوٓاْ﴾ : يعنى منكرى البعث ، ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ : أى أُهلكنا وبطلنا وصرنا ترابًا ، وأصله من قول العرب : ضلّ الماء فى اللبن إذا ذهب ، ويقال : أضللت الميّت أى دفنته . قال الشاعر :

وأب مُضلوهُ بغير جَليـــة وغُودر بالجولان جرم ونائل

وقرأ ابن محيصن بكسر اللام (ضللنا) وهى لغة . وقرأ الحسن والأعمش(صللنا) : بالصاد غير معجمة أى أَنتنّا ، وهى قراءة علىّ رضى الله عنه .

أخبرنا ابن فنجويه عن ابن شنبة قال : أخبرنى أبو حامد المستملى ، عن محمد بن حاتم الكرخى أبو عثمان النحوى ، عن المسيب بن شريك ، عن عبيدة الضبى ، عن رجل ، عن على أنّه قرأ : أَئذَا صللنا أى أنتنّا . قال محمّد بن حاتم : يقال : صلَّ اللّحم وأصله إذا أنتن .

﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ : قال الله : ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ : بقبض أرواحكم ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ قال مجاهد : حويت له الأرض فجُعلت له مثل طست يتناول منها حيث يشاء ، وقال مقاتل والكلبى : بلغنا أنَّ اسم ملك الموت عزرائيل وله أربعة أجنحة : جناح له بالمشرق ، وجناح له بالمغرب ، وجناح له فى أقصى العالم من حيث يجىء ريح الصبا ، وجناح من الأفق الآخر . ورجل له بالمشرق ، والأخرى بالمغرب ، والخلق بين رجليه ، ورأسه وجسده كما بين السماء والأرض ، وجُعلت له الدنيا مثل راحة اليد ، صاحبها يأخذ منها ما أحبّ فى غير مشقة ولا

عناء، أى مثل اللّبنة بين يديه فهو يقبض أنْفُس الخلق فى مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب[١].

وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين عن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك عن الخطّاب بن أحمد بن عيسى قال: أخبرنى أبو نافع أحمد بن كثير، عن كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم عن ابن عبّاس قال: إنّ خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب[٢].

وأخبرنا الحسين بن محمد، عن عبد الله بن يوسف، عن عبد الرحيم بن محمد، عن سلمة ابن شبيب، عن الوليد بن سلمة الدمشقى، عن ثور بن يزيد عن خالد بن معد، عن معاذ بن جبل قال: إنّ لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهو يتصفّح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتفحصهم فى كل يوم مرتين فإذا إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة، وقال: الآن يزار بك عسكر الأموات[٣].

وأخبرنا الحسين بن محمد قال: أخبرنى أبو بكر بن مالك القطيعى، عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل، عن أبى، عن عبد الله بن نميرة عن الأعمش عن خيثمة وعن شهر بن حوشب قال: دخل ملك الموت على سليمان، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم إليه النظر، فلمّا خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلىّ كأنّه يريدنى، قال: فما تريد؟ قال: أريد أن تحملنى على الريح فتلقينى بالهند، فدعا بالريح فحملته عليها فألقته بالهند، ثمّ أتى ملك الموت سليمان (عليه السلام) فقال: إنّك كنت تديم النظر إلى رجل من جلسائى، قال: كنتُ أعجبُ منه إنّى أُمرت أنْ أقبض روحه بالهند وهو عندك[٤].

فإن قيل: ما الجامع بين قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: ٦١) و﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (النحل: ٢٨) و﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ (السجدة: ١١) وقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر: ٤٢) و﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ (الأنعام: ٦٠).

---

(١) هذا كله وصف وكلام لا دليل عليه من قرآن ولا سنة صحيحة ومثل هذا القول لا يعتد به، ولسنا نعرف عن الملائكة إلا ما عرفنا الله عنهم من أنهم أُولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأن كلاً منهم مكلف بعمل فهو يقوم به على الوجه الذى كلفه الله به بالكيفية التى أراد الله له ومكن كلاً منهم بالقدرة على ما كلفه به والقول بما وراء ذلك تكلف وتزيد وتقول على الله ورسوله عافانا الله وإياكم من القول به أو اعتقاده.

(٢) هذا موقوف على ابن عباس ولا يصح فى مثل هذا القول إلا أن يكون مرفوعًا حتى يقبل.

(٣) والقول فى هذا كالقول فى الذى قبله.

(٤) وهذا الخبر أيضًا كسابقيه إلاّ أن هذا عن شهر بن حوشب وهو ضعيف الحديث.

قيل : تَوفّى الملائكة : القبض والنزع . وتوفّى ملك الموت : الدعاء والأمر ، يدعو الأرواح فتجيبه ثمّ يأمر أعوانه بقبضها ، وتوفى الله سبحانه : خلق الموت ، والله أعلم .



﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ أى مطأطئوا رؤوسهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: حياءً منه للذى سلف من معاصيهم فى الدنيا يقولون : ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما كنّا به مكذّبين ﴿وَسَمِعْنَا﴾: منك تصديق ما أتتنا به رسلك ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾: فارددنا إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾: وجواب لو مضمر مجازه : لرأيت العجب ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾: رشدها وتوفيقها للإيمان ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ﴾: وجب وسبق ﴿ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: وهو قوله لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص: ٨٥). ثمّ يقال لأهل النار: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ أى تركتم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾: تركناكم فى النار ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه ، عن أحمد بن الحسن بن ماجة القزوينى ، عن الحسن ابن أيّوب القزوينى ، عن عبد الله بن أبى زياد القطوانى ، عن سيار حماد الصفار ، عن حجاج

الأسود، عن جبلة، عن مولى له، عن كعب قال: إذا كان يوم القيامة يقوم الملائكة فيشفعون، ثمّ يقوم الأنبياء فيشفعون، ثمّ يقوم الشهداء فيشفعون ثمّ يقوم المؤمنون فيشفعون، حتّى انصرمت الشفاعة كلّها فلم يبق أحد، خرجت الرحمة، فتقول: يا ربِّ أنا الرحمة فشفّعني، فيقول: قد شفّعتك، فتقول: يا ربّ فيمن؟ فيقول: في مَن ذكرني في مقام وخافني فيه أو رجاني أو دعاني دعوة واحدة خافني أو رجاني فأخرجيه، قال: فيخرجون فلا يبقى في النار أحد يعبأ الله به شيئًا، ثمّ يعظم أهلها بها، ثمّ يأمر بالنار فتقبض عليهم فلا يدخل فيها رَوح أبدًا، ولا يخرج منها غمٌّ أبدًا وقيل: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾[1] (الجاثية: ٣٤).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الإيمان به والسجود له. ﴿تَتَجَافَىٰ﴾: أي ترتفع وتنتحي، وهو تفاعل من الجفا، والجفا، التبوّء والتباعد، تقول العرب: جاف ظهرك عن الجدار، وجفت عين فلان عن الغمض إذا لم تنم. ﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾.

أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن قال: أخبرني أبو عمرو عثمان بن أحمد ابن سمعان الوزان، عن عبد الله بن قحطبة بن مرزوق، عن محمد بن موسى الحرشي، عن الحارث بن وجيه الراسبي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: سألت أنس بن مالك عن قول الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾، فقال أنس: كان أُناس من أصحاب رسول الله ﷺ يُصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة، فأنزل الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾.

أخبرني الحسين بن محمد عن موسى بن محمد، عن الحسن بن محمد، عن موسى بن محمد عن الحسن بن علويه، عن إسماعيل بن عيسى، عن المسيب، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: نزلت فينا معاشر الأنصار: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ الآية، كنّا نصلّي المغرب، فلا نرجع إلى رحالنا حتّى نصلّي العشاء مع النبي ﷺ.

وأخبرنا الحسين بن محمد عن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن عبد الله، عن عبد الله بن محمد بن وهب، عن محمد بن حميد، عن يحيى بن الضريس، عن النضر بن حميد، عن سعيد، عن الشعبي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من عقّب ما بين المغرب والعشاء بُني له في الجنّة قصران ما بينهما مسيرة مائة عام، وفيهما من الشجر، ما لو نزلها أهل المشرق وأهل المغرب لأوسعتهم فاكهة، وهي صلاة الأوّابين وغفلة الغافلين، وإنّ من الدعاء

المستجاب الذى لا يرد الدعاء ما بين المغرب والعشاء»[١].

وقال عطاء: يعنى يصلّون صلاة العتمة لا ينامون عنها، يدلّ عليها ما أنبأنى عبد الله بن حامد، عن عبد الصمد بن الحسن بن على بن مكرم، عن السرى بن سهل، عن عبد الله بن رشيد قال: أنبأنى أبو عبيدة مجاعة بن الزبير، عن أبان قال: جاءت امرأة إلى أنس بن مالك، فقلت: إنّى أنام قبل العشاء. فقال: لا تنامى. فإنّ هذه الآية نزلت فى الذين لا ينامون قبل العشاء الآخرة ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾. وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وابن زيد: هو التهجّد وقيام الليل[٢]، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه عن أبى بكر بن مالك القطيعى، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبى زيد بن الحبّاب، عن حمّاد بن سلمة، عن عاصم، عن شهر بن حوشب، عن معاذ، عن النبى ﷺ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال: قيام العبد فى الليل[٣].

وأخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهانى، عن محمّد بن عبد الله بن عبد الواحد الهمدانى، عن إسحاق بن إبراهيم الدبرى، عن عبد الرزاق بن معمر، عن عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل، عن معاذ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فى سفر فأصبحت قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا نبىّ الله ألا تخبرنى بعمل يدخلنى الجنّة، ويباعدنى من النار؟ قال: يا معاذ، لقد سألت عن عظيم، وإنّه ليسير على من يسّره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت. ثمّ قال: ألاَ أدلُّك على أبواب الخير. الصوم جُنّة من النار والصدقة تطفئ غضب الربّ وصلاة الرجل فى جوف الليل ثمّ قرأ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ثمّ قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كلّه. فقلتُ: بلى يا رسولَ الله. فأخذ بلسانه. فقال: «اكفف، عليك هذا».

فقلت: يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلّم؟ فقال: «ثكلتك أُمّك يا معاذ! وهل يكبّ الناس فى النّار على وجوههم أو على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم»[٤].

وقال الضحّاك: هو أنْ يصلّى الرجل العشاء والغداة فى جماعة.

أخبرنى الحسين بن فنجويه عن أحمد بن الحسين بن ماجه قال: أخبرنى أبو عوانة الكوفى

---

(١) وهذا الخبر أيضًا كسوابقه من الأخبار مضافًا إليه أنه رواية كعب وهو من هو فى الضعف، ثم أيضًا به مجهول.

(٢) أخرجه السهمى فى تاريخ جرجان (٧٤)، والمتقى الهندى فى الكنز (١٩٤٥٠) بسند لا يصح.

(٣) هذا هو التأويل الصحيح والصريح والمباشر والمفهوم من الآية فَلمَ هذا اللف والدوران حولها.

(٤) هذا الحديث ضعيف فى إسناده شهر بن حوشب، وإن كان التأوِيل موافقًا لمعنى الآية.

بالرى عن منجاب بن الحارث عن على بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يُسمع الخلائق كلّهم: سيعلمُ أهل الجمع اليوم مَنْ أولى بالكرم، ثمّ يرجع فينادى: ليقم الذين كانت تَتَجافى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادى: ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء. فيقومون وهم قليل، فيسرحون جميعًا إلى الجنّة ثمّ يحاسب سائر الناس»[1].

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: أى خُبّئ لهم، هذه قراءة العامّة. وقرأ حمزة ويعقوب أُخفى مرسلة الياء أى: أنا أخفى وحجّتهما قراءة عبد الله: نُخفى بالنون. وقرأ محمّد بن كعب: أخْفى بالألف يعنى: أخفى الله من قرّة أعين، قراءة العامّة على التوحيد.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، عن مكى بن عبدان، عن عبد الله بن هاشم قال: أخبرنى أبو معاوية عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: ومن بله ما قد أطلعتكم عليه، اقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»[2].

قال: وكان أبو هريرة يقرأ. هكذا: قرّات أعين، وقال ابن مسعود: إن فى التوراة مكتوبًا: لقد أعد الله للّذين تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ ما لم ترَ عين ولم تسمع أُذن ولا يخطر على قلب بشر وما لا يعلمه ملك مقرّب، وإنّه لفى القرآن ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية.

قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ الآية نزلت فى علىّ بن أبى طالب والوليد ابن عقبة بن أبى معيط أخى عثمان لأُمّه وذلك أنّه كان بينهما تنازع وكلام فى شىء، فقال:

---

(١) هذا الخبر ضعيف فى إسناده عاصم بن أبى النجود، وهو وإن كان حجة فى القراءات إلاّ أنه ضعيف الحديث.
وهذا الحديث من الأحاديث المشهورة على ألسنة الناس، ومن العجب أن معاذًا رضى الله عنه من أعلم العلماء والسؤال الذى يوجه لا يدل إلا على تقعر فى الجهل والإجابة فيها شتم يتنزه رسول الله ﷺ عن ذكره فهذا من عيوب المتن بالإضافة إلى ضعف الإسناد.

(٢) وهذا الخبر أيضًا ضعيف فى إسناده شهر بن حوشب وهو ضعيف الحديث والعبرة عندنا لا بالشهرة ولا بكثرة التداول على الألسنة إنما المسلم يعتبر بما قال الله عزّ وجلّ أو قال رسوله ﷺ ولا اعتبار لقول من قال يعمل بالأحاديث الضعيفة فى فضائل الأعمال حيث يجر هذا إلى هذا ويختلط الحابل بالنابل والصحيح بالسقيم وتضطرب الشريعة فى أذهان الناس.

الوليد لعلى : اسكت فإنّك صبىّ، وأنا والله أبسط منك لسانًا وأحَدُّ منك سنانًا، وأشجع جنانًا، وأملأُ منك حشوًا فى الكتيبة، فقال له على: اسكت [فإنّك][1] فاسق، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ ولم يقل يستويان، لأنّه لم يرد بالمؤمن مؤمنًا واحدًا، وبالفاسق فاسقًا واحدًا، وإنّما أراد جميع الفسّاق وجميع المؤمنين. قال الفرّاء: إنّ الاثنين إذا لم يكونا مصمودَين لهما ذُهب بهما مذهب الجمع.

ثمّ ذكر حال الفريقين ومآلهما، فقال عزّ من قائل: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

قال أُبى بن كعب وأبو العالية والضحّاك والحسن وإبراهيم: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها ممّا يبتلى الله به العباد حتّى يتوبوا، وهذه رواية الوالبى عن ابن عباس. عكرمة عنه: الحدود. عبد الله بن مسعود والحسن بن على وعبد الله بن الحارث: القتل بالسيف يوم بدر. مقاتل: الجوع سبع سنين بمكّة حتّى أكلوا الجيف العظام والكلاب. مجاهد: عذاب القبر. قالوا: والْعَذاب الأكْبَر، يوم القيامة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾: قال زيد بن رفيع: عنى بالمجرمين هاهنا أصحاب القدَر ثمّ قرأ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٧، ٤٩) وأخبرنا الحسين بن محمد، عن أحمد بن محمد بن إسحاق السنى قال: أخبرنى جماهر بن محمد الدمشقى، عن هشام ابن عمّار، عن إسماعيل بن عياش، عن عبد العزيز بن عبد الله، عن عبادة بن سنى، عن جنادة بن أبى أمية، عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث من فعلهن فقد أجرم: من اعتقد لواء فى غير حقّ، أو عَقَّ والديه، أو مشى مع ظالم لينصره فقد أجرم». يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

❖ ❖ ❖

---

(١) الحديث أطرافه عند مسلم فى الصحيح (٢١٧٥)، البخارى (٦/ ١٤٥)، الدارمى (٢/ ٣٣٥)، أحمد فى المسند (٢/ ٤٣٨) ومصنف ابن أبى شيبة (١٣/ ١٠١).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ : ليلة المعراج. عن ابن عبّاس، وقال السدى: من تلقّيه كتاب الله تعالى بالرضا والقبول. قال أهل المعانى: لم يرد باللقاء الرؤية وإنما أراد مباشرته الحال وتبليغه رسالة الله عزّ وجلّ وقبول كتاب الله. وقيل: من لقاء الله الخطاب للنبى ﷺ والمراد به غيره.

﴿وَجَعَلْنَـٰهُ﴾ : يعنى الكتاب، وقال قتادة: موسى ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادة فى الخير يقتدى بهم ﴿يَهْدُونَ﴾ : يدعون ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ : قرأ حمزة والكسائى (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم أى لصبرهم، واختاره أبو عبيد اعتباراً بقراءة عبد الله ﴿لِمَا صَبَرُوا۟﴾ وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم أى حين صبروا.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ : يقضى بينهم. ويُسمّى أهل اليمن القاضى الفيصل ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ آيات الله وعظاته فيتّعظون بها.

فى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ أى اليابسة المغبرة: الغليظة التى لا نبات فيها. وأصله من قولهم: ناقةٌ جراز إذا كانت تأكل كل شىء تجده، ورجل جروز، إذا كان أكولاً قال الراجز:

خبّ جروز وإذا جاع بكى ويأكل التمر ولا يلقى النوى

وسيفٌ جراز أى قاطع، وجَرزت الجراد الزرع إذا استأصلته، فكان الجرز هى الأرض التى لا يبقى على ظهرها شىء إلا أفسدته، وفيه أربع لغات: ـ جُرز وجَرُز وجَرْز وجَرَز.

قال ابن عباس: هى أرض باليمن. قال مجاهد: هى أبين ﴿فَنُخۡرِجُ﴾: فننبت ﴿بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ قال بعضهم: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذى فيه الثواب والعقاب والحكم بين العباد.

قال قتادة: قال أصحاب النبىّ ﷺ: إنّ لنا يومًا ننعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقال الكفار استهزاءً: متى هذا الفتح؟ أى القضاء والحكم.

قال الكلبى: يعنى فتح مكّة. وقال السدى: يعنى يوم بدر، لأنّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون لهم: إنّ الله ناصرنا ومُظهرنا عليكم.

﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ﴾: يوم القيامة ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: وَمَن تأوّل النصر قال: لا ينفعهم إيمانُهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم﴾: قراءة العامّة ﴿مُّنتَظِرُونَ﴾: بكسر الظاء. وقرأ محمد بن السميقع بفتح الظاء، قال الفرّاء: لا يصحّ هذا إلاّ بإضمار مجازه: إنّهم منتظرون ربّهم، قال أبو حاتم: الصحيح كسر الظاء لقوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ (الدخان: ٥٩).



سورة الأحزاب

مدنية، وهى خمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفًا،
وألف ومائتان وثمانون كلمة، وثلاث وسبعون آية

أخبرنى محمد بن القاسم بن أحمد بقراءتى عليه قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد بن جعفر قال: أخبرنى أبو عمرو الحميرى وعمرو بن عبد الله البصرى قالا: قال محمد بن عبد الوهاب العبدى، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سلام بن سليم، عن هارون بن كثير، عن زيد ابن أسلم، عن أبيه، عن أبى أُمامة عن أُبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحزاب وعلَّمها أهله وما ملكت يمينه أُعطى الأمان من عذاب القبر».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: الآية نزلت فى أبى سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبى جهل، وأبى الأعور عمرو بن أبى سفيان السلمى، وذلك أنّهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أُبى رأس المنافقين بعد قتال أحُد، وقد أعطاهم النبى ﷺ الأمان على أنْ يُكلّموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق، فقال للنبى ﷺ وعنده عمر بن الخطّاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزّى ومنات وقل: إنّ لها شفاعة ومنفعة لمن عَبَدَها

وندعك وربك فشقّ على النبى ﷺ قولهم، فقال عمر بن الخطّاب: ائذن لنا يا رسول الله فى قتلهم، فقال النبى عليه السلام: «إنّى قد أعطيتهم الأمان»، فقال عمر بن الخطّاب: اخرجوا فى لعنة الله وغضبه، فأمر النبى ﷺ عمر أنْ يُخرجهم من المدينة فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: من أهل مكّة يعنى أبا سفيان وأبا الأعور وعكرمة: ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ عبد الله بن أُبى وعبد الله بن سعد وطعمة بن أبيرق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: بالياء. أبو عمرو، وغيره بالتاء.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: أخبرنى ابن فنجويه، عن موسى بن على عن الحسن بن علوية، عن إسماعيل بن عيسى عن المسيب عن شيخ من أهل الشام قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد من ثقيف فطلبوا إليه أن يمتعهم باللات والعزّى سنة وقالوا: لتعلم قريش منزلتنا منك، فَهَمَّ النبىّ ﷺ بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ الآيات[1].

قوله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ﴾: نزلت فى أبى معمر جميل بن معمر بن حبيب ابن عبد الله الفهرى، وكان رجلاً لبيبًا حافظًا لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلاّ وله قلبان. وكان يقول: إنّ لى قلبين أعقل بكلّ واحد منهما أفضل من عقل محمّد، فلمّا كان يوم بدر وهُزم المشركون، وفيهم يومئذ أبو معمر تلقّاه أبو سفيان بن حرب، وهو معلّق إحدى نعليه بيده والأُخرى فى رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك فى يدك والأخرى فى رجلك، فقال له أبو معمر: ما شعرت إلاّ أنّهما فى رجلى، فعرفوا يومئذ أنّه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده.

وقال الزهرى ومقاتل: هذا مثل ضربه الله للمُظاهر من امرأته، وللمتبنّى ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أُمّه حتى يكون له أُمّان، ولا يكون ولد أحد ابن رجُلين.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمر ووَرش (اللاّئى): بغير مدّ ولا

---

(١) حاشى لله أن يهم رسول الله ﷺ بمثل هذا الأمر وإلاّ لما كان نبيًا ولا رسولاً ﴿إذًا لأخذنا منك باليمين ولقطعنا منك الوتين﴾ وهذا أيضًا على سبيل بيان الاستحالة أن يحدث منه أو من غيره من الأنبياء مثل هذا الشك المنافى لصفة وخصائص الأنبياء، وإن كان جائزًا أو قائمًا فى نفوس كل البشر بلا استثناء غير أنه محال فى حق الأنبياء الذين ملئوا باليقين وفاضوا به على سائر الناس. رزقنا الله وإياكم حسن الاعتقاد وحسن الختام آمين.

همز، ممدودة مهموزة بلا ياء، نافع غير ورش وأيّوب ويعقوب والأعرج، وأنشد:

من اللاّء لم يحججن يبغين حسبة ولكـن ليقتلـن البرىء المغفّـلا

وقرأ أهل الكوفة والشام بالمدّ والهمز وإثبات الياء واختاره أبو عبيد للإشباع واختلف فيه، عن ابن كثير وكلّها لغات معروفة ﴿تُظَـٰهِرُونَ﴾: بفتح التاء وتشديد الظاء شامي: بفتح التاء وتخفيف الظاء كوفي غير عاصم، واختاره أبو عبيد بضمّ التاء وتخفيف الظاء وكسر الهاء عاصم والحسن.

قال أبو عمرو: هذا منكر لأنّ المظاهرة من التعاون والآية نزلت في أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم أخي عبادة، وفي امرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك يقول الله تعالى: ما جَعَلَ نساءكم اللاتي تقولون: هنّ علينا كظهور أمّهاتنا في الحرام كما تقولون، ولكنّها منكم معصية وفيها كفّارة وأزواجكم لكم حلال، وسنذكر القصّة والحكم في سورة المجادلة إن شاء الله.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾: يعني من تبنّيتموه ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾: نزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبد ودّ، وكان عبدًا لرسول الله ﷺ فأعتقه وتبنّاه قبل الوحي، وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطّلب في الإسلام، فجعل الفقير أخًا للغني ليعود عليه، فلمّا تزوّج النبي ﷺ زينب بنت جحش الأسدي وكانت تحت زيد بن حارثة، فقالت اليهود والمنافقون: تزوج محمّد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآيات وقال: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: ولا حقيقة له، يعني قولهم: زيد ابن محمّد ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾: الذين ولدوهم ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: أي فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾: إنْ كانوا محرريكم وليسوا ببنيكم.

أنبأني عقيل بن محمد الجرجاني، عن المعافي بن زكريا، عن محمد بن جرير قال: حدّثني يعقوب بن إبراهيم، عن ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال أبو بكر: قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾: فأنا ممّن لا يُعرف أبوه، وأنا من إخوانكم في الدين. قال: قال أُبي إنّي لأظنّه لو علم أنّ أباه كان حمارًا لانتمى إليه ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾: قبل النهي، فنسبتموه إلى غير أبيه، وقال قتادة: يعني أنْ تدعوه لغير أبيه وهو يرى أنّه كذلك ﴿وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: فنسبتموه إلى غير أبيه بعد النهي، وأنتم تعلمون أنّه ليس بابنه. ومحلّ ما في قوله: ﴿وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ خفض ردًا على (ما) التي في قوله: ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ ومجازُه: ولكن فيما تعمّدت قلوبكم: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ قال النبيّ ﷺ: «مَن ادّعى إلى غير أبيه أو إلى غير

أهل نعمته فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين».

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى قال: أخبرنى أبو صالح، حدّثنى الليث، حدّثنى عبد الرحمن بن خالد، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة أنّ أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - كان ممّن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ - تبنّى سالمًا وأنكحهُ ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار فتبنّاه، كما تبنّى رسول الله ﷺ زيدًا وكان مَن تبنّى رجلاً فى الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه حتّى نزلت: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ الآية.



﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ۝٦ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ﴾: أحقّ ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أنْ يحكم فيهم بما شاء فيجوز حكمه عليهم.

قال ابن عبّاس وعطاء: يعنى إذا دعاهم النبىّ عليه السلام إلى شىء ودعتهم أنفسهم إلى شىء كانت طاعة النبى أولى بهم من طاعة أنفسهم، وقال مقاتل: يعنى طاعة النبى عليه السلام أولى من طاعة بعضكم لبعض، وقال ابن زيد: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ كما أنتَ أولى بعبدك، فما قضى فيهم من أمر، جار، كما أنّ كلّ ما قضيت على عبدك جار. وقيل: إنّه ﷺ أولى بهم فى إمضاء الأحكام وإقامة الحدود عليهم لما فيه من مصلحة الخلق والبعد من الفساد. وقيل: إنّه أولى بهم فى الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه، وقالت الحكماء: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لأن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، والنبى يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم، وقال أبو بكر الوراق: لأن النبى يدعوهم إلى العقل، وأنفسهم تدعوهم إلى الهوى، وقال بسام بن عبد الله العراقى: لأن أنفسهم تحترس من نار الدنيا، والنبى

يحرسهم من نار العُقبى.

وروى سفيان عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: وهو أب لهم.

وروى سفيان عن عمرو عن بجالة أو غيره قال: مَرَّ عمر بن الخطاب بغلام وهو يقرأ في المصحف ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: وهو أب لهم. فقال: يا غلام حُكّها. قال: هذا مصحف أبي، فذهب إليه فسأله، فقال: إنّه كان يلهيني القرآن ويُلهيكَ الصفق في الأسواق. وقال عكرمة: أُخبرت أنّه كان في الحرف الأوّل: وهو أبوهم.

أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري قال: أخبرني أبو بكر بن مالك القطيعي، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبي قال: أخبرني أبو عامر وشريح قالا: قال فليح بن سليمان، عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عميرة، عن النبي ﷺ، قال: «ما من مؤمن إلاّ وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيّما مؤمن هلك وترك مالاً فليرثه عصبته مَنْ كانوا، وإن ترك دَينًا أو ضياعًا فليأتني فإنّي أنا مولاه».

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: يعني كأُمّهاتهم في الحرمة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣) أي كالسموات[1]، وإنّما أراد الله تعالى تعظيم حقهن وحرمتهن، وإنّه لا يجوز نكاحهن لا في حياة النبيّ ﷺ إنْ طلّق ولا بعد وفاته، هنّ حرام على كلّ مؤمن كحرمة أُمّه، ودليل هذا التأويل أنّه لا يحرم على الولد رؤية الأُمّ، وقد حرّم الله رؤيتهنّ على الأجنبيِين، ولا يرثْنَهم ولا يرثونهنّ، فعلموا أنّهن أُمّهات المؤمنين من جهة الحرمة، وتحريم نكاحهنّ عليهم.

روى سفيان، عن خراش، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت امرأة لعائشة: يا أُمّاه، فقالت: أنا لستُ بأُمٍّ لكِ إنّما أنا أُمّ رجالكم.

قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ يعني في الميراث.

قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة، وكان لا يرث الأعرابي المسلم من المهاجر

---

(١) لا يعلم بمكان الجنة أو النار إلا خالقهما سبحانه وتعالى والآية تشبيه للتقريب من العقل البشري، ولا يحق لأحد تحديد ما لم يحدد الله، ولا تقرير ما لم يقرر الله سبحانه أو يعلم عن نبي مكان أو بحقيقة شيء مما استأثر بعلمه سبحانه هدانا الله وإياكم إلى الخير والصواب آمين.

شيئًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وخلط المؤمنين بعضهم ببعض فصارت المواريث بالملك والقرابات.

وقال الكلبى: آخى رسول الله ﷺ بين الناس، وكان يؤاخى بين الرجلين، فإذا مات أحدهما ورثه الباقى منهما دون عصبته وأهله، فمكثوا بذلك ما شاء الله حتّى نزلت هذه الآية: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين آخى رسول الله بينهم ﴿وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾: فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة، وصارت للأدنى فالأدنى من القرابات[1]، وقيل: أراد إثبات الميراث بالإيمان والهجرة.

ثمّ قال: ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يعنى: إلاّ أَنْ توصوا لذوى قرابتكم من المشركين فتجوز الوصية لهم، وإنْ كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول محمد ابن الحنفية وقتادة وعطاء وعكرمة. وقال ابن زيد ومقاتل: يعنى: إلاّ أنْ توصوا لأوليائكم من المهاجرين. وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الإيمان والهجرة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾: الذى ذكرت من أنّ أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض، وأن المشرك لا يرث المسلم ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾: فى اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوبًا. وقال القرظى: فى التوراة.

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ على الوفاء بما حُمّلوا، وأن يبشر بعضهم ببعض ويصدّق بعضهم بعضًا. ﴿وَمِنكَ﴾: يا مُحمّد ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: وإنّما خَصّ هؤلاء الخمسة بالذكر فى هذه الآية لأنّهم أصحاب الشرائع والكتب وأُولو العزم من الرسل وأئمّة الأُمم.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾: أخبرنا الحسين بن محمد، عن عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ، عن محمد بن محمد بن سليمان الباغندى، عن هارون بن محمد بن بكار، عن أبيه عن سعيد يعنى ابن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن أبى هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «كنت أوّل النّبيّين فى الخلق، وآخرهم فى البعث»، قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فبدأ به ﷺ قبلهم. ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

❖ ❖ ❖

(١) ذهب المعارضون لمسألة النسخ فى القرآن إلى أن هذه الآية ونظائرها ليست مما يدخل فى النسخ وإنما هو تدرج تشريعى كما هو الحال فى الخمر والطلاق وغيره من الأمور التى لم تفرض مرة واحدة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝﴾

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: يعنى الأحزاب، قريش وغطفان ويهود بنى قريظة والنضير ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ يعنى الصبا. قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقى بنصر رسول الله ﷺ، فقالت الشمال: إنّ الحرة لا تسرى بالليل، فكانت الريح التى أُرسلت عليهم هى الصبا.

قال رسول الله ﷺ: نُصرتُ بالصبا، وأُهلكتْ عاد بالدبور.

﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾: وهم الملائكة ولم تقاتل يومئذ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: قال المفسرون: بعث الله تعالى عليهم بالليل ريحًا باردة، وبعث الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها فى بعض، فأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم، حتّى كان سيد كل حى يقول: يا بنى فلان هلم إلى فإذا اجتمعوا عنده قال: النجا النجا أتيتم، لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال.

أنبأنى محمد بن القاسم الفارسى قال: أخبرنى أبو الحسن السليطى قال: أخبرنى المؤمل ابن الحسن، عن الفضل بن محمد الأشعرانى عن عمرو بن عون، عن خالد بن عبد الله، عن

أبى سعد سعيد بن عبد الرحمن البقّال، عن إبراهيم التيمى، عن أبيه (ح)[1] وأنبأنى عقيل بن محمد، عن المعافى بن زكريا، عن محمد بن جرير الطبرى، عن محمد بن حميد الرازى، عن سلمة، حدّثنى محمد بن يسار، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظى قالا: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يابن أخى، قال: وكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد، قال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض، ولحملناه على أعناقنا، ولخدمناه وفعلنا وفعلنا.

فقال حذيفة: يابن أخى والله لقد رأيتنى ليلة الأحزاب مع رسول الله ﷺ بالخندق فى ليلة باردة، لم أجد قبلها ولا بعدها بردًا أشدّ منه، فصلّى رسول الله ﷺ هونًا من الليل ثمّ التفتَ إلينا فقال: «مَنْ يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنّة».

فما قام منّا رجل، ثمّ صلى رسول الله ﷺ هونًا من الليل، ثمّ التفت إلينا فقال مثله، فسكت القوم وما قام منّا رجل. ثمّ صلّى رسول الله ﷺ هونًا من الليل، ثمّ التفت إلينا فقال: مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أنْ يكون رفيقى فى الجنّة؟ فما قام رجل من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد، فلمّا لم يقم أحد، دعانى رسول الله ﷺ وقال: يا حذيفة، فلم يكن لى بُدّ من القيام حين دعانى، فقلت: لبّيك يا رسول الله، وقمت حتى أتيته وإنّ جنبى لتضطربان، فمسح رأسى ووجهى ثمّ قال: ائت هؤلاء القوم حتّى تأتينى بخبرهم، ولا تحدثن شيئًا حتى ترجع إلىّ.

ثمّ قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته، فأخذت سهمى، وشددت على أصلابى، ثمّ انطلقت أمشى نحوهم كأنّى أمشى فى حمّام، فذهبت فدخلت فى القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحًا فقطعت أطنابهم وقلعت أبنيتهم وذهبت بخيولهم، ولم تدع شيئًا إلاّ أهلكته، وأبو سفيان قاعد يصطلى، فأخذت سهمى فوضعته فى كبد قوسى، فذكرت قول النبى ﷺ: لا تحدثن حدثًا حتى ترجع، فرددت سهمى فى كنانتى.

فلمّا رأى أبو سفيان ما تفعل الريحُ وجنودُ الله بهم، لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء قام فقال: يا معشر قريش ليأخذ كلّ رجل منكم بيد جليسه فلينظر مَنْ هو؟ فأخذت بيد جليسى فقلت مَنْ أنت؟ قال: سبحان الله أما تعرفنى أنا فلان ابن فلان، فإذا هو رجل من هوازن.

فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنّكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخُفّ

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإنّى مرتحل ثمّ قام إلى جَمله وهو معقول فجلس عليه ثمّ ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلاّ وهو قائم.

وسمعتْ غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم، وهزم الله الأحزاب فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأنى أمشى فى حمّام، فأخبرته الخبر فضحك عليه السلام حتّى بدت أنيابه فى سواد الليل قال: وذهب عنّى الدفء فأدنانى النبى ﷺ فأنامنى عند رجليه وألقى علىّ طرف ثوبه، وألزق صدرى ببطن قدمه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: يعنى من فوق الوادى من قبل المشرق، وعليهم مالك ابن عوف النضيرى وعيينة بن حصن الفزارى فى ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الأسدى فى بنى أسد وحُيى بن أخطب فى يهود بنى قريظة: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: يعنى من بطن الوادى من قبل المغرب، وهو أبو سفيان بن حرب فى قريش ومن تبعه، وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمى من قبَل الخندق. وكان الذى جر غزوة الخندق، فيما قيل إجلاء رسول الله ﷺ بنى النضير عن ديارهم.

قال محمد بن إسحاق: حدّثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير ومَن لا أتّهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهرى، وعن عاصم بن قتادة وعن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظى، وعن غيرهم من علمائنا، دخل حديث بعضهم فى بعض، قالوا: كان من حديث الخندق أنّ نفرًا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عمّار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتّى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر اليهود، إنّكم أهل الكتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، فديننا خيرٌ أم دينه؟.

قالوا: بل دينكم خيرٌ من دينه، وأنتم أولى بالحقّ منهم قال: فهُم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ٥١، ٥٥) فلمّا قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا، ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فأجمعوا لذلك، واستعدّوا له، ثمّ خرج أولئك النفر من اليهود حتّى جاءوا

غطفان من قيس بن غيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنّهم سيكونون معهم عليه، وأنّ قريشًا قد بايعوهم على ذلك، وأجمعوا فيه، فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة، والحارث بن عون بن أبى جارية المرّى فى بنى مرّة، ومسعود بن جبلة بن نويرة بن طريف بن شحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن زيد بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع، فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ وبما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة وكان الذى أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان الفارسى، وكان أوّل مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ، وهو يومئذ حُرٌّ. وقال: يا رسول الله إنَّا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى أحكموه.

وقد ذكرنا حديث سلمان فى صفة حفر الخندق فى سورة آل عمران قالوا: فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتّى نزلت بمجتمع الأسيال من دونه من الجرف والغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بنى كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد.

وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتّى جعلوا ظهورهم إلى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذرارى فرفعوا فى الآطام، وخرج عدوّ الله حيى بن أخطب النضيرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك، فلمّا سمع كعب حيى بن أخطب غلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فنادى حيى: يا كعب افتح لى، قال: ويحك يا حيى، إنّك امرؤ ميشوم، إنّى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه، ولم أر منه إلاّ وفاءً وصدقًا.

قال: ويحك افتح لى أُكلّمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن غلقت دونى إلاّ على حشيشتك أن آكل معك منها، فاحفظ الرجل ففتح له. فقال: يا كعب، ويحك جئتك بعزّ الدهر، وبحر طم، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دونه، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلهم بذنب مقمى إلى جانب أُحد، قد عاهدونى وعاقدونى أنْ لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمّدًا ومن معه.

فقال له كعب بن أسد: جئتنى والله بذلّ الدهر، بمجهام قد اهراقَ ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شىء، فدعنى ومحمّدًا وما أنا عليه، ولم أرَ من محمّد إلاّ صدقًا ووفاءً.

فلم يزل حُيى بن أخطب بكعب يقبله في الذروة والغارب حتى يسمح له على أنْ أعطاه عهدًا من الله وميثاقًا، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمّدًا أن أدخل معك في حصّتك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ ممّا كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني عبد الأشهل وهو يومئذ سيّد الأوس وسعد بن عبادة بن دليم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيّد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف.

فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم؟ فإن كان حقًا فالحنوا إليَّ لحنًا نعرفه ولا تفتوا أعضاد الناس، وإنْ كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم وقالوا: مَنْ رسول الله؟ وقالوا: لا عقد بيننا وبين محمّد ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدّة فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثمّ أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلّموا عليه ثمّ قالوا: عضل والقارة [يعرضان][1] أي كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه.

فقال رسول الله ﷺ: [الله][2] أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين. وعظم عند ذلك البلاء واشتدّ الخوف وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنّ المؤمنون كلّ ظنّ، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال لهم متعب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ حتى قال أوس بن قبطي أحد بني حارثة: يا رسول الله إن بيُوتَنا بعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه، فأذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة.

فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون عليه بضعًا وعشرين ليلة قريبًا من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلاّ الرمي بالنبل والحصى، فلمّا اشتدّ البلاء على الناس، بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصين وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، تجرى بينهم وبينه الصلح حتى كتبوا الكتاب

(١) زيادة من القرطبي.

(٢) لفظ الجلالة سقط ذكره من المخطوط في هذا الموضع.

ولم تقع الشهادة، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فيه. فقالا: يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا بدّ لنا من العمل به أم أمر تحبّه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا؟ قال: لا بل لكم والله ما أصنع ذلك، إلاّ أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كلّ جانب، فأردت أنْ أكسر عنكم شوكتهم.

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أنْ يأكلوا منها ثمرة إلاّ قرى أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا؟! ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتّى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: فأنت وذاك، فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثمّ قال: ليجهدوا علينا.

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولم يكن بينهم قتال إلاّ أنّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة ابن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبّسوا للقتال وخرجوا على خيلهم، ومرّوا على بني كنانة.

فقال بنو الحارث: يا بني كنانة، فستعلمون اليوم من الفرسان، ثمّ أقبلوا حتى وقفوا على الخندق، فلمّا رأوه قالوا: والله إنّ هذه لمكيدة، ما كانت العرب تكيدها ثمّ تيمّموا مكانًا من الخندق ضيّقًا فضربوا خيولهم فاقتحموا منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع.

وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذَ عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان نحوهم، وقد كان عمرو بن عبد ودّ قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحُدًا، فلمّا كان يوم الخندق خرج مُعَلمًا ليُرى مكانه، فلمّا وقف هو وخيله قال له علي: يا عمرو، إنّك كنت تعاهد الله، لا يدعوك رجل من قريش إلى خلّتين إلاّ أخذت منه إحداهما. قال: أجل. قال: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإنّي أدعوك إلى النزال. قال: ولِمَ يا بن أخي؟ فإنّي والله ما أحبّ أنْ أقتلك.

قال علي رضي الله عنه: ولكنّي والله أحبّ أنْ أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه وأقبل على عليّ فتناولا وتجاولا وقتله عليّ رضي الله عنه.

وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة، وقُتل مع عمرو رجلان: منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار، أصابه سهم فمات منه بمكة، ونوفل بن عبد الله بن

المغيرة المخزومى ، وكان قد اقتحم الخندق فتورّط فيه فرموه بالحجارة ، فقال : يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه ، فنزل إليه على فقتله فغلب المسلمون على جسده ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا فى جسده ولا ثمنه فشأنكم به ، فخلّى بينهم وبينه .

قالت عائشة أُمّ المؤمنين : كنّا يوم الخندق فى حصن بنى حارثة ، وكان من أحرز حصون المدينة ، وكانت أُمّ سعد بن معاذ معنا فى الحصن ، وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب فمرّ سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلّها وفى يده حربته وهو يقول :

لبّثْ قليلاً يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت أُمّهُ : الحقْ يا بنى فقد والله أخرتَ ، قالت عائشة : فقلتُ لها : يا أُم سعد والله لوددت أنَّ درع سعد كانت أسبغ مما هى ، وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، قالت : فرمى سعد يومئذ فقطع منه الأكحل ، وزعموا أنّه لم ينقطع من أحد قطع إلا لم يزل يفيض دمًا حتى يموت ، رماه حيان بن قيس بن الغرقة أحد بنى عامر بن لؤى ، فلمّا أصابه قال : خذها فأنا ابن الغرقة فقال سعد : غرق الله وجهك فى النار ، ثمّ قال سعد : اللّهم إنْ كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها ، فإنّه لا قوم أحب إلى من أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك ، فكذّبوه وأخرجوه ، وإنْ كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ولا تمتنى حتى تقرّ عينى من بنى قريظة ، وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية .

وروى محمد بن إسحاق بن يسار ، عن يحيى بن عبادة بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبادة قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى قارع حصن حسان بن ثابت قالت : وكان حسّان معنا فيه مع النساء والصبيان .

قالت صفية : فمرّ بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا ، ورسول الله والمسلمون فى نحور عدوّهم لا يستطيعون أنْ ينصرفوا إلينا عنهم إذا أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسّان إنّ هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من اليهود ، وقد شغلَ عنّا رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله .

فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلمّا قال ذلك لى ولم أر عنده شيئًا احتجزت ثم أخذت عمودًا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسّان انزل إليه فاسلبه فإنه

لم يمنعنى من سلبه إلاّ أنه رجل، قال: ما لى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب[١].

قالوا: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله عزّ وجلّ من الخوف والشدّة لتظاهر عدوّهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف ابن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن حلاوة بن أشجع بن زيد بن غطفان أتى رسول الله ﷺ. فقال: يا رسول الله إنّى قد أسلمت وإنّ قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: إنّما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة، وكان لهم نديمًا فى الجاهلية، فقال لهم: يا بنى قريظة، قد عرفتم ودّى إيّاكم وخاصة ما بينى وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إنّ قريشًا وغطفان (قد جاءوا)[٢] لحرب محمّد، وقد ظاهرتموهم عليه، وإنّ قريشًا وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أنْ تحولوا عنه إلى غيره، وإنّ قريشًا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره، وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها، وإنْ كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إنْ خلا بكم، فلا تقاتلوا القوم حتى تأخذوا رهنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أنْ يقاتلوا معكم محمّدًا حتى تناجزوه، فقالوا: لقد أشرت برأى ونصح. ثم خرج حتى أتى قريشًا فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يا معشر قريش قد عرفتم ودّى إيّاكم وفراقى محمّدًا، وقد بلغنى أمر رأيت أنّ حقًا علىّ أنْ أبلغكموه نصحًا لكم فاكتموا علىّ. قالوا: نفعل.

قال: تعلمون أنّ معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه، أنْ قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك عنّا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم؟

فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعث إليكم اليهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحدًا، ثمّ خرج حتّى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان أنتم أصلى وعشيرتى وأحبّ الناس إلىّ ولا أراكم تتّهمونى، قالوا: صدقت، قال: فاكتموا علىّ قالوا:

---

(١) فى هذه الحكاية طعن شديد فى صحابى من أفضل وأنبل الصحابة وهو شاعر رسول الله ﷺ ومن قد أهداه رسول الله ﷺ سيرين أخت مارية خالة إبراهيم ابن النبى محمد ﷺ، ثم إن هذا الرجل لو كان به شىء من هذا الأمر الذى قد وصف به هنا لهجاه به الشعراء وعابوه ولم يثبت أن شاعرًا واحدًا من خصمائه قد هجاه بصفة الجبن عافانا الله وإياكم من تصديق السوء بأصحاب رسول الله ﷺ وحشرنا معه آمين.

(٢) زيادة من تفسير القرطبى.

نفعل، ثمّ قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذّرهم، فلما كانت ليلة السبت فى شوال سنة خمس، وكان ممّا صنع الله برسوله، أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنّا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا (صبيحة غد)[١] للقتال حتّى نناجز محمّدًا ونفرغ ممّا بيننا وبينه.

فأرسلوا إليهم: إنّ اليوم السبتَ، وهو يوم لا يُعمل فيه شىء، وكان قد أحدث بعضنا فيه حدثًا فأصابه ما لم يخفَ عليكم ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمّدًا فإنّا نخشى إنْ ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال تسيروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمّد.

فلمّا رجعت إليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمون والله إنّ الذى حدّثكم نعيم بن مسعود لحقّ، فأرسلوا إلى بنى قريظة، إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إنّ الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ، ما يريد القوم إلاّ أن تقاتلوا، فإنْ وجدوا فرصة انتهزوها، وإنْ كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وإلى غطفان: إنّا والله لا نقاتل معكم حتّى تعطونا رهنًا، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم، وبعث الله تعالى عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد، حتى انصرفوا راجعين والحمد لله رب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ﴾ مالت: ﴿ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وشخصت ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾: فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ فأما المنافقون فظنوا أن محمدًا وأصحابه سيغلبون ويستأصلون وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حق من أنه سيظهر نبيه[٢] على الدين كله ولو كره المشركون.

واختلف القراء فى قوله: الظنونا والرسولا والسبيلا، فأثبت الألفات فيها وصلاً ووقفًا، أهل المدينة والشام وأيوب وعاصم برواية أبى بكر، وأبو عمر برواية ابن عباس، والكسائى برواية قتيبة، قالوا: إنّ ألفاتها ثابتة فى مصحف عثمان وسائر مصاحف البلدان. وقرأها أبو عمرو فى سائر الروايات وحمزة ويعقوب بغير (ألف) فى الحالين على الأصل.

وقرأ الباقون بالألف فى الوقف دون الوصل، واحتجّوا بأنّ العرب تفعل ذلك فى قوافى

---

(١) زيادة من القرطبى.

(٢) فى المخطوط: دينه وهو تحريف.

أشعارهم ومصاريعها فتلحق بالألف فى موضع الفتح عند الوقوف ولا تفعل ذلك فى حشو الأبيات، فحسن إثبات الألف فى هذه الحروف لأنّها رءوس الآى تمثيلاً لها بالقوافى.

قوله عزّ وجلّ: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أى اختبروا ومحصوا ليعرف المؤمن من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: وحركوا وخوفوا ﴿زِلْزَالًا﴾: تحريكًا ﴿شَدِيدًا﴾ وقرأ عاصم الجحدرى (زلزالاً) بفتح الزاى وهما مصدران.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾: يعنى معتب بن قشير وأصحابه ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك وضعف اعتقاد ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: أى من المنافقين وهم أوس بن قبطى وأصحابه، وقال مقاتل: هم من بنى سالم ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾: يعنى المدينة. وقال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض، ومدينة الرسول عليه السلام فى ناحية منها. ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: قراءة العامة بفتح الميم، أى لا مكان لكم تقيمون فيه. وقرأ السلمى بضم الميم، أى لا إقامة لكم، وهى رواية حفص عن عاصم ﴿فَٱرْجِعُوا﴾: إلى منازلكم أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ.

قال ابن عباس: قالت اليهود لعبد الله بن أبى وأصحابه من المنافقين: ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيدى أبى سفيان وأصحابه فارجعوا إلى المدينة فرجعوا ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾: فى الرجوع إلى منازلهم وهم بنو حارثة بن الحارث ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: أى هى خالية ضائعة وهى مما يلى العدو، وإنّا نخشى عليها العدو والسرّاق. وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العطاردى عورة، بكسر الواو يعنى قصيرة الجدران فيها خلل وفرجة، والعرب تقول: دار فلان عورة، إذا لم تكن حصينة، وقد اعور الفارس إذا بدا فيه خلل الضرب، قال الشاعر:

متى تلقهم لا تلقى فى البيت معورا ‏ ‏ ‏ ولا الضيف مفجوعًا ولا الجار مرملا

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ يقول لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: جوانبها ونواحيها، واحدها قطر وفيه لغة أخرى قطرٌ وأقطار.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ﴾: الشرك ﴿لَأَتَوْهَا﴾ قراءة أهل الحجاز بقصر الألف، أى لجاءوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا، وقرأ الآخرون بالمد، أى لأعطوها. وقالوا: إذا كان سؤال كان إعطاء ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ﴾: وما احتبسوا عن الفتنة ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ ولأسرعوا الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، هذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلاّ قليلاً حتى يهلكوا ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَـٰهَدُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: أى من قبل غزوة الخندق ﴿لَا يُوَلُّونَ﴾:

عدوهم ﴿ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾.

وقال يزيد بن دومان: هم بنو حارثة هموا يوم أُحُد أن يفشلوا مع بنى سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أنْ لا يعودوا لمثلها أبدًا، فذكر الله لهم الذى أعطوه من أنفسهم، وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن واقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلنّ، فساق الله ذلك إليهم فى ناحية المدينة.

وقال مقاتل والكلبى: هم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقالوا له: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبى عليه السلام: «أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله؟ قال: لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة».

قالوا: قد فعلنا، فذلك عهدهم.

﴿وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا﴾: قوله عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ﴾ الذى كتب عليكم ﴿وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾: إلى آجالكم، والدنيا كلها قليل.

﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا﴾: هزيمة ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ﴾: نصرة ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾.

❖ ❖ ❖

﴿۞قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ

ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ : المثبطين ﴿مِنكُمْ﴾ : الناس عن رسول الله ﷺ ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ﴾ : تعالوا ﴿إِلَيْنَا﴾ : ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك .

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ : دفعًا وتغديرًا . قال قتادة : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم : ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحمًا لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه ، دعوا هذا الرجل فإنه هالك .

قال مقاتل : نزلت فى المنافقين ، وذلك أنَّ اليهود أرسلوا إلى المنافقين ، فقالوا : ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان ومن معه فإنّهم إن قدروا عليكم هذه المرّة لم يستبقوا منكم أحدًا ، وإنّا نشفق عليكم ، أنتم إخواننا وجيراننا هلم إلينا ، فأقبل عبد الله بن أُبى وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه وقالوا : لئن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدًا ، ما ترجون من محمد؟ فوالله ما يريدنا بخير وما عنده خير ، ما هو إلا أن يقتلنا ههنا ، انطلقوا بنا إلى إخواننا وأصحابنا ، يعنى اليهود ، فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلاّ إيمانًا واحتسابًا .

وقال ابن زيد : هذا يوم الأحزاب ، انطلق رجل من عند رسول الله ﷺ فوجد أخاه ، وبين يديه شواء ورغيف ونبيذ ، فقال له : أنت ههنا فى الشواء والنبيذ والرغيف ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف ، فقال له أخوه : هلمَّ إلى هذا فقد تبع بك وبصاحبك ، والذى تحلف به لا يستقيلها محمد أبدًا ، فقال : كذبت والذى تحلف به ، وكان أخوه من أبيه وأمه ، أما والله لأخبرن النبى ﷺ أمرك ، فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجده قد نزل جبرائيل (عليه السلام) بهذه الآية .

قوله : ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أى بخلاء بالخير والنفقة فى سبيل الله وعند قسم الغنيمة ، وهى نصب على الحال والقطع من قوله : ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وصفهم الله بالجبن والبخل .

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ : فى رءوسهم من الخوف والجبن ﴿كَٱلَّذِى﴾ : أى كدوران عين الذى ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾ : عصوكم ورموكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ : ذربة جمع حديد، ويقال للخطيب الفصيح اللسان الذرب اللسان، مسلق ومصلق وسلاق وصلاق وأصل السلق الضرب.

وقال قتادة: يعنى بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة، يقولون: أعطونا أعطونا فإنا قد شهدنا معكم القتال فلستم بأحق بالغنيمة منّا، فأمّا عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ مقاسمة، وأمّا عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحقّ.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ : يعنى الغنيمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

قوله: ﴿يَحْسَبُونَ﴾ : يعنى هؤلاء المنافقين ﴿ٱلْأَحْزَابَ﴾ : يعنى قريشًا وغطفان واليهود الذين تحزبوا على عداوة رسول الله ﷺ ومخالفته أى اجتمعوا، والأحزاب الجماعات واحدهم حزب. ﴿لَمْ يَذْهَبُواْ﴾ : ولم ينصرفوا عن قتالهم وقد انصرفوا منهم جماعة وفرقًا. ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ : إن يرجعوا إليكم كرّة ثانية.

﴿يَوَدُّواْ﴾ من الخوف والجبن ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾ : خارجون إلى البادية ﴿فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أى معهم ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ : قراءة العامة بالتخفيف، وقرأ عاصم الجحدرى ويعقوب فى رواية رويس وزيد مشددة ممدودة بمعنى يتساءلون أى يسأل بعضهم بعضًا.

﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ : أخباركم وما آل إليه أمركم ﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم﴾ : يعنى هؤلاء المنافقين ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ : رياء من غير حسبة، ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرًا.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿أُسْوَةٌ﴾ : قدوة ﴿حَسَنَةٌ﴾ قرأ عاصم ههنا وفى سورة الامتحان ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الألف وقرأهما الآخرون بالكسر وهما لغتان مثل عدوة وعدوة ورشوة ورشوة وكسوة وكسوة. وكان يحيى بن ثابت يكسرها هنا ويضم الأخرى.

قال أبو عبيد: ولا نعرف بين ما فَرّقَ يحيى فرقًا.

قال المفسرون: يعنى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ سنّة صالحة أن تنصروه وتؤازروه ولا تتخلفوا عنه ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان هواه، كما فعل هو إذ كسرت رباعيته، وجرح فوق حاجبه وقتل عمه حمزة، وأوذى بضروب الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم أيضًا كذلك واستنوا بسنته.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ : فى الرخاء والبلاء. ثم ذكر المؤمنين وتصديقهم بوعود الله تعالى فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟﴾ تسليمًا لأمر الله وتصديقًا لوعده ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ .

ووعد الله تعالى إيّاهم قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ إلى قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤).

﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ .

قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فوفوا به ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يعنى فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد، والنحب النذر، والنحب أيضًا الموت. قال ذو الرمة:

عشية فر الحارثيون بعدما ... قضى نحبه من ملتقى القوم هوبر

أى مات، قال مقاتل: قضى نحبه يعنى أجله، فقتل على الوفاء، يعنى حمزة وأصحابه. وقيل: قضى نحبه أى أجهده فى الوفاء بعهده من قول العرب: نحبَ فلان فى سيره يومه وليلته أجمع إذا مد فلم ينزل. قال جرير:

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا ... عشية بسطان جرين على نحب

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ : الشهادة ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ : قولهم وعهدهم ونذرهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ .

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدّثنا عبد الله بن هاشم قال: حدّثنا نهز بن أسد عن سليمان بن المغيرة عن أنس قال: وأخبرنا أحمد بن عبد الله المزنى، عن محمد بن عبد الله بن سليمان، عن محمد بن العلاء عن عبد الله بن بكر السهمى، عن حميد عن أنس قال: غاب عمّى أنس بن النضر - وبه سميت أنس - عن قتال بدر فشق عليه لما قدم وقال: غبت عن أوّل مشهد شهده رسول الله ﷺ، والله لئن أشهدنى الله عزّ وجلّ قتالاً ليرين الله ما أصنع.

قال: فلمّا كان يوم أُحُد انكشف المسلمون فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعنى المسلمين، ثمّ مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أى سعد والذى نفسى بيده إنّى لأجد ريح الجنة دون أحد.

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع أنس، فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، وقد مثلوا به، وما عرفناه حتى عرفته أخته بثناياه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ .

قال : فكنا نقول : نزلت فيه هذه الآية وفى أصحابه . وأخبرنا عبد الله بن حامد عن أحمد ابن محمد بن شاذان عن جيغويه بن محمد الترمذى ، عن صالح بن محمد ، عن سليمان بن حرب ، عن حزم ، عن عروة ، عن عائشة فى قوله : ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ قالت : منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله ﷺ حتى أصيبت يده ، فقال رسول الله ﷺ : أوجب طلحة الجنة .

وبإسناده عن صالح عن مسلم بن خالد عن عبد الله بن أبى نجيح أن طلحة بن عبيد الله يوم أحُد كان محتصنًا للنبى عليه السلام فى الخيل وقد بُهر النبى ﷺ قال : فجاء سهم عابر متوجهًا إلى النبى ﷺ فاتقاه طلحة بيده فأصاب خنصره فقال : حس ثم قال : بسم الله ، فقال النبى عليه السلام : «لو أن بها بدأت لتخطفتك الملائكة حتى تدخلك الجنة» .

وروى معاوية بن إسحاق ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : إنى لفى بيتى ورسول الله ﷺ وأصحابه فى الفناء وبينى وبينهم الستر إذ أقبل طلحة فقال رسول الله ﷺ : «من سره أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة» .

وأخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه قال : أخبرنى أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان بن بابويه بن قهرويه قال : أخبرنى أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفى ، عن محمد ابن عباد الواسطى ، عن مكى بن إبراهيم ، عن الصلت بن دينار ، عن ابن نضر ، عن جابر ، عن أبى عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من سره أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله» .

﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : من قريش وغطفان ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ : نصرًا وظفرًا ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ : بالملائكة والريح ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم﴾ : يعنى عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأهل الإيمان وهم بنو قريظة ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما أصبح من الليلة التى انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم ، وانصرف (عليه السلام) والمسلمون من الخندق راجعين إلى المدينة ، ووضعوا السلاح ، فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ معتمًا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش ، وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقة فقال : قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال :

نعم، قال جبريل: عفا الله عنك، ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلاّ من طلب القوم، إنّ الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بنى قريظة فانهض[١] إليهم، فإنّى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى زلزال وبلبال، فأمر رسول الله ﷺ مناديًا، فأذّن إنّ من كان سامعًا مطيعًا لا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة.

وقدم رسول الله ﷺ على بن أبى طالب برايته إليهم وابتدرها الناس؛ فسار على بن أبى طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة على رسول الله ﷺ منهم، فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ بالطريق وقال: يا رسول الله لا عليك أنْ لا تدنو من هؤلاء الأخابث.

قال: لمَ؟ أظنك سمعت لى منهم أذى. قال: نعم يا رسول الله، قال: لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيئًا، فلمّا دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا إخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً.

ومرّ رسول الله ﷺ على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بنى قريظة فقال: هل مرَّ بكم أحد؟ فقالوا: يا رسول الله لقد مرَّ بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: ذاك جبريل بعث إلى بنى قريظة، يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب فى قلوبهم، فلمّا أتى رسول الله ﷺ بنى قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية فى أموالهم يقال لها يراقا، فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: لا يصلين أحدكم العصر إلاّ فى بنى قريظة، فصلوا العصر بها بعد صلاة العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك فى كتابه، ولا عنفهم به رسول الله ﷺ.

قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب، وقد كان حيى بن أخطب دخل على بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وقال كعب بن أسد بما كان عاهده، فلمّا أيقنوا بأن النبى ﷺ غير منصرف عنهم حتّى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر اليهود إنّه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلالا ثلاث، فخذوا أيها شئتم، فقالوا: وما هن؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل، وأنه للذى كنتم تجدونه فى كتابكم، فتأمنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره.

---

(١) فى المخطوط: «فانهد». وهو تحريف.

قال: فإذا أبيتم هذه فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثمّ نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئًا نخشى عليه، وإن نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والأنباء، فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين فلا خير فى العيش بعدهم.

قال: فإنْ أبيتم على هذه فإنّ الليلة ليلة السبت، وأنّه عسى أنْ يكون محمّد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا لعلّنا أنْ نصيب من محمّد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا ونُحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا ممّن قد علمت، فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك. قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه بليلة واحدة من الدهر حازمًا. قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف - وكانوا حلفاء الأوس - نستشيره فى أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال ونهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرق لهم، وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنّه الذبح.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت، وعاهد الله لا يطأ بنى قريظة، ولا يرانى الله فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبدًا.

فلمّا بلغ رسول الله ﷺ خبره وأبطأ عليه، قال: أما لو جاءنى لاستغفرت له، فأمّا إذ فَعَل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، ثمّ إنّ الله تعالى أنزل توبة أبى لبابة على رسول الله ﷺ وهو فى بيت أمّ سلمة وقالت أمّ سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر يضحك فقلت: مم ضحكت يا رسول الله أضحك الله سنك؟

قال: تيب على أبى لبابة، فقالت: ألا أبشره بذلك يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب الحجاب عليهن. فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، قال فسار إليه الناس ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده. فلمّا مرّ عليه خارجًا إلى الصبح أطلقه.

قال: ثم إن ثعلبة بن شعبة وأسيد بن شعبة وأسيد بن عبيد وهم نفر من بنى هزل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى، فمر بحرس

رسول الله ﷺ، وعليها محمد بن مسلمة الأنصاري في تلك الليلة، فلمّا رآه قال: من هذا؟ قال: عمرو بن سعدى، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال: لا أغدر بمحمد أبدًا، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني عثرات الكرام، ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه، حتّى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثمّ ذهب فلا يُدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه فقال: ذاك رجل نجّاه الله بوفائه.

وبعض الناس يزعم أنّه أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمته ملقاة لا يُدرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ تلك المقالة والله أعلم.

فلمّا أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنّهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه فسألهم إيّاه عبد الله بن أبي سلول فوهبهم له، فلمّا كلّمته الأوس قال رسول الله ﷺ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أنْ يحكم فيهم رجل منكم»؟ قالوا: بلى.

قال: «فذلك إلى سعد بن معاذ». وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من المسلمين، يقال لها (رفيدة) في مسجده، وكانت تداوي الجرحى، وتحبس نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين. وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب».

فلمّا حكّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة، أتاه قومه فاحتملوه على حمار، وقد وطئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيمًا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنّما ولاّك ذاك لتحسن فيهم، فلمّا أكثروا عليه قال: قد أتى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه.

فلمّا انتهى رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى سيدكم فأنزلوه. فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إنّ رسول الله ﷺ قد ولاك مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعليّ من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم.

قال سعد: فإني أحكم فيهم، أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى النساء

والذرارى، فقال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم، فخندق بها خندقًا ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم، فهم فى تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالاً وفيهم عدوّ الله حيى بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول: كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة.

وقيل: قالوا لكعب بن أسد وهو يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب ما ترى أن يصنع بنا؟ فقال كعب: فى كل موطن لا تعقلون! ألا ترون أن الداعى لا ينزع وأن من يذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل. فلم يزل ذلك دأبهم حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ وأتى بحيى بن أخطب عدوّ الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كلّ ناحية كموضع الأنملة أنملة أنملة لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلمّا نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمتُ نفسى فى عداوتك، ولكنّه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيّها الناس، إنّه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقدره، وملحمة كتبت على بنى إسرائيل، ثمّ جلس فضربت عنقه فقال هبل بن حواس الثعلبى:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل
يجاهد حتى أبلغ النفس عذرها ... وقلقل يغبى العز كل مقلقل

وروى عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لم يقتل من نساء بنى قريظة إلاّ امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندى تتحدث معى وتضحك ظهرًا، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق؛ إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت: ويلك ما لك؟ قالت: أقتل. قلت: ولمَ؟ قالت: حدثٌ أحدثته. قال: فانطلق بها فضربت عنقها، وكانت عائشة تقول: ما أنسى كذا عجبًا منها طيب نفس، وكثرة ضحك، وقد عرفت أنها تقتل.

قال الواقدى: واسم تلك المرأة بنانة امرأة الحكم القرظى، وكانت قد قتلت خلاد بن سويد، رمت عليه رحا، فدعا رسول الله ﷺ بها وضربت عنقها بخلاد بن سويد، وكان على والزبير يضربان أعناق بنى قريظة ورسول الله ﷺ جالس هناك.

وروى محمد بن إسحاق عن الزهرى أنَّ الزبير بن باطا القرظى - وكان يكنى أبا عبد الرحمن - كان قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية يوم بعاث أخذه فجزّ ناصيته، ثمّ خلّى سبيله، وجاءه يوم قريظة، وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى؟

فقال: وهل يجهل مثلى مثلك؟ قال: إنى قد أردت أن أجزيك بيدك عندى، قال: إن

الكريم يجزى الكريم ، قال : ثمّ أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله قد كان للزبير عندى يد وله علىَّ منة ، وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه ، فقال رسول الله ﷺ : «هو لك» . فأتاه فقال له : إنّ رسول الله ﷺ قد وهب لى دمك . فقال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أهله وولده؟ فقال : «هم لك» . فأتاه فقال : إنَّ رسول الله ﷺ قد أعطانى امرأتك وولدك فهم لك . فقال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله فقال : يا رسول الله ماله . فقال : هو لك ، فأتاه فقال : إنّ رسول الله قد أعطانى مالك فهو لك . فقال أى ثابت : ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحى كعب بن أسد قال : قتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حيى بن أخطب؟ قال : قتل . قال : فما فعل مقدمنا إذا شددنا ، وحامينا إذا كررنا أعزال بن سموءل؟ قال : قتل قال : فما فعل المجلسان؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ، قال : ذهبوا قتلوا ، قال : وإنى أسألك بيدى عندك يا ثابت إلاّ ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فها أنا صابر لله حتى ألقى الأحبة ، فقدّمه ثابت فضرب عنقه ، فلمّا بلغ قوله أبا بكر ألقى الأحبة ، فقال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً ، فقال ثابت بن قيس فى ذلك :

وفت ذمّتى أنى كريم وأننى ... صبور إذا ما القوم حادوا عن الصبر
وكان زبير أعظم الناس منّة ... علىَّ فلما شد كوعاه بالأسر
أتيت رسول الله كى ما أفكّه ... وكان رسول الله بحراً لنا يجرى

قالوا : وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أُسر منهم ، فسألته سليمى بنت قيس أُم المنذر أخت سليط بن قيس ـ وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وكانت قد صلّت معه القبلتين وبايعته بيعة النساء ـ رفاعة بن سموءل القرظى وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بها وكان يعرفها قبل ذلك فقال : يا نبى الله بأبى أنت وأُمى هب لى رفاعة بن سموءل ، فإنه زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ، فوهبه لها فاستحيته قالوا : ثمّ إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سهمان للخيل وسهمان للرجال ، وأخرج منها الخمس ، وكان للفارس ثلاثة أسهم : للفرس سهمان وللفارس سهم ، وللرّاجل ممن ليس له فرس سهم ، وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسًا ، وكان أول فىء وقع فيه السهمان ، وأخرج منه الخمس فعلى سنتها وما مضى من رسول الله فيها وقعت المقاسم ومضت السنّة فى المغازى ، ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسبايا

من سبايا بنى قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحًا.

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن حنافة إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهى فى ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركنى فى ملكك فهو أخف على وعليك فتركها، وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلاّ اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد فى نفسه بذلك من أمرها، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: إنّ هذا لثعلبة بن شعبة يبشرنى بإسلام ريحانة، فجاءه فقال: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك.

فلما انقضى شأن بنى قريظة الفجر خرج سعد بن معاذ، وذلك أنّه دعا بعد أنْ حكم فى بنى قريظة ما حكم فقال: اللهم إنّك قد علمت أنه لم يكن قوم أحبّ إلى من أن أجاهدهم من قوم كذّبوا رسولك، اللهم إنْ كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئًا فأبقنى لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التى ضرب عليها فى المسجد.

قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، فوالذى نفس محمد بيده إنّى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وإنى لفى حجرتى، قالت: وكانوا كما قال الله عز وجل: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩).

قال علقمة: أى أمّه كيف كان يصنع رسول الله ﷺ؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا اشتد وجده فإنّما هو آخذ بلحيته، قال محمد بن إسحاق: لم يقتل من المسلمين يوم الخندق إلاّ ستة نفر، وقتل من المشركين ثلاثة نفر، وقتل يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة طرحت عليه رحى فشدخته فقط.

ولمّا انصرف رسول الله ﷺ من الخندق وقريظة قال: الآن نغزوهم - يعنى قريشًا - ولا يغزوننا، فكان كذلك حتّى فتح الله على رسوله مكة، وكان فتح بنى قريظة فى آخر ذى القعدة سنة خمس للهجرة فذلك قول الله عز وجلّ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ أى حصونهم ومعاقلهم، واحدها صيصية، ومنه قيل لقرن البقر صيصية، ولشوكة الديك والحاكة صيصية، وقال الشاعر:

❖ كوقع الصياصى فى النسيج الممدد ❖

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: وهم الرجال ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: وهم النساء

والذارى ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ : بعد. قال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل: يعنى خيبر. قتادة: كنّا نُحدّث أنّها مكة. قال الحسن: فارس والروم. عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

❖ ❖ ❖

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ : متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ : فأطعتنهما ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ : قال المفسرون: كان أزواج النبى ﷺ سألنه شيئًا من عرض الدنيا وآذينه بزيادة النفقة والغيرة، فهجرهن رسول الله ﷺ. وآلى أنْ لا يقربهن شهرًا، ولم يخرج إلى أصحابه صلوات[1]، فقالوا: ما شأنه؟ فقال عمر: إن شئتم لأعلمن لكم ما شأنه، فأتى النبى عليه السلام فجعل يتكلم ويرفع صوته حتى أذن له، قال: فجعلت أقول فى نفسى: أى شىء أكلم به رسول الله ﷺ لعله ينبسط؟ فقلت: يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتنى النفقة، فصككتها صكة فقال: ذلك أجلسنى عنكم.

فأتى عمر حفصة فقال: لا تسألى رسول الله شيئًا ما كانت لك من حاجة فإلى، قال: ثم تتبع نساء النبى ﷺ فجعل يكلمهن، فقال لعائشة: أيعزك أنك امرأة حسناء وأن زوجك يحبك لتنتهن أو لينزلن فيكنّ القرآن، قال: فقالت له أم سلمة: يا ابن الخطاب أوما بقى لك إلا

(١) هذا مما يؤكد عدم دقة هذه الحكاية، وأن الآيات النازلة فى حقهن رضى الله عنهن هى آيات وعظية وتحذيرية خاصة بهن لما لهن من مكان ومكانة فى هذا الدين ليكن على المستوى اللائق والمناسب لهن رضى الله عنهن وليس كلما جاء ذكرهن كان هناك خلاف بينهن وبين النبى ﷺ وكيف يقبل العقل أن رسول الله ﷺ يتخلف عن فرائض الله ويترك المسلمين من أجل حدث خاص فى بيته حاشاه ﷺ أن يفعل هذا ومن صلى حين تخلى هو عن الصلاة أيها الناقلون والسامعون للخبر؟.

أن تدخل بين رسول الله وبين نسائه؟! من يسأل المرأة إلاّ زوجها؟ فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآيات[١].

وكانت تحت رسول الله ﷺ يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبى سفيان، وسودة بنت زمعة، وأمّ سلمة بنت أبى أمية وصفية بنت حيى الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، فلمّا نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهن إليه[٢]، فخيرها وقرأ عليها القرآن، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرئى الفرح فى وجه رسول الله ﷺ وتابعنها على ذلك.

قال قتادة: فلمّا اخترن الله ورسوله، شكرهن الله على ذلك، وقصره عليهن وقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ (الأحزاب: ٥٢) الآية.

أخبرنا عبد الله بن حامد عن محمد بن الحسين عن أحمد بن يوسف عن عبد الرزاق عن معمر، أخبرنى الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: لمّا مضت تسع وعشرون ليلة دخل علىّ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنّك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنّك قد دخلت علىّ من تسع وعشرين أعدهن، فقال: إنّ الشهر تسع وعشرون، ثم قال: يا عائشة إنى ذاكر لك أمرًا فلا عليك أنْ لا تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك، قالت: ثمّ قرأ علىّ هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ حتى بلغ ﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾.

قالت عائشة: قد علم والله أنّ أبوى لم يكونا ليأمرانى بفراقه، قالت: فى هذا أستأمر أبوى؟ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قال معمر: فحدّثنى أيوب أن عائشة قالت: لا تخبر أزواجك أنى اخترتك، فقال النبى ﷺ: إنّما بعثنى الله مبلغًا ولم يبعثنى متعنتًا.

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون عن أحمد بن محمد بن الحسن عن محمد بن يحيى عن عثمان بن عمر عن يونس عن الزهرى عن أبى سلمة أن عائشة قالت: لمّا أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بى، فقال: إنى مخبرك خبراً فلا عليك أنْ لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك،

---

(١) انظر هل هذا يليق من عمر رضى الله عنه أو من نساء النبى ﷺ ورضى الله عنهن أم يرضاه النبى ﷺ من أحد أصحابه على نسائه أعاذنا الله تعالى وإياكم من قبول مثل هذا فى حق آل النبى ﷺ وفى أصحابه رضى الله عنهم.

(٢) إنما كان هذا الحب الذى خُصَّت به السيدة عائشة رضى الله عنها والذى شاع إنما كان سببه الأول هو حب أبى بكر، ثم صغر سنها رضى الله عنها فقد تزوجها ولها تسع سنين فكان يخصها ببعض التدليل الذى يليق بسنها فينظر إليها تلعب بالعرائس والأحصنة ذات الأجنحة وكان يجلسها خلفه لتنظر إلى الحبش وهم يلعبون وكل هذا تقديراً لعامل السن الذى تمر به لا لشىء آخر مما يشاع من أنها حميراء وما شابه هذا.

ثم قال: إن الله عزّ وجلّ قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى بلغ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

قالت: (فقلت)[1]: في هذا أستأمر أبوى؟ فإنّى أُريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبى ﷺ مثل ما فعلتُ.

قوله: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ﴾ قرأ الجحدرى بالتاء. غيره بالياء. ﴿بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بمعصية ظاهرة ﴿يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ﴾ في الآخرة ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ وقرأ ابن عامر وابن كثير: (نُضَعِّف) بالنون وكسر العين مشدداً من غير ألف (العذاب) نصبًا.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب (يُضعَّف) بالياء وفتح العين مشدداً ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ رفعًا. قال أبو عمرو: إنّما قرأت هذه وحدها بالتشديد لقوله: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ وقرأ الباقون نضاعف بالألف ورفع الباء من ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ وهما لغتان مثل باعد وبعد.

وقال أبو عمرو وأبو عبيدة: ضعفت الشىء إذا جعلته مثله، ومضاعفته جعلته أمثاله.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ قوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾: يطع.

قال قتادة: كل قنوت فى القرآن فهو طاعة وقراءة العامة (تقنت) بالتاء وقرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائى وخلف (تَعمَل) (نؤْتها) بالياء. غيرهم بالتاء.

قال الفراء: إنّما قال (يأت) (ويقنت) لأنَّ مَنْ أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ (يونس: ٤٣). وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ (يونس: ٤٢)، وقال: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ﴾. وقال الفرزدق فى الاثنين:

تعال فإنْ عاهــدتنى لا تخوننى تكن مثل من يا ذئب يصطحبان

﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: أى مثلى غيرهن من النساء. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: يعنى الجنة.

أخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه، عن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، عن محمد بن عمران بن هارون، عن أحمد بن منيع، عن يزيد، عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت عن أبى رافع قال: كان عمر يقرأ فى صلاة الغداة بسورة يوسف والأحزاب، فإذا بلغ: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ رفع

---

(١) زيادة يتطلبها السياق ولو سلمنا بصحة القصة لكان أمره لها هنا بأن تخبر أبويها إنما هو حرص منه على مصلحتها لقلة خبرتها نظراً لصغر سنها لا لوازع نفسى أو خوف أن تختار غيره فيخسرها هو وإنما: ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾.

بها صوته، فقيل له، فقال: أُذكّرهنّ العهد.

واختلف العلماء فى حكم التخيير، فقال عمر وابن مسعود: إذا خيّر الرجل امرأته فاختارت زوجها فلا شىء عليه، وإن اختارت نفسها طلقت وإلى هذا ذهب مالك.

وقال الشافعى: إنْ نوى الطلاق فى التخيير كان طلاقًا وإلاّ فلا. واحتج من لم يجعل التخيير بنفسه طلاقًا، بقوله: ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾، وبقول عائشة: خيّرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم نعده طلاقًا.

قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الله فأطعتنه. قال الفرّاء: لم يقل كواحدة، لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث. قال الله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ (البقرة ٢٨٥) وقال: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ (الحاقة: ٤٧).

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾: تلنّ ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾: للرجال ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: أى فجور وضعف إيمان ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: صحيحًا جميلاً.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم بفتح القاف. غيرهم بالكسر، فمن فتح القاف فمعناه واقررن، أى الزمن بيوتكن، من قولك قررت فى المكان، أقرّ قرارًا. وقررت أقر لغتان فحذفت الراء الأولى التى هى عين الفعل ونقلت حركتها إلى القاف فانفتحت كقولهم فى ظللت وظلْت.

قال الله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (الواقعة: ٦٥) ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ (طه: ٩٧) والأصل ظللت فحذفت إحدى اللامين، ودليل هذا التأويل قراءة ابن أبى عبلة واقررن بفتح الراء على الأصل فى لغة من يقول: قررت أقرّ قرارًا.

وقال أبو عبيدة: وكان أشياخنا من أهل العربية ينكرون هذه القراءة وهى جائزة عندنا مثل قوله: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ ومن كسر القاف فهو أمر من الوقار كقولك من الوعد: عدن ومن الوصل صلن، أى كن أهل وقار أى هدوء وسكون وتؤدة من قولهم: وقر فلان يقر وقوراً إذا سكن واطمأن.

أخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى قال: أخبرنى أبو بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدّثنى أبى، عن عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، عن الأعمش عن أبى الضحى قال: حدّثنى من سمع عائشة تقرأ ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ فتبكى حتى تبل خمارها.

أخبرنا عبد الله بن محمد عن حامد بن خالد، عن داود بن سليمان، عن عبد الله بن حميد، عن يزيد بن هارون، عن هشام، عن محمد قال: نُبئت أنَّه قيل لسودة زوج النبى عليه السلام: ما لك لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعلنَّ أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرنى الله تعالى أنْ أقرَّ فى بيتى، فوالله لا أخرج من بيتى حتّى أموت.

قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها. قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ قال مجاهد وقتادة: التبرج التبختر والتكبر والتغنج وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: واختلفوا فيها. قال الشعبى: هى ما بين عيسى ومحمّد عليهما السلام. أبو العالية: هى زمن داود وسليمان وكانت المرأة تلبس قميصًا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها فيه.

الكلبى: الجاهلية التى هى الزمان الذى فيه ولد إبراهيم (عليه السلام)، وكانت المرأة من أهل ذلك الزمان تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشى وسط الطريق ليس عليها شىء غيره، وتعرض نفسها على الرجال، وكان ذلك فى زمان نمروذ الجبار، والناس حينئذ كلهم كفار. الحكم: هى ما بين آدم ونوح ثمانمائة سنة، وكان نساؤهم أقبح ما يكون من النساء ورجالهم حسان. فكانت المرأة تريد الرجل على نفسها.

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية فقال: إنّ الجاهلية الأولى فيما بين نوح وإدريس (عليهما السلام) وكانت ألف سنة، وإنّ بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحًا وفى النساء دمامة وكان نساء السهل صباحًا وفى الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل فى صورة غلام، فآجر نفسه منه، فكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئًا مثل الذى يزمر فيه الرّعاء، فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوه يستمعون إليه، واتخذوا عيدًا يجتمعون إليه فى السنة، فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن، وإنّ رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم، وهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم، فظهرت الفاحشة فيهن[1]. فهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾.

وقال قتادة: هى ما قبل الإسلام ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الإثم الذى نهى الله النساء عنه. قاله مقاتل. وقال قتادة: يعنى السوء.

(١) هذا تأويل لا دليل عليه فلا يعتد به وإنما المراد تحذير النساء من إظهار المفاتن بعد أن مَنّ الله تعالى عليهن بالعفة والتستر ورزقهن حياء الدين وعفة العرض بالإسلام والإيمان ونزول القرآن.

وقال ابن زيد: يعني الشيطان.

﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: يعني يا أهل بيت محمد ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾: من نجاسات الجاهلية. وقال مجاهد ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ الشكّ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ من الشرك.

واختلفوا في المعنى بقوله سبحانه: ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ فقال قوم: عني به أزواج النبي عليه السلام خاصة، وإنّما ذكر الخطاب لأن رسول الله ﷺ كان فيهم وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر.

أخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد بن جعفر، عن الحسن بن علي بن عفان قال: أخبرني أبو يحيى، عن صالح بن موسى عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أُنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية في نساء النبي ﷺ قال: وتلا عبد الله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، عن أحمد بن محمد بن يحيى العبيدي، عن أحمد بن نجدة عن الحماني عن ابن المبارك عن الأصبغ بن علقمة. (ح)[1] وأنبأني عقيل بن محمد قال: أخبرني المعافي بن زكريا عن محمد بن جرير قال: أخبرني ابن حميد عن يحيى بن واضح عن الأصبغ ابن علقمة، عن عكرمة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: ليس الذي تذهبون إليه، إنّما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة.

قال: وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق. وإلى هذا ذهب مقاتل قال: يعني نساء النبي ﷺ كلهن ليس معهنّ رجل.

وقال آخرون: عني به رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم.

وأخبرني عقيل بن محمّد الجرجاني عن المعافي بن زكريا البغدادي، عن محمّد بن جرير، حدّثني ابن المثنى عن بكر بن يحيى بن ريان الغبري، عن مسدل، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت هذه الآية فيَّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾».

وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه قال: أخبرني أبو بكر بن مالك القطيعي، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، عن أبي عبد الله بن نمير، عن عبد الملك يعني ابن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، حدّثني من سمع أُمّ سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي وحسن

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبرى، قالت: وأنا فى الحجرة أُصلى فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. قالت: فأدخلت رأسى البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير.

وأخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله الثقفى، عن عمر بن الخطاب، عن عبد الله بن الفضل، عن الحسن بن على، عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، حدثنى ابن عم لى من بنى الحارث بن تيم الله يقال له: (مجمع)، قال: دخلت مع أُمى على عائشة، فسألتها أمى، فقالت: أرأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنّه كان قدراً من الله سبحانه، فسألتها عن على، فقالت: تسألينى عن أحب الناس كان إلى رسول الله ﷺ، وزوج أحبّ الناس كان إلى رسول الله، لقد رأيت عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا جمع رسول الله ﷺ بثوب عليهم ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

قالت: فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ قال: تنحى فإنك إلى خير.

وأخبرنى الحسين بن محمد عن أبى حبيش المقرئ قال: أخبرنى أبو القاسم المقرئ قال: أخبرنى أبو زرعة، حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة، أخبرنى ابن أبى فديك حدّثنى ابن أبى مليكة عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيّار عن أبيه، قال: لمّا نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة من السماء قال: من يدعو؟ مرتين، فقالت زينب: أنا يا رسول الله، فقال: ادعى لى عليًّا وفاطمة والحسن والحسين. قال: فجعل حسنًا عن يمناه وحسينًا عن يسراه وعليًا وفاطمة وجاهه ثم غشاهم كساء خيبريًا. ثم قال: اللهم لكل نبى أهل، وهؤلاء أهلى، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية.

فقالت زينب: يا رسول الله ألا أدخل معكم؟ فقال رسول الله ﷺ: «مكانك فإنك إلى خير إن شاء الله».

وأخبرنى الحسين بن محمد عن عمر بن الخطاب[1] عن عبد الله بن الفضل قال: أخبرنى أبو بكر بن أبى شيبة عن محمد بن مصعب عن الأوزاعى، عن عبد الله بن أبى عمّار قال: دخلت

(١) فى المخطوط: بعده رضى الله عنه ظنًا من الناسخ أنه الصحابى المعروف بأمير المؤمنين، وإنما هذا محدث من شيوخ شيوخ المؤلف. رحمنا الله وإياهم جميعًا.

على وائلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا عليًا فشتموه فشتمته، فلما قاموا قال لى: أشتمت هذا الرجل؟ قلت: قد رأيت القوم قد شتموه فشتمته معهم.

فقال: ألا أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة أسألها عن على فقالت: توجّه إلى رسول الله ﷺ فجلست فجاء رسول الله ﷺ ومعه على والحسن والحسين كلّ واحد منهما آخذ بيده حتى دخل، فأدنى عليًا وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسنًا وحسينًا كل واحد منهما على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوبه أو قال كساءه، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى وأهل بيتى أحقّ.

وقيل: هم بنو هاشم. أخبرنى ابن فنجويه عن ابن حبيش المقرئ عن محمد بن عمران قال: حدّثنا أبو كريب قال: أخبرنى وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ أنشدكم الله فى أهل بيتى مرتين، قلنا لزيد بن أرقم ومن أهل بيته؟ قال: الذين يحرمون الصدقة آل على وآل عباس وآل عقيل وآل جعفر.

وأخبرنى أبو عبد الله، قال: أخبرنى أبو سعيد أحمد بن على بن عمر بن حبيش الرازى عن أحمد بن عبد الرحمن الشبلى أبو عبد الرحمن قال: أخبرنى أبو كريب عن معاوية بن هشام عن يونس بن أبى إسحاق عن نفيع أبى داود عن أبى الحمراء قال: أقمت بالمدينة تسعة أشهر كيوم واحد، وكان رسول الله ﷺ يجىء كلّ غداة فيقوم على باب على وفاطمة فيقول الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾.

وأخبرنى أبو عبد الله، حدّثنى عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، عن محمد بن إبراهيم بن زياد الرازى، عن الحارث بن عبد الله الخازن، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن عباية بن الربعى، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قسم الله الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهما قسمًا، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٢٧) فأنا خير أصحاب اليمين».

ثمّ جعل القسمين أثلاثًا فجعلنى فى خيرها ثلثًا، فذلك قوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝﴾ (الواقعة: ٧- ١٠) فأنا من السابقين وأنا من خير السابقين ثمّ جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة فذلك قوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ (الحجرات: ١٣) الآية، وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر.

ثمّ جعل القبائل بيوتًا فجعلني في خيرها بيتًا فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.



﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: يعني القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: السنة، عن قتادة، وقال مقاتل: أحكام القرآن ومواعظه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية. وذلك أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به، إنّا نخاف أن لا تقبل منّا طاعة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[1].

وقال مقاتل: قالت أُمّ سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت كعب الأنصارية للنبي ﷺ: ما بال

(١) ما أظن هذه الأقوال ونظائرها صادرة عن هؤلاء العلماء الأفاضل، فإنه من المعلوم أن القرآن لا ينزل على هوى البشر، أيًا كانوا وإنما نزل من عند الله تعالى منجمًا بعد أن كان كله عنده جملة واحدة قبل أن يسلم المسلمون لله تعالى رجالاً ونساءً، ولو تصادف نزول بعض الآيات مع بعض الأحداث فليس المعنى أنه من أجل كذا أنزل كذا ولكنه توافق قدري.

ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء فى شىء من كتابه؟ نخشى أنّ لا يكون فيهن خير ولا لله فيهن حاجة ، فنزلت هذه الآية .

روى عثمان بن حكم عن عبد الرحمن بن شيبة قال : سمعت أُمّ سلمة زوج النبى عليه السلام تقول : قلت للنبى عليه السلام : يا رسول الله ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يُذكر الرجال؟

قلت : فلم يرعنى ذات يوم ظهراً إلاّ بدواه على المنبر وأنا أسرح رأسى فلفقت شعرى ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتى فجعلت سمعى عند الجريدة ، فإذا هو يقول على المنبر : يا أيها الناس إنَّ الله عزّ وجلّ يقول فى كتابه : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ . . . إلى قوله : ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

وقال مقاتل بن حيان : بلغنى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب ، فدخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت : هل نزل فينا شىء من القرآن؟ قلن : لا ، فأتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إنّ النساء لفى خيبة وخسار ، قال رسول الله ﷺ : وممَّ ذلك؟ قالت : لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ إلى آخر الآية .

أخبرنى ابن فنجويه عن ابن شبّه عن الفراتى عن إبراهيم بن سعيد ، عن عبيد الله عن شيبان ، عن الأعمش ، عن على بن الأرقم ، عن الأغر أبى مسلم ، عن أبى سعيد وأبى هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ : مَن استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصلّيا جميعًا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان ، عن أحمد بن محمد بن شاذان عن جيغويه بن محمد ، عن صالح بن محمد عن سليمان بن عمرو ، عن حنظلة التميمى ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس قال : جاء إسرافيل إلى النبى ﷺ فقال : قلْ يا محمد : سبحان الله والحمدُ لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم ، من قالها كتبت له ست خصال ، كتب من الذاكرين الله كثيراً ، وكان أفضل ممّن ذكره الليل والنهار ، وكان له غرس فى الجنة ، وتحاتت عنه ذنوبه كما تتحات ورق الشجر اليابسة ، ونظر الله إليه ، ومن نظر الله إليه لم يعذّبه .

وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله تعالى قائمًا وقاعداً ومضطجعًا . قال عطاء بن أبى رباح : من فوض أمره إلى الله فهو داخل فى قوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ

﴿وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ ومن أقرّ بأنّ الله ربه، وأن محمداً رسوله، ولم يخالف قلبه لسانه، فهو داخل فى قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ ومن أطاع الله فى الفرض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله: ﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ﴾ ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل فى قوله: ﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ﴾ ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل فى قوله: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ﴾ ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه ويساره فهو داخل فى قوله: ﴿وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ﴾ ومن تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو داخل فى قوله: ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ﴾ ومن صام فى كل شهر أيّام البيض، الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل فى قوله: ﴿وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ﴾ ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل فى قوله: ﴿وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ﴾ ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية. نزلت فى زينب بنت جحش بن رئاب ابن النعمان بن حبرة بن مرّة بن غنم بن دودان الأسدية، وأخيها عبد الله بن جحش، وكانت زينب بنت آمنة بنت عبد المطلب عمّة النبى ﷺ، فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ اشترى زيداً فى الجاهلية من عكاظ، وكان من سبى الجاهلية فأعتقه وتبناه، فكان زيد عربياً فى الجاهلية مولى فى الإسلام.

فلمّا خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت، ورأت أنّه يخطبها على نفسه فلمّا علمت أنه يخطبها على زيد أبت وأنكرت وقالت: أنا أتم نساء قريش وابنة عمتك، فلم أكن لأفعل يا رسول الله ولا أرضاه لنفسى، وكذلك قال أخوها عبد الله، وكانت زينب بيضاء جميلة، وكانت فيها حدة فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعنى عبد الله بن جحش وزينب أُخته ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ﴾ قرأ أهل الكوفة وأيوب بالياء واختاره أبو عبيد قال: للحائل بين التأنيث والفعل، وكذلك روى هشام عن أهل الشام وقرأ الباقون بالتاء.

﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾: أى الاختيار وقراءة العامّة (الخيَرة) بكسر الخاء وفتح الياء، وقرأ ابن السميقع بسكون الياء وهما لغتان: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ فلما نزلت هذه الآية قالت: قد رضيت يا رسول الله، وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ، وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً، فدخل بها، وساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير وستين درهمًا وخماراً وملحفة ودرعًا وإزاراً وخمسين مُدًّا من طعام وثلاثين صاعًا من تمر.

وقال ابن زيد: نزلت هذه الآية فى أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط، وكانت أوّل من هاجر

من النساء، فوهبت نفسها للنبى ﷺ، فقال: قد قبلتُ، فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هى وأخوها وقالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ الآية.

وذلك أن زينب مكثت عند زيد حينًا، ثم إن رسول الله ﷺ أتى زيدًا ذات يوم لحاجة، فأبصرها قائمة فى درع وخمار فأعجبته، وكأنها وقعت فى نفسه فقال: سبحان الله مقلّب القلوب! وانصرف.

فلمّا جاء زيد، ذكرت ذلك له ففطن زيد، كرهت إليه فى الوقت، فألقى فى نفس زيد كراهتها، فأراد فراقها، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إنّى أُريد أنْ أفارق صاحبتى. قال: ما لك؟ أرابك منها شىء؟ قال: لا والله يا رسول الله ﷺ ما رأيت منها إلا خيرًا، ولكنها تتعظّم علىّ بشرفها وتؤذينى بلسانها، فقال له النبى ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله، ثم إن زيدًا طلقها بعد ذلك، فلما انقضت عدتُّها، قال رسول الله ﷺ لزيد: ما أجد أحدًا أوثق فى نفسى منك. ائت زينب فاخطبها علىّ.

قال زيد: فانطلقت، فإذا هى تخمر عجينها، فلما رأيتها، عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أنْ أنظر إليها حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهرى، وقلت: يا زينب أبشرى فإنّ رسول الله يخطبك، ففرحت بذلك وقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربى، فقامت إلى مسجدها وأُنزل القرآن: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فتزوجها رسول الله ﷺ[1] ودخل بها، وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها، ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق وهو زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: يعنى زينب بنت جحش وكانت ابنة عمّة النبى ﷺ.

﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: فيها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: أن لو فارقها تزوجتها.

---

(١) معاذ الله أن تقع فى نفس رسول الله ﷺ امرأة لا تحل فأنبياء الله تعالى معصومون من مثل هذه السقطات التى يتعرض لها البشر العاديون، بعصمة الله تعالى لهم، وفى هذه القصة غمز للنبى ﷺ من واضعها، وكيف يكون هذا وهو الذى علم البشر آداب الاستئذان وبين أن الإذن من أجل النظر، وغير ذلك كلام كثير فى هذه الحكاية وما قوله عز وجل فى الآيات هنا: ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه﴾ إلا كقوله فى قصة يوسف عليه السلام: ﴿ولقد همّت به وهمّ بها﴾ فكلا نكل علمه إلى الله عزّ وجلّ مع تبرئة رسل الله من كل عيب أو نقص ونظن الخير كل الخير بهم وفيهم فى كل حال، فعليك أخى القارئ أن تنتبه إلى ما يقال فى حق النبى ﷺ وفى آل بيته الكرام ولا تقبل فى حقهم إلا ما يليق بمنزلتهم التى أنزلهم الله إياها رزقنا الله وإياك الهدى وحسن الختام.

قال ابن عباس: حبها[١]. وقال قتادة: ودّ أنه لو طلقها[١]. ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾: قال ابن عباس والحسن: تستحيهم، وقيل: وتخاف لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها. ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾: قال عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية.

وأخبرني الحسين بن محمد الثقفي عن الفضل بن الفضل الكندي قال: أخبرني أبو العباس الفضل بن عقيل النيسابوري، عن محمد بن سليمان قال: أخبرني أبو معاوية عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: لو كتم النبي ﷺ شيئًا مما أوحي إليه لكتم هذه الآية ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾.

وقد روي عن زين العابدين في هذه الآية ما أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه عن طلحة بن محمد وعبد الله بن أحمد بن يعقوب قالا: قال أبو بكر بن مجاهد عن أبي مهران، حدثني محمد بن يحيى أبو عمر العرني، عن سفيان بن عيينة قال: سمعناه من علي بن زيد بن جدعان يبديه ويعيده قال: سألني علي بن الحسين: ما يقول الحسن في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾؟.

فقلت يقول: لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله إني أريد أن أطلق زينب، فأعجبه[٢] ذلك، قال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ قال علي بن الحسين: ليس كذلك، كان الله عزّ وجلّ قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه فإنّ زيدًا سيطلقها فلما جاء زيد قال: إني أريد أن أطلق زينب، فقال: أمسك عليك زوجك واتق الله. يقول: فلم قلت: أمسك عليك زوجك، وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك. وهذا التأويل مطابق للتلاوة وذلك أنّ الله عزّ وجلّ حكم وأعلم إبداء ما أخفى، والله لا يخلف الميعاد، ثم لم نجده عزّ وجلّ أظهر من شأنه غير التزويج بقوله: ﴿زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾.

فلو كان أضمر رسول الله ﷺ محبتها، أو أراد طلاقها، لكان لا يجوز على الله تعالى كتمانه مع وعده أن يظهره، فدلّ ذلك على أنه عليه السلام إنما عوتب على قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ مع علمه بأنها ستكون زوجته، وكتمانه ما أخبره الله سبحانه به حيث استحيا أن

(١) ما أظن مثل هذ الألفاظ تصدر عن مثل من لهم صدارة في العلم والتفسير ولا يليق بهما أن يقولا مثل هذه الألفاظ وهما العالمان بعصمة النبي ﷺ وحق حرمة امرأة في عصمة زوجها وما عرفنا حقها وصون مكانتها غيره ﷺ فليس هو ولا أحد من الأنبياء يليق في حقه مثل هذا القول، وقائله في إيمانه نظر أو فليراجع إيمانه.

(٢) لا أتكلم عن ضعف الرواية ولكن أنظر إلى عيب من عيوب المتن في هذا اللفظ مثلا هل يليق ذلك به ﷺ.

يقول لزيد: إنّ التى تحتك ستكون امرأتى والله أعلم.

وهذا قول حسن مرضى قوى، وإن كان القول الآخر لا يقدح فى حال النبى ﷺ، لأن العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه لمأثم.

قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ أى حاجته من نكاحها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فكانت زينب تفخر على نساء النبى عليه السلام فتقول: أنا أكرمكنّ وليًا، وأكرمكنّ سفيرًا، زوجكن أقاربكن وزوّجنى الله عزّ وجلّ.

وأخبرنا أبو بكر الجوزقى قال: أخبرنا أبو العباس الدغولى قال: أخبرنى أبو أحمد محمد ابن عبد الوهاب ومحمد بن عبيد الله بن قهراذ جميعًا، عن جعفر (بن محمد) بن عون، عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال: تفاخرت زينب وعائشة، وقالت زينب: أنا التى نزل تزوجى من السماء، فقالت عائشة: أنا التى نزل عذرى فى كتابه حين حملنى ابن المعطل على الراحلة، فقالت زينب: وما قلتِ حين ركبتها؟ قالت: قلت: حسبى الله ونعم الوكيل قالت: كلمة المؤمنين[1].

وأنبأنى عقيل بن محمد أنّ المعافى بن زكريا أخبره عن محمد بن جرير، عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن الشعبى قال: كانت زينب تقول للنبى عليه السلام: إنى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: جدّى وجدّك واحد، وإنى أنكحنيك الله فى السماء، وإنّ السفير لجبرئيل.

قوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ الذين تبنوه ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾: بالنكاح وطلقوهن أو ماتوا عنهن: قال الحسن: كانت العرب تظنّ أنّ حرمة المتبنى مشبكة كاشتباك الرحم، فميز الله تعالى بين المتبنى وبين الرحم ولذا (بيّن)[2] لهم أنّ حلائل الأدعياء غير محرمة عليهم لذلك قال: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (النساء: ٢٣) فقيّد ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾: كائنًا لا محالة، وقد قضى فى زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ﴾ أحل الله ﴿لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾: أى كسنّة الله، نصب بنزع حرف الخافض، وقيل: فعل سنّةَ الله، وقيل: على الإغراء، أى

---

(١) معاذ الله أن تتفاخر نساء بيت النبوة بينهن وقد نهى المسلمون عن التفاخر أيًا كان نوعه وإنما أمروا بالتحدث بنعم الله تعالى عليهم فمثل هذا القول لا يقبل فى حقهن فلسن كسائر النساء وإن كُنّ غير معصومات غير أن ما سيق فى الخبر من أبسط ما جاء الإسلام لينهى عنه.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

ابتغوا سنة الله فى الأنبياء الماضين، أى لا يؤاخذهم بما أحل لهم.

وقال الكلبى ومقاتل: أراد داود (عليه السلام)، حين جمع الله بينه وبين المرأة التى هويها، فكذلك جمع بين محمد وزينب حين هويها[١]، وقيل: الإشارة بالسنة إلى النكاح، وإنّه من سنّة الأنبياء وقيل: إلى كثرة الأزواج مثل قصة داود وسليمان (عليهما السلام).

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: ماضيًا كائنًا. وقال ابن عباس: وكان من قدره أن تلد تلك المرأة التى ابتلى بها داود ابنا مثل سليمان وتهلك من بعده.

❖ ❖ ❖

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا

(١) كيف يقبل مثل هذا القول فى حق أنبياء الله تعالى، ومن صدق مثل هذا فإنما قبل مثل عقيدة النصارى فى داود عليه السلام وغيره من الأنبياء الذين اتهمتهم اليهود بأبشع التهم أعاذنا الله وإياكم من قبول مثل هذا فى حق أنبياء الله ورسله فرسل الله بشر لا جدال فى ذلك لكنهم خصهم الله سبحانه بخصائص لم يخص بها غيرهم وعصمهم من السقطات التى يسقط فيها غيرهم من البشر العاديين فرسائل الأنبياء للهداية لا للهوى والهواية أعاذنا الله وإياكم من مثل هذه الاعتقادات المهلكة.

فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ محل الذين خفض على النعت على الذين خلوا ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ : لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ : حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبتهم عليها، ثم نزلت في قول الناس إنّ محمداً تزوج امرأة ابنه ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ : الذين لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، يعني زيداً، وإنّما كان أبا القاسم والطيب والمطهر وإبراهيم.

﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ : أي آخرهم ختم الله به النبوّة فلا نبي بعده، ولو كان لمحمد ابن لكان نبيًا[١].

---

(١) ليس حتمًا أن يكون ابن النبي نبيًا ولا ابن الرسول رسولاً، وإنما حدث ذلك مع بعض الأنبياء دون بعض وهي هبة من الله واصطفاء وهذا من علوم الغيب وقدر الله فلا يدري ما كان يكون لو بقي له ابن بعده فالحمد لله على ما قدر، ولا خير إلا فيما اختار لنا ولنبيه.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان عن مكى بن عبدان، عن عبد الرحمن عن سفيان، عن الزهرى، عن محمد بن جبير، عن أبيه، عن النبى ﷺ قال: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى.

واختلف القراء فى قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فقرأ الحسن وعاصم بفتح التاء على الاسم، أى آخر النبيين. كقوله: خاتمه مسك، أى آخره، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل، أى أنه خاتم النبيين بالنبوة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذۡكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾.

قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلاّ جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها فى حال العذر، غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهى إليه، ولم يعذر أحدًا فى تركه إلا مغلوبًا على عقله، وأمرهم فى الأحوال كلها فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ (النساء:١٠٣) وقال: ﴿ٱذۡكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾ بالليل والنهار وفى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحّة والسقم والسرّ والجهر وعلى كلّ حال. وقال مجاهد: الذكر الكثير أنْ لا تنساه أبدًا.

أخبرنى ابن فنجويه عن ابن شبه عن الفراتى، عن عمرو بن عثمان، عن أبى، عن أبى لهيعة، عن دراج، عن أبى الهيثم، عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ قال: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون[1] ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: وصلّوا له ﴿بُكۡرَةً﴾: يعنى صلاة الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾: يعنى صلاة العصر عن قتادة.

وقال ابن عباس: يعنى صلاة العصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعنى قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، فعبر بالتسبيح عن أخواته، فهذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ﴾ بالرحمة. قال السدى: قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلى ربُّنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه أن قل لهم: إنى أصلى، وإن صلاتى رحمتى، وقد وسعت رحمتى كل شىء.

(١) هذا حديث ضعيف اشتهر على ألسنة الناس خصوصًا من يسمون بالصوفية وما جاء الإسلام إلا بالعقل والتعقل وما حصن إلاّ على السكينة والوقار، وما دعا إلا إلى الاستقامة والاقتصاد والوسيطة فى الأمور كلها، والذكر من تلك الأمور والإكثار منه هنا إنما يكون على ما وصف الله تعالى فى حركات الإنسان وسكناته كالقيام والقعود والاضطجاع أى كن أيها العبد الربانى ذاكرًا لربك فى عملك وسلوكك قولا وعملاً يظهر ذلك فى حسن أخلاقك وأدائك لما كلفت به من أعمال.

وقيل: (يصلى) يشيع لكم الذكر الجميل فى عباده. وقال الأخفش: يبارك عليكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾: بالاستغفار والدعاء ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

قال أنس بن مالك: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ﴾ (الأحزاب: ٥٦) الآية، قال أبو بكر: ما خصّك الله بشرف إلاّ وقد أشركتنا فيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾: أى تحية المؤمنين ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: أى يرون الله عزّ وجلّ ﴿سَلَٰمٌ ۚ﴾ أى يسلم عليهم ويسلمهم من جميع الآفات والبليات.

أخبرنى ابن فنجويه، عن ابن حيان، عن ابن مروان عن أبى، عن إبراهيم بن عيسى، عن على بن على، حدثنى أبو حمزة الثمالى فى قوله عزّ وجلّ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ﴾ قال: تسلم عليهم الملائكة يوم القيامة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم. وقيل: هو عند الموت والكناية مردودة إلى ملك الموت كناية عن غير مذكور.

أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين، عن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، عن إسحاق بن محمد بن الفضل الزيات، عن محمد بن سعيد بن غالب، عن حمّاد بن خالد الخياط، عن عبد الله بن واقد أبو رجاء، عن محمد بن مالك عن البراء بن عازب فى قوله عزّ وجلّ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ﴾ قال: يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلاّ سلّمَ عليه.

وأخبرنى الحسين بن محمد عن ابن حبيش المقرئ، حدّثنى عبد الملك بن أحمد بن إدريس القطان بالرقة، عن عمر بن مدرك القاص قال: أخبرنى أبو الأخوص محمد بن حيان البغوى، عن حماد بن خالد الخياط، عن خلف بن خليفة، عن أبى هاشم، عن أبى الأخوص، عن ابن مسعود قال: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربّك يقرئك السلام.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: وهو الجنة.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ يستضىء به أهل الدين. قال جابر بن عبد الله: لمّا نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ (الفتح: ١) الآيات، قال الصحابة: هنيئًا لك يا رسول الله هذه العارفة، فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ اصبر عليهم ولا تكافئهم نسختها آية القتال(١): ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

(١) قلت كثيراً إن هناك خلافًا بين العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ وهنا لا داعى للقول بذلك فإنما هى دعوة إلى =

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: تحصونها عليهن بالأقراء والأشهر ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أى أعطوهن ما يستمتعن به. قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقًا، فإذا فرض لها صداقًا فلها نصفه، وقال قتادة: هذه الآية منسوخة[1] بقوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ (البقرة:٢٣٧) وقيل: هو أمر ندب، فالمتعة مستحبة ونصف المهر واجب ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ وخلوا سبيلهن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: بالمعروف، وفى الآية دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع خصّ أو عمّ خلافًا لأهل الكوفة.

أخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه، عن ابن شنبة، عن عبد الله بن أحمد بن منصور الكسائى، عن عبد السلام بن عاصم الرازى، قال: أخبرنى أبو زهير، عن الأحلج، عن حبيب بن أبى ثابت قال: كنت قاعداً عند على بن الحسين، فجاءه رجل فقال: إنى قلت: يوم أتزوج فلانة بنت فلان فهى طالق. قال: اذهب فتزوجها، فإن الله عزّ وجلّ بدأ بالنكاح قبل الطلاق، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ ولم يقل إذا طلقتموهن ثمّ نكحتموهن ولم يره شيئًا. والدليل عليه ما أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، عن عمر ابن أحمد بن القاسم النهاوندى قال: أخبرنى أبو بكر محمد بن إبراهيم المنذر النيسابورى بمكة، عن الربيع بن سليمان، عن أيوب بن سويد، عن ابن أبى ذيب عن عطاء، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طلاق قبل نكاح».

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾: مثل صفية وجويرية ومارية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ﴾: من نساء عبد المطلب ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ﴾: من نساء بنى زهرة ﴿ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: فمن لم تهاجر منهن فليس له نكاحها. وقرأ ابن مسعود: ﴿ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ﴾ بواو.

أنبأنى عقيل بن محمد بن المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير قال: أخبرنى أبو كريب، عن عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدى، عن أبى صالح، عن أمّ هانى قالت: خطبنى رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرنى ثم أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ...﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ﴾ قالت: فلم أحلّ له لأنى لم أُهاجر معه كنتُ من الطلقاء.

= دعوة أعداء هذا الدين بالرفق فإن لم تفلح معهم وكنت أو كان المسلمون على تمكن من ردعهم بعد البلاغ والنصح فليفعلوا. وإلا فليصبروا.

(١) سبق الكلام قبل قليل عن النسخ.

﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً﴾ : أى وأحللنا لك امرأة مؤمنة ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ بغير مهر. وقرأ العامة إن بكسر الألف على الجزاء والاستقبال، وقرأ الحسن بفتح الألف على المضى والوجوب، ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ : فله ذلك ﴿خَالِصَةٗ﴾ : خاصة ﴿لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ : فليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير شهود ولا ولى ولا مهر إلا النبى عليه السلام، وهذا من خصائصه فى النكاح، كالتخيير والعدد فى النساء، وما روى أنه أعتق صفية وجعل عتقها صداقها ولو تزوجها بلفظ الهبة لم ينعقد النكاح، هذا قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء ومالك والشافعى وربيعة وأبى عبيد وأكثر الفقهاء.

وقال النخعى وأهل الكوفة: إذا وهبت نفسها منه وقبلها بشهود ومهر فإنَّ النكاح ينعقد والمهر يلزم به، فأجازوا النكاح بلفظ الهبة. وقالوا: كان اختصاص النبى عليه السلام فى ترك المهر. والدليل على ما ذهب الشافعى إليه: أنّ الله تعالى سمى النكاح باسمين التزويج والنكاح، فلا ينعقد بغيرهما.

واختلف العلماء فى التى وهبت نفسها لرسول الله، وهل كانت امرأة عند رسول الله ﷺ؟ فقال ابن عباس ومجاهد: لم يكن عند النبى ﷺ امرأة وهبت نفسها منه، ولم يكن عنده (عليه السلام) امرأة إلا بعقد النكاح أو ملك اليمين، وإنّما قال الله تعالى ﴿إِن وَهَبَتۡ﴾ : على طريق الشرط والجزاء.

وقال الآخرون: بل كانت عنده موهوبة، واختلفوا فيها. فقال قتادة: هى ميمونة بنت الحارث، قال الشعبى: زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار. قال على بن الحسين والضحّاك ومقاتل: أمّ شريك بنت جابر من بنى أسد. قال عروة بن الزبير: خولة بنت حكيم ابن الأوقص من بنى سليم.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ : يعنى أوجبنا على المؤمنين ﴿فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ قال مجاهد: يعنى أربعًا لا يتجاوزونها.

قتادة: هو أنْ لا نكاح إلاّ بولى وشاهدين ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ : يعنى الولائد والإماء ﴿لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ﴾ : فى نكاحهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

قوله: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ أى تؤخّر ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾ : وتضمّ ﴿إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ : واختلف المفسرون فى معنى الآية، فقال أبو رزين ابن زيد: نزلت هذه الآية حين غارت بعض أمهات المؤمنين على النبى ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة، فهجرهن رسول الله ﷺ شهراً حتى نزلت آية التخيير، وأمره الله عزّ وجلّ أنْ يخيرهن بين الدنيا والآخرة، وأن يخلى سبيل من اختارت

الدنيا، ويمسك من اختارت الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبدًا، وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء ويرجى منهن من يشاء فيرضين به، قسم لهن أو لم يقسم، أو قسم لبعضهنّ ولم يقسم لبعضهن، أو فضل بعضهن على بعض فى النفقة والقسمة والعشرة أو ساوى بينهن، ويكون الأمر فى ذلك كلّه إليه، يفعل ما يشاء، وهذا من خصائصه (عليه السلام). فرضين بذلك كلّه واخترنه على هذا الشرط، وكان رسول الله ﷺ مع ما جعل الله له من ذلك ساوى بينهنّ فى القسم إلاّ امرأة منهنّ أراد طلاقها فرضيت بترك القسمة لها وجعل يومها لعائشة وهى سودة بنت زمعة.

وروى منصور عن أبى رزين قال: لمّا نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن: يا نبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، ودعنا على حالنا، فنزلت هذه الآية، فكان ممن أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأُمّ حبيبة، فكان يقسم لهنّ ما شاء كما شاء، وكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأُمّ سلمة وزينب رحمة الله عليهن، كان يقسم بينهن سواء لا يفضل بعضهن على بعض، فأرجأ خمسًا وآوى أربعًا.

وقال مجاهد: يعنى تعزل من تشاء منهن بغير طلاق، وترد إليك من تشاء منهن بعد عزلك إيّاها بلا تجديد مهر وعقد.

وقال ابن عباس: تطلق من تشاء منهنّ وتمسك من تشاء.

وقال الحسن: تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء أمّتك. قال: وكان النبى عليه السلام إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أنْ يخطبها حتى يتزوجها رسول الله ﷺ أو يتركها.

وقيل: وتقبل من تشاء من المؤمنات اللاتى يهبن أنفسهن لك، فتؤويها إليك، وتترك من تشاء فلا تقبلها.

روى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها كانت تعير النساء اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وقالت: أما تستحى امرأة أن تهب أو تعرض نفسها على رجل بغير صداق، فنزلت هذه الآية، قالت عائشة: فقلت لرسول الله إنّ ربّك ليسارع لك فى هواك[1].

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾: أى طلبت وأردت إصابته ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: فأصبتها وجامعتها بعد العزل ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: فأباح الله تعالى له بذلك ترك القسم لهن حتى إنه ليؤخر من شاء منهن فى وقت نوبتها، فلا يطأها ويطأ من شاء منهن فى غير نوبتها، فله أن يردّ إلى فراشه من عزلها،

(١) أيليق أن توصف عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بهذه الصفات من تعيير المؤمنات الواهبات أنفسهن لرسول الله ﷺ، ثم هل يليق بها أن تقول مثل هذا القول لرسول الله ﷺ. بل هى أكرم من ذلك وأعف.

فلا حرج عليه فيما فعل تفضيلاً له على سائر الرجال وتخفيفًا عنه. وقال ابن عباس: يقول: إنّ من فات من نسائك اللاتى عندك أجرًا وخليت سبيلها، فقد أحللت لك، فلا يصلح لك أن تزداد على عدد نسائك اللاتى عندك.

﴿ذَٰلِكَ﴾: الذى ذكرت ﴿أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ﴾: أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله وبأمره، وأن الرخصة جاءت من قبله ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾: من التفضيل والإيثار والتسوية ﴿كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾: من أمر النساء والميل إلى بعضهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ[(١)] لَكَ﴾ بالتاء أهل البصرة، وغيرهم بالياء ﴿ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾: أى من بعد هؤلاء النساء التسع اللاتى خيرتهن فاخترنك لما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، قصره عليهن، وهذا قول ابن عباس وقتادة: وقال عكرمة والضحاك: لا يحلّ لك من النساء إلاّ اللاتى أحللناها لك وهو قوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ ثم قال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ التى أحللنا لك بالصفة التى تقدم ذكرها.

روى داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى عن زياد رجل من الأنصار قال: قلت لأبى ابن كعب: أرأيت لو مات نساء النبى ﷺ أكان يحلّ له أن يتزوج؟ فقال: وما يمنعه من ذلك وما يُحرم ذلك عليه؟ قلت: قوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ فقال: إنّما أحلّ الله له ضربًا من النساء فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ...﴾ ثم قال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾.

وقال أبو صالح: أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا عربية ويتزوج بعد من نساء قومه من بنت العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاثمائة. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: معناه لا يحل لك النساء من غير المسلمات فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك، ولا ينبغى أن يكن من أمهات المؤمنين.

وقال أبو رزين: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ يعنى الإماء بالنكاح. ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ قال مجاهد وأبو رزين: يعنى ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى والمشركين ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: من السبايا والإماء الكوافر.

وقال الضحاك: يعنى ولا تبدّل بأزواجك اللاتى هن فى حبالك أزواجًا غيرهن، بأن تطلقهن وتنكح غيرهن، فحرّم على رسول الله ﷺ طلاق النساء اللواتى كن عنده، إذ جعلهن

(١) فى المخطوط: «تحلى»، وإنما أثبت ما هو مرسوم فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع فتابع ما يقول المؤلف مع مراعاة ما غيرت، لتفهم قصده.

أُمهات المؤمنين، وحرمهن على غيره حين اخترنه، فأمّا نكاح غيرهن فلم يمنع منه، بل أحل له ذلك إن شاء. يدل عليه ما أخبرناه عبد الله بن حامد الوزان، عن أحمد بن محمد بن الحسين، عن محمد بن يحيى قال: أخبرنى أبو عاصم عن جريج عن عطاء عن عائشة قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء.

وقال ابن زيد: كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يعطى هذا امرأته هذا ويأخذ امرأة ذاك فقال الله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَاجٍ﴾ يعنى تبادل بأزواجك غيرك أزواجه، بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته إلا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت فأمّا الحرائر فلا[1].

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهانى، قال: أخبرنا . . .[2] العبدرى عن أحمد بن محمد بن يحيى العبيدى، عن أحمد بن نجدة، عن الحمانى، عن عبد السلام بن حرب، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة قال: كان البدل فى الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: بادلنى امرأتك وأبادلك بامرأتى، تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَاجٍ ...﴾ قال: فدخل عيينة بن حصين على النبى ﷺ وعنده عائشة فدخل بغير إذن، فقال له النبى ﷺ: «يا عيينة فأين الاستئذان؟» قال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذه عائشة أم المؤمنين». قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق، قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ قد حرم ذلك»، فلما خرج، قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه».

قال ابن عباس فى قوله: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ يعنى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبى طالب، وفيه دليل على جواز النظر إلى من يريد أن يتزوج بها، وقد جاءت الأخبار بإجازة ذلك.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد بن جعفر المطيرى، عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور، عن عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان عن عاصم الأحول، عن بكير بن عبد الله

---

(١) سمى هذا بعض العلماء من أصحاب المذاهب المشهورة بالفروج المستعارة وأباحه، وهذا لا يحل، ولا يقبله عقل أو حس سليم.

(٢) موضع النقط غير مقروء بالمخطوط.

المزنى أنَّ المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج بامرأة، فقال النبى عليه السلام: «فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما».

وأخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد بن جعفر، عن على بن حرب قال: أخبرنى أبو معاوية، عن الحجاج بن أرطأة، عن سهل بن محمد بن أبى خيثمة، عن عمه سليمان بن أبى خيثمة قال: رأيت محمد بن سلمة يطارد نبيتة بنت الضحاك على إجار من أياجير المدينة قلت: أتفعل هذا؟ قال: نعم، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ألقى الله فى قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها».

وأخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد عن بشر بن موسى، عن الحميدى عن سفيان، عن يزيد بن كيسان، عن أبى حازم، عن أبى هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبى ﷺ: «انظر إليها فإنَّ فى أعين نساء الأنصار شيئًا». قال الحميدى: يعنى الصغر. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾: حفيظًا.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ...﴾ قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية فى شأن وليمة زينب. قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بآية الحجاب، ولقد سألنى عنها أبى ابن كعب لما بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة، وبعثت إليه أمى أُمّ سليم بحيس فى تور من حجارة، فأمرنى النبى ﷺ أن أدعو أصحابه إلى الطعام، فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون، ثم يجىء القوم فيأكلون ويخرجون.

فقلت: يا نبى الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقال: ارفعوا طعامكم فرفعوا وخرج القوم، وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فى البيت، فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ وقمت معه لكى يخرجوا، فمشى رسول الله ﷺ منطلقًا نحو حجرة عائشة فقال: «السلام عليكم أهل البيت»، فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟

ثم رجع فأتى حجر نسائه فسلّم عليهن، فدعون له ربه، ورجع إلى بيت زينب، فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون فى البيت، وكان النبى عليه السلام شديد الحياء، فرجع رسول الله ﷺ، فلما رأوا النبى ﷺ ولى عن بيته خرجوا، فرجع رسول الله عليه السلام إلى بيته وضرب بينى وبينه ستراً، ونزلت هذه الآية.

وقال قتادة ومقاتل: كان هذا فى بيت أم سلمة، دخلت عليه جماعة فى بيتها فأكلوا، ثم أطالوا الحديث، فتأذى بهم رسول الله ﷺ فاستحيا منهم أن يأمرهم بالخروج، والله لا يستحيى من الحق، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ إلا

أن تدعوا ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فيؤذن لكم فتأكلوه ﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ﴾ : منتظرين ﴿إِنَىٰهُ﴾ : إدراكه ووقت نضجه، وفيه لغتان أنى وإنى بكسر الألف وفتحها، مثل ألى وإلى ومَعا ومعا، والجمع إناء، مثل آلاء وأمعاء، والفعل منه أنى يأنى إنًّى بكسر الألف مقصور، وآناء بفتح الألف ممدود. قال الحطيئة:

وأنيت العشا إلى سهيل أو الشعرى فطال بى الأنا

وقال الشيبانى:

تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام

وفيه لغة أخرى: آن يأين أينًا. قال ابن عباس: نزلت فى ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام الرسول ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت هذه الآية. و﴿غَيْرَ﴾ : نصب على الحال ﴿وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ : أكلتم الطعام ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ : فتفرقوا واخرجوا من منزله ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ : طالبين الأنس بحديث، ومحله خفض مردود على قوله: ﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ﴾ ولا غير ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ : أى لا يترك تأديبكم وحملكم على الحق ولا يمنعه ذلك منه.

حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب لفظًا قال: أخبرنى أبو موسى عمران بن موسى بن الحصين قال: أخبرنى أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال: أخبرنى أبو عمرو عثمان ابن خرزاد الأنطاكى، عن عمرو بن مرزوق، عن جويرية بن أسماء قال: قرئ بين يدى إسماعيل بن أبى حكيم هذه الآية فقال: هذا أدب أدَّب الله به الثقلاء.

وسمعت الحسن بن محمد بن الحسن يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن محمد يقول: سمعت الغلابى يقول: سمعت ابن عائشة يقول: حسبك فى الثقلاء أنّ الله تعالى لم يحتملهم وقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ أخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد ابن يعقوب، عن محمد بن سنان الفزار، عن سهيل بن حاتم، عن ابن عون، عن عمرو بن سعيد، عن أنس بن مالك قال: كنت مع النبى ﷺ وكان يمر على نسائه، فأتى أولاً (من)[1] عرس بها حديثًا فإذا عندهم قوم [يتحدثون فخرج][2] النبى ﷺ أيضًا فاحتبس فقضى حاجته،

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) موضع ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

ثم جاء وقد ذهبوا، فدخل وأرخى بينه وبينى سترًا قال: فحدثت أبا طلحة فقال: إن كان كما تقول لينزلن شىء فى هذا، فنزلت آية الحجاب.

وأنبأنى عبد الله بن حامد الوزان أنّ الحسين بن يعقوب حدّثه عن يحيى بن أبى طالب عن عبد الوهاب عن حميد عن أنس قال: قال عمر: يا رسول الله، يدخل عليك البرّ والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فنزلت آية الحجاب.

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن محمد الشرقى، عن محمد بن يحيى عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبى، عن صالح بن شهاب، عن عروة بن الزبير: أنّ عائشة قالت: كان عمر بن الخطّاب يقول لرسول الله ﷺ: احجب نساءك، فلم يفعل، وكان أزواج النبى ﷺ يخرجن ليلاً إلى ليل قبل المناصع وهو صعيد أقبح، فخرجت سودة بنت زمعة، وكانت امرأة طويلة فرآها عمر وهو فى المجلس فقال: قد عرفتك يا سودة حرصًا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله الحجاب.

وأخبرنا عبد الله بن حامد إجازة، عن محمد بن يعقوب، عن الحسين بن على بن عفان قال: أخبرنى أبو أسامة، عن مخالد بن سعيد، عن عامر قال: مرَّ عمر على نساء النبى ﷺ وهو مع النساء فى المسجد فقال لهن: احتجبن، فإنَّ لكنّ على النساء فضلا، كما أن لزوجكن على الرجال الفضل، فلم يلبثوا إلا يسيرًا حتى أنزل الله آية الحجاب.

وروى عطاء بن أبى السائب عن أبى وائل عن ابن مسعود قال: أمر عمر بن الخطاب نساء النبى ﷺ بالحجاب فقالت زينب: يا بن الخطّاب إنّك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾.

وقيل فى سبب نزول الحجاب ما أخبرنا أحمد بن محمد أنّ المعافى حدثه عن محمد بن جرير قال: حدثنى يعقوب بن إبراهيم، عن هشام، عن ليث، عن مجاهد: أنّ رسول الله ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة وكانت معهم، فكره النبى ذلك، فنزلت آية الحجاب.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على المزكى قال: أخبرنى أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين الماسرخسى، عن شيبان بن فروخ الأبلى، عن جرير بن حازم، عن ثابت البنائى، عن أنس بن مالك قال: كنت أدخل على رسول الله ﷺ بغير إذن، فجئت يومًا لأدخل فقال: مكانك يا بنى، قد حدث بعدك أنْ لا يدخل علينا إلاّ بإذن.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ يعنى وما ينبغى وما يصلح لكم ﴿أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟

أَزْوَاجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ : نزلت فى رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحن عائشة بنت أبى بكر.

أنبأنى عقيل بن محمد، عن المعافى بن زكريا، عن محمد بن جرير، عن محمد بن المثنى، عن عبد الوهاب، عن داود عن عامر أنّ النبى ﷺ مات وقد ملك قتيلة بنت الأشعث بن قيس ولم يجامعها، فتزوجها عكرمة بن أبى جهل بعد ذلك، فشق على أبى بكر مشقة شديدة، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله إنّها ليست من نسائه، إنّها لم يخيرها رسول الله ﷺ ولم يحجبها، وقد برّأها منه بالردة التى ارتدت مع قومها قال: فاطمأن أبو بكر وسكن.

وروى معمر عن الزهرى: أنَّ العالية بنت طيبان التى طلّقها النبى ﷺ تزوجت رجلاً وولدت له، وذلك قبل أن يحرم على الناس أزواج النبى عليه السلام.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ...﴾

قال ابن عباس: لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ ونحن أيضًا نكلمهن من وراء حجاب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ .

﴿وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ : فى ترك الاحتجاب من هؤلاء وأن يروهن. وقال مجاهد: لا جناح عليهن فى وضع جلابيبهن عندهم.

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ .

❖ ❖ ❖

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٦٢ يَسْـَٔلُكَ

ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ﴾: قراءة العامة بنصب التاء وقرأ ابن عباس: ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ بالرفع عطفًا على محل قوله: ﴿ٱللَّهَ﴾ قبل دخول إنّ، نظيره قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ (المائدة: ٦٩) وقد مضت هذه المثلة. ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾: أى يثنون ويترحمون عليه ويدعون له. وقال ابن عباس: يتبركون. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾: ترحموا عليه وادعوا له ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾: وحيوه بتحية الإسلام.

أخبرنا عبد الله بن حامد عن المطرى، عن على بن حرب، عن ابن فضيل، عن يزيد بن أبى زياد، (ح)[1] (و)[2] أخبرنا أبو الحسن بن أبى الفضل العدل، عن إسماعيل بن محمد الصفار، عن الحسين بن عروة، عن هشيم بن بشير، عن يزيد بن أبى زياد، وحدّثنا عبد الرحمن بن أبى ليلى، حدثنى كعب بن عجرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ...﴾ قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قل: اللهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد وبارك على محمّد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد».

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، عن مكى بن عبدان، عن عمّار بن رجاء عن ابن عامر، عن عبد الله بن جعفر، عن يزيد بن مهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبى سعيد الخدرى قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام قد علمنا، فكيف الصلاة عليك؟

قال: «قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم».

وأخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف الفقيه، عن مكى بن عبدان عن محمد بن يحيى قال: فيما قرأت على ابن نافع، وحدّثنى مطرف، عن مالك، عن عبد الله بن أبى بكر، عن محمد ابن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن عمرو بن سليمان الزرقى، أخبرنى أبو حميد الساعدى أنّهم

(١) رمز إحالة زيادة يتطلبها سياق الإسناد، وهى زيادة حديثية.

(٢) زيادة يتطلبها سياق الإسناد للإحالة.

قالوا: يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وبإسناده عن مالك عن نعيم، عن عبد الله بن المجمر، عن محمد بن عبد الله بن زيد الأنصارى، عن أبى مسعود الأنصارى أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن جلوس فى مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله، فكيف نصلى عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتّى تمنينا أنّه لم يسأله، ثم قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنّك حميدٌ مجيد، والسلام كما قد علمتم».

وأخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتى عليه قال: أخبرنا محمّد بن خالد بن الحسن، عن داود ابن سليمان، عن عبد بن حميد قال: أخبرنى أبو نعيم عن المسعودى، عن عون، عن أبى فاختة، عن الأسود قال: قال عبد الله: إذا صليتم على النبى ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، قالوا: فعلمنا، قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيّد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأوّلون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

أخبرنا عبد الخالق بن على قال: أخبرنى أبو بكر بن جنب عن يحيى بن أبى طالب عن يزيد ابن هارون قال: أخبرنى أبو معاوية، عن الحكم بن عبد الله بن الخطاب، عن أُمّ الحسن، عن أبيها قالوا: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ فقال النبى عليه السلام: هذا من العلم المكنون، ولو أنكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم به، إنَّ الله تعالى وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لك، وقال الله تعالى: ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ﴾ جوابًا لذينك الملكين: آمين، ولا أُذكر عند عبد مسلم فلا يصلى علىَّ إلاَّ قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله وملائكته جوابًا لذينك الملكين: آمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ يعنى بمعصيتهم إيّاه ومخالفتهم أمره. وقال عكرمة: هم أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله عزّ وجلّ، وفى بعض الأخبار يقول الله جلّ جلاله: ومن أظلم ممن أراد أن يخلق مثل خلقى فليخلق حبة أو ذرة، وقال (عليه السلام): لعن الله المصورين. وقال ابن عبّاس: هم اليهود والنصارى والمشركون، فأما اليهود

فقالوا: يد الله مغلولة وقالوا: إنَّ الله فقير. وقالت النصارى: المسيح ابن الله وثالث ثلاثة. وقال المشركون: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه.

قال قتادة: في هذه الآية ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم، وقيل: معنى ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ يلحدون في أسمائه وصفاته، وقال أهل المعاني: يؤذون أولياء الله مثل قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢) وقول رسول الله ﷺ حين قفل من تبوك فبدا له أُحد: هذا جبل يحبنا ونحبه، فحذف الأهل، فأراد الله تعالى المبالغة في النهي عن أذى أوليائه فجعل أذاهم أذاه.

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ قال ابن عباس: حين شج في وجهه وكسرت رباعيته وقيل له: شاعر وساحر ومعلم مجنون. وروى العوفي عنه: أنها نزلت في الذين طعنوا على النبي عليه السلام في نكاحه صفية بنت حيي بن أخطب، وقيل: بترك سنته ومخالفة شريعته.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾: من غير أن عملوا ما أوجب الله أذاهم ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

قال الحسن وقتادة: إيّاكم وأذى المؤمن فإنه حبيب ربّه، أحبَّ الله فأحبه، وغضب لربّه فغضب الله له، وإنَّ الله يحوطه ويؤذي من آذاه. وقال مجاهد: يعني يقفونهم ويرمونهم بغير ما عملوا. وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أن ناسًا من المنافقين كانوا يؤذونه ويسمعونه. وقيل: في شأن عائشة. وقال الضحاك والسدي والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا تبرزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون المرأة فيدنون منها، فيغمزونها، فإنْ سكتت اتبعوها، وإنْ زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلاّ الإماء، ولم يكن يومئذ تُعرف الحرة من الأمة ولأن زيهن كان واحدًا، إنّما يخرجن في درع واحد وخمار الحرّة والأمة، فشكون ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ...﴾ ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ أي يرخين أرديتهن وملاحفهن فيتقنعن بها، ويغطين وجوههن ورءوسهن ليعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن ولا يؤذين.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك السنن ﴿رَّحِيمًا﴾: بهنّ إذ سترهن وصانهن. قال ابن عباس وعبيدة: أمر الله النساء المؤمنات أن يغطين رءوسهن ووجوههن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة. قال أنس: مرت جارية بعمر بن الخطاب

متقنعة فعلاها بالدرة وقال: يا لكاع أتشبهين بالحرائر؟ ألقى القناع[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فجور، يعنى الزناة ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: بالكذب والباطل، وذلك أنّ ناسًا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون فى الناس أنهم قتلوا وهزموا، وكانوا يقولون: قد أتاكم العدو ونحوها.

وقال الكلبى: كانوا يحبون أن يفشوا الأخبار، وأن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنولعنك ونحرشنك بهم، ونسلطنك عليهم. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أى لا يساكنونك فى المدينة إلاّ قليلاً حتى يخرجوا منها ﴿مَّلْعُونِينَ﴾: مطرودين، نصب على الحال، وقيل: على الذم ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾: أصيبوا ووجدوا ﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾. قال قتادة: ذُكر لنا أنّ المنافقين أرادوا أنْ يظهروا لما فى قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله فى هذه الآية فكتموه.

وأنبأنى عبد الله بن حامد الأصفهانى عن عبد الله بن جعفر النساوى، عن محمد بن أيّوب عن عبد الله بن يونس، عن عمرو بن شهر، عن أبان، عن أنس قال: كان بين رجل وبين أبى بكر شىء، فنال الرجل من أبى بكر، فغضب رسول الله ﷺ حتى غمر الدم وجهه، فقال: «ويحكم، ذروا أصحابى وأصهارى، احفظونى فيهم لأن عليهم حافظًا من الله عزّ وجلّ، ومن لم يحفظنى فيهم تخلّى الله منه، ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه».

﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: أى كسنة الله ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

قوله: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ ظهرًا لبطن حين يسحبون عليها. وقراءة العامة بضمّ التاء وفتح اللام على المجهول. وروى عن أبى جعفر بفتح التاء واللام على معنى يتقلّب. وقرأ عيسى بن عمر (نُقَلّب) بضم النون وكسر اللاّم. ﴿وُجُوهُهُمْ﴾: نصبًا.

﴿يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾: فى الدنيا ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾: قادتنا ورؤساءنا فى الشرك والضلالة. وقرأ الحسن وابن عامر وأبو حاتم (ساداتنا) جمع بالألف وكسر التاء على جمع الجمع ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: أى مثلى عذابنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ قرأ يحيى بن وثاب وعاصم ﴿كَبِيرًا﴾: بالباء وهى قراءة أصحاب عبد الله. وقرأ الباقون بالثاء، وهى اختيار أبى حاتم وأبى عبيد، ثمّ قالا: إنّا اخترنا الثاء لقوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ

(١) فى المخطوط: «المتاع». وهو تحريف.

﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩) وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ (البقرة: ١٦١) فهذا يشهد للكثرة.

وأخبرنى أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال: سمعت أبا الحسن عبد الله بن محمد بن جعفر بن شاذان البغدادى من حفظه إملاء يقول: سمعت محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلانى بعسقلان ورملة أيضًا يقول: سمعت محمد بن أبى السرى يقول: رأيت فى المنام كأنّى فى مسجد عسقلان وكان رجل يناظرنى وهو يقول: ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ وأنا أقول كثيراً فإذا النبى ﷺ، وكان فى وسط المسجد منارة لها باب، وكان النبى ﷺ يقصدها فقلت: هذا النبى ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله، استغفر لى، فأمسك عنى فجئت عن يمينه فقلت: يا رسول الله، استغفر لى فأعرض عنى، فقمت فى صدره فقلت: يا رسول الله حدّثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله: أنّك ما سئلت شيئًا قط فقلت: لا، فتبسم، ثم قال: «اللهم اغفر له»، فقلت: يا رسول الله إنّى وهذا نتكلّم فى قوله: ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ وهو يقول: ﴿كَبِيرٗا﴾ وأنا أقول: «كثيراً»، قال: فدخل المنارة وهو يقول: كثيراً إلى أن غاب صوته عنى. يعنى بالثاء.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ۝٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ۝٧٣﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾ فطهره الله سبحانه ﴿مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾: كريمًا مقبولاً ذا جاه، واختلفوا فيما آذوا به موسى.

فأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال: أخبرنى أبو حامد بن الشرفى عن محمد ويحيى ابن عبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يوسف قالوا: أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنى أبو بكر المطيرى قال: أخبرنى أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب، عن عبد الرزاق، عن

معمر عن همام بن منبه، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى (عليه السلام) يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلاّ أنه آدر[١]، فذهب مرّة يغتسل وحده فوضع ثوبه على الحجر ففر الحجر بثوبه فجمح فى أثره يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر من بعد ما نظروا إليه، فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربًا».

قال أبو هريرة: إنّ بالحجر ندبًا ستّة أو سبعة أثر ضرب موسى (عليه السلام)[٢].

وروى الحسن وابن سيرين عن أبى هريرة فى هذه الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ موسى كان رجلاً حييًّا ستيرًا لا يكاد يُرى من جلده شىء يستحيى منه، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا: ما يستر هذا الستر إلا من عيب بجلده، إمّا برص وإمّا أدرة، فأراد الله أن يبرئه ممّا قالوا: وإن موسى خلا يومًا وحده، فوضع ثوبه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه بعد الحجر بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، وجعل يقول: ثوبى حجر ثوبى حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل، فنظروا إلى أحسن الناس خلقًا وأعدلهم صورة، وإنّ الحجر قام فأخذ ثوبه فلبسه، فطفق بالحجر ضربًا، وقال الملأ: قاتل الله أفاكى بنى إسرائيل فكانت براءته التى برأه الله منها».

وقال قوم: كان إيذاؤهم إيّاه ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون.

أخبرنى عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أنّ المعافى بن زكريا القاضى أخبره عن محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، حدّثنى على بن مسلم الطوسى، عن عبّاد عن سفيان بن حصين، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن على بن أبى طالب فى قول الله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ ...﴾ قال: صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون، فقال بنو إسرائيل: أنت قتلته، وكان أشد حبًا لنا منك وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى

(١) أى مصاب بتشوه خلقى فى منطقة العورة، فى زعم الراوى أو زعمهم.

(٢) انظر أخى القارئ المسلم الواعى الفطن أتظن أن الله سبحانه وتعالى يكشف عورة من نبيه لأجل قوم كذبوا على ربهم بزعم تبرئته مما قد يكونون عابوه به ولا أظنهم عابوه أو آذوه بهذا فكم هى كثيرة صنوف الأذى الذى آذى به هؤلاء القوم أنبياء الله ولكن لا يكشف الله ستر نبى لأجل قوم مشركين ولا يغرنك أخى المسلم كبر مكانة المصادر التى روت هذا الأثر ونحوه، فلقد روت أيضًا عن موسى عليه السلام أنه فقأ عين ملك الموت، نعم لهذه الكتب جلالتها ومكانتها فى المكتبة الإسلامية غير أن كل كتاب مهما علا شأنه فلا بد أن يصيبه ما يصيبه من الخلل لأنه جهد بشر، ولكن لا نقبل فى أنبياء الله إلا ما يليق بمكانتهم، كما نحفظ لهذه الكتب مكانتها ونترحم على مؤلفيها.

مروا به على بنى إسرائيل، وتكلّمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنّه مات، فبرأه الله من ذلك، فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلاّ الرّخم فجعله الله أصمّ أبكم.

وقال أبو العالية: هو أنّ قارون استأجر مومسة لتقذف موسى (عليه السلام) بنفسها على رأس الملأ، فعصمها الله منه وبرأ موسى من ذلك وأهلك هارون. وقد مضت هذه القصة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: أى حقًا قصدًا، ابن عباس: صوابًا. قتادة ومقاتل: عدلاً. المؤرج: مستقيمًا. عكرمة: هو قول: لا إله إلا الله. ابن حيان: يعنى قولوا فى شأن زينب وزيد قولاً سديدًا ولا تنسبوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يحمل. ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ قيل: كان العرض على أعيان هذه الأشياء، فأفهمهن الله خطابه وأنطقهن. وقيل: عرضها على من فيها من الملائكة. وقيل: عرضها على أهلها كلها دون أعيانها، وهذا كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢) أى أهلها.

﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: مخافة وخشية لا معصية ومخالفة، وكان العرض تخييراً لا إلزامًا﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ﴾: واختلفوا فى الأمانة، فقال أكثر المفسرون: هى الطاعة والفرائض التى فرضها الله على عباده، عرضها على السموات والأرض والجبال، إنْ أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيمًا لدين الله أن لا يقوموا بها وقالوا: لا، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابًا ولا عقابًا.

فقال الله تعالى لآدم: إنّى عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إنْ أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فتحملها آدم صلوات الله عليه وقال: بين أذنى وعاتقى، فقال الله تعالى: أمّا إذا تحمّلت فسأعينك فاجعل لبصرك حجابًا، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقًا، فإذا خشيت فاغلق، واجعل لفرجك لباسًا فلا تكشفه على ما حرمت عليك.

قالوا: فما لبث آدم إلاّ مقدار ما بين الظهر والعصر حتى أُخرج من الجنة. وقال مجاهد: الأمانة الفرائض وحدود الدين. وأبو العالية: هى ما أمروا به ونُهوا عنه. وقال زيد بن أسلم وغيره. هى الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من شرائع الدين.

أنبأنى عقيل بن محمد، عن المعافى بن زكريا، عن محمد بن جرير الطبرى، عن محمد بن

خالد العسقلاني عن عبد الله بن عبد المجيد الحنفي قال: أخبرنا أبو العوام القطان عن قتادة وأبان بن أبي عباس عن خليد العصري عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وأعطى الزكاة من ماله عن طيب نفس - وكان يقول: وايم الله لا يفعل ذلك إلاّ مؤمن - وأدى الأمانة. قالوا: يا أبا الدرداء، وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة. قال: الله عزّ وجلّ لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيره.

وبه عن ابن جرير عن ابن بشار، عن عبد الرحمن، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن أبي بن كعب قال: من الأمانة أنّ المرأة اؤتمنت على فرجها.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه، وقال: هذه أمانة استودعتكها. فالفرج أمانة، والأُذن أمانة، والعين أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له.

وقال بعضهم: هي أمانات الناس، والوفاء بالعهد، فحقّ على كل مؤمن ألا يغش مؤمنًا، ولا معاهدًا في شيء قليل ولا كثير، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس، وقال السدي بإسناده: هي ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده، وخيانته إياه في قتل أخيه - وذكر القصة إلى أن قال: قال الله عزّ وجلّ لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي في الأرض بيتًا؟ قال: اللهم لا.

قال: فإن لي بيتًا بمكة فأته. فقال آدم للسماء: «احفظي ولدي بالأمانة»، فأبت، وقال للأرض فأبت، وقال للجبال فأبت، وقال لقابيل فقال: نعم تذهب وترجع تجد أهلك كما يسرك. فانطلق آدم (عليه السلام)، فرجع وقد قتل قابيل هابيل، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ يعني قابيل حين حمل أمانة آدم ثم لم يحفظ له أهله.

وقال الآخرون: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾: يعني آدم. ثم اختلفت عباراتهم في معنى (الظلوم) و(الجهول)؛ فقال ابن عباس والضحاك: ﴿ظَلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾: غرًا بأمر الله وما احتمل من الأمانة. قتادة: ﴿ظَلُومًا﴾ للأمانة ﴿جَهُولًا﴾: عن حقها. الكلبي: ﴿ظَلُومًا﴾ حين عصى ربه، ﴿جَهُولًا﴾: لا يدري ما العقاب في تركه الأمانة. الحسين بن الفضل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ عند الملائكة لا عند الله.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

❖ ❖ ❖

سورة سبأ

أخبرنا ابن المقرئ عن ابن مطيرة عن إبراهيم بن شريك عن أحمد بن يونس عن سلام بن سليم عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامة عن أبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة سبأ لم يبق نبى ولا رسول إلا كان يوم القيامة له رفيقًا ومصافحًا».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: كما هو له فى الدنيا؛ لأنّ النعم كلها فى الدارين منه، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يدخل ويغيب فيها من الماء والموادّ والحيوانات، ﴿وَمَا يَخْرُجُ

﴿مِنْهَا﴾ من النبات، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من الأمطار، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يصعد ﴿فِيهَا﴾: من الملائكة وأعمال العباد، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الساعة، ثم عاد جلّ جلاله إلى تمجيده والثناء على نفسه، فقال عز من قائل: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾، اختلف القراء فيها، فقرأ يحيى والأعمش، وحمزة، والكسائى: (علاّمِ الغيب) بخفض الميم على وزن فعال، وهى قراءة عبد الله وأصحابه. وقال الفراء: وكذلك رأيتها فى مصحف عبد الله (علاّم).

وقرأ أهل مكة والبصرة وعاصم بجر الميم على مثال فاعل ردًا على قوله، وهى اختيار أبى عبيد فيه، وفى أمثاله يؤثر النعوت على الابتداء.

وقرأ الآخرون (عالمُ) رفعًا بالاستئناف؛ إذ حال بينهما كلام.

﴿لَا يَعْزُبُ﴾: يغيب ويبتعد ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾: وزن نملة، وهذا مثل؛ لأنه سبحانه لا يخفى عليه ما هو دون الذرة. ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾: عملوا فى إبطال أدلتنا والتكذيب بكتابنا ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا. قال ابن زيد: جاهدين، وقرأ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ (فصلت: ٢٦).

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾، قرأ ابن كثير ويعقوب وعاصم برواية حفص والمفضل ﴿أَلِيمٌ﴾: بالرفع على نعت الـ (عذاب). غيرهم بالخفض على نعت الـ (رجز). قال قتادة: الرجز أسوأ العذاب، ومثله فى الجاثية ﴿وَيَرَى﴾ يعنى: وليرى ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يعنى: مؤمنى أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال قتادة: هم أصحاب محمد عليه السلام.

﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: يعنى: القرآن ﴿هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي﴾: يعنى: القرآن ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾: وهو الإسلام.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: منكرين للبعث متعجبين منه: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾: يخبركم، يعنون: محمداً عليه السلام ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾: قطعتم وفرقتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: وصرتم رفاتًا ﴿إِنَّكُمْ﴾: بالكسر على الابتداء والحكاية، مجازه يقول لكم: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿أَفْتَرَىٰ﴾: ألف الاستفهام دخلت على ألف الوصل لذلك نُصب ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون؟ قال الله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۝ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: فيعلموا أنهم حيث كانوا، فإن أرضى وسمائى محيطة بهم، لا يخرجون من أقطارها، وأنا لقادر عليهم ولا يعجزوننى؟

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ : قطعة. قراءة العامة بالنون فى الثلث، وقرأ الأعمش والكسائى كلها بالياء وهو اختيار أبى عبيد قال: لذكر الله عز وجل قبله.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ : تائب مقبل على ربه راجع إليه بقلبه.

❖ ❖ ❖

﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ﴾ مجازه وقلنا: يا جبال ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ : سبحى معه إذا سبح. قال أبو ميسرة: هو بلسان الحبشة، وقال بعضهم: هو التفعيل من الإياب، أى ارجعى معه بالتسبيح. فهذا معنى قول قتادة وأبى عبيد، وقال وهب بن منبه: نوحى معه. ﴿وَالطَّيْرَ﴾ : تساعدك على ذلك، قال: وكان إذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه، فصدى الجبال الذى يسمعه الناس من ذلك اليوم.

ويقال: إن داود كان إذا سبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح. ثم إنه قال ليلة من الليالى فى نفسه: «لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها»، فصعد الجبل، فلما كان فى جوف الليل وهو على الجبل دخلته وحشة، فأوحى الله سبحانه إلى الجبال أن آنسى داود قال: فاصطكت الجبال بالتسبيح والتهليل، فقال داود فى نفسه: «كيف يسمع صوتى مع هذه الأصوات؟» فهبط عليه مالك فأخذ بعضده حتى انتهى به إلى البحر، فركله برجله فانفرج له البحر، فانتهى به إلى الأرض فركلها برجله فانفرجت له الأرض، حتى انتهى به إلى الحوت فركلها برجله فتنحت عن صخرة فركل الصخرة برجله فانفلقت فخرجت منها دودة تنشز، فقال له الملك: إن ربك يسمع نشيز هذه الدودة فى هذا الموضع.

وقال القتيبى: أصله من التأويب فى السير، وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلاً.

قال ابن مقبل:

لحقنا بحى أوّبوا السيرَ بعدما دفعنا شعاعَ الشمسِ والطرفُ مجنحُ

كأنه أراد ادأبى النهار كله بالتسبيح معه، وقيل: سيرى معه كيف يشاء: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ قراءة العامة بالنصب، وله وجهان:

أحدهما بالفعل، مجازه: وسخرنا له الطير، مثل قولك: (أطعمته طعامًا وماء) تريد:

وسقيته ماء، والوجه الآخر النداء كقولك: يا عمرو والصلت أقبلا، نصبت الصلت؛ لأنه إنما يدعى ببيائها فإذا فقدتها كان كالمعدول عن جهته، فنصب، وقيل: مع الطير، فتكون الطير مأمورة معه بالتأويب.

وروى عن يعقوب بالرفع؛ ردًا على الجبال: أى أوبى معه أنت والطير، كقول الشاعر:

ألا يا عمرو والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق

يجوز نصب الضحاك ورفعه.

قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فذكر أن الحديد كان فى يده كالطين المبلول والعجين والشمع، يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد، وكان سبب ذلك على ما روى فى الأخبار أن داود (عليه السلام) لما ملك بنى إسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متنكرًا، فإذا رأى رجلاً لا يعرفه، تقدم إليه يسأله عن داود، فيقول له: «ما تقول فى داوُد واليكم هذا؛ أى رجل هو؟» فيثنون عليه ويقولون: خيرًا فينا هو.

فبينا هو فى ذلك يومًا من الأيام إذ قيض الله ملكًا فى صورة آدمى، فلما رآه داود تقدم إليه على عادته فسأله، فقال له الملك: نعم الرجل هو لولا خصلة فيه. فراع داود ذلك وقال: «ما هى يا عبد الله؟» قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال. قال: فتنبه لذلك، وسأل الله تعالى أن يسبب له سببًا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله، فألان الله له الحديد فصار فى يده مثل الشمع، وعلمه صنعة الدروع، وكان يتخذ الدروع وإنه أول من اتخذها.

فيُقال: إنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف، فيأكل ويطعم عياله منها ويتصدق منها على الفقراء والمساكين، ويقال أيضًا: إنما ألان الحديد فى يده لما أُعطى من القوة.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾: دروعًا كوامل واسعات ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾، أى لا تجعل المسامير دقاقًا فتفلق ولا غلاظًا فتكسر الحلق. فكان يفعل ذلك: وهو أول من اتخذ الدروع، وكانت قبل ذلك صفائح، والسرد: صنعة الدروع، ومنه قيل لصانعها: السراد والزراد والدرع المسرودة، قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تُبّع

وأصله الوصل والنظم، ومنه قيل للخرز: سرد وللأشفى مسرد وسراد. قال الشماخ:

❖ كما تابعت سرد العنان الخوارز ❖

وسرد الكلام.

﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾: يعنى داود وآله ﴿صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝﴾

قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾: قراءة العامة بنصب الحاء، أى وسخرنا لسليمان الريح، وروى أبو بكر والمفضل عن عاصم بالرفع على جر حرف الصفة. ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾: من انتصاف النهار إلى الليل مسير ﴿شَهْرٌ﴾، فجعل ما تسير به فى يوم واحد مسيرة شهرين، وقال وهب: ذُكر لى أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان (عليه السلام)، إما من الجن وإما من الإنس بحر نزلناه وما بنيناه، مبنيًا وجدناه غدوناه من إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه إن شاء الله فبائتون بالشام.

قال الحسن: لما شغلت نبى الله سليمان بن داود الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل، فأبدله الله تعالى مكانها خيراً وأسرع له، تجرى بأمره كيف يشاء ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: وكان يغدو من إيليا فيقيل بإصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل.

وقال ابن زيد: كان له (عليه السلام) مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن فى كل ركن ألف بيت يركب معه فيه من الجن والإنس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب، فإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم، يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر، فلا يدرى القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش.

ويروى أن سليمان (عليه السلام) سار من أرض العراق غاديًا فقال بمدينة مرو، وصلّى العصر بمدينة بلخ تحمله وجنوده الريح ويظلهم الطير، ثم سار من مدينة بلخ متخللاً بلاد الترك، ثم جازهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثله. ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض القندهار، وخرج منها إلى مكران وكرمان ثم جازها حتى أتى أرض فارس فنزلها أيامًا وغدا منها فقال بكسكر، ثم راح إلى الشام، وكان مستقره بمدينة تدمر، وقد كان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق، فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر، وفى ذلك يقول النابغة:

ألا سليمـــان إذ قال الإله له قم فى البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن إنى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمـد

ووجدت هذه الأبيات منقورة فى صخرة بأرض كسكر، أنشأها بعض أصحاب سليمان بن داود (عليهما السلام):

ونحن ولا حول سوى حول ربنا نروح إلى الأوطان من أرض تدمر
إذا نحن رحنا كان ريث رواحنا مسيرة شهر والغـــــدوّ لآخر
أُناس شروا لله طـوعًا نفوسهـم بنصـــر ابن داوُد النبى المطهــر
لهم فى معالى الدين فضل ورفعة وإن نسبوا يومًا فمن خير معشر
متى يركبوا الريح المطيعة أسرعت مبــادرة عن شهرهـــا لم تقصّر
تظلهمُ طير صفـــــوف عليهم متى رفرفت من فوقهـــم لم تنفـر

قوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: وأذبنا له عين النحاس أُسيلت له ثلاثة أيام كما يسيل الماء، وكانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾: يملْ ويعدل ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾: الذى أمرناه به من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: فى الآخرة. عن أكثر المفسرين، وقال بعضهم: فى الدنيا، وذلك أن الله تعالى وكّل بهم ملكًا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ﴾: مساجد ومساكن وقصور، والمحراب: مقدم كل مسجد، ومجلس وبيت. قال عدى:

كدُمى العاج فى المحاريب أو كالـ ـبيض فى الروض زهره مستنير

وكان مما عملوا له من ذلك بيت المقدس، وقصته وصفته على ما ذكره أهل البصر بالسير أن الله تعالى بارك فى نسل إبراهيم (عليه السلام) حتى جعلهم فى الكثرة غاية لا يحصون، فلما كان زمن داود (عليه السلام) لبث فيهم ثلاثين سنة بأرض فلسطين، وهم كل يوم يزدادون كثرة، فأعجب داود بكثرتهم فأمر بعدهم، فكانوا يعدونا زمانًا من الدهر حتى أيسوا وعجزوا أن يحيط علمهم بعدد بنى إسرائيل، فأوحى الله إلى داود: «إنى قد وعدت أباك إبراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصدقنى وائتمر أمرى أن أبارك له فى ذريته، حتى يصيروا أكثر من عدد نجوم السماء وحتى لا يحصيهم العادون، وإنى قد أقسمت أن أبتليهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك إعجابك بكثرتهم» وخيره بين أن يعذبهم بالجوع والقحط ثلاث سنين، وبين أن يسلط عليهم عدوهم ثلاثة أشهر، وبين أن يرسل عليهم الطاعون ثلاثة أيام.

فجمع داود بنى إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله إليه وخيره فيه، فقالوا: أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا، غير أن الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح، فإن كان لا بد فالموت. فأمرهم داود عليه السلام أن يتجهزوا للموت، فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا إلى الصعيد بالذرارى والأهلين، وأمرهم أن يضجوا إلى الله تعالى ويتضرعوا إليه لعله أن يرحمهم، وذلك فى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد. قال: وارتفع داود (عليه السلام) فوق الصخرة فخر ساجداً يبتهل إلى الله تعالى فأرسل الله فيهم الطاعون. فأهلك منهم فى يوم وليلة ما لم يتفرغوا من دفنهم إلا بعد مدة شهرين. فلما أصبحوا من اليوم الثانى سجد داود وسجدوا معه إلى طلوع الشمس فلم يرفعوا رءوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون.

قالوا: فلما أن شفع الله تعالى داود فى بنى إسرائيل فى ذلك المكان جمع داود بنى إسرائيل بعد ثلاثة فقال لهم: «إن الله سبحانه قد منّ عليكم ورحمكم فجددوا له شكراً». فقالوا: كيف تأمرنا. قال: «آمركم أن تتخذوا من هذا الصعيد الذى رحمكم فيه مسجداً لا يزال فيه منكم وممن بعدكم ذاكر».

فلما أرادوا البناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف إخلاصهم فى ثبوتهم فقال لبنى إسرائيل: إنّ لى فيه موضعًا أنا محتاج إليه ولا يحل لكم أن تحجبونى عنه. فقالوا له: يا هذا ما أحد فى بنى إسرائيل إلاّ وله فى هذا الصعيد حق مثل حقك، فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه. فقال: أنا لا أعرف حقى وأنتم لا تعرفون. فقالوا له: إما إن ترضى وتطيب نفسًا، وإلاّ أخذناه كرهًا. فقال لهم: أوتجدون ذلك فى حكم الله وفى حكم داود؟.

قال: فرفعوا خبره إلى داود فقال: «أرضوه». فقالوا: بكم نأخذه يا نبى الله؟ قال: «خذوه بمائة شاة». فقال الرجل: زد. فقال داود: «بمائة بقرة». قال: زد. قال: «مائة إبل». قال: زدنى فإنّ ما تشتريه لله تعالى. فقال داود: «أما إذا قلت هذا، فاحتكم أعطكه» فقال: تشترى منى بحائط مثله زيتونًا ونخلاً وعنبًا. قال: «نعم». فقال: تشتريه لله فلا تبخل. قال: «سل ما شئت أعطكه، وإن شئت أؤاجرك نفسى» قال: وتفعل ذلك يا نبى الله؟ قال: «نعم إذا شئت». قال أنت أكرم على الله من ذلك، ولكنك تبنى حوله جداراً مشرفًا ثم تملؤه ذهبًا، وإن شئت ورقًا. قال داود: «هو هين».

فالتفت الرجل إلى بنى إسرائيل وقال: هذا هو التائب المخلص. ثم قال لداود: يا نبى الله لئن يغفر الله لى ذنبًا واحدًا أحبُّ إلى من كل شىء وهبته لى، ولكنى كنت أجربكم.

فأخذوا فى بناء بيت المقدس، وكان داود (عليه السلام) ينقل لهم الحجارة على عاتقه وكذلك خيار بنى إسرائيل حتى رفعوه قامة. فأوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام): «إنّ هذا بيت مقدس وإنك رجل سفاك للدماء فلست ببانيه إذ لم أقض ذلك على يدك، ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان، أسلمه من سفك الدماء وأقضى إتمامه على يده، وذلك صيته وذكره لك باقيًا».

فصلوا فيه زمانًا، وداود يومئذ ابن سبع وعشرين ومائة سنة، فلما صار من أبناء أربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان. فأحب بناء بيت المقدس، فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحها له. فأرسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والمها الأبيض الصافى من معادنه، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح، وجعلها اثنى عشر ربضًا. وأنزل كل ربض منها سبطًا من الأسباط وكانوا اثنى عشر سبطًا.

فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد، فوجه الشياطين فرقًا، فرقًا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافى من البحر، وفرقًا يقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها، وفرقًا يأتونه بالمسك والعنبر، فأتى من ذلك بشىء لا يُحصيه إلاّ الله تعالى، ثم أحضر الصناعين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحًا، وإصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلئ فكانوا يعالجونها، فتصوت صوتًا شديدًا لصلابتها، فكره سليمان تلك الأصوات. فدعا الجن وقال لهم: «هل عندكم حيلة فى نحت هذه الجواهر من غير تصويت؟».

فقالوا: يا رسول الله، ليس فى الجن أكثر تجارب، ولا أكثر علمًا من صخر العفريت، فأرسل إليه من يأتيك به. فطبع سليمان خاتمه طابعًا - وكان يطبع للشياطين بالنحاس، ولسائر الجن بالحديد - وكان إذا طبع أحدهما بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف، فكان لا يراه أحد: جنى ولا شيطان إلاّ انقاد له بإذن الله عزت قدرته.

فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه وهو فى بعض جزائر البحور، فأروه الطابع، فلما نظر إليه كاد يصعق خوفًا، فأقبل مسرعًا مع الرسل حتى دخل على سليمان (عليه السلام). فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت فى طريقه. فقالوا يا رسول الله إنه كان يضحك بعض الأحايين من الناس. فقال له سليمان (عليه السلام): «ما رضيت بتمردك علىّ فى ترك المجىء إلى طائعًا حتى صرت تسخر بالناس؟».

فقال: يا نبى الله إنى لم أسخر منهم غير أن ضحكى كان تعجبًا مما كنت أسمع وأرى فى

طريقى. فقال سليمان: «وما ذاك؟».

قال: اعلم أنى مررت برجل على شط نهر ومعه بغلة يريد سقيها ومعه جرة يريد أن يستقى فيها، فسقى البغلة وملأ الجرة، ثم أراد أن يقضى حاجته فشد البغلة بأذن الجرة فنفرت البغلة وجرت الجرة فكسرتها، فضحكت من حمق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة.

ومررت برجل وهو جالس عند إسكاف يستعمله فى إصلاح خف له، فسمعته يشترط معه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسى نزول الموت به قبله، فضحكت من غفلته وجهله.

ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لايعلمون من أمر السماء، وقد كنت عهدت رجلاً دفن فى موضع فراشها ذهبًا كثيراً فى الدهور الخالية، فرأيتها تموت جوعًا وتحت فراشها ذهب كثير لا تعلم بمكانه، ثم تخبر الناس عن أمر السماء فضحكت منها.

ومررت برجل فى بعض المدن، وقد كان به داء فيما قيل فأكل البصل فبرأ من دائه، فصار يتطبب للناس، فكان لا يأتيه أحد يسأله من علّة إلا أمره بأكل البصل وإنه لأضر شىء، حتى إن ضره ليصل إلى الدماغ، فضحكت منه.

ومررت ببعض الأسواق فرأيت الثوم وهو أفضل الأدوية كلها يكال كيلاً، ورأيت الفلفل وهو أحد السموم القاتلة يوزن وزنًا فضحكت من ذلك.

ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون إلى الله تعالى ويسألونه المغفرة والرحمة، فملَّ منهم قوم وقاموا، وجاء آخرون وجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم، فأخطأت الذين كانوا من أهل المجلس، وغشيت الذين جاءوا فجلسوا، فضحكت؛ تعجبًا للقضاء والقدر.

قالوا: فقال سليمان له: هل عرفت فى كثرة تجاربك وجولاتك فى البر والبحر شيئًا تنحت به هذه الجواهر فتلين فيسهل نحتها وثقبها فلا تصوت؟ فقال: نعم يا نبى الله، أعرف حجراً أبيض كاللبن يقال له السامور غير أنى لا أعرف معدنه الذى هو فيه، وليس فى الطير شىء هو أحيل ولا أهدى من العقاب. فمر بعقاب أن تجعل فراخه فى صندوق حجر معه ليلة، ثم تسرح ذلك العقاب وتترك فراخه فى الصندوق فإنه سيأتى بذلك الحجر فيضرب به ظهر الصندوق حتى ينقبه به ليصل إلى فراخه.

قال: فأمر سليمان بعقاب مع فراخه فجعله فى صندوق من حجر يومًا وليلة، ثم سرح العقاب دون الفراخ، فمر العقاب وجاء ذلك الحجر بعد يوم وليلة، وثقب به الصندوق حتى وصل إلى فراخه. فوجه سليمان مع العقاب نفراً من الجن حتى أتوه به منه قدر ما علم أن فيه

كفاية ، واستعمل ذلك فى أدوات الصناعين ، فسهل عليهم نحتها من غير تصويت وهو الحجر الذى يستعمل فى نقش الخواتيم وثقب الجواهر إلى اليوم وهو حجر عزيز ثمين .

قال : فبنى سليمان (عليه السلام) المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر ، وعمده بأساطين المها الصافى ، وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر ، وبسط أرضه بألواح الفيروزج ، فلم يكن يومئذ بيت فى الأرض أبهى ولا أنور من ذلك المسجد ، كان يضىء فى الظلمة كالقمر ليلة البدر .

فلما فرغ منه جمع إليه أخيار بنى إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله وأنّ كل شىء فيه خالص لله ، واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيداً .

وقالوا : من أعاجيب ما اتخذ سليمان عليه السلام ببيت المقدس أنّه بنى بيتًا وطيّن حائطه بالخضرة وصقله ، فكان إذا دخله الورع البرّ استبان خياله فى ذلك الحائط أبيض ، وإذا دخله الفاجر استبان فيه خياله أسود . فارتدع عند ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة .

ونصب فى زاوية من زوايا المسجد عصا أبنوس ، فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم يضره مسها ، ومن مسها من غيرهم احترقت يده .

وروى الأوزاعى عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلمى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : «لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثًا فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الله الثالثة : سأله حكمًا يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله أنّ لا يأتى هذا البيت أحد يصلى فيه ركعتين إلاّ خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك» .

قالوا : فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان (عليه السلام) حتى غزا نبوخذ نصر فخرب المدينة وهدمها ، ونقض المسجد ، وأخذ ما كان فى سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر ، فحمله معه إلى دار مملكته من أرض العراق .

قال سعيد بن المسيب : لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه ، فعالجها سليمان فلم تنفتح ، حتى قال فى دعائه : «بصلوات أبى داود إلاّ فتحت الأبواب» .

ففتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قرّاء بنى إسرائيل : خمسة آلاف بالليل ، وخمسة آلاف بالنهار ، فلا تأتى ساعة من ليل ولا نهار إلا والله يعبد فيها .

﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ : أى صور ، كانوا يعملون التماثيل من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام فى المساجد تماثيل الملائكة والنبيين الصالحين ؛ لكى إذا رآهم الناس مصورين عبدوا عبادتهم .

﴿وَجِفَانٍ﴾: أى قصاع، واحدها جفنة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾: كالحياض التى يجبى فيها الماء، أى يجمع، واحدها جابية.

قال الأعشى ميمون بن قيس:

تروح على آل مخلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

أخبرنا أبو بكر الحمشاوى قال: أخبرنى أبو بكر القطيعى إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا سهل السراج قال: سمعت الحسن يقول: (وجفان كالجواب) مثل حياض الإبل، ويقال: إنه كان يجتمع على جفنة واحدة ألف رجل يأكلون بين يديه.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾: ثابتات لا يحوّلن ولا يحركن من أماكنهن لعظمتهن، ولا ينزلن ولا يعطلن وكانت باليمن، ومنه قيل للجبال: رواسى ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾: أى وقلنا: اعملوا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾: مجازه: اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على نعمه، و﴿شُكْرًا﴾: فى محل المصدر. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾: أرسل حمزة (الياء) وفتحها الباقون. قال القرظى: الشكر: تقوى الله والعمل بطاعته.

وحدثونا عن محمد بن يعقوب قال: حدثنا الحصر بن أبان قال: حدثنا سيار قال: حدّثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت ثابتًا يقول: كان داود نبى الله (عليه السلام) قد جزّأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن بأى ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى، فعمهم الله تعالى فى هذه الآية ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾: قال المفسرون: كان سليمان (عليه السلام) يتحرز فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يدخل فيه طعامه وشرابه، فأدخله فى المرة التى مات فيها وكان بدو ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلاّ نبتت فى بيت المقدس شجرة فيسألها: «ما اسمك؟» فتقول الشجرة: اسمى كذا وكذا، فيقول لها: «لأى شىء أنت؟» فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتقطع. فإن كانت نبتت لغرس غرسها وإن كانت لدواء كتب.

فبينما هو يُصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: «ما اسمك؟». قالت: الخروبة. قال: «ولأى شىء نبت؟» قالت لخراب هذا المسجد. فقال سليمان: «ما كان الله ليخربه وأنا حى، أنت التى على وجهك هلاكى، وخراب بيت المقدس». فنزعها وغرسها فى حائط له ثم قال: «اللهم عمِّ على الجن موتى حتى يعلم الإنس أنّ الجن لا يعلمون الغيب».

وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وإنهم يعلمون ما فى غد ـ ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئًا على عصاه فمات.

قال ابن زيد: قال سليمان لملك الموت: «إذا أُمرت بى فأعلمنى». قال: فأتاه فقال: «يا سليمان قد أمرت بك، وقد بقيت لك سويعة».

فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحًا من قوارير ليس له باب، فقام يصلى واتكأ على عصاه، فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه.

وفى رواية أخرى: أن سليمان (عليه السلام) قال ذات يوم لأصحابه: «قد آتانى الله من الملك ما ترون، وما مرّ على يوم فى ملكى بحيث صفا لى من الكدر، وقد أحببت أن يكون لى يوم واحد يصفو لى إلى الليل، ولا أغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدًا».

فلما كان من الغد دخل قصرًا له وأمر بإغلاق أبوابه، ومنع الناس من الدخول عليه، ورفع الأخبار إليه لئلا يسمع ذلك اليوم شيئًا يسوؤه، ثم أخذ عصاه بيده، وصعد فوق قصره واتكأ على عصاه ينظر فى ممالكه، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب من جوانب قصره، فقال: «السلام عليك يا سليمان». فقال: «وعليك السلام، كيف دخلت هذا القصر، وقد منعت من دخوله؟ أما منعك البوّاب والحُجّاب؟ أما هبتنى حيث دخلت قصرى بغير إذنى؟» فقال: «أنا الذى لا يحجبنى حاجب، ولا يدفعنى بوّاب ولا أهاب الملوك، ولا أقبل الرشا وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن» قال سليمان: «فمن أذن لك فى دخوله؟» قال «ربه».

فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت، فقال له: «أنت ملك الموت؟» قال: «نعم»، قال: «فبم جئت؟».

قال: «جئت لأقبض روحك». قال: «يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لى ولا أسمع فيه ما يغمنى». قال: «يا سليمان، إنك أردت يومًا يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه، ذلك اليوم لم يخلق فى أيام الدنيا فارض بقضاء ربك فإنه لا مرد له».

قال: «فامض لما أُمرتَ به».

فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه. قالوا: وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومصلاه أينما كان، فكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه، وكان الشيطان الذى يريد أن يخرج يقول: ألست جليدًا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب، فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر. فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع فلم يسمع،

ثم رجع فوقع فى البيت فلم يحترق فنظر إلى سليمان وقد سقط ميتًا، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته - وهى العصا بلسان الحبشة - قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا مذ كم مات، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت منها يومًا وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات من سنة، وكانت الجن تعمل بين يديه ينظرون إليه ويحسبون أنه حى ولا ينظرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك.

وهى فى قراءة ابن مسعود: فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولاً كاملاً، فأيقن الناس أنّ الجن كانوا يكذبونهم، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له. ثم إنّ الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكنا سننقل إليك الطين والماء. فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت. قال: ألم تر إلى الطين الذى يكون فوق الخشب فهو مما يأتيها به الشياطين تشكرًا لها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ وهى الأرضة، ويُقال لها: القادح أيضًا وهى دويبة تأكل العيدان.

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾: أى عصاه، فأصلها من نسأت الغنم إذا زجرتها وسقتها، وقال طرفة:

أمون كألواح الأران نسأتها ... على لاحب كأنه ظهر بُرجُد

أى سقتها، وهمزها أكثر القراء، وترك همزها أبو عمرو وأهل المدينة، وهما لغتان، وقال الشاعر فى الهمز:

ضربنا بمنسأة وجهه ... فصار بذاك مهينًا ذليلاً

وقال الآخرون فى ترك الهمز:

إذا دببت على المنساة من هرم ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل

قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، و﴿أن﴾: فى محل الرفع؛ لأن معنى الكلام: فلما خر تبين وانكشف أن لو كان الجن أى ظهر أمرهم، وفى قراءة ابن مسعود أنْ لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين، وقيل: ﴿أن﴾ فى موضع نصب أى علمت وأيقنت الجن أن لو كانوا يعلمون.

وقال أهل التاريخ: كان عمر سليمان (عليه السلام) ثلاثًا وخمسين سنة وكان مدة ملكه أربعين سنة، وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ فى بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه والله أعلم.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾، روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك الغطيفي قال: قال رجل: يا رسول الله، أخبرني عن سبأ ما كان؛ رجلاً أو امرأة، أو أرضًا أو جبلاً أو واديًا؟ فقال ﷺ: «ليست بأرض ولا امرأة ولكنه كان رجلاً من العرب ولد له عشرة من الولد، فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة؛ فأما الذين تيامنوا، فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وأنمار وحمير».

فقال رجل: وما أنمار؟ قال: «الذين منهم خثعم وبجيلة، وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان».

والإجراء وترك الإجراء فيه سائغ، وقد قرئ بهما جميعًا فالإجراء على أنه اسم رجل معروف، وترك الإجراء على أنه اسم قبيلة نحو (هذه تميم).

واختاره أبو عبيد لقوله:

﴿فِى مَسْكَنِهِمْ﴾، واختلف القراء فيه، فقرأ حمزة والنخعى: (مسكنهم) - بفتح الكاف - على الواحد، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائى وخلف بكسر الكاف على الواحد. الباقون: ﴿مَسَٰكِنِهِمْ﴾ جمع.

﴿ءَايَةٌ﴾: دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ثم فسرها فقال: ﴿جَنَّتَانِ﴾ أى هى جنتان: بستانان ﴿عَن يَمِينٍ﴾: من أتاهما ﴿وَشِمَالٍ﴾: وعن شماله ﴿كُلُواْ﴾: وقيل لهم: كلوا ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾: على ما أنعم عليكم، وإلى ههنا تم الكلام ثم ابتدأ فقال: ﴿بَلْدَةٌ﴾ أى هذه بلدة أو بلدتكم بلدة ﴿طَيِّبَةٌ﴾: ليست بسبخة. قال ابن زيد: لم يكن يرى فى بلدتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وإن كان الركب ليأتون وفى ثيابهم القمل والدواب فما هو إلاّ أنْ ينظروا إلى بيوتهم فتموت الدواب، وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفواكه ولم يتناول منها شيئًا بيده فذلك قوله سبحانه: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ الهواء، ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ الخطأ كثير العطاء.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾، قال وهب: بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيًا فدعوهم إلى الله، وذكروهم نعمه عليهم، وأنذروهم عقابه، فكذبوهم وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة. فقولوا لربكم الذى تزعمون فليحبس هذه النعمة عنا إن استطاع، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾، والعرم: السد والمسناة التى تحبس الماء واحدتها عرمة، وأصلها من العرامة وهى الشدة والقوة.

وقال ابن عباس ووهب وغيرهما: كان هذا السد يسقى جنتيهم، وكان فيما ذُكر بنته بلقيس وذلك أنها لما ملكت جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها، فتركت ملكها وانطلقت إلى قصر لها فنزلته، فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها فأبت، فقالوا: لترجعنَّ أو لنقتلنّك. فقالت: إنكم لا تطيعوننى وليست لكم عقول. قالوا: فإنا نطيعك فإنا لم نجد فينا خيرًا بعدَك. فجاءت فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير، فسدت ما بين الجبلين بالصخر والقار، وجعلت له أبوابًا ثلاثة بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة ضخمة، فجعلت فيها اثنى عشر مخرجًا على عدة أنهارهم، فلما جاء المطر اجتمع إليه ماء الشجر وأودية اليمن، فاحتبس السيل من وراء السد فأمر بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة وأمرت بالبعر فألقى فيها، فجعل

بعض البعر يخرج أسرع من بعض، فلم تزل تضيق تلك الأنهار وترسل البعر فى الماء حتى خرجت جميعًا معًا فكانت تقسمه بينهم على ذلك، حتى كان من شأنها وشأن سليمان ما كان.

وبقوا على ذلك بعدها، وكانوا يسقون من الباب الأعلى، ثم من الباب الثانى، ثم من الباب الأسفل ولا ينفد الماء، حتى يؤوب الماء من السنة المقبلة.

فلما طغوا وكفروا، سلط الله عليهم جرذًا يسمى الخلد فنقب من أسفله، فغرق الماء جناتهم وخرب أرضهم.

وقال وهب: وكانوا فيما يزعمون يجدون فى علمهم وكهانتهم أنه يخرب سدهم ذلك فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلاّ ربطوا عندها هرة، فلما جاء زمان وما أراد الله بهم من التفريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة، فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت فى السد فنقبت وحفرت حتى وهنته للسيل وهم لا يعلمون ذلك. فلما جاء السيل وجد خللاً فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على أموالهم فغرّقها ودفن بيوتهم الرمل، وفرقوا ومزقوا حتى صاروا مثلا عند العرب فقالوا: تفرقوا أيادى سبأ، وأيدى سبأ، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾.

وقيل: العرم هو المطر الشديد من العرامة وهى التمرد والعصيان.

﴿وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: قراءة العامة بالتنوين، وقرأ أبو عمرو ويعقوب بالإضافة، وهما متقاربتان كقول العرب: فى بستان فلان أعنابُ كرم وأعنابٌ كرم، فتضيف أحيانًا الأعناب إلى الكرم؛ لأنه منه، وتنون أحيانًا الأعناب، ثم يترجم بالكرم عنها؛ إذ كانت الأعناب ثمر الكرم.

والأكل: الثمر، والخمط: الأراك فى قول أكثر المفسرين، وقيل: كل شجرة ذات شوك، وقيل: شجرة الغضا، وقيل: هو كل نبت قد أخذ طعمًا من المرارة حتى لا يمكن أكله، ﴿وَأَثْلٍ﴾: وهو الطرفاء، عن ابن عباس، وقيل: هو شجر شبيه بالطرفاء إلاّ أنه أعظم منه، وقال الحسن، الأثل الخشب. قتادة: ضرب من الخشب، وقيل: هو السمر. أبو عبيدة: هو النضار. ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾، قال قتادة: بينما شجر القوم من خير الشجر إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم. قال الكلبى: فكانوا يستظلون بالشجر ويأكلون البربر وثمر السدر وأبوا أن يجيبوا الرسل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى جعلنا بهم، ﴿جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾: أى بكفرهم، ومحل ذلك نصب بوقوع المجازاة عليه، تقديره جزيناهم ذلك بما كفروا: ﴿وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ قرأ

أهل الكوفة بالنون وكسر الزاى ونصب الراء، واختاره أبو عبيدة قال: لقوله: ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾، ولم يقل: جُوزوا، وقرأ الآخرون بياء مضمومة وفتح الزاى ورفع الراء، ومعنى الآية: وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلاّ الكفور، وقال مجاهد: يجازى أى يُعاقب.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: وهى الشام ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾: أى متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها. قال الحسن: كان أحدهم يغدو فيقيل فى قرية ويروح فيأوى إلى أخرى، وكانت المرأة تخرج معها مغزلها وعلى رأسها مكتلها ثم تمتهن بمغزلها فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار، وكان ما بين اليمن والشام كذلك.

وقال ابن عباس: ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ يعنى: قرى عربية بين المدينة والشام. سعيد بن جبير: هى القرى التى ما بين مأرب والشام. مجاهد: هى السروات، وهب بن منبه: هى قرى صنعاء.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾: أى جعلنا السير بين قراهم والقرى التى باركنا فيها سيراً مقدراً من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية، لا ينزلون إلا فى قرية، ولا يغدون إلاّ فى قرية، وقلنا لهم: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾: وقت شئتم ﴿ءَامِنِينَ﴾: لا تخافون عدوا ولا جوعًا ولا عطشًا، ولا تحتاجون إلى زاد ولا ماء، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية وقالوا: لو كان جنى جناننا أبعد مما هى كان أجدر أن نشتهيه.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيه الرواحل، ونتزود الأزواد. فجعل الله لهم الإجابة، واختلف القراء فى هذه الآية؛ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (ربنا بعّد)، على وجه الدعاء والسؤال من (التبعيد)، وهى رواية هشام عن قرّاء الشام، وقرأ ابن الحنفية ويعقوب: ﴿رَبَّنَا﴾ - برفع الباء - ﴿بَٰعِدْ﴾ - بفتح الباء والعين والدال - على الخبر، وهى اختيار أبى حاتم، استبعدوا أسفارهم بطرًا منهم وأشرًا، وقرأ الباقون: ﴿رَبَّنَا﴾: بفتح الباء، ﴿بَٰعِدْ﴾: بالألف وكسر العين وجزم الدال - على الدعاء، ففعل الله ذلك بهم، فقال: ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر والبطر والطغيان، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: عظة وعبرة يتمثل بهم، ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾، قال الشعبى: أما غسان فلحقوا بالشام، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان.

وقال ابن إسحاق: يزعمون أنّ عمران بن عامر وهو عم القوم - كان كاهنًا فرأى فى كهانته أنّ قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم، فقال لهم: إنى قد علمت أنكم ستمزقون، فمن كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكاسن أو كرود، قال: فكان وادعة بن عمرو.

ومن كان منكم يريد عيشًا هانئًا وحرمًا آمنًا فليلحق بالأردن فكانت خزاعة، ومن كان منكم يُريد الراسيات فى الرجل والمطعمات فى المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل، فكان الأوس والخزرج، ومن كان منكم يُريد خمرًا وخميرًا وذهبًا وحريرًا وملكًا وتأميرًا، فليلحق بكوثى وبصرى، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام، ومن كان منهم بالعراق.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: قال مطرف: هو المؤمن الذى إذا أُعطى شكر وإذا ابتلى صبر.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾، قرأ أهل الكوفة: بتشديد الدال وهى قراءة ابن عباس واختيار أبى عبيد، أى ظن فيهم ظنًا حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص: ٨٢)، وقال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧)، فصدق ظنه وحققه لفعله ذلك بهم واتباعهم إياه، وقرأ الآخرون: ﴿صَدَقَ﴾: بالتخفيف أى صدق عليهم فى ظنه بهم.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: أى على أهل سبأ، وقال مجاهد: على الناس كلهم إلا من أطاع الله ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا﴾: إلا تسليطنا إياه عليهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾: لنرى ونميز، ونعلمه موجودًا ظاهرًا كائنًا موجبًا للثواب والعقاب، كما علمناه قبل مفقودًا معدومًا بعد ابتلاء منا لخلقنا.

قال الحسن: والله ما ضربهم بسيف ولا عصا ولا سوط إلاّ أمانى وغرورًا دعاهم إليها.

﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ الآية.

﴿قُلِ﴾: يا محمد لهؤلاء المشركين الذين أنت بين ظهرانيهم: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ثم وصفها فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من خير وشر وضر ونفع، فكيف يكون إلهًا من كان كذلك؟ ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا﴾ أى فى السموات والأرض ﴿مِن شِرْكٍ﴾: شركة ﴿وَمَا لَهُۥ﴾: أى لله ﴿مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾: عون.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾: تكذيبًا منه لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقرأ أبو عمرو والأعمش وحمزة والكسائى: (أُذن) بضم الألف، واختلف فيها عن عاصم، وقرأ غيرهم: بالفتح.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾: قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاى، وقرأ غيرهما: بضم الفاء وكسر الزاى، أى كشف الفزع، وأخرج ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾، وأخبرنى ابن فنجويه قال: أخبرنى أبو على ابن حبيس المقرئ قال: حدثنا أبو عبيد القاضى قال: أخبرنى الحسين بن محمد الصباغ عن عبد الوهاب عن موسى الأسوارى عن الحسن أنه كان يقرؤها حتى (إذا فرغ عن قلوبهم) -

بالراء والعين - يعنى: فرعت قلوبهم من الخوف.

واختلفوا فى هذه الكناية والموصوفين بهذه الصفة؛ من هم؟ وما السبب الذى من أجله فزع عن قلوبهم؟

فقال قوم: هم الملائكة، ثم اختلفوا فى سبب ذلك، فقال بعضهم: إنما يُفزع عن قلوبهم غشية تصيبهم عند سماعهم كلام الله سبحانه.

أخبرنا عبد الله بن حامد عن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل عن الحسن بن على بن عفان قال: حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال: إذا تكلم الله عز وجل بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيصعقون عند ذلك ويخرون سجداً، فإذا علموا أنه وحى فزع عن قلوبهم. قال: فيرد إليهم، فينادى أهل السموات بعضهم بعضًا: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فرفعه بعضهم.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنى أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى سعيد البزاز قال: حدثنا على بن أشكاب قال: أخبرنى أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ إذا تكلم بالوحى سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاء، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرئيل (عليه السلام)، فإذا جاءهم جبرئيل (عليه السلام) فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبرئيل ماذا قال ربك؟ قال: يقول: الحق، فينادون: الحق الحق».

والشاهد لهذا الحديث والمفسر له ما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الفقيه قال: أخبرنى أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب قال: أخبرنا بشر بن موسى قال: حدثنا الحميدى قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إنّ نبى الله ﷺ قال: «إذا قضى الله عز وجل الأمر فى السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذى قال: الحق وهو العلى الكبير».

وأنبأنى عقيل بن محمد عن المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير الطبرى عن زكريا بن أبان المصرى عن نعيم عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بن أبى زكريا عن رجاء ابن حيوة عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله: «فإذا سمع بذلك أهل السموات، صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبرئيل، فيكلمه الله من وحيه بما أراده، ثم يمر جبرئيل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرئيل؟ فيقول

جبرئيل: قال الحق وهو العلى الكبير. قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل، فينتهى جبرئيل بالوحى حيث أمر الله».

وبه عن ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية عن أيوب عن هشام عن عروة قال: قال الحارث بن هشام لرسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحى؟ قال: «يأتينى فى صلصلة كصلصلة الجرس فيفصم عنى حين يفصم وقد وعيته، ويأتينى أحيانًا فى مثل صورة الرجل فيكلمنى به كلامًا وهو أهون على».

وقال بعضهم: إنما يفزعون حذراً من قيام الساعة.

وقال الكلبى: كان بين عيسى ومحمد (عليهما السلام) فترة زمان طويلة لا يجرى فيها الرسل خمسمائة وخمسين عامًا، فلما بعث الله محمداً عليه السلام كلم الله جبرئيل بالرسالة إلى محمد، فلما سمعت الملائكة الصوت ظنوا أن الساعة قد قامت فصعقوا مما سمعوا، فلما انحدر جبرئيل جعل يمر بأهل كلّ سماء فيكشط عنهم فيرفعون رءوسهم، فيقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فلم يدروا ما كان ولكنهم قالوا: قال الحق وهو العلى الكبير؛ وذلك أن محمّدًا عند أهل السموات من أشراط الساعة، فلما بعثه الله تعالى فزع أهل السموات لا يشكون إلا أنها الساعة.

وقال الضحاك: إنّ الملائكة المعقبات الذين يختلفو إلى أهل الأرض يكتبون أعمالهم، إذا أرسلهم الرب فانحدروا سمع لهم صوت شديد، فيحسب الذين هم أسفل من الملائكة أنه من أمر الساعة فيخرون سجداً ويصعقون، حتى يعلموا أنه ليس من أمر الساعة، وهذا تنبيه من الله سبحانه وإخبار أنّ الملائكة مع هذه الصفة لا يمكنهم أنْ يشفعوا لأحد إلاّ أن يؤذن لهم، فإذا أذن الله لهم وسمعوا وحيه كان هذا حالهم. فكيف تشفع الأصنام؟!

وقال آخرون: بل الموصوفون بذلك المشركون.

قال الحسن وابن زيد يعنى: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم، قالت لهم الملائكة: ماذا قال ربكم فى الدنيا؟ قالوا: الحق، فأقروا به حين لم ينفعهم الإقرار، ودليل هذا التأويل قوله تعالى فى آخر السورة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ (سبأ: ٥١).

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: هذا على وجهة الإنصاف فى الحجاج كما يقول القائل: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وأنّ صاحبه كاذب.

والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، إنّ أحد الفريقين لمهتد والآخر ضال. فالنبى ومن معه على الهدى ومن خالفه فى ضلال، فكذبهم بأحسن من تصريح التكذيب.

وقيل هذا على جهة الاستهزاء بهم وهو غير شاك فى دينه، وهذا كقول الشاعر وهو أبو الأسود:

يقول الأرذلون بنو قُشير: طوالَ الدهر لا تنسى عليّا
بنو عم النبى وأقربوه أحبُّ الناس كلّهمُ إليّا
فإن يك حبهم رشداً أصبهُ وليس بمخطئ إن كان غيّا

فقاله من غير شك، وقد أيقن أن حبهم رشد.

وقال بعضهم: ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، يعنى: إنا لعلى هدى وإنكم لفى ضلال مبين، كقول جرير:

أثعلبة الفوارس أو رياحا عدلت بهم طهيّة والخشابا

يعنى ثعلبة ورياحا.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾: يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾: يقضى بيننا ﴿بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۝ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾: يعنى الأصنام هل خلقوا من الأرض شيئًا، أم لهم شرك فى السموات. وتفسيرها فى سورة (الملائكة)، و(الأحقاف).

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وهو القاهر القوى الذى يمنع من يشاء ولا يمنعه مانع، فهو العزيز المنتقم ممن كفر به وخالفه، والحكيم فى تدبيره لخلقه، فأنّى يكون له شريك فى ملكه؟



﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوٓا أَنَحْنُ

صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ
عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى
ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا
يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا
كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن
نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم
مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ
لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾: عامة ﴿لِّلنَّاسِ﴾: كلهم؛ العرب والعجم وسائر الأمم. أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثنا على بن حرب قال: حدثنا ابن فضيل قال: حدثنا (يزيد بن أبى زياد عن مجاهد ومقسم عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «أعطيت خمسًا ولا أقول فخرًا: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لى الأرض طهورًا ومسجدًا، وأُحل لى المغنم ولم يحل لأحد كان قبلى، ونصرت بالرعب فهو يسير أمامى مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتى يوم القيامة، وهى إن شاء الله نائلة من لم يشرك بالله شيئًا».

وقيل: معناه كاف للناس. يكفهم عما هم عليه من الكفر، ويدعوهم إلى الإسلام، والهاء فيه للمبالغة.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب، ثم أخبر حالهم فى مآلهم، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾: يتلاومون ويحاور بعضهم بعضًا ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أى مكركم بنا. فهما كما يُقال: عزم الأمر وفلان نهاره صائم وليله قائم.

قال الشاعر:

❖ ونمت وما ليل المطى بنائم ❖

وقيل: مكر الليل والنهار بهم طول السلامة فيهما كقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ (الحديد: ١٦)، ونحوه. ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟﴾: أظهروا ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾، وهو من الأضداد؛ يكون بمعنى الإخفاء، والإبداء ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ﴾: الجوامع من النار ﴿فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: الأتباع والمتبوعين، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: فى الدنيا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾: رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: رؤساؤها وأغنياؤها ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ۝ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا﴾: منكم، ولو لم يكن راضيًا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾، وليس يدل ذلك على العواقب والمنقلب، ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنها كذلك.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾: لكن من آمن ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾: من الثواب بالواحد عشرة، و﴿مَنْ﴾: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون محله نصبًا بوقوع تقرب عليه، والآخر: رفع تقديره: وما هو إلا من آمن. ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾: الدرجات ﴿ءَامِنُونَ﴾.

وقراءة العامة: ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾: بالإضافة، وقرأ يعقوب: (جزاءً) منصوبًا منونًا. الضعف رفع مجازه: فأولئك لهم الضعف جزاء على التقدير والتأخير، وقراءة العامة: الغرفات بالجمع، واختاره أبو عبيد قال: لقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ (العنكبوت:٥٨)، وقرأ الأعمش وحمزة: (فى الغرفة) على الواحدة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾: يعملون ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: بإبطال حججنا وكتابنا، ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: معاونين معاندين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾. قال سعيد بن جبير: ما كان من غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه، وقال الكلبى: ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم فى الخير والبر من نفقة فهو يخلفه إما أن يعجله فى الدنيا وإما أن يدخر له فى الآخرة: أخبرنى الحسين ابن محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله قال: حدثنا أبى قال: حدثنا على بن داوُد القنطرى قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن عمرو بن الحارث عن أبى يونس مولى أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ قال لى: أنفق أنفق عليك».

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا ابن شاذان عن جعونة بن محمد قال: حدثنا صالح ابن محمد عن سليمان بن عمرو عن ابن حزم عن أنس بن مالك أنّ النبى ﷺ قال: «ينادى مناد كل ليلة: لدوا للموت وينادى مناد: ابنوا للخراب، ويُنادى مُناد: اللهم هب للمنفق خلفًا، وينادى مناد: اللهم هب للممسك تلفًا، وينادى مناد: ليت الناس لم يخلقوا، وينادى مناد ليتهم إذ خُلقوا فكروا فيما له خُلقوا».

وأخبرنى الحسين بن محمد الحافظ قال: حدثنا موسى بن محمد قال: حدثنا الحسن بن علويه قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا المسيب، قال: حدثنا محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال عمر لصهيب: إنك رجل لا تمسك شيئًا، قال: إنى سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وأخبرنى أبو سفيان الثقفى قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندى

قال: حدثنا الحسن بن داود الخشاب قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا عبد الحميد بن الحسن عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على نفسه وأهله فهو له صدقة وما وقى به عرضه فهو صدقة، وما أنفق المؤمن من نفقة فإنّ خلفها على الله ضامن إلاّ ما كان نفقة فى بنيان أو معصية».

قال عبد الحميد: فقلت لمحمد: ما معنى: «ما يقى به الرجل عرضه»؟ قال: يعطى الشاعر أو ذا اللسان المتقى.

وقال مجاهد: إذا كان فى يد أحدكم شىء فليقتصد ولا يتأول هذه الآية: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ فإن الرزق مقسوم، فلعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه، ومعنى الآية (ما كان من خلف فهو منه)، وربما أنفق الإنسان ماله أجمع فى الخير ثم لم يزل عائلاً حتى يموت، ولكن ما كان من خلف فهو منه، ودليل تأويل مجاهد ما أخبرنى أبو سفيان الحسين بن محمد بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن الحسن بن بشير، قال: أخبرنى أبو بكر بن أبى الخصيب، قال: حدثنا معاذ بن المثنى قال: حدثنا عمرو بن الحصين قال: حدثنا ابن علانة - وهو محمد - عن الأوزاعى عن ابن أبى موسى عن أبى أمامة قال: إنكم تؤولون هذه الآية على غير تأويلها ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

وسمعت رسول الله ﷺ يقول وإلاّ فصُمتا: «إياكم والسرف فى المال والنفقة، وعليكم بالاقتصاد، فما افتقر قوم قط اقتصدوا».

وقال (عليه السلام): «ما عال من اقتصد».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البغوى قال: حدثنا أحمد بن حنبل قال: حدثنا عاصم بن خالد قال: أخبرنى أبو بكر قال: حدثنا حمزة عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «من فقه الرجل رفقه فى معيشته».

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: وإنما جاز الجمع؛ لأنه يُقال: رزق السلطان الجند، وفلان يرزق عياله، كأنه قال: وهو خير المعطين.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: يعنى هؤلاء الكفار ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾: فى الدُّنيا؟ فتتبرأ منهم الملائكة فتقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهًا لك. ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: ربنا ﴿مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾: أى يطيعون إبليس وذريته وأعوانه فى معصيتك. ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾: مصدقون.

قال قتادة: هو استفهام تقديره كقوله لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى ...﴾ (المائدة: ١١٦).

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: شفاعة ولا عذابًا، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: فى الدُّنيا فقد وردتموها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا﴾: يعنى محمّدًا عليه السلام ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾: يعنون القرآن ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَمَا آتَيْنَاهُم﴾: هؤلاء المشركين ﴿مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾: يقرؤونها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم رسلنا وتنزيلنا ﴿وَمَا بَلَغُوا﴾: يعنى هؤلاء المشركين ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾: يعنى مكذبى الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكارى وتغيرى عليهم، يحذر كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم﴾: آمركم وأُوصيكم ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾: بخصلة واحدة وهى ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾: لأجل الله و﴿أن﴾: فى محل الخفض على البيان من واحدة: والترجمة عنها ﴿مَثْنَىٰ﴾: يعنى اثنين اثنين متناظرين، ﴿وَفُرَادَىٰ﴾: واحدًا واحدًا متفكرين ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾: جميعًا، والفكر: طلب المعنى بالقلب، فتعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾: محمد ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جنون كما تقولون، و﴿مَا﴾: جحْد ونفى. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم﴾: على تبليغ الرسالة والنصيحة ﴿مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: أى ما ثوابى إلاّ على الله ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ﴾: يرمى ويأتى ﴿بِالْحَقِّ﴾: ينزله من السماء إلى خير الأنبياء، ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ رفع بخبر ﴿إن﴾.

❖ ❖ ❖

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝﴾

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: القرآن والإسلام، وقال الباقر: يعنى السيف. ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾: يعنى ذهب الباطل وزهق فلم تبقَ له بقية يبدى بها ولا يعيد، وهذا كقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ

بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: ١٨).

وقال الحسن: ﴿وَمَا يُبْدِئُ﴾: الباطل، وهو كل معبود من دون الله لأهله خيراً فى الدنيا، ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾: فى الآخرة.

وقال قتادة: الباطل إبليس، أى ما يخلق إبليس أحداً ولا يبعثه، وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين عن عبد الله بن إبراهيم بن على عن محمد بن عمران بن هارون عن سفيان ابن وكيع عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبى ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود معه ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١)﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾: وآخذ بجنايتى ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾: يعنى من عذاب الدنيا، فلا نجاة ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: يعنى عذاب الدُّنيا، وقال الضحاك وزيد بن أسلم: هو يوم بدر. الكلبى: من تحت أقدامهم.

وأخبرنا محمد بن نعيم عن محمد بن يعقوب عن الحسن بن على بن عفان عن الحسن بن عطية عن يعقوب الأصفهانى عن ابن أبزى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ قال: خسف بالبيداء.

أخبرنى عقيل بن محمد أنّ المعافى بن زكريا البغدادى أخبرهم قال: أخبرنا محمد بن جرير قال: حدثنى عصام بن رواد بن الجراح قال: حدثنا أبى قال: حدثنا سفيان بن سعيد قال: حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربعى بن خراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب: «فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيانى من الوادى اليابس فى فورة ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين: جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل فى المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بنى العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخرجون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على ليلتين فيقتلونهم ولا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما فى أيديهم من السبى والغنائم، ويحل جيشه الثانى بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها. ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله سبحانه جبرئيل (عليه السلام) فيقول: يا جبرئيل اذهب فأبدهم. فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله عز وجل فى سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فلا

ينفلت منهم إلاّ رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة».

فلذلك جاء القول: «وعند جهينة الخبر اليقين».

وقال قتادة: ذلك حين يخرجون من قبورهم، وقال ابن معقل: إذا عاينوا عذاب الله يوم القيامة وأُخذوا من مكان قريب؛ لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ حين عاينوا العذاب فى الدنيا والآخرة وقت البأس ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ﴾: من أين ﴿لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾: تناول التوبة ونيل ما يتمنون؟

قال ابن عباس: يسألون الراد وليس يحين الرد، وقرأ أبو عمرو والأعمش وحمزة والكسائى وخلف: (التناؤش): بالهمز والمد، وهو الإبطاء والبعد. يُقال: تناشيت الشىء أى أخذته من بعيد، والنيش الشىء البطىء.

قال الشاعر:

تمنى نئيشًا أن يكون أطاعنى وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال آخر:

❖ وجئت نئيشًا بعدها فاتك الخبر ❖

وقرأ الباقون: بغير همز، من التناول. يُقال: نشته نوشًا إذا تناولته.

قال الراجز:

فهى تنوش الحوض نوشًا من علا نوشًا به تقطع أجـــواز الفلا

وتناوش القوم فى الحرب إذا تناول بعضهم بعضًا وتدانوا، واختار أبو عبيد: ترك الهمز؛ لأنّ معناه التناول، وإذا همز كان معناه البعد. فكيف يقول: أنى لهم البعد ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾: من الآخرة؟ فكيف يتناولون التوبة، وإنما يقبل التوبة فى الدُّنيا وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدة من الآخرة؟

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾: أى من قبل نزول العذاب ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ يعنى يرمون محمدًا ﷺ بالظنون لا باليقين، وهو قولهم: إنه ساحر، بل شاعر، بل كاهن، هذا قول مجاهد، وقال قتادة: يعنى يرجمون بالظن، يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾، يعنى التوبة والإيمان والرجوع إلى الدنيا ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾: أى أهل دينهم وموافقهم من الأمم الماضية حين لم يقبل منهم الإيمان والتوبة فى وقت البأس ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾.

سورة فاطر
(الملائكة)

أخبرني محمد بن القاسم الفارسي قال: أخبرنا محمد بن جعفر بن مطير النيسابوري قال: حدّثنا إبراهيم بن شريك الكوفي قال: حدثنا أحمد بن يونس اليربوعي قال: حدثنا سلام بن سليم المدائني قال: حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاثة أبواب من الجنة أن ادخل في أي الأبواب شئت».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾: يعني في أجنحة الملائكة.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: حدثنا ابن شاذان قال: حدثنا جعونة بن محمد قال: حدّثنا

صالح بن محمد قال: حدثنا مسلم بن إياس عن عبد الله بن المبارك عن ليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ سأل جبرئيل (عليه السلام): أن يتراءى له فى صورته، فقال له جبرئيل (عليه السلام): «إنك لن تطيق ذلك». قال: «إنى أحب أن تفعل».

فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فى ليلة مقمرة، فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فى صورته، فغشى على رسول الله ﷺ حين رآه، فلما أفاق وجبرئيل (عليه السلام) مسنده واضعًا إحدى يديه على صدره والأُخرى بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله ما كنت أرى أنّ شيئًا من الخلق هكذا». فقال جبرئيل (عليه السلام): «فكيف لو رأيت إسرافيل (عليه السلام)؟ إن له لاثنى عشر جناحًا؛ جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب، وإنّ العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود هذا الوصع - والوصع عصفور صغير - حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته».

وأخبرنى أبو الحسن السامانى قال: أخبرنى أبو حامد البلالى عن العباس بن محمد الدورى قال: أخبرنى أبو عاصم النبيل عن صالح التاجى عن ابن جريج عن ابن شهاب فى قول الله عز وجل: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قال: حسن الصورة.

وأخبرنى الحسين بن محمد عن أحمد بن جعفر بن حمدان عن عبد الله بن محمد بن سنان عن سلمة بن حبان عن صالح التاجى عن الهيثم القارئ قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك؟ جزاك الله خيراً، وقيل الخط الحسن.

أخبرنى ابن فنجويه عن ابن شيبة عن ابن زنجويه عن سلمة عن يحيى بن أحمد الفزار ويحيى بن أكثم قالا: أخبرنا أبو اليمان عن عاصم بن مهاجر الكلاعى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: الخط الحسن يزيد الحق وضحًا.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنى الحسن بن على بن يزيد الوشاء عن على بن سهل الرملى قال: أخبرنى الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج عن قتادة فى قول الله عز وجل: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قال: الملاحة فى العينين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: من الزيادة والنقصان.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾: نعمة، ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: لا يستطيع أحد حبسها ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: فيما أمسك ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فيما أرسل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾. قرأ سفيان بن سلمة وأبو جعفر وحمزة والأعمش والكسائى: (غير) بالخفض وهو اختيار أبى عبيد. الياقوت: بالرفع.

وهذه الآية حجة على القدرية؛ لأنه نفى خالقًا غيره وهم يثبتون معه خالقين كثيرين.

﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾: فعزى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾، قراءة العامة بفتح الغين، وهو الشيطان، وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حبيش قال: حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال: حدثنا أبى قال: حدثنا أحمد بن يزيد المقرى عن محمد بن المصفى عن أبى حياة، قرأ: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغُرُورُ﴾ برفع الغين، وهو قراءة ابن السماك العدوى يدل عليه وما حدثنا.

قال: أخبرنا عبد الله بن حامد محمد بن خالد قال: أخبرنا داود بن سليمان قال: أخبرنا عبد بن حميد عن يحيى بن عبد الحميد عن ابن المبارك عن عبد الله بن عقبة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغُرُورُ﴾ قال: أن يعمل المعصية ويتمنى العفو.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: أشياعه وأولياءه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾: ليسوقهم إلى النار، فهذه عداوته ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال عزّ من قائل: ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: فعادوه ولا تطيعوه ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ﴾: أى شُبّه ومـوه وحسن له ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: قبح عمله وفعله ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾: زين ذلك الشيطان بالوسواس ونفسه تميله إلى الشبهة وترك النظر فى الحجة المؤدية إلى الحق، والله سبحانه وتعالى يخلق ذلك فى قلبه، وجوابه محذوف مجازه: أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له سوء عمله ورأى الحق حقًا والباطل باطلاً؟ نظيره قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: ٣٣)، وقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ﴾ (الزمر: ٩) ونحوها.

وقيل: معناه: أفمن زين له سوء عمله فأضله الله كمن هداه؟ دليله قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

وقيل: معناه تحت قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾، فيكون معناه: أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، أى تتحسف عليه؟ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، مجازه: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإنّ الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء، والحسرة: شدة الحزن على ما فات من الأمر.

وقراءة العامة: (تذهَبَ نفسُك): بفتح الباء والهاء وضم السين، وقرأ أبو جعفر بضم التاء

وكسر الهاء وفتح السين، ومعنى الآية: لا تغتم بكفرهم وهلاكهم إذ لم يؤمنوا، نظيره: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ (الكهف: ٦، الشعراء: ٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝﴾

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾: من القبور.

أخبرنا عبد الله بن حامد عن محمد بن خالد عن داود بن سليمان عن عبد بن حميد عن المؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين قال: قلت يا رسول الله: كيف يحيى الله الموتى؟ وما آية ذلك فى خلقه؟ فقال: ﷺ: «هل مررت بواد أهلك محلاً ثم مررت به يهتز خضراً؟» قلت: نعم.

قال: «فكذلك يحيى الله الموتى، وتلك آيته فى خلقه».

قوله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾، يعنى علم العزة لمن هى، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾، وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٩)، وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ (مريم: ٨١)، كلاّ، ورد الله عليهم: من أراد أن يعلم لمن العزة الحقيقية فآية العزة لله، ومن أراد أن يكون فى الدارين عزيزًا فليطع الله فإن العزة لله جميعًا.

﴿إِلَيْهِ﴾: أى إلى الله، ومعناه: إلى محل القبول وإلى حيث لا يملك فيه الحكم إلاّ الله عز وجل، وهو كما يقال: ارتفع أمرهم إلى القاضى. ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: يعنى: «لا إله إلاّ الله» وكل ذكر مرض لله تعالى، وقرأ أبو عبد الرحمن: (الكلام الطيب)، وأخبرنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الدينورى قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد بن أحمد الهمدانى قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد المسكين البصرى عن أحمد بن محمد المكى عن على بن عاصم عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ قال: «هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، إذا قالها العبد عرج بها ملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن عز وجل، فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه».

واختلف العلماء فى حكم هذه الكناية ومعنى الآية، فقال أكثر المفسرين: الهاء فى قوله: ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ راجعة إلى ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، يعنى أن العمل الصالح يرفع الكلم فلا يقبل القول إلا بالعمل، وهذا اختيار نحاة البصرة، وقال الحسن وقتادة: ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: ذكر الله ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾: أداء فرائضه. فمن ذكر الله ولم يؤدِّ فرائضه زاد كلامه على عمله، وليس الايمان بالتمنّى ولا بالتحلى، ولكن ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال. فمن قال حسنًا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله، ومن قال حسنًا وعمل صالحًا رفعه العمل ذلك؛ فإن الله يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

ودليل هذا التأويل قوله (عليه السلام): «لا يقبل الله قولاً إلاّ بعمل، ولا يقبل قولا وعملاً إلاّ بنية ولا يقبل قولا ونية إلا بإصابة السنة».

وجاء فى الخبر: «الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب». وفى هذا المعنى يقول الشاعر:

لا ترضَ من رجل حلاوة قوله ... حتى يزيّن ما يقول فعالُ
فإذا وزنت فعالَهُ بمقاله ... فتوازنا فإخاءُ ذاك جمال

قال ابن المقفع: قول بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر، وفيه قيل:

لا يكونُ المقـالُ إلا بفعل إنما القول زينة فى الفعـال
كل قول يكون لا فعلَ فيه مثلَ ماء يُصبُّ فى غربالِ

وأنشدنى أبو القاسم الحبيشى لنفسه:

لا يكون المقال إلاّ بفعل وكلُّ قول بلا فعال هباء
إنّ قولاً بلا فعال جميل ونكـاحًا بلا ولى سـواء

وقال بعض أهل المعانى على هذا القول: معنى ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾، أى يجعله رفيعًا ذا وزن وقيمة، كما يقال: طود رفيع ومرتفع، وقيل: العمل الصالح هو الخالص، يعنى أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأعمال، دليله قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ (الكهف: ١١٠) أى خالصًا ثم قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)، فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء، وقال قوم: هذه الكناية راجعة إلى العمل، يعنى أنّ الكلم الطيب يرفع العمل؛ فلا يرفع ولا يقبل عمل إلا أن يكون صادراً عن التوحيد وعائد الذكر يرفع وينصب، وهذا التأويل اختيار نُحاة الكوفة وقال آخرون: الهاء كناية عن العمل، والرفع من صفة الله سبحانه، أى يرفعه الله.

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أى يعملون، قال مقاتل: يعنى الشرك، وقال أبو العالية: يعنى الذين مكروا برسول الله ﷺ فى دار الندوة، وقال الكلبى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾: يعنى يعملون السيئات فى الدنيا، وقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب: هم أصحاب الرياء. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: أى يكسد ويفسد ويضل ويضمحل فى الآخرة.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قراءة العامة: (يُنقص) بضم الياء، وقرأ الحسن وابن سيرين وعيسى (ينقُص) بفتح الياء وضم القاف، وقرأ الأعرج: ﴿مِنْ عُمُرِهِ﴾ بالتخفيف.

قال سعيد بن جبير: مكتوب فى أول الكتاب عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: طيب ﴿سَآئِغٌ﴾: جائز هنى ﴿شَرَابُهُۥ﴾.

وقرأ عيسى: (سيّغ) مثل: ميّت وسيّد. ﴿وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ﴾: شديد الملوحة، عن ابن عباس، وقال الضحاك: هو المرّ مزاجه كأنه يحرق من شدة المرارة والملوحة. ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: طعامًا شهيًا، يعنى: السمك من العذب و الملح، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾: من

الملح دون العذب ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ : يعنى اللؤلؤ، وقيل: فيه عيون عذبة، ومما بينهما يخرج اللؤلؤ. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ : جوارى، وقال مقاتل: هو أن يرى سفينتين إحداهما مقبلة والأخرى مدبرة، وهذه تستقبل تلك وتلك تستدبر هذه، يجريان بريح واحدة، ﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ : الله على نعمه.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا ابن شاذان قال: حدثنا جيفويه بن محمد قال: حدثنا صالح بن محمد عن القاسم بن عبد الله عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «كلم الله البحرين فقال للبحر الذى بالشام: يا بحر إنى قد خلقتك وأكثرت فيك من الماء وإنى حامل فيك عباداً يسبحوننى ويحمدوننى ويهللوننى ويكبروننى فما أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم. قال الله عز وجل: فإنى أحملهم على ظهرك وأجعل بأسك فى نواحيك وحاملهم على يدى.

وقال للبحر الذى باليمن: إنى قد خلقتك وأكثرت فيك من الماء وإنى حامل فيك عباداً لى يسبحوننى ويحمدوننى ويهللوننى ويكبروننى فما أنت صانع بهم؟ قال: أسبحك وأحمدك وأُهللك وأكبرك معهم، وأحملهم على ظهرى بطنى. قال الله سبحانه: فإنى أفضلك على البحر الآخر بالحلية والطرى».

قوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ وهى القشرة الرقيقة البيضاء التى بين التمرة والنواة، عن أكثر المفسرين. وقال ابن عباس: هو شق النواة، وقال السدى: هو ما ينقطع به القمع.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ : يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياها، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ : يعنى نفسه تعالى.

❖ ❖ ❖

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا

ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، سئل الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ﴾ (العنكبوت: ١٣) فقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾: طوعًا ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ﴾: كرهًا.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾: يعنى وإن تدع نفس مثقلة بذنوب غيرها إلى حملها، أى حمل ما عليها من الذنوب ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ﴾: ولو كان المدعوّ ذا قربى له: ابنه أو أمه أو أباه أو أخاه.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عن أحمد بن محمد بن رزمة القزويني عن محمد بن عبد ابن عامر السمرقندي قال: حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: قوله سبحانه: ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ قال: يعني الوالدة تلقى ولدها يوم القيامة فتقول: يا بني ألم تكن بطني لك وعاء؟ ألم يكن لك ثديي سقاء؟ فيقول: بلى يا أماهُ. فتقول: يا بُني قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني ذنبًا واحدًا. فيقول: يا أُماه إليك عني، فإني اليوم عنك مشغول.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: أي يخافونه ولم يروه، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: صلح عمل خيراً وصالحًا ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: يعني: الجاهل والعالم، ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾: يعني: الكفر والإيمان، ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: يعني: الجنة والنار، والحرور: الريح الحارة بالليل، والسموم بالنهار، وقال بعضهم: الحرور: بالنهار مع الشمس، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: يعني: المؤمنين والكفار. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾، حتى يتعظ ويجيب ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾: يعني: الكفار شبههم بالأموات، وقرأ أشهب العقيلي: (بمسمع من في القبور) بلا تنوين على الإضافة.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: كرر وهما واحد لاختلاف اللفظين.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾: قدم النعت على الاسم فلذلك نصب. ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: طرق، واحدها جُدّة نحو مدة و(مدد)، وأما جمع الجديد فجدُد (بضم الدال) مثل: سرير وسُرر ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، قال الفراء: فيه تقديم وتأخير، مجازه: سود غرابيب، وهي جمع غربيب، هو الشديد السواد يشبهها بلون الغراب قال الشاعر يصف كرمًا:

ومن تعاجيب خلق الله غاطية البعض منها ملاحيٌّ وغربيب

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: قال المؤرج: إنما ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾: لأجل ﴿مِنَ﴾، وسمعت أستاذنا أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عياش يقول: إنما قال: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾؛ لأجل أنها مردودة إلى «ما» في الإضمار، مجازه: ومن الناس والدواب والأنعام

ما هو مختلف ألوانه.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: تمام الكلام ههنا، أى ومن هذه الأشياء مختلف ألوانه باختلاف الثمرات، ثم ابتدأ فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ روى عن عمر بن عبد العزيز أنه قرأ: (إنما يخشى اللهُ) رفعًا و(العلماءَ) نصبًا، وهو اختيار أبى حنيفة على معنى يعلم الله، وقيل: يختار، والقراءة الصحيحة ما عليه العامة.

وقيل: نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبة عن إسحاق بن صدقة قال: حدثنا عبد الله بن هاشم عن سيف بن عمر قال: حدثنا عباس بن عوسجة عن عطاء الخراسانى رفع الحديث قال: ظهر من أبى بكر خوف حتى عرف فيه فكلمه النبى ﷺ فى ذلك فأنزل الله سبحانه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ فى أبى بكر رضى الله عنه وفى الحديث: «أعلمهم بالله أشدهم له خشية».

وقال مسروق: كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه.

وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال: حدثنا محمد بن إبراهيم الربيعى قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المحرمى قال: حدثنا صالح بن مالك الأزدى قال: حدثنا عبيد الله بن سعد عن صالح بن مسلم الليثى قال: أتى رجل الشعبىَّ فقال: أفتنى أيها العالم؟ فقال: العالم من خشى الله عزّ وجل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾ الآية قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: هذه آية القراء، ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: حدّثنا ابن شاذان قال: حدثنا جيعويه قال: حدثنا صالح بن محمد عن عبد الله بن عبد الله، عن عبيد الله بن الوليد الوصافى، عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثى أنه قال: قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لى لا أُحبُّ الموت؟ قال: «ألك مال؟». قال: نعم. قال: «فقدمه». قال: لا أستطيع. قال: «فإنّ قلب المرء مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به، وإن أخّره أحب أن يتأخر معه».

﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾، قال الفراء: قوله: ﴿يَرْجُونَ﴾ جواب لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝ ثُمَّ﴾: مردود إلى ما قبله من كتب الله فى قوله: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أى قبله من الكتب السالفة، أى أنزلنا تلك الكتب، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: هذا ﴿ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، ويجوز أن تكون ﴿ثُمَّ﴾: بمعنى الواو أى وأورثنا كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (البلد: ١٧) أى وكان ومعنى ﴿أَوۡرَثۡنَا﴾ : أعطينا ؛ لأن الميراث عطاء ، قاله مجاهد ، وقال بعض أهل المعانى : ﴿أَوۡرَثۡنَا﴾ أى أخرنا ، ومنه الميراث ؛ لأنه تأخر عن الميت ومعناه : أخرنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه وأهلناكم له ، وقال عنترة :

وأورثت سيفى عن حصين بن معقل إلى جده إنى لثأرى طالب

أى أخرت ، وفى هذا كرامة لأُمة محمد ﷺ حيث قال لهم : ﴿أَوۡرَثۡنَا﴾ وقال : لسائر الأمم ﴿وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ (الأعراف: ١٦٩) : الآية يعنى القرآن .

﴿ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ وهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ثم قسمهم ثلاث طبقات ورتبهم على ثلاث درجات فقال الله تعالى : ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ قيّد اللفظ وعلق الظلم بالنفس ؛ فلذلك ساغ أن يكون من أهل الاصطفاء مع ظلمه .

فإن قيل : ما وجه الحكمة فى تقديم الظالم وتأخير السابق وإنما يقدم الأفضل ؟ .

فالجواب عنه أن نقول : إنما أُخر السابق ليكون أقرب إلى الجنان والثواب ، كما قدم الصوامع والبيع والصلوات فى سورة الحج على المساجد التى هى أفضل بقاع الأرض ، فتكون الصوامع أقرب إلى الهدم والخراب وتكون المساجد أقرب إلى ذكر الله تعالى .

ومنهم من قال : إنما جعل ذلك ؛ لأن الملوك إذا أرادوا الجمع بين الأشياء بالذكر قدموا الأدنى على الأفضل . كقوله تعالى : ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (المائدة: ٩٨) ، وقال : ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ (الحج: ٦١) ، وقال : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ (الشورى: ٤٩) وقال : ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ (الملك: ٢) .

وقيل : قدم الظالم لئلا ييأس من رحمته وأخر السابق لئلا يعجب بعمله .

وقال جعفر الصادق (عليه السلام) : «بدأ بالظالم إخباراً أنه لا يتقرب إليه إلاّ بصرف رحمته وكرمه ، وأنّ الظلم لا يؤثّر فى الاصطفائية ثم ثنى بالمقتصدين ؛ لأنهم بين الخوف والرجاء ، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكر الله وكلّهم فى الجنة بحرمة كلمة الإخلاص» .

وقال بعضهم : قدم الظالم ؛ لأنه لم يكن له شىء يتكل عليه إلاّ رحمة الله فاعتمد على الله واتكل على رحمته واتكل المقتصد على حسن ظنه بربه واتكل السابق على حسناته وطاعته .

وقال محمد بن على الترمذى : جمعهم فى الاصطفاء إزالة للعلل عن العطاء ؛ لأنّ الاصطفاء أوجب الإرث لا الإرث أوجب الاصطفاء ؛ لذلك قيل : صحح النسبة ثم اطمع فى الميراث .

وقال أبو بكر الوراق : إنما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس ؛ لأن أحوال العبد

ثلاث : معصية ، وغفلة ، ثم توبة وقربة . فإذا عصى دخل فى حيز الظالمين ، وإذا تاب دخل فى جملة المقتصدين وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة اتصل بالله ودخل فى عداد السابقين.

واختلف المفسرون والمتأولون فى معنى الظالم والمقتصد والسابق فأكثروا ، وأنا ذاكر نصوص ما قالوا وبالله التوفيق :

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا برهان ابن على الصوفى والفضل بن الفضل الكندى قالا : أخبرنى أبو خليفة الفضل بن الحباب قال : حدثنا محمد بن كثير قال : أخبرنا سفيان عن الأعمش عن أبى ثابت أنّ رجلاً دخل المسجد فقال : اللهم ارحم غربتى وآنس وحشتى ويسر لى جليسًا صالحًا . قال أبو الدرداء : لئن كنت صادقًا لأنا أسعد بذلك منك ، سمعت رسول الله ﷺ : قرأ هذه الآية : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ ، فقال : «أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيراً ، وأما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام ثم يدخل الجنة ، فهم الذين قالوا : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ...﴾ إلى قوله : ﴿لُغُوبٌ﴾ .

قال الكندى والأعمش عن رجل عن أبى ثابت : وأخبرنى الحسين بن محمد قال : أخبرنى أبو بكر بن مالك القطيعى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى عن إسحاق بن عيسى حدثنى أنس بن عياض الليثى أبو ضمرة عن موسى بن عتبة عن على بن عبد الله الأزدى عن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «قال الله عز وجل : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ ، فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابًا يسيراً ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأُولئك الذين يحبسون فى طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ ...﴾ إلى قوله : ﴿لُغُوبٌ﴾ .

وأخبرنى الحسين قال : حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن سمعان الذرار قال : حدثنا يوسف بن يعقوب بن الحسن المقرئ بواسط قال : حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله المزنى قال حدثنا : فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحرازى قال : حدثنى من سمع عثمان بن عفان تلا هذه الآية : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾ الآية ، فقال : سابقنا أهل جهادنا ،

ومقتصدنا: أهل حضرنا، وظالمنا: أهل بدونا.

وأخبرني الحسين قال: حدثنا عمر بن الخطاب قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا إسماعيل بن يزيد قال: حدثنا داود عن الصلت بن دينار قال: حدثنا عقبة بن صهبان قال: دخلت على عائشة فسألتها عن قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ....﴾ فقالت لي: يا بني كلهم في الجنة؛ أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا.

وقال مجاهد والحسن وقتادة: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ قالوا: هم أصحاب المشأمة، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: هم أصحاب الميمنة ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: هم السابقون المقربون من الناس كلهم.

قال قتادة: فهذا في الدنيا على ثلاث منازل وعند الموت قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة: ٩٠ ـ ٩٤)، وفي الآخرة أيضًا، قال عزّ وجلّ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ٧ ـ ١١).

وقال ابن عباس: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرائي، والظالم: الكافر بنعمة الله غير الجاحد لها؛ لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، وسمعت أبا محمد شيبة بن محمد بن أحمد الشعبي يقول: سمعت أبا بكر بن عبد يقول: قالت عائشة: السابق: الذي أسلم قبل الهجرة، والمقتصد: الذي أسلم بعد الهجرة، والظالم: نحن.

وقال بكر بن سهل الدمياطي: الظالم لنفسه: الذي مات على كبيرة ولم يتب منها، والمقتصد: الذي لم يصب كبيرة، والسابق بالخيرات: الذي لم يعص الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وعن الحسن أيضًا قال: السابق: من رجحت حسناته، والمقتصد: من استوى حسناته وسيئاته، والظالم: الذي ترجح سيئاته على حسناته.

سهل بن عبد الله: السابق: العالم، والمقتصد: المتعلم، والظالم: الجاهل، وعنه أيضًا: السابق: الذي اشتغل بمعاده، والمقتصد: الذي اشتغل بمعاده عن معاشه، والظالم: الذي اشتغل بمعاشه عن معاده.

وقيل: الظالم: طالب الدنيا، والمقتصد: طالب العقبى، والسابق: طالب المولى.

وقيل: الظالم: المسلم، والمقتصد: المؤمن، والسابق: المحسن.

وقيل: الظالم: المرائى فى جميع أعماله، والمقتصد: من تكون أعماله بعضها رياء وبعضها إخلاص، والسابق: المخلص فى أفعاله كلها، وقيل: الظالم: من أخذ الدنيا حلالاً كان أو حرامًا، والمقتصد: من يجتهد فى طلب الحلال، والسابق: الذى ترك الدنيا جملةً وأعرض عنها.

أبو عثمان الحيرى: الظالم: من وحد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله. والمقتصد: من وحده بلسانه وأطاعه بجوارحه، والسابق: من وحده بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص فى عمله، وقيل: السابقون: هم المهاجرون الأولون، والمقتصدون: عامة الصحابة، والظالمون: التابعون.

وسمعت محمد بن الحسين السلمى يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا القاسم البزاز بمصر يقول: قال ابن عطاء: الظالم: الذى تحبه من أجل الدُّنيا، والمقتصد: الذى تحبه من أجل العقبى، والسابق: الذى أسقط مراده بمراد الحق، فلا يرى لنفسه طلبًا ولا مرادًا لغلبة سلطان الحق عليه، وقيل: الظالم: من كان ظاهره خيرًا من باطنه، والمقتصد: الذى استوى ظاهره وباطنه، والسابق: الذى باطنه خيرٌ من ظاهره.

وقيل: الظالم: الذى يعبد الله خوفًا من النار، والمقتصد: الذى يعبده طمعًا فى الجنة، والسابق: الذى يعبده لا لسبب، وقيل: الظالم: الزاهد، والمقتصد: العارف، والسابق: المحب، وقيل: الظالم: الذى يجزع عند البلاء، والمقتصد: الذى يصبر عند البلاء، والسابق: الذى يتلذذ بالبلاء، وقيل: الظالم: الذى يعبده على الغفلة والعادة، والمقتصد: الذى يعبده على الرغبة والرهبة، والسابق: الذى يعبده على الهيبة ورؤية المنة، وقيل: الظالم: الذى أعطى فمنع، والمقتصد: الذى أعطى فبذل، والسابق: الذى مُنع فشكر، وقيل: الظالم: غافل، والمقتصد: طالب، والسابق واجد، وقيل: الظالم: من استغنى بماله، والمقتصد: من استغنى بدينه، والسابق: من استغنى بربه، وقيل: الظالم التالى للقرآن، والمقتصد: القارئ له والعالم به، والسابق: القارئ لكتاب الله العالم بكتاب الله العامل به، وقيل: السابق: الذى يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن، والمقتصد: الذى يدخل المسجد وقد أذن، والظالم: الذى يدخل المسجد وقد أقيم، وقيل: الظالم: الذى يحب نفسه، والمقتصد: الذى يحب ربه، والسابق: الذى يحبه ربه، وقيل: الظالم: مريد، والمقتصد: مُراد، والسابق: مطلوب، وقيل: الظالم: مدعو، والمقتصد مأذون له، والسابق: مقرب، وقيل: الظالم: عيوف،

والمقتصد: ألوف، والسابق: حليف.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: الظالم: ينتصف ولا ينصف، والمقتصد: ينصف وينتصف والسابق: ينصف ولا ينتصف. ذو النون المصرى: الظالم: الذى لا يذكر الله بلسانه، والمقتصد: الذى يذكره بقلبه، والسابق: الذى لا ينسى ربه.

أحمد بن عاصم الأنطاكى: الظالم: صاحب الأقوال، والمقتصد: صاحب الأفعال، والسابق: صاحب الأحوال.

ثم جمعهم الله سبحانه وتعالى فى دخول الجنة فقال سبحانه وتعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾. أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أحمد بن محمد بن زرعة قال: حدثنا يوسف بن عاصم الرازى قال: حدثنا أبو أيُّوب سليمان بن داود المنقرى المعروف بالشاذكوى عن حصين ابن نمير أبو محصن عن ابن أبى ليلى عن أخيه عن أبيه عن أُسامة بن زيد عن النبى ﷺ: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ الآية قال: «كلهم فى الجنة».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا على بن محمد بن على بن الحسين الفأفاء القاضى قال: حدثنا بكر بن محمد المروزى قال: حدثنا أبو قلابة قال: حدثنا عمرو بن الحصين عن الفضل ابن عميرة عن ميمون الكردى عن أبى عثمان الهندى قال: سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾: الآية فقال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له». قال أبو قلابة: فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه.

﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾: أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين قال: حدثنا محمد بن الحسن بن بشير قال: حدثنا أبو الحارث أحمد بن سعيد بن أم سعيد قال: حدثنا الربيع بن سليمان المرادى قال: حدثنا أسيد بن موسى عن ابن ثومان عن عطاء ابن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أدنى أهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعًا لكان ما يحليه الله سبحانه به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعًا».

﴿وَقَالُواْ﴾: أى يقولون إذا دخلوا الجنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ أخبرنى الحسين ابن محمد العدل قال: حدثنا محمد بن المظفر قال: حدثنا على بن إسماعيل بن حماد البغدادى قال: حدثنا عمرو بن على الفلاس قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثنى أبى عن عمرو بن مالك عن ابن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قول الله عز وجل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ

﴿أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ قال: حزن النار.

أخبرني الحسين بن محمد عن محمد بن علي بن الحسن الصوفي قال: حدثنا أبو شعيب الحراني قال: حدّثنا عبد العزيز بن أبي داود الحراني قال: حدثنا جرير عن أشعث بن قيس عن شمر بن عطية في قول الله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ قال حزن الخبز.

عكرمة: حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات، وقيل: حزن الموت، وقيل: حزن الجنة والنار لا يُدرى إلى أيهما يصير. الثمالي: حزن الدنيا. الضحاك: حزن إبليس ووسوسته. ذو النون: حزن القطيعة.

الكلبي: يعني الحزن الذي يحزننا في الدنيا من يوم القيامة، وقيل: حزن العذاب والحساب، وقيل: حزن أهوال الدنيا وأوجالها، وقال القاسم: حزن زوال النعم وتقليب القلب وخوف العاقبة.

وسمعت السلمي يقول: سمعت النصرآبادي يقول: ما كان حزنهم إلا تدبير أحوالهم وسياسة أنفسهم، فلما نجوا منها حمدوا: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، أخبرني أبو عبد الله الدينوري قال: أخبرني أبو حذيفة أحمد بن محمد بن علي عن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن عبد الرَّحْمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ليس على أهل (لا إله إلا الله) وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في منشرهم، وكأني بأهل (لا إله إلاّ الله) يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾: أي الإمامة ﴿مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: أي كلال وإعياء وفتور، وقراءة العامة بضم اللام، وقرأ السلمي بنصب اللام وهو مصدر أيضًا كالولوع، وقال الفراء: كأنه جعله ما يلغب مثل لغوب.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي: قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن مهدي، قال: أبو عبد الله محمد بن زكريا بن محمدويه الرجل الصالح، عن عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي قال: حدثنا عاصم بن عبد الله قال: حدثني إسماعيل عن ليث بن أبي سليم عن الضحاك بن مزاحم في قول الله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ قال: إذا دخل أهل الجنة استقبلهم الولدان والخدم كأنهم اللؤلؤ المكنون. قال: فيبعث الله ملكًا من الملائكة معه هدية من رب العالمين وكسوة من كسوة الجنة فيلبسه. قال: فيريد أن يدخل الجنة

فيقول الملك: كما أنت فيقف ومعه عشرة خواتيم من خواتيم الجنة هدية من رب العالمين فيضعها فى أصابعه. مكتوب فى أول خاتم منها: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣)، وفى الثانى مكتوب: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ (ق: ٣٤)، وفى الثالث مكتوب: «رفعت عنكم الأحزان والهموم»، وفى الرابع مكتوب: «زوجناكم الحور العين»، وفى الخامس مكتوب: «ادخلوها بسلام آمنين»، وفى السادس مكتوب: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ (المؤمنون: ١١١)، وفى السابع مكتوب: «إنهم هم الفائزون»، وفى الثامن: «صرتم آمنين لا تخافون»، وفى التاسع مكتوب: «رافقتم النبيين والصديقين والشهداء»، وفى العاشر مكتوب: «سكنتم فى جوار من لا يؤذى الجيران». ثم تقول الملائكة: «ادخلوها بسلام آمنين».

فلما دخلوا بيوتًا ترفع: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ...﴾ إلى قوله: ﴿لُغُوبٌ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى

ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ : أى لا يقبضون فيستريحون.

وذكر عن الحسن: فيموتون، ﴿لَا﴾ يكون حينئذ جوابًا للنفى، والمعنى: لا يقضى عليهم ولا يموتون. كقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات:٣٦).

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ : قراءة العامة بنصب النون واللام وقرأ أبو عمرو بضم الياء واللام وفتح الزاى على غير تسمية الفاعل.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ : يدعون ويستغيثون ويصيحون فيها، وهو افتعال من الصراخ، ويُقال للمغيث: صارخ وللمستغيث: صارخ. ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ : من النار ﴿نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ : فى الدُّنيا، فيقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ . اختلفوا فى هذه المدة، فقال قتادة والكلبى: ثمانى عشرة سنة، وقال الحسن: أربعون سنة، وقال ابن عباس: ستون سنة.

أخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبة وأحمد بن جعفر بن حمدان قالا: حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال: حدثنا أبو سلمة يحيى بن المغيرة، حدثنا ابن أبى فديك، عن عبد الله بن عبد الرَّحْمن بن أبى حصين عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة نودى أين أبناء الستين؟ وهو الذى قال الله عز وجل فيه: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ .

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أبو بكر بن حرجة قال: حدثنا محمد بن أيوب قال: حدثنا الحجبى عن عبد العزيز بن أبى حازم قال: سمعت أبى يُحدث عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من عمَّره الله ستين سنة فقد أعذر الله إليه فى العمر».

وأخبرنى ابن فنجويه عن أحمد بن جعفر بن حمدان عن إبراهيم بن سهلويه عن الحسين بن عرفة، عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك».

وقال رسول الله ﷺ: «معترك منايا أُمتى ما بين الستين إلى السبعين».

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ : أى الرسول، وقال زيد بن على: القرآن، وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع والحسين بن الفضل: يعنى الشيب، وفيه قيل:

رأيت الشيب من نُذُر المنايا لصاحبها وحسبك من نذير
فحدّ الشيب أهبة ذى وقار فلا خلفٌ يكون مع القتير

وقال آخر:

وقائلة تبيض والغوانى نوافر عن معاينة القتير
فقلت لها المشيب نذير عمرى ولستُ مسودًا وجه النذير

﴿فَذُوقُواْ﴾ : أى العذاب ﴿فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ﴾ : غضبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ : أى فى الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا﴾ : يأمرهم بذلك ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ﴾ .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والأعمش وحمزة: (بينة) على الواحد، وقرأ غيرهم (بينات) بالجمع، وهو اختيار أبى عبيد قال: لموافقة الخط. فإنى قد رأيتها فى بعض المصاحف بالألف والتاء. ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ، روى مغيرة عن إبراهيم قال: جاء من أصحاب عبد الله بن مسعود إلى كعب ليتعلم من علمه، فلما رجع قال عبد الله: هات الذى أصبت من كعب. قال: سمعت كعبًا يقول: إنّ السماء تدور فى قطبة مثل قطبة الرحا فى عمود على منكب ملك. فقال عبد الله: وددت أنك انفلتّ من رحلتك براحلتك ورحلها، كذب كعب ما ترك يهوديته بعدُ، إنّ الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ﴾ الآية، إن السموات لا تدور، ولو كانت تدور لكانت قد زالت.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ : وذلك أن قريشًا لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى دينًا منهم، وهذا قبل قدوم النبى ﷺ، فلما بعث محمد ﷺ كذبوه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ﴾ ، يعنى اليهود والنصارى، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ : محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ : بعدًا ونفارًا.

﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: ونصب ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾: على البدل من النفور، قاله الأخفش، وقيل: على المصدر، وقيل: نزع الخافض. ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾: يعنى العمل القبيح، وقال الكلبى: هو إجماعهم على الشرك وقتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ أى لا يحل ولا ينزل، ويحيط ويلحق فقتلوا يوم بدر، وقراءة العامة: ﴿ٱلسَّيِّئُ﴾: بإشباع الإعراب فيها، وجزم الأعمش وحمزة (ومكر السَّى) تخفيفًا وكراهة لالتقاء الحركات ولم يعملا ذلك فى الأخرى، والقراءة المرضية ما عليه العامة.

وفى الحديث أنّ كعبًا قال لابن عباس: قرأت فى التوراة: من حفر حفرة وقع فيها. فقال: ابن عباس: أنا أوجد لك ذلك فى القرآن، ثم قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾.

وأخبرنى أبو عبد الله الحسين بن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبة قال: حدثنا محمد بن الحسن البلخى قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهرى قال: بلغنا أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تمكر ولا تعن ماكرًا؛ فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾، ولا تبغ ولا تعن باغيًا، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ (يونس: ٢٣) ولا تنكث ولا تعن ناكثًا فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾ (الفتح: ١٠)».

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾: يعنى العذاب إذا كفروا ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ۝ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾: من الجرائم ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾، يعنى الأرض كناية عن غير مذكور ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾.

قال الأخفش والحسين بن الفضل: أراد بالدابة: الناس دون غيرهم، وأجراها الآخرون على العموم. أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبة عن الفريابى قال: حدثنى أبو مسعود أحمد بن الفرات قال: أخبرنا أبو عوانة قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهرى عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال النبى ﷺ: «إذا أصاب الله عز وجل قومًا بعذاب أصاب به من بين ظهرانيهم ثم يبعثون على أعمالهم يوم القيامة».

وقال قتادة فى هذه الآية: قد فعل الله ذلك فى زمن نوح فأهلك الله ما على ظهر الأرض من دابة إلاّ ما حُمل فى سفينة نوح، وقال ابن مسعود: كاد الجعل يُعذب فى جحره بذنب ابن

آدم ثم قرأ هذه الآية، وقال أنس: إنّ الضب ليموت هزلاً فى جحره بذنب ابن آدم، وقال يحيى ابن أبى كثير: أمر رجل بمعروف ونهى عن منكر، فقال له رجل: عليك نفسك فإنّ الظالم لا يضر إلاّ نفسه. فقال أبو هريرة: كذبت والذى نفسى بيده، إنّ الحبارى لتموت هزلاً فى وكرها بظلم الظالم.

وقال أبو حمزة الثمالى فى هذه الآية: يحبس المطر فيهلك كل شىء.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾.



سُورَةُ يس

مكية، وهى ثلاثة آلاف حرف
وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاث وثمانون آية

❖ **فى فضلها:**

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد الناقد قال: أخبرنى أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسين بن صالح عن هارون أبى محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «لكل شىء قلب وإنّ قلب القرآن (يس) ومن قرأ (يس) كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات».

وأخبرنى محمد بن الحسين بن محمد قال: حدثنا محمد بن محمد بن يعقوب قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم الملطى بمصر قال: حدثنا إسماعيل بن محمود النيسابورى قال: حدثنا أحمد بن عمران الرازى عن محمد بن عمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّ فى القرآن لسورة تشفع لقرائها ويُغفر لمستمعها، ألا وهى سورة يس».

وأخبرنا أبو الحسن عبد الرَّحْمن بن محمد بن إبراهيم الطبرانى بها قال: حدّثنا العباس بن محمد بن قوهيار قال: حدثنا الفضل بن حماد وأخبرنا أحمد بن أبى الفراتى قال: أخبرنا أبو نصر السرخسى قال: حدثنا محمد بن أيوب قالا: حدّثنا إسماعيل بن أبى أوس عن محمد بن عبد الرَّحْمن بن أبى بكر الجدعانى عن سليمان بن مرقاع عن هلال بن الصلت أنّ أبا بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «يس تدعى المعمة». قيل: يا رسول الله وما المعمة؟ قال: «تعم صاحبها خير الدنيا وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتدعى الدافعة والقاضية» قيل يا رسول الله وكيف ذلك؟.

قال: «تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرون حجة، ومن سمعها كان له ألف دينار فى سبيل الله، ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف يقين وألف زلفى وألف رحمة، ونزع عنه كل داء وغل».

وأخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكي قال: حدثنا أبو الأحرز محمد بن عمر بن جميل قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم - وهو أبو بسطام البغدادي - قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا يوسف بن عطية عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ (يس) يريد بها الله عز وجل غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، وأيما مريض قرئت عنده سورة (يس) نزل عليه بعدد كل حرف عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفًا فيصلون ويستغفرون له ويشهدون قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه، وأيما مريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت وهو ريان ويبعث وهو ريان ويُحاسب وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان».

وحدثنا أبو الفضل علي بن محمد بن أحمد بن علي الشارعي الخوارزمي إملاء قال: حدثنا أبو سهل بن زياد القطان قال حدثنا ابن مكرم قال: حدثنا مصعب بن المقدم قال: حدثنا أبو المقدام هشام عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (يس) في ليلة أصبح مغفوراً له».

وأخبرني الحسين بن محمد الثقفي قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال: حدثنا حمزة بن الحسين بن عمر البغدادي قال: حدثنا محمد بن أحمد الرياحي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أيوب بن مدرك عن أبي عبيدة عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «من دخل المقابر فقرأ سورة (يس) خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا علي بن ماهان عن علي بن محمد الطنافسي قال: حدثنا عبد الرحمن المحاربي قال: حدثنا عامر بن يساف اليمامي عن يحيى بن كثير قال: بلغنا أنه من قرأ (يس) حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح، وقد حدثني من جربها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿يس﴾ : اختلف القراء فيه ، فقرأ حمزة والكسائى وخلف فى أكثر الروايات ﴿يسٓ﴾ : بكسر الياء بين اللفظين قراءة أهل المدينة ، وهو اختيار أبى عبيد وأبى حاتم .

الباقون : بفتح الياء ، وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وحمزة وأيوب وأبو حاتم وعاصم فى أكثر الروايات ، (يسين) ، بإظهار النون والسكون .

واختلف فيه عن نافع وابن كثير ، فقرأ عيسى بن عمر : (يس) بالنصب ، شبهه بـ (أين) و(كيف) ، وقرأ ابن أبى إسحاق بكسر النون ، شبهه بأمس ورقاش وحذام وقرأ هارون الأعور : بضم النون ، شبهه بمنذُ وحيثُ وقطُّ . الآخرون : بإخفاء النون .

واختلف المفسرون فى تأويله ، فقيل : قسم ، وقال ابن عباس : يعنى يا إنسان بلغة طيّئ عطا : بالسريانية ، وقال أبو العالية : يا رجل ، وقال سعيد بن جبير : يا محمّد ، دليله قوله : ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ .

وقال السيد الحميرى :

يا نفس لا تمحضى بالنصح جامدة على المـــــودة إلاّ آل ياسينـا

وقال أبو بكر الوراق : يا سيد البشر .

فإن قيل : لم عدّ ﴿يسٓ﴾ آية ولم يعد ﴿طسٓ﴾ آية؟ .

فالجواب أنّ ﴿طسٓ﴾ أشبه قابيل من جهة الزنة والحروف الصحاح و﴿يسٓ﴾ أوله حرف علة وليس مثل ذلك فى الأسماء المفردة ، فأشبه الجملة والكلام التام وشاكل ما بعده من رءوس الآى .

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ : وهو جواب لقول الكفار : لستَ مرسلاً .

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ﴾ : قرأ ابن عامر وأهل الكوفة بنصب اللام على المصدر كأنه قال : نزل تنزيلاً ، وقيل على الخروج من الوصف ، وقرأ الآخرون بالرفع أى هو تنزيلُ

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ : الشديد المنع على الكافرين ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ : بعباده وأهل طاعته.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ : فى الفترة، وقيل : بما أُنذر آباؤهم ﴿فَهُمْ غَـٰفِلُونَ﴾ : عن الإيمان والرشد.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ : وجب العذاب ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا﴾ ، نزلت فى أبى جهل وأصحابه المخزوميين، وذلك أنّ أبا جهل كان قد حلف لئن رأى محمداً يُصلى ليرضخن برأسه. فأتاه وهو يُصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه أثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده. فلما عاد إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر، فقال رجل من بنى مخزوم : أنا أقتله بهذا الحجر.

فأتاه وهو يُصلى ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه وقالوا له : ما صنعت؟ فقال : ما رأيته، ولقد سمعت صوته وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلنى، فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ .

﴿فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ : مغلولون، وأصل الإقماح غض البصر ورفع الرأس، يُقال : بعير مقمح إذا رفع رأسه وغض بصره، وبعير قامح إذا أروى من الماء فأقمح. قال الشاعر يذكر سفينة كان فيها :

ونحن على جوانبها قعود ... نغضّ الطرف كالإبل القماح

وقال أبو عبيدة : هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، وإنما أراد : منعناهم عن الإيمان وعما أرادوا بموانع، فجعل الأغلال مثلا لذلك، وفى الخبر أنّ أبا ذؤيب كان يهوى امرأة فى الجاهلية، فلما أسلم أتته المرأة - واسمها أمُّ مالك - فراودته عن نفسه، فأبى وأنشد يقول :

فليس كعهد الدار يا أُمّ مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل ... سوى العدل شيئًا فاستراح العواذل

أراد منعنا : بموانع الإسلام عن تعاطى الزنا والفسق، وقال عكرمة : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا﴾ يعنى ظلمات وظلالات كانوا فيها.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ﴾ : فأعميناهم، العامة بالغين.

أخبرنى الحسن بن محمد الثقفى قال : حدثنا البغوى ببغداد قال : حدثنا أحمد بن محمد بن أبى شنبه البغدادى قال : حدثنا أبو القاسم عثمان بن صالح الحناط قال : حدثنا عثمان بن عمر عن شعبة عن على بن نديمة قال : سمعت عكرمة يقول : (فأعشيناهم) - بالعين غير معجمة -

وروى ذلك عن ابن عباس.

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أخبرنا ابن فنجويه الدينورى عن عبد الله بن محمد بن شنبه قال: حدّثنا عمير بن مرداس قال: حدثنى سلمة بن شبيب قال: حدثنا الحسين بن الوليد قال: حدّثنا حنان بن زهير العدوى عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز، وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه، عن الفريابى قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبى قال: حدثنا محمد بن عمرو الليثى أنّ الزهرى حدثه قال: دعا عمر بن عبد العزيز غيلان القدرى فقال: يا غيلان بلغنى أنك تكلم فى القدر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنهم يكذبون علىّ. قال: يا غيلان اقرأ أول سورة (يس)، فقرأ: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. فقال غيلان: يا أمير المؤمنين والله لكأنى لم أقرأها قط قبل اليوم، أشهدك يا أمير المؤمنين أنى تائب مما كنت أقول فى القدر. فقال عمر بن عبد العزيز: اللهم إن كان صادقًا فتب عليه، وإن كان كاذبًا فسلط عليه من لا يرحمه واجعله آية للمؤمنين.

قال: فأخذه هشام فقطع يديه ورجليه.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه عن الفريابى قال: حدثنا عبد الله بن معاذ قال: حدثنا أبى عن بعض أصحابه قال: حدث محمد بن عمير بهذا الحديث ابن عون، فقال ابن عون: أنا رأيته مصلوبًا على باب دمشق.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾: يعنى إنما ينفع إنذارك ـ لأنه كان ينذر الكل ـ ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن فعمل به ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ﴾: أخبره ﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: عند البعث ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: من الأعمال ﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾: ما استُن به بعدهم، نظيره قوله: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة: ١٣)، وقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٥).

وقال المغيرة بن شعبة والضحاك: نزلت فى بنى عذرة، وكانت منازلهم بعيدة عن المسجد فشق عليهم حضور الصلوات، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ يعنى خُطاهم إلى المسجد.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا جعفر بن محمد الفريابى قال: حدثنا حنان بن موسى قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد الحريرى عن أبى نضرة عن جابر عن عبد الله قال: «أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حول المسجد خالية فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتانا فى

ديارنا فقال: «يا بنى سلمة، بلغنى أنكم تريدون النقلة إلى المسجد؟» فقالوا: يا رسول الله، بعد علينا المسجد، والبقاع حول المسجد خالية. فقال: «يا بنى سلمة، دياركم فإنما تكتب آثاركم». قال: فما وددنا بحضرة المسجد لمّا قال رسول الله ﷺ عليه الذى قال.

أخبرنا أبو على الروزبارى قال: حدثنا أبو بكر محمد بن مهرويه الرازى قال: حدثنا أبو حاتم الرازى قال: حدثنا قرة بن حبيب قال: حدثنا عتبة بن عبد الله عن ثابت عن أنس فى قوله سبحانه: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ قال: الخُطى يوم الجمعة.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ﴾: علمناه وعدّدناه وبيناه ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: وهو اللوح المحفوظ.

❖ ❖ ❖

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُواْ

مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾: وهى أنطاكية: ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ يعنى رُسل عيسى: قالت العلماء بأخبار الأنبياء: بعث عيسى (عليه السلام) رسولين من الحواريين إلى أنطاكية، فلما قربا من المدينة رأيا شيخًا يرعى غنيمات وهو حبيب صاحب (يس)، فسلما عليه، فقال الشيخ: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرَّحْمن. فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم، نشفى المرضى ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله. فقال الشيخ: إنّ لى ابنًا مريضًا صاحب فراش منذ سنين. قالا: فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله.

فأتى بهما إلى منزله، فمسحها ابنه فقام فى الوقت بإذن الله صحيحًا، ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على يديهما كثيرًا من المرضى، وكان لهم ملك يقال له سلاحين، وقال وهب: اسمه أبطيحيس، وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، قالوا: فانتهى الخبر إليه فدعاهما، فقال لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى. قال: وما آيتكما؟ قالا: نبرئ الأكمه والأبرص، ونشفى المرضى بإذن الله. قال: وفيم جئتما؟ قالا: جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر. فقال الملك: أولنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم من أوجدك وآلهتك. قال: قوما حتى أنظر فى أمركما. فتتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما فى السوق.

وقال وهب بن منبه: بعث عيسى (عليه السلام) هذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها فطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم: فكبرا وذكرا الله، فغضب الملك وأمر بهما فأخذا وحُبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة. قالوا: فلما كُذب الرسولان وضُربا، بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما.

فدخل شمعون البلدة متنكرًا وجعل يُعاشر حاشية الملك حتى أنسوا له فرفع خبره إلى الملك فدعاه فرضى عشرته، وآنس به وأكرمه. ثم قال له ذات يوم: أيها الملك بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال الملك: حال الغضب بينى وبين ذلك. قال: فإذا رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما.

فدعاهما الملك فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى هاهنا؟ قالا: الله الذى خلق كل شىء وليس له شريك. فقال لهما شمعون: فصفاهُ وأوجزا. فقالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد. قال شمعون: وما آيتكما؟ قالا له: ما تتمناه. فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة. فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين فبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعًا مثل هذا فيكون لك الشرف ولإلهك.

فقال له الملك: ليس عندى سر إنّ إلهنا الذى نعبده لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويُصلى كثيرًا ويتضرع، حتى ظنوا أنه على ملتهم.

وقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما الذى تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما. قالا: إلهنا قادر على كل شىء. فقال الملك: إنّ ههنا ميتًا مات منذ سبعة أيام ابنًا لدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبًا. فجاءوا بالميت وقد تغيّر وأروح، فجعلا يدعوان ربهما علانية، وجعل شمعون يدعو ربه سرًا. فقام الميت وقال: إنى قد مُت منذ سبعة أيام، ووُجدت مشركًا فأدخلت فى تسعة أودية من النار، وأنا أُحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا بالله.

ثم قال: فتحت أبواب السماء فنظرت فرأيت شابًا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة. قال الملك: ومن الثلاثة؟ قال: شمعون وهذان، وأشار إلى صاحبيه، فتعجب الملك، فلما علم شمعون أن قوله أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه، فآمن قوم وكان الملك فيمن آمن، وكفر آخرون.

وقال ابن إسحاق عن كعب ووهب: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيبًا وهو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾.

واختلفوا فى اسميهما، فقال ابن عباس: تاروص وماروص، وقال وهب: يحيى

ويونس، ومقاتل: تومان ومانوص.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: أى فقوّينا برسول ثالث. قرأ طلحة بن مصرف وعاصم عن حفص: ﴿فعَزَزْنا﴾ مخففًا، أى فغلبناهم، من عزيز برسول ثالث وهو شمعون.

وقال مقاتل: شمعان، وقال كعب: الرسولان صادق وصدوق والثالث شلوم وإنما أضاف الإرسال إليه لأن عيسى (عليه السلام) إنما بعثهم بأمره عزّ وجلّ، وكانوا فى جملة الرسل، فقالوا جميعًا لأهل أنطاكية: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾: ما أنتم إلا كاذبون. ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾: تشاءمنا.

﴿بِكُمْ﴾: قال مقاتل: حبس عنهم المطر فقالوا: هذا بشؤمكم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾، قال قتادة: بالحجارة، وقال آخرون: لنقتلنكم، ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم﴾: شؤمكم ﴿مَّعَكُمْ﴾: بكفركم، وقال ابن عباس والضحاك: حظّكم من الخير والشر. قال قتادة: أعمالكم، وقرأ الحسن والأعرج: طيركم.

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾: وعظتم، وقرأ أبو جعفر بالتخفيف، يعنى من حيث ذكرتم، وجوابه محذوف مجازه: أئن ذكرتم قلتم هذا القول، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: مشركون مجاوزون الحد.

قوله: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾: وهو حبيب بن مرى، وقال ابن عباس ومقاتل: حبيب بن إسرائيل النجار، وقال وهب: وكان رجلاً سقيمًا قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان مؤمنًا ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين: فيطعم نصفًا عياله ويتصدق بنصفه، فلما بلغه أن قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم فقال: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، قال قتادة: لما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا. فقال ذلك. قال: وكان حبيب فى غار يعبد ربه، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وما هو عليه من التوحيد وعبادة الله، فقيل له: وأنت مخالف لديننا وتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم؟ فقال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝ إِنِّىٓ﴾: إن فعلت ذلك ﴿إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾: فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه.

قال عبد الله بن مسعود: وطئوه بأرجلهم حتى خرج قضيبه من دبره، وقال السدى: كانوا

يرمونه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه، وقال الحسن: خرقوا خرقًا في حلقه فعلقوه من سوق المدينة، وقبره في سور أنطاكية فأوجب الله له الجنة، فذلك قوله: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾.

فلما أفضى إلى جنة الله وكرامته ﴿قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾. أخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن علي بن حمشاد المزكي بقراءتي عليه في شعبان سنة أربعمائة فأقرّ به قال: أخبرنا أبو ظهير عبد الله بن فارس بن محمد بن علي بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وثلاثمائة قال: حدثنا إبراهيم بن الفضل بن مالك قال: حدثنا عن أخيه عيسى عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب آل يس، ومؤمن آل فرعون، فهم الصديقون وعلي أفضلهم».

قالوا: فلما قُتل حبيب غضب الله له وعجّل لهم النقمة، فأمر جبرئيل (عليه السلام) فصاح بهم صيحة ماتوا عن آخرهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾، وفي مصحف عبد الله: (إن كانت إلاّ زقية واحدة)، وهي الصحيحة أيضًا وأصلها من الزقا، وقرأ أبو جعفر: (صيحةٌ) بالرفع، جعل الكون بمعنى الوقوع ﴿فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ﴾: ميتون.

﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾: قال عكرمة: يعني على أنفسهم، وفيه قولان:

أحدهما: أنّ الله يقول: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ وكآبة عليهم حين لم يؤمنوا.

والآخر: أنه من قول الهالكين. قال أبو العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ يعني الرسل الثلاثة حين لم يؤمنوا بهم، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم، وقرأ عكرمة: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ بجزم الهاء ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وكان خبر الرسل الثلاثة في أيام ملوك الطوائف.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾: يعني أهل مكة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾؟ والقرن: أهل كل عصر؛ سموا بذلك لاقترابهم في الوجود ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا﴾ بالتشديد، ابن عامر والأعمش وعاصم وحمزة. الباقون: بالتخفيف. فمن شدد جعل ﴿إن﴾: بمعنى الجحد، و﴿لَّمَّا﴾: بمعنى (إلاّ)، تقديره: وما كل إلا جميع، كقولهم: سألتك لما فعلت، أي إلاّ فعلت، ومن خفف جعل ﴿إن﴾: للتحقيق وحققه، وما صلة، مجازه: وكل ﴿جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا﴾: بالمطر، ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ﴾:

بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾، قرأ الأعمش: بضم الثاء وجزم الميم (ثُمْره)، وقرأ خلف ويحيى وحمزة والكسائى بضم الثاء والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: قرأ العامة بالهاء، وقرأ عيسى بن عمر وأهل الكوفة: (عملت) بلا هاء، ويجوز فى ﴿مَا﴾ ثلاثة أوجه:

الوجه الأوّل: الجحد، بمعنى ولم تعمله أيديهم، أى وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها، وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل.

والوجه الثانى: معنى المصدر، أى ومن عمل أيديهم.

والوجه الثالث: معنى الذى، أى وما عملت أيديهم من الحرث والزرع والغرس، وهو معنى قول ابن عباس. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: نعمه؟

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: الأشكال والأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ﴾: ننزع ونخرج ﴿مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾، وقال الكلبى: نذهب به ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: داخلون فى الظلام.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ يعنى إلى مستقر لها. قال ابن عباس: لا تبلغ مستقرها حتى ترجع إلى منازلها، وقال قتادة: إلى وقت واحد لها لا تعدوه، وقيل: إلى انتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا، وقيل: إلى أبعد منازلها فى الغروب.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عمر بن الخطاب وأحمد بن جعفر قالا: حدّثنا إبراهيم ابن سهل قال: حدثنا محمد بن بكار العيسى قال: حدثنا إسماعيل بن علية قال: حدثنا يونس ابن عبيد عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ قال: «مستقرها تحت العرش».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حبيش قال: حدثنى أبو الطيب أحمد بن عبد الله بن يحيى الدارمى قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد السمرقندى بدمياط قال: حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا مروان بن معاوية عن محمد بن أبى حسان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ: والشمس تجرى لا مستقر لها، وهى قراءة ابن مسعود أيضًا، أى لا قرار لها، فهى جارية أبدًا.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ وَٱلْقَمَرَ﴾: بالرفع: نافع وابن كثير وأبو عمر وأيوب ويعقوب غير ورش، واختاره أبو حاتم قال: لأنك شغلت الفعل عنه فرفعته للابتداء، وقرأ الباقون بالنصب، واختاره أبو عبيد، قال: للفعل المتقدم قبله والمتأخر بعده، فأما المتقدم فقوله:

﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ وأما المتأخر فقوله: ﴿قَدَّرْنَـٰهُ﴾، أى قدرنا له المنازل.

﴿مَنَازِلَ﴾، أى قدرنا له المنازل وهى ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة بمنزل منها، وأسماؤها: الشرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة والطرف، والجبهة والزبرة، والصرفة، والعوّا، والسماك، والغفر، والزبانى، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، وبطن الحوت.

فإذا صار إلى آخر منازله ﴿عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾، وهو العذق الذى فيه الشماريخ، فإذا أقدم وعتق يبس وتقوّس واصفر فشبه القمر فى دقته وصفرته به، ويُقال لها أيضًا الأهان.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾: بل هما يسيران دائبين ولكل حدٌّ لا يعدوه ولا يقصر دونه، فإذا جاء سلطان هذا ذهب ذلك وإذا جاء سلطان ذلك ذهب هذا، فذلك قوله: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾. فإذا اجتمعا وأدرك كل واحد صاحبه قامت القيامة وذلك قوله سبحانه: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ (القيامة: ٩).

﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: يجرون.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: الموقر المملوء، وهى سفينة نوح؛ الآباء فى السفينة، والأبناء فى الأصلاب، والحمل: منع الشيء أن يذهب إلى جهة السفل.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: أى مثل سفينة نوح ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: وهى السفن كلها.

أخبرنا عبيد بن محمد بن محمّد بن مهدى قال: حدثنا أبو العباس الأصم قال: حدّثنا أحمد بن حازم قال: حدّثنا عبد الله بن موسى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك فى قوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ قال: السفن الصغار، وقال ابن عباس: الإبل سفن البر.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: ينجون من الغرق ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: يعنى انقضاء آجالهم.

❖ ❖ ❖

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ

يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَـٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾»

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ : أى ما بين أيديكم من الآخرة فاعملوا لها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ : من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها . قاله ابن عباس ، وقال مجاهد : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ : ما يأتى من الذنوب ، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ : ما مضى من الذنوب .

الحسن : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ : يعنى وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأُمم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ : من أمر الساعة .

مقاتل : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ عذاب الأمم الخالية ، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ : عذابُ الآخرة .

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ : والجواب محذوف تقديره : إذا قيل لهم هذا أعرضوا ، دليله ما بعده : ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ﴾ : الرزق ﴿مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ : يتوهمون أنّ الله تعالى لما كان قادراً على إطعامه وليس يشاء إطعامه ، فنحن أحق بذلك . نزلت فى مشركى مكة حين قال لهم فقراء أصحاب رسول الله ﷺ : أعطونا ما زعمتم من أموالكم أنها لله ، وذلك قوله : ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا﴾ (الأنعام: ١٣٦) فحرموهم ، وقالوا : لو شاء الله أطعمكم فلا نُعطيكم شيئًا حتى ترجعوا إلى ديننا .

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ : فى اتباعكم محمداً ومخالفتكم ديننا . عن مقاتل بن حيان ، وقال غيره : هو من قول أصحاب رسول الله ﷺ لهم .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ : أنا نُبعث؟ فقال الله تعالى : ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ : وهى نفخة إسرافيل : ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أى يختصمون ويخاصم بعضهم بعضًا .

واختلف القراء فيه ؛ فقرأ ابن كثير وورش وأبو عبيد وأبو حاتم بفتح الخاء وتشديد الصاد

ومثله روى هشام عن أهل الشام: لما أدغموا نقلوا حركة الياء إلى الخاء.

وقرأ أبو جعفر وأيوب ونافع غير ورش ساكنة الخاء مخففة الصاد، وقرأ أبو عمرو: بالإخفاء، وقرأ حمزة: ساكنة الخاء مخففة الصاد، أى يغلب بعضهم بعضًا بالخصام، وهى قراءة أُبى بن كعب، وقرأ الباقون: بكسر الخاء وتشديد الصاد.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: فلا يقدرون على أن يوصى بعضهم بعضًا، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: وهى النفخة الأخيرة: نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: أى القبور، واحدها جدث ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يخرجون، ومنه قيل للولد: نسلاً؛ لأنه يخرج من بطن أُمِّه، و النسلان والعسلان: الإسراع فى السير.

﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾: أى منامنا قال أُبى بن كعب وابن عباس وقتادة: إنما يقولون هذا؛ لأن الله رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون، وقال أهل المعانى: إنّ الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار ما عذبوا فى القبور فى جنبها كالنوم، فقالوا: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾؟ ثم قال: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: أقرّوا حين لم ينفعهم الإقرار، وقال مجاهد: يقول الكفار: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾؟ ويقول المؤمنون: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۞ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، محل ﴿مَا﴾: نصب من وجهين:

أحدهما: مفعول ما لم يسمَّ فاعله.

والثانى: بنزع حرف الصفة، أى بـ (ما).

﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشيبة بجزم الغين، واختاره أبو حاتم، وقرأ الآخرون: بضم الغين، واختاره أبو عبيد، وهما لغتان مثل السُّحْت والسُّحُت ونحوهما.

واختلف المفسرون فى معنى الشغل. فأخبرنا محمد بن حمدون قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدّثنا أبو الأزهر قال: حدثنا أسباط بن محمد عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ﴾ قال: افتضاض الأبكار.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا أحمد بن الوليد الشطوى قال: حدّثنا محمد بن موسى قال: حدثنا معلى بن عبد الرحمن قال: حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ

أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارًا».

وقال الكلبي والثمالي والمسيب: يعني في شُغل عن أهل النار وعما هم فيه، لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم، وقال وكيع بن الجراح: يعني في السماع، سئل يحيى بن معاذ: أي الأصوات أحسن؟ قال: مزامير أنس في مقاصير قدس بألحان تحميل في رياض تمجيد في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقال ابن كيسان: يعني في زيارة بعضهم بعضًا، وقيل: في ضيافة الله وقيل: في شغلهم بعشرة أشياء: ملك لا عزل معه، وشباب لا هرم معه، وصحة لا سقم معها، وعزّ لا ذل معه، وراحة لا شدة معها، ونعمة لا محنة معها، وبقاء لا فناء معه، وحياة لا موت معها، ورضا لا سخط معه، وأنس لا وحشة معه.

وقيل: شغلهم في الجنة بسبعة أنواع من الثواب لسبعة أعضاء: فأما ثواب الرجل فقوله: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ (الحجر: ٤٦)، وثواب اليد قوله: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسًا﴾ (الطور: ٢٣)، وثواب الفرج قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (الواقعة: ٢٢)، وثواب البطن قوله: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ (الطور: ١٩) الآية، وثواب اللسان قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (يونس: ١٠)، وثواب الأُذن قوله: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ (الواقعة: ٢٥ - ٢٦)، وثواب العين قوله: ﴿وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١).

قال طاوس: لو علم أهل الجنة عمّن شغلوا ما هنّأهم ما اشتغلوا به، وسئل بعض الحكماء عن قوله عليه السلام: «أكثر أهل الجنة البله» قال: لأنهم في شغل بالنعيم عن المنعم، ثم قال: من رضي بالجنة عن الله فهو أبله.

﴿فَٰكِهُونَ﴾: قرأ العامة: بالألف، وقرأ أبو جعفر (فكهون وفكهين) بغير ألف حيث كانا، وهما لغتان: كالحاذر والحذر والفاره والفره، وقال الكسائي: الفاكه والفاكهة مثل شاحم ولاحم ولابن وتامر، واختلف العلماء في معناهما، فقال ابن عباس: فرحون. مجاهد والضحاك: معجبون. السدي: ناعمون.

﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ﴾: حلائلهم ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾: قرأ العامة بالألف وكسر الظاء على جمع (ظلّ)، وقرأ ابن مسعود وعبيد بن عمير وحمزة والكسائي وخلف: (ظلل) على جمع (ظلة).

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾: يعني السرر في الحجال، واحدتها أريكة، مثل سفينة وسفن وسفائن وقيل: هي الفرش، ﴿مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ قال ابن عباس: يسألون. قال مقاتل: يتمنون ويريدون، وقيل: معناه: من ادّعى منهم شيئًا فهو له بحكم الله عز وجل؛

لأنهم لا يدعون إلا ما يحسن.

﴿سَلَـٰمٌ﴾ قرأ العامة بالرفع، أى لهم سلام، وقرأ النخعى: بالنصب على القطع والمصدر.

أخبرنى الحسن بن محمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا أحمد بن الفرج المقرئ قال: حدّثنا محمد بن عبد الملك أبى الشوارب قال: حدثنا أبو عاصم عبد الله بن عبد الله العبادانى قال: حدثنا الفضل بن عيسى الرقاشى، وأخبرنا عبد الخالق ابن على بن عبد الخالق المؤذن قال: حدّثنى أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملحمى الأصفهانى قال: حدثنا الحسن بن أبى على الزعفرانى قال: حدثنا ابن أبى الشوارب قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا الفضل الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال النبى ﷺ: «بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب عزّ وجلّ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله عز وجل: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شىء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم».

﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: قال ابن عباس: تفرقوا. أبو العالية: تميزوا. السدى: كونوا على حدة. قتادة: اعدلوا عن كل خير. الضحاك: إنّ لكل كافر فى النار بيتًا، يدخل ذلك البيت ويردم به بالنار فيكون فيه أبد الآبدين فلا يرى ولا يُرى.

❖ ❖ ❖

﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَـٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا

يَأۡكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ : أى لا تطيعوه فى معصية الله. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ﴾ : أى أغوى بالدعاء إلى المعصية ﴿جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ﴾ : قرأ على رضى الله عنه (جبلا) بالباء مخففًا، وقرأ أهل المدينة وعاصم وأيوب وأبو عبيد وأبو حاتم بكسر الجيم والباء، وتشديد اللام، وقرأ يعقوب بضم الجيم والباء، وتشديد اللام، وبه قرأ الحسن وعبيد بن عمير وعيسى بن عمر والأشهب، وقرأ ابن عامر وأبو عمرو بضم الجيم وجزم الباء مخففًا، وقرأ الباقون: بضم الجيم والباء وتخفيف اللام، وكلها لغات.

معناه: الخلق والأُمة، وإنما اختار أبو عبيد وأبو حاتم ضم الجيم والباء والتشديد؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء: ١٨٤).

﴿أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ : تحذرون، ﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾ : ادخلوها ﴿ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ : فلا يتكلمون. قال قتادة: جرى بينهم خصومات وكلام فكان هذا آخرها.

أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا أبو عامر حامد بن سعدان قال: حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: حدثنى عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقال له: هؤلاء جيرانك

يشهدون. فيقول: كذبوا. فيقال: أهلك وعشيرتك. فيقول: كذبوا. فيقال: احلفوا، فيحلفون. ثم يصمتهم الله عز وجل ويشهد عليهم ألسنتهم ثم يدخلهم النار».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبه قال: حدّثنا الفريابى قال: حدّثنا هشام بن عمار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش قال: حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة ابن عامر أنه سمع النبى ﷺ يقول: «أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا القطيعى قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدّثنا أبى قال: حدثنا يزيد قال: أخبرنا الحريرى أبو مسعود عن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن النبى ﷺ قال: «يجيئون يوم القيامة على أفواههم الفدام وإنّ أول ما يتكلم من الآدميين فخذه وكفه».

﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾: فتبادروا إلى الطريق، ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾: وقد طمسنا أعينهم؟ قال ابن عباس ومقاتل وعطاء وقتادة: يعنى ولو نشاء لتركناهم عميًا يترددون، فكيف يُبصرون الطريق حينئذ؟.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾، أى أقعدناهم فى منازلهم قردة وخنازير، والمسخ تحويل الصورة، ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ﴾: إلى ما كانوا عليه، وقيل: لا يستطيعون الذهاب ولا الرجوع.

﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ﴾، قرأ الأعمش وعاصم وحمزة بالتشديد. غيرهم بفتح النون وضم الكاف مخففًا. أى يرده إلى أرذل العمر شبه حال الصبى الذى هو أول الخلق، وقيل: يصيره بعد القوة إلى الضعف، وبعد الزيادة إلى النقصان، وبعد الحدة والطراوة إلى البلى والخلوقة، فكأنه نكس حاله.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حبيش المقرئ قال: حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدّثنا مهران بن أبى عمر عن سفيان: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ﴾ قال: إذا بلغ ثمانين سنة تغيّر جسمه. ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ۝ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾: لأنه يورث الشبهة.

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدّثنا حامد بن شعيب عن شريح بن يونس قال: حدّثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى عيينة عن أبيه عن الحكم قال: كان رسول الله ﷺ يتمثل بقول العباس بن مرداس: «أتجعل نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة».

قالوا: يا رسول الله إنما قال: بين عيينة والأقرع. فأعادها وقال: «بين الأقرع وعيينة». فقام إليه أبو بكر رضى الله عنه فقبل رأسه وقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾.

وأخبرنا الحسين بن محمد الحديثى قال: حدّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا يوسف بن عبد الله بن هامان قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن أنّ النبى ﷺ كان يتمثل بهذا البيت: «كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيًا».

فقال أبو بكر: يا نبى الله، إنما قال الشاعر:

❖ كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا ❖

فقال أبو بكر أو عمر: أشهد أنك رسول الله، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾.

أخبرنى الحسين قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق المسيبى قال: حدثنا حامد بن شعيب قال: حدثنا شريح بن يونس قال: حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ قال: بلغنى أنّ عائشة سُئلت هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشىء من الشعر؟ فقالت: كان الشعر أبغض الحديث إليه، قالت: ولم يتمثل بشىء من الشعر إلاّ ببيت أخى بنى قيس طرفة:

ستبدى لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

فجعل يقول: «من لم تزود بالأخبار»، فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنى لست بشاعر، وما ينبغى لى».

﴿إِنْ هُوَ﴾: يعنى القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ﴾: بالتاء وهى قراءة أهل المدينة والشام والبصرة إلاّ أبا عمرو، والباقون بالياء؛ قال: التاء للنبى ﷺ والياء للقرآن. ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: أى عاقلاً مؤمنًا فى علم الله؛ لأن الكافر والجاهل ميت الفؤاد، ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾: يعنى عملناه من غير واسطة ولا وكالة ولا شركة، ﴿أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾: ضابطون وقاهرون.

﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾: سخرناها ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: قرأ العامة بفتح الراء أى مركوبهم، كما يُقال: ناقة حلوب، أى محلوب، وقرأ الأعمش والحسن: بضم الراء على المصدر.

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدثنا ابن هامان قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال: فى مصحف عائشة:

(ركوبتهم)، والركوب والركوبة واحد مثل: الحمول والحمولة. ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾: لحمانها.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: من أصوافها ولحومها وغير ذلك من المنافع. ﴿وَمَشَارِبُ﴾: يعنى ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: أى لتمنعهم من عذاب الله، ولا يكون ذلك قط.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: فى النار؛ لأنهم مع أوثانهم فى النار فلا يدفع بعضهم عن بعض النار.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: يعنى تكذيبهم وأذاهم وجفاهم. تم الكلام ههنا ثم استأنف فقال﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: جدل بالباطل ﴿مُّبِينٌ﴾.

واختلفوا فى هذا الإنسان من هو؟ فقال ابن عباس: هو عبد الله بن أبى، وقال سعيد بن جبير: هو العاص بن وائل السهمى، وقال الحسن: هو أُميّة بن خلف، وقال قتادة: أُبى بن خلف الجمحى؛ وذلك أنه أتى النبى ﷺ بعظم حائل قد بلى فقال: يا محمد أترى الله يُحيى هذا بعدما قد رمّ؟ فقال ﷺ: «نعم، ويبعثك ويدخلك النار» فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ بدء أمره، ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: بالية، وإنما لم يقل رميمة؛ لأنه معدول من فاعله وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفًا عن إعرابه كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم:٢٨) أسقط الهاء؛ لأنها مصروفة عن باغية.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾: خلقها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾، وإنما لم يقل الخضر، والشجر - جمع الشجرة - لأنه ردّه إلى اللفظ.

قال ابن عباس: هما شجرتان يُقال لإحداهما مرخ، والأُخرى العفار. فمن أراد منهم النار قطع منها غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار أنثى فتخرج منهما النار بإذن الله عز وجل.

يقول العرب: فى كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء: كل شجر فيه نار إلاّ العناب. ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾: النار فذلك زادهم.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ﴾: قرأ العامة بالألف، وقرأ يعقوب (بقدر - على الفعل) - ﴿عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾، ثم قال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾: أى وجود شيء، ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكية، وهى ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفًا، وثمانمائة وستون كلمة، ومائة واثنتان وثمانون آية

أخبرنا كامل بن أحمد المفيد قال: أخبرنا محمد بن جعفر الوراق قال: حدثنا إبراهيم بن الفضل قال: حدثنا أحمد بن يونس قال: حدّثنا سلام بن سليم قال: حدثنا هارون بن كثير الآملى عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أُمامة عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ أُعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنّى وشيطان، وتباعد عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بالمرسلين».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾ : قال ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة: يعني صفوف الملائكة في السموات كصفوف الخلق في الدُّنيا للصلاة، وقيل: هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها بما يريد، وقيل: هي الطير، دليله قوله: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾ (النور: ٤١) وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾ (الملك: ١٩).

والصف: ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة والحرب.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ : يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر القرآن.

﴿فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا﴾ : يعني جبرئيل والملائكة تتلو كتب الله، عن مجاهد والسدي، وقيل: هي جماعة قرّاء القرآن، وهي كلها جمع الجمع، فالصافة جمع الصاف، والصافات جمع الصافة وكذلك أختاها، وقيل: هو قسم بالله تعالى على تقدير: وربّ الصافات.

﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ : موضع القسم قال مقاتل: لأنّ كفار مكة قالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ فأقسم الله تعالى بهؤلاء: ﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ وقرأ الأعمش وأبو عمرو وحمزة كلّهم بالإدغام، والباقون بالبيان.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ﴾ : أي مطالع الشمس؛ وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ثلاثمائة وستين كوة في المشرق، وثلاثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة تطلع كل يوم من كوة منها وتغرب في كوة منها فهي المشارق والمغارب.

حدّثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي إملاءً قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق ابن إبراهيم الثقفي إملاءً قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عمر بن منيع - صدوق ثقة - قال: حدثنا ابن علية عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة قال: قال ابن عباس: إنّ الشمس تطلع كل سنة في ثلاثمائة وستين كوة تطلع كل يوم في كوة ولا ترجع إلى تلك الكوة إلاّ ذلك اليوم من العام القابل، ولا تطلع إلا وهي كارهة، فتقول: رب لا تطلعني على عبادك؛ فإني أراهم يعصونك ويعملون بمعاصيك أراهم. قال: أولم تسمعوا إلى ما قال أُمية ابن أبي الصلت: حتى تجر وتجلد؟

قلت: يا مولاي وتجلد الشمس؟ قال: عضضت بهن أبيك، إنما اضطره الروي إلى الجلد.

وقيل: وكل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق، وكل موضع غربت عليه فهو مغرب، كأنه أراد ربّ جميع ما شرقت عليه الشمس.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ : قرأ عاصم برواية أبي بكر (بزينة) منونة (الكواكب)

نصبًا، يعنى بتزييننا الكواكب، وقيل: أعنى الكواكب، وقرأ حمزة وعاصم فى سائر الروايات ﴿بِزِينَةٍ﴾: منونة. ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾: خفضًا على البدل، أى بزينة الكواكب.

وقرأ الباقون: (بزينة الكواكب): مضافة. قال ابن عباس: يعنى بضوء الكواكب.

﴿وَحِفْظًا﴾: أى وحفظناها حفظًا، أو وجعلناها أيضًا حفظًا، وذلك شائع فى اللغة ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾: خبيث خال عن الخير.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: كأنه قال: فلا يسمعون. قرأ أهل الكوفة ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾: بالتشديد، أى يتسمعون، قال مجاهد: كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون، وهو اختيار أبى عبيد، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهو اختيار أبى حاتم، ﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: يعنى الكتبة من الملائكة فى السماء ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾، ويرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾: من آفاق السماء.

﴿دُحُورًا﴾: يبعدونهم عن مجالس الملائكة، والدحر والدحور: الطرد والإبعاد، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: دائم، نظيره قوله سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ (النحل: ٥٢)، وقال ابن عباس: شديد. الكلبى: موجع، وقيل: خالص.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾: مسارق فسمع الكلمة، ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: تبعه ولحقه كوكب مضىء قوى لا يخطئه يقتل أو يحرق أو يحيل، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه؛ طمعًا فى السلامة ونيل المراد كراكب البحر.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: فسلهم، يعنى: أهل مكة ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾: يعنى: من الأمم الخالية، وقد أهلكناهم بذنوبهم، وقيل يعنى السموات والأرض وما بينهما.

نزلت فى أبى الأسد بن كلدة، وقيل: أُبىّ بن أسد، وسُمّى بالأسدين؛ لشدة بطشه وقوته، نظيرها: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ (غافر: ٥٧) وقوله سبحانه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ (النازعات: ٢٧).

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: أى جيد حر يلصق، ويعلق باليد ومعناه اللازم تبدل الميم كأنه يلزم اليد، وقال السدى: خالص. قال مجاهد والضحاك: الرمل.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾: قرأ حمزة والكسائى وخلف (عجبتُ) ـ بضم التاء وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس على معنى أنهم قد حلّوا محل من تعجب منهم، وقال الحسين بن الفضل: العجب من الله، إنكار الشىء وتعظيمه وهو لغة العرب، وقد جاء فى الخبر: عجب ربكم من إلّكم وقنوطكم والخبر الآخر: إنّ الله ليعجب من الشاب إذا لم يكن له صبوة ونحوها، وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد النيسابورى يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن على البغدادى

يقول: سُئل جنيد عن هذه الآية فقال: إنّ الله لا يعجب من شىء، ولكنّ الله وافق رسوله لما عجب رسوله فقال: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ (الرعد: ٥). أى هو لما يقوله.

وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبى ﷺ، وهى قراءة شريح القاضى. قال: إنما يعجب من لا يعلم، والله عنده علم كل شىء، ومعناه، بل عجبت من تكذيبهم إياك.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: وهم يسخرون من تعجّبك.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾: وإذا وعظوا لا يتعظون.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾: يعنى انشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يسخرونِ وقيل: يستدعى بعضهم بعضًا إلى أن يسخر.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَآبَاؤُنَا﴾: يعنى: وآباؤنا ﴿أَوَ﴾: بمعنى الواو ﴿الْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغرون. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾: يعنى: النفخة والقيامة ﴿زَجْرَةٌ﴾: صيحة ﴿وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾: أحياء. ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: أخبرنى الحسن بن محمد المدنى قال: حدّثنا محمد بن على الحسن الصوفى قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة قال: حدثنا عمّى أبو بكر قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن سماك، عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قال: «ضرباءهم»، وقال ابن عباس: أشباههم. ضحاك ومقاتل: قرناءهم من الشياطين، كل كافر معه شيطانه فى سلسلة. قتادة والكلبى: كل من عمل مثل عملهم، فأهل الخمر مع أهل الخمر، وأهل الزنا مع أهل الزنا، وقال الحسن: وأزواجهم المشركات.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: فى الدنيا ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾: فادعوهم، قاله الضحاك، وقال ابن عباس: دلّوهم، وقال ابن كيسان: فدلوهم، والعرب تسمى السائق هاديًا، ومنه قيل: الرقية هادية السائق.

قال امرؤ القيس:

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حنا بشيب مرجّل

﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾: طريق النار.

❖ ❖ ❖

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ۝٢٨ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ۝٣٠ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝٣١ فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ ۝٣٢ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٤ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ۝٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ۝٦١﴾

﴿وَقِفُوهُمْ﴾: واحبسوهم، يُقال وقفته وقفًا فوقف وقوفًا. ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾: قال ابن عباس: عن لا إله إلا الله. ضحاك: عن خطاياهم. القرظى: عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

أخبرنى الحسين بن محمد الدينورى قال: حدّثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى قال: حدثنا محمد بن أيوب قال: أخبرنا محمد بن عقبة قال: حدثنا أبو حصين بن نمير الهمدانى قال: حدثنا حسين بن قيس الرحبى ـ وزعم أنه شيخ صدوق ـ قال: حدثنا عطاء عن أبى عمر عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال: عن شبابه فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين كسبه، وفيم أنفقه، وما عمل فيم علم».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن الحسن بن صقلاب قال: حدثنا محمد بن

أحمد بن عبد الرَّحْمن بطرسوس قال: حدثنا أحمد بن خليد قال: حدثنا يوسف بن يونس الأخطف الأقطس قال: حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دعا الله سبحانه بعبد من عبيده فيوقفه بين يديه فيسائله عن جاهه كما يسائله عن ماله».

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: أى لا تنتقمون ولا ينصر بعضهم بعضًا، يقوله خزنة النار للكفار، وهذا جواب أبى جهل حين قال يوم بدر: نحن جميع منتصر.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ قال ابن عباس: خاضعون. الحسن: منقادون. الأخفش: ملقون بأيديهم، وقال أهل المعانى: مسترسلون لما لا يستطيعون له دفعًا ولا منه امتناعًا كحال الطالب السلامة فى نزل المنازعة.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: يعنى: الرؤساء والأتباع ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: يتخاصمون.

﴿قَالُوا﴾: يعنى: الأتباع للرؤساء: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: أى من قبَل اليمين فتضلوننا عنه، قاله الضحاك، وقال مجاهد: عن الصراط الحق: وقال أهل المعانى: أى من جهة النصيحة والبركة والعمل الذى يتيمن به، والعرب تتيمن بما جاء عن اليمين، وقال بعضهم: أى عن القوة والقدرة كقول الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

أى بالقوة وغرابة اسم ملك اليمن.

﴿قَالُوا﴾: يعنى: الرؤساء ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ۝ فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: وعليكم ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾: يعنون قوله سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة: ١٣).

﴿إِنَّا﴾: جميعًا ﴿لَذَائِقُونَ﴾: العذاب.

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾: فأضللناكم لأنا كنا ﴿غَاوِينَ﴾: ضالين، قال الله سبحانه: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾: يعنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. قال الله سبحانه ردًا عليهم: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۝ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾: يعنى بكرة وعشية، كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: ٦٢).

﴿فَوَاكِهُ﴾: جمع الفاكهة، وهى كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت الذى يحفظ الصحة،

يُقال: فلان يتفكّه بهذا الطعام، ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾: إناء فيه شراب، ولا يكون كأسًا حتى يكون فيه شراب، وإلاّ فهو إناء، قال الأخفش: كل كأس فى القرآن فهو خمر ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: خمر جارية فى أنهار طاهرة العيون، ويجوز أن يكون فعيلاً من (المعن) وهو الإسراع والشدة من (أمعن فى الأمر) إذا اشتدّ دخوله فيه. يعنى: خمراً شديدة الجرى سريعته.

﴿بَيْضَآءَ﴾: أى صافية فى نهاية اللطافة و﴿لَذَّةٍ﴾: لذيذة ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: أى إثم عن الكلبى، نظيره ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ (الطور:٢٣). قتادة: وجع البطن. الحسن: صداع. مجاهد: داء. ابن كيسان: مغص. الشعبى: لا تغتال عقولهم فتذهب بها، وقال أهل المعانى: الغول: فساد يلحق فى خفاء، يُقال: اغتاله اغتيالاً إذا فسد عليه أمره فى خفية، ومنه الغول والغيلة وهو القتل خفية.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائى وخلف: بكسر الزاى ههنا وفى سورة الواقعة، وافقهم عاصم فى الواقعة. الباقون: بفتح الزاى فيهما. فمن فتح الزاى، فمعناه: لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون، يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف، إذا سكر وزال عقله، قال الشاعر:

فلثمتُ فاها آخذًا بقرونها ... شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

أى السكران، ومن كسر الزاى فمعناه: لا ينفد شرابهم. يُقال: أنزف الرجل فهو منزوف إذا فنيت خمره. قال الحطيئة:

لعمرى لئن أنزفتمُ أو صحوتمُ ... لبئس الندامى كنتُم آل أبجرا

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: حابسات الأعين، غاضّات الجفون، قصرن أعينهن عن غير أزواجهن، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن ﴿عِينٌ﴾: نجل العيون حسانها، واحدتها: عيناء، يُقال: رجل أعين وامرأة عيناء ورجال ونساء عين.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ﴾: جمع البيضة ﴿مَّكْنُونٌ﴾: مستور مصون: قال الحسن وابن زيد شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار، وقيل: شبههن ببطن البيض قبل أن يقشر، وهو معنى قول ابن عباس، وإنما ذكر المكنون والبيض جمع؛ لأنه رده إلى اللفظ.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: فى الجنة. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾: فى الدنيا. قال مجاهد: كان شيطانًا، وقال آخرون: كان من الإنس. قال مقاتل: كانا أخوين، وقال الباقون: كانا شريكين: أحدهما فطروس وهو الكافر، والآخر يهوذا وهو المؤمن، وهما

اللذان قصّ الله حديثهما فى سورة الكهف.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ : بالبعث؟ ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ : مجزيون ومحاسبون ومملوكون ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه لأهل الجنة : ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النار؟ أخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حبيش قال: حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال: حدّثنا أحمد بن يزيد المقرئ عن جلاد عن الحكم بن طاهر، عن السدى، عن أبى مالك عن ابن عباس أنه قرأ (هل مطلعون. فاطّلع): بخفضهما وبكسر اللام، قال: رافعون فرفع، قال ابن عباس: وذلك أنّ فى الجنة كوًى فينظر أهلها منها إلى النار وأهلها.

﴿فَٱطَّلَعَ﴾ : هذا المؤمن ﴿فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ : فرأى قرينه فى وسط النار.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ : ما أردت إلاّ أن تهلكوا وأصله من التردّى. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ : عصمته ورحمته ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ : معك فى النار.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ ، فتقول لهم الملائكة: لا، وقيل: إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله سبحانه عليهم فى أنهم لا يموتون ولا يعذّبون، وقيل: يقوله المؤمن على جهة التوبيخ لقرينه بما كان ينكره.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝﴾

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ : رزقًا ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ ، والزقوم ثمرة شجرة كريهة الطعم جدًا، من قولهم: يزقم هذا الطعام، إذا تناوله على كره ومشقة شديدة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾ : للكافرين، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون فى النار شجرة

والنار تحرق الشجر؟! وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش: إنّ محمداً يخوفنا بالزقوم وإنّ الزقوم بلسان بربر وأفريقية الزبد والتمر، فأدخلهم أبو جهل بيته وقال: يا جارية زقّمينا. فأتتهم بالزبد والتمر، فقال: تزقّموا فهذا ما يوعدكم به محمد، فقال الله سبحانه: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾: قعر النار. قال الحسن: أصلها فى قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

﴿طَلْعُهَا﴾: ثمرها، سمّى طلعها لطلوعه ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾: قال بعضهم: هم الشياطين بأعيانهم، شبّهه بها لقبحه؛ لأن الناس إذا وصفوا شيئًا بعاهة القبح قالوا: كأنه شياطين، وإن كانت الشياطين لا تُرى؛ لأن قبح صورتها متصوّر فى النفس، وهذا معنى قول ابن عباس والقرظى، وقال بعضهم: أراد بالشياطين الحيّات، والعرب تُسمى الحية القبيحة الخفيفة الجسم شيطانًا، قال الشاعر:

تلاعب مثنى حضرمىّ كأنه ... تعمج شيطان بذى خروع قفر

وقال الراجز:

عنجرد تحلف حين أحلف ... كمثل شيطان الحماط أعرف

والأعرف: الذى له عرق، وقيل: هى شجرة قبيحة خشنة مرة منتنة، تنبت فى البادية تسميها العرب رءوس الشياطين.

﴿فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾، والملء: حشو الوعاء بما لا يحتمل زيادة عليه، ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾: خلطًا ومزاجًا، وقال مقاتل: شرابًا ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء حار شديد الحرارة، ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾: ثم بمعنى قبل، مجازه: وقبل ذلك مرجعهم لإلى الجحيم، كقول الشاعر:

إنّ من ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده

أى قبل ذلك ساد أبوه، ويجوز أن تكون بمعنى الواو.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أبو على المقرى قال: حدثنى على بن الحسن بن سعد الهمدانى قال: حدثنا عباس بن يزيد بن أبى حبيب قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا سفيان عن ميسرة عن المنهال عن أبى عبيدة عن عبد الله أنه قرأ (ثم إنّ مقتلهم لإلى الجحيم).

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾: وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾: مرسلين ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ نظيره: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ (الأنبياء: ٧٦)

وهو قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ (القمر: ١٠).

﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾: على التعظيم، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: وهو الغرق، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾، أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندى قال: حدثنا زكريا بن يحيى الساجى قال: حدثنا بندار قال: حدثنا محمد بن خالد بن غيمة قال: حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ قال: «سام وحام ويافث».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا محمد بن عمران بن هارون قال: حدثنا أبو عبد الله المخزومى قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كان ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب وفارس وروم، وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وما هنالك.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا مخلد بن جعفر الباقرحى قال: حدثنا الحسن بن علوية قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا إسحاق بن بشر قال: أخبرنا جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما خرج نوح عليه السلام من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلاّ ولده ونساءهم، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾، أى لقينا له ثناء حسنًا وذكرًا جميلاً فيمن بعده من الأنبياء والأمم.

❖ ❖ ❖

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا

﴿ٱلْأَخَرِينَ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ : أهل دينه وسنته ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ : مُخلص من الشرك والشك، وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا الفريابى قال: حدثنا محمد بن العلا قال: حدثنا عصام بن على عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: يا بنى لا تكونوا لعانين أو لم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئًا قط فقال الله سبحانه: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ؟.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا﴾ : ما الذى ﴿تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ : إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ ، قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم حيث كانوا؛ لئلا ينكروا عليه؛ وذلك أنه كان لهم من الغد عيد ومجمع، وكانوا يدخلون على أصنامهم ويقرّبون لهم القرابين ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم زعموا التبرك عليه، فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه. قال مقاتل: وكانت الأصنام اثنين وسبعين صنمًا من خشب وحديد ورصاص وشبه وفضّة وذهب، وكان كبيرهم من ذهب فى عينيه ياقوتتان، وقالوا لإبراهيم (عليه السلام): لا تخرج غدًا معنا إلى عيدنا. فنظر إلى النجوم، ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ ، قال ابن عباس: مطعون، وقال الحسن: مريض، وقال الضحاك: سأسقم؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠).

وقيل: سقيم بما فى عنقى من الموت، وقيل: سقيم بما أرى من أحوالكم القبيحة، وقيل: سقيم بعلة عرضت له، وإنّه إنما نظر فى النجوم مستدلاً بها على وقت حمّى كانت تأتيه، والصحيح أنه لم يكن سقيمًا؛ لما رُوى عن النبى عليه السلام أنه قال: «لقد كذب إبراهيم ثلاث كذبات، ما منها واحدة إلاّ وهو بماحل وناصل بها عن دينه: قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ (الأنبياء: ٦٣) وقوله لسارة: هذه أختى».

﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ : إلى عيدهم، فدخل إبراهيم إلى الأصنام فكسرها ووضع الفأس على عاتق الصنم الكبير، وكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على أصنامهم قبل أن يرجعوا إلى منازلهم، فدخلوا عليها فإذا هى مكسورة، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَرَاغَ﴾ : فمال ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ﴾ : إظهارًا لضعفهم وعجزهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۞ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ ؛ لأنها أقوى على العمل من الشمال، وهذا قول الربيع بن أنس قال: يعنى يده اليمنى، وقيل: بالقسم الذى سبق منه، وذلك قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ (الأنبياء: ٥٧) وقال الفراء: بالقوة.

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ : إلى إبراهيم ﴿يَزِفُّونَ﴾ ، أى يسرعون عن الحسن. مجاهد: يزفون زفيف

النعام وهو حالٌ بين المشى والطيران. الضحاك: يسعون، وقرأ يحيى والأعمش وحمزة ﴿يُزِفُّونَ﴾: بضم الياء، وهما لغتان: فقال لهم إبراهيم على وجه الحجاج: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؟ وفى هذه الآية دليل على أنّ أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى حيث قال: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: على أنها مكتسبة للعباد حيث أثبت لهم عملاً، فأبطل مذهب القدرية والجبرية بهذه الآية، وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله خالق كلّ صانع وصنعته».

﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾: معظم النار. قال مقاتل: بنوا له حائطًا من الحجر طوله ثلاثون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعًا وملؤوه من الحطب وأوقدوا فيه النار.

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: المقهورين.



﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ۝﴾

﴿وَقَالَ﴾: إبراهيم: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾، أى إلى مرضاة ربى، وهو المكان الذى أُمر بالذهاب إليه. نظيره قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ (العنكبوت:٢٦)، وقيل: ذاهب إلى ربى بنفسى وعملى ﴿سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: مختصر. أى رب هب لى ولدًا صالحًا من الصالحين.

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾: ذلك الغلام، ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ الآية، واختلف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر إبراهيم بذبحه من ابنيه بعد إجماع أهل الخاص على أنه كان إسحاق، فقال قوم: الذبيح إسحاق، وإليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب، ومن الباقين وأتباعهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبى بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرّحمن بن سابط والزبيرى والسدّى.

وهى رواية عكرمة وابن جبير عن ابن عباس. أخبرنى الحسن بن محمد بن عبد الله قال:

حدّثنا طلحة بن محمّد، وعبيد الله بن أحمد قالا: حدثنا أبو بكر بن مجاهد قال: حدّثنا أحمد ابن حرب قال: حدثنا سنيد بن داوُد قال: حدثني حجاج عن ليث بن سعد بن صفوان بن عمرو عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: هو إسحاق.

وأخبرني الحسن قال: حدّثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب قال: حدثنا رضوان بن أحمد الصيدلاني قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال: حدثنا أبو معاوية عن حجاج عن القاسم بن نافع عن أبي الطفيل، عن علي قال: «الذى أراد إبراهيم (عليه السلام) ذبحه إسحاق».

وروى شبعة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال: افتحر رجل عند ابن مسعود فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياح الكرام. فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله (عليه السلام).

وأخبرنا الحسين محمد قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا يوسف بن عبد الله قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدّثنا المبارك عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال: الذى فداه الله بذبح عظيم إسحاق.

وأخبرنا الحسين قال: حدّثنا ابن حبيش قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن بكار قال: حدثنا خالد بن عبد الله الواسطى عن داود بن أبى هند عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: الذى أراد إبراهيم ذبحه إسحاق (عليهما السلام).

وأخبرنا الحسن قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله قال: حدثنا يوسف بن عبد الله قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الذى أراد إبراهيم ذبحه هو إسحاق.

وأخبرني الحسن قال: حدثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد قالا: حدثنا أبو بكر بن مجاهد قال: حدثنا عباس الدورى قال: حدثنا أبو سلمة ـ يعنى المنقرى ـ قال: حدثنا محمد بن ثابت العبدى عن موسى مولى أبى بكر الصديق عن سعيد بن جبير قال: لما أُرى إبراهيم ذبح إسحاق فى المنام سار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى، فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه فسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة، طويت له الأودية والجبال.

وروى سفيان عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال موسى: «يا رب يقولون: إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فبم قالوا ذلك؟» قال: «إن إبراهيم لم يعدل بى شيئًا

قط إلاّ اختارنى عليه، وإن إسحاق جاد لى بالذبح وهو بغير ذلك أجود، وإن يعقوب كلّما زدته بلاء زاد بى حسن ظنّ».

وروى حمزة الزيات عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة قال: قال يوسف للملك: «ترغب أن تأكل معى أو تنكف وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله (عليهم السلام)؟!».

وقال الآخرون: هو إسماعيل، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر ابن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبى والحسن البصرى ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظى وهى رواية عطاء بن أبى رباح وأبى حمرة نصر بن عمران الضبعى ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال: المفدى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود.

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كلا القولين، ولو كان فيهما صحيح بالإجماع لم يعزه إلى غيره، وأمّا الرواية التى رويت عنه ﷺ أنّ الذبيح إسحاق ما أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد قالا: حدثنا ابن مجاهد قال: حدثنا موسى بن إسحاق قال: حدّثنا عبد الله بن أبى شنبه قال: أخبرنا الأشيب قال: حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ: «الذى أراد إبراهيم أن يذبح إسحاق».

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن على بن لؤلؤ قال: أخبرنا الهيثم بن خلف قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا حجاج عن ابن جريح قال: أخبرت عن صفوان بن سليم وزيد بن أسلم عن النبى عليه السلام أنه قال: «إنّ إسحاق الذى أراد إبراهيم أن يذبحه».

وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة فأقرأنيه قال: أخبرنا جدى قال: حدّثنا على بن حجر قال: حدّثنا عمر بن حفص عن أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع إسحاق بعدى فيقول: يا رب صدّقت نبيك وجدتُ بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لم يشرك بك شيئًا». قال: «فيقول تبارك وتعالى: وعزتى لا أُدخل النار من لا يشرك بى شيئًا».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن أحمد بن نصرويه قال: حدثنا أبو حفص عمر ابن محمد بن عيسى الجوهرى قال: حدثنا عيسى بن مساور الجوهرى قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة

قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله عزّ وجلّ خيّرني بين أن يغفر لنصف أمتى أو شفاعتى فاخترت شفاعتى ورجوت أن تكون أعم لأمتى، ولولا الذى سبقنى إليه العبد الصالح لتعجّلت منها دعوتى؛ إنّ الله سبحانه لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل: يا إسحاق سل تُعط. فقال: أما والذى نفسى بيده لأُتعجّلنها قبل نزغة الشيطان، اللهم من مات لا يُشرك بك شيئًا فاغفر له وأدخله الجنة».

وأما ما رُوى عنه ﷺ أن الذبيح إسماعيل فروى عمر بن عبد الرحمن، عن عبيد الله بن محمد العتبى - من ولد عتبة بن أبى سفيان - عن أبيه قال: حدّثنى عبد الله بن سعيد عن الصنايجى قال: كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم، كنت عند النبى ﷺ فجاء رجل فقال: يا رسول الله عُد علىّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ، فقيل له: يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال: إنّ عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله عز وجل لئن سهل الله عز وجل له أمرها ليذبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله وقالوا: افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثانى إسماعيل (عليه السلام).

فهذا ما ورد من الأخبار فى هذا الباب، فأما حجة القائلين بأنه إسحاق من القرآن فهو أنّ الله سبحانه أخبر عن خليله إبراهيم (عليه السلام) حين فارق قومه مهاجرًا إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط وقال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ أنه دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: وذلك أنه قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن تصير له أُم إسماعيل. ثم اتبع ذلك الخبر عن إجابته ودعوته وتبشيره أتاه بغلام حليم ثم عن رؤيا إبراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى فى كتاب الله بشير لإبراهيم بولد ذكر إلاّ بإسحاق.

واحتج من قال: إنه إسماعيل من القرآن بما روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقول: إنّ الذى أمر الله سبحانه إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك فى كتاب الله سبحانه، وذلك أن الله عزّ وجلّ يقول حين فرغ من قصة المذبوح: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقال عز من قائل: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود: ٧١) يقول: بابن وبابن ابن، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق وليه فيه من الله سبحانه وتعالى الموعود. فلما لم يذكر الله تعالى إسحاق إلاّ بعد انقضاء قصّة الذبح، ثم بشره بولد إسحاق علمنا أنّ الذبيح إسماعيل.

قال القرظى: فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، إذ كنت معه بالشام، فقال لى عمر: إنّ هذا الشىء ما كنت أنظر فيه، وإنى لأراه كما قلت: ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، وكان يهوديًا فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء اليهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال: أىُّ ابنى إبراهيم أُمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل: ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إنّ اليهود لتعلم ذلك ولكنهم ليحسدونكم معشر العرب على أن يكون أنّ أباكم الذى كان من أمر الله سبحانه وتعالى فيه والفضل الذى ذكره الله سبحانه منه لصبره على ما أُمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق؛ لأن إسحاق أبوهم.

واحتجوا أيضًا بأن قرنى الكبش كانا منوطين بالكعبة فى أيدى بنى إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج، قال الشعبى: رأيتُ قرنى الكبش منوطين بالكعبة، وكان القرنان ميراثًا لولد إسماعيل عن أبيهم، فلم يزاحمهم على ذلك ولد إسحاق وهم الروم، وكانوا أكبر وأعزّ وأمنع من العرب: وهذا أدل دليل على أن الذبيح إسماعيل.

وقال الأصمعى: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال لى: يا أصمع أين ذهب عنك عقلك؟

ومتى كان إسحاق عليه السلام بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذى بنى البيت مع أبيه إبراهيم (عليهما السلام)، كما قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة:١٢٧)، والمنحر بمكة لا شك فيه.

وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن المنذر الضرير يقول: سمعت أبا محمد الزنجانى المؤدّب يقول: سُئل أبو سعيد الضرير عن الذبيح فأنشد:

إنّ الذبيح هُديت إسماعيلُ ... نطق الكتاب بذاك والتنزيلُ
شرفٌ به خَصّ الإلهُ نبيَّنا ... وأتى به التفسير والتأويلُ
إن كنت أمّته فلا تنكر له ... شرفًا به قد خصّه التفضيلُ

وأما قصة الذبح فقال السدى بإسناده: لمّا فارق إبراهيم الخليل (عليه السلام) قومه مهاجرًا إلى الشام هاربًا بدينه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ دعا الله سبحانه وتعالى أن يهب له ابنًا صالحًا من سارة فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى المؤتفكة وبشروه بغلام حليم، قال إبراهيم لما بُشّر به: فهو إذن لله ذبيح. فلما وُلد الغلام وبلغ معه السّعى، قيل: أوف بنذرك الذى نذرت. فكان هذا هو السبب فى أمر الله تعالى رسوله إبراهيم بذبح ابنه، فقال إبراهيم عند ذلك لإسحاق: «انطلق

نقرب قربانًا لله تعالى» ، وأخذ سكينًا وحبلاً ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام : يا أبت أين قربانك؟ فقال : ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حُمل على البراق فيغدو من الشام فيصلى بمكة ، ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام . حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعى ، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته ، أُرى فى المنام أن يذبحه ، فلما أُمر بذلك قال لابنه : «يا بنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب» . فلما خلا إبراهيم بابنه فى شعب ثبير ، أخبره بما أُمر ، كما ذكر الله تعالى ، قالوا : فقال له ابنه الذى أراد أن يذبحه : «يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب ، واكفف عنّى ثيابك حتى لا ينضح عليها من دمى شىء ، فينقص أجرى وتراه أُمّى فتحزن ، واشحذ شفريك ، وأسرع مرّ السكين على حلقى ليكون أهون للموت علىّ ، فإنّ الموت شديد ، وإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى ، وإن رأيت أن ترد قميصى على أُمى فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنّى» . فقال له إبراهيم (عليه السلام) : «نعم العون أنت يا بُنى على أمر الله» .

ففعل إبراهيم ما أوصاه به ابنه ، ثم أقبل عليه يقبّله ، وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى حتى استنقع الدموع تحت خده ، ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تنحر السكين . قال السدى : ضرب الله صفحة من النحاس على حلقه . قالوا : فقال الابن عند ذلك : «يا أبت كبنى لوجهى على جبينى ، فإنك إذا نظرت فى وجهى رحمتنى ، وأدركت رقّة تحول بينك وبين أمر الله وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع» . ففعل ذلك إبراهيم ، ووضع السكين على قفاه فانقلب السكين ، نُودى : «يا إبراهيم مه ، قد صدّقت الرؤيا ، هذه ذبيحتك فداءً لابنك فاذبحها دونه» ، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبرئيل ومعه كبش أقرن أملح فكبّر جبرئيل فكبّر الكبش فكبّر إبراهيم فكبّر ابنه وأخذ إبراهيم الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه .

قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده ، لقد كان أوّل الإسلام ، وإنّ رأس الكبش لمعلّق بقرنيه فى ميزاب الكعبة .

قال السدى : فلما أخذ إبراهيم (عليه السلام) الكبش خلّى عن ابنه ، وأكبّ عليه وهو يقبّله ويقول : «يا بنى وهبت لى» ، ثم رجع إلى سارة فأخبرها الخبر ، فجزعت سارة وقالت : يا إبراهيم ، أردت أن تذبح ابنى ولا تعلمنى؟» .

وروى أبو هريرة.عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله قالوا : لما أُرى إبراهيم (عليه

السلام) ذبح ابنه قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم، لا أفتن منهم أحدًا أبدًا. فتمثل لهم الشيطان رجلاً وأتى أُمّ الغلام فقال لها: هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قال: ذهب به يحطبنا من هذا الشعب. قال: لا والله ما ذهب به إلاّ ليذبحه. قالت: كلا هو أرحم به وأشد حبًا له من ذلك. قال: إنه يزعم أنّ الله أمره بذلك. قالت: فإنْ كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه، وسلمنا لأمر الله عز وجل.

فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى على إثر أبيه فقال له: يا غلام هل تدرى أين يذهب أبوك؟ قال: «يحطب أهلنا من هذا الشعب». قال: والله ما يُريد إلاّ أن يذبحك. قال: «ولمَ».

قال: زعم أنّ ربه أمره بذلك، قال: «فليفعل ما أمره به ربه، فسمعًا وطاعة».

فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم، فقال له: أين تُريد أيّها الشيخ؟ قال: «أُريد هذا الشعب لحاجة لى فيه». فقال: والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك فى منامك، فأمرك بذبح بُنيّك هذا. فعرفه إبراهيم فقال: «إليك عنّى يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر الله».

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس أنّ إبراهيم لما أُمر بذبح ابنه، عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى بأمر الله عز وجل فى ذلك.

وقال أمية بن أبى الصلت:

ولإبراهيم الموفى بالنذر	احتسابًا وحامل الأحدال
بكره لم يكن ليصبر عنه	لو يراه فى معشر أقتال
يا بنى إنى نذرتك للـ	ـه شحيطًا فاصبر فدًى لك حالى
واشدد الصفد لا أحيد عن السكـ	ـين حيد الأسير ذى الأغلال
وله مدية تخايل فى اللحـ	ـم هذام حنية كالهلال
بينما يخلع السرابيل عنه	فكّه ربُّه بكبش حلال
قال خذه ذا وأرسل ابنك إنى	للذى قد فعلتما غير قال
ربما تجزع النفوس من الأمـ	ـر له فرجة كحل العقالَ

فهذه قصة الذبح كما قال الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ قال ابن عباس: يعنى المشى مع أبيه إلى الحيل. قال الحسن ومقاتل بن حيان: يعنى العقل الذى يقوم به الحجة، وقال

الضحاك: يعنى الحركة، وقال ابن زيد: هو السعى فى العبادة.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ﴾: رأيت فى المنام ﴿أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾: لنذر علىّ فيك أُمرت بذلك، وذلك أن إبراهيم (عليه السلام) رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له: إنّ الله يأمرك بذبح ابنك هذا. فلما أصبح روّى فى نفسه - أى فكّر - من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحكم أو من الشيطان؟ فمن ثم سُمّى يوم التروية. فلما أمسى رأى فى المنام ثانيًا ما رآه من ذبح الولد، فلما أصبح عرف أن ذلك الحكم من الله، فمن ثم سمّى يوم عرفة.

وقال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال متتابعات، وقال عطاء ومقاتل: أُمر إبراهيم أن يذبح ابنه ببيت المقدس فلما تيقّن ذلك أخبر ابنه فقال لابنه: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾؟ قرأ العامة بفتح التاء، وقرأ حمزة والكسائى (ترى) بضم التاء وكسر الراء - أى ماذا تشير؟ وإنما جاز أن يؤامر ابنه فى المضى لأمر الله؛ لأنه أحبّ أن يعلم صبره على أمر الله وعزمه على طاعته فقال له ابنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾: أى انقادا وخضعا لأمر الله سبحانه وتعالى ورضيا به، وقرأ ابن مسعود (فلما سلّما) أى فوّضا، وقرأ ابن عباس (استسلما). قال قتادة: أسلم هذا ابنه وهذا نفسه ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾: أى صرعه وأضجعه وكبّه على وجهه للذّبح ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾، قال أهل المعانى: (الواو) مقحمة صلة، مجازه: ناديناه، كقوله: ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ﴾ (يوسف: ١٥) يعنى: أوحينا، وقوله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ﴾ (الأنبياء: ٩٦، ٩٧) وقال امرؤ القيس:

❖ فلما أجزنا ساحة الحىّ وانتحى ❖

وقال الشاعر:

حتى إذا قملت بطونكمُ ورأيتم أبناءكم شبّوا
وقلبتم ظهر المجن لنا إنّ اللئيم العاجز الخب

أراد: قلبتم.

﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾: الاختبار المظهر فيما يوجب النعمة أو النقمة، ولذلك قيل للنعم: بلاء وللمحنة بلاء؛ لأنها سميت باسم سببها المؤدى به إليها، كما قيل لأسباب الموت: هذا الموت بعينه.

❖ ❖ ❖

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ۝ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، والذِّبح: المهيأ لأن يذبح، والذبح ـ بالفتح ـ المصدر، وقد اختلفوا في هذا الذبح وسبب تسميته عظيمًا؛ فأخبرنا أبو الحسن الفهندري قال: حدثنا أبو العباس الأصم قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري قال: حدّثنا أبو عامر العقدي عن سفيان ابن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قربه ابن آدم، وقال سعيد بن جبير: حق له أن يكون عظيمًا وقد رعى في الجنة أربعين خريفًا، وقال مجاهد سمّاه عظيمًا لأنه متقبل، وقال الحسين بن الفضيل: لأنه كان من عند الله، وقال أبو بكر الوراق: لأنه لم يكن عن نسل وإنما كان بالتكوين، وقيل: لأنه فداء عبد عظيم، وقال أهل المعاني: قيل له: عظيم؛ لأنه يصغر مقدار غيره من الكباش بالإضافة إليه، وأكثر المفسرين على أنه كان كبشًا من الغنم أعين أقرن أملح، وروى عمر بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول: ما فدى إسماعيل إلاّ تيس من الأروى، وأهبط عليه من السماء، وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال: وكان وعلاً.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا طلحة وعبيد الله قالا: حدّثنا ابن مجاهد قال: حدثني أحمد بن حرب قال: حدثنا سبيك قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن داود عن عكرمة عن ابن عباس. ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾: بشرى نبوة بُشّر به مرتين حين ولد وحين نُبّئ، ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: أي على إبراهيم في الأولاد، ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾: حين أخرج أنبياء بني إسرائيل من صلبه.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾: مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾: كافر ظاهر الكفر.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ : أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ : بالنبوة.

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ : بنى إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ، يعنى الغرق، حيث أغرقنا فرعون وقومه ﴿وَنَصَرْنَـٰهُمْ﴾ : يعنى موسى وهارون وقومهما ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ : على القبط، ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ : المستنير ﴿وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .



﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٢٣ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٢٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٢٩ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣١ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣٢ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٣ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝١٣٤ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ۝١٣٥ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ۝١٣٦ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ، أخبرنا أبو محمد بن أبى القاسم بن المؤهل قال: حدّثنا أبو العباس الأصم قال: حدثنا بكار بن قتيبة قال: حدثنا أبو داود الطيالسى قال: حدثنا قيس بن أبى إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود قال: إلياس هو إدريس، وإسرائيل هو يعقوب، وإلى هذا ذهب عكرمة، وقال: هو فى مصحف عبد الله: (وإن إدريس لمن المرسلين) وتفرد عبد الله وعكرمة بهذا القول.

وقال آخرون: هو نبى من أنبياء بنى إسرائيل. قال ابن عباس: هو ابن عمّ اليسع، وقال ابن إسحاق: إلياس بن ياسين بن العيزار بن هارون بن عمران، وقال أيضًا محمد بن إسحاق ابن ياسر والعلماء من أصحاب الأخبار: لمّا قبض الله سبحانه حزقيل النبى عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل، وظهر فيهم الفساد والشرك، ونسوا عهد الله، ونصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله، فبعث الله إليهم إلياس (عليه السلام): نبيًا وإنما دانت الأنبياء من بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام يبعثون إليهم تجديد ما نسوا من التوراة، وبنو إسرائيل يومئذ متفرقون فى أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام بعد موسى وملكها بوّأها بنى إسرائيل وقسمها بينهم، فأحلّ سبطًا منهم بعلبك ونواحيها، وهم

سبط إلياس الذى كان منهم إلياس فبعثه الله إليهم نبيًا ، وعليهم يومئذ ملك يقال له : أجب قد ضلّ وأضل قومه ، وأجبرهم على عبادة الأصنام ، وكان يعبد هو وقومه صنمًا يقال له : بعل ، وكان طوله عشرين ذراعًا ، وكانت له أربعة وجوه . قال : فجعل إلياس يدعوهم إلى الله سبحانه ، وهم فى كلّ ذلك لا يسمعون منه شيئًا إلاّ ما كان من أمر الملك الذى كان ببعلبك ، فإنه آمن به وصدّقه وكان إلياس يقوم أمره ، ويسدده ويرشده وكان لأجب الملك هذا امرأة يقال لها أزبيل ، وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم فى غزاة أو غيرها ، فكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب ، وتجلس فى مجلس القضاء فتقضى بين الناس ، وكانت قتالة للأنبياء .

قال : وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتمها إيمانه ، وكان كاتبها قد خلّص من يدها ثلاثمائة نبى كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذين قبلهم ممن يكثر عددهم ، وكانت فى نفسها غير محصنة ، ولم يكن على وجه الأرض أفحش منها ، وهى مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من بنى إسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال ، وكانت معمّرة حتى يُقال : إنها ولدت سبعين ولدًا .

قال : وكان لأجب هذا جار من بنى إسرائيل ، رجل صالح يُقال له : (مزدكى) وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها ، وكانت الجنينة إلى جانب قصر الملك وامرأته ، وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها ، وكان أجب الملك مع ذلك يحسن جار صاحبها مزدكى ويحسن إليه ، وامرأته أزبيل تحسده على ذلك لأجل تلك الجنينة ، وتحتال فى أن تغصبها إياه لما تسمع الناس يكثرون ذكر الجنينة ويتعجبون من حسنها ، ويقولون : ما أحرى أن تكون هذه الجنينة لأهل هذا القصر ! ويتعجبون من الملك وامرأته كيف لم يغصباها صاحبها . فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى فى أن تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد عليه سبيلاً .

ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد ، وطالت غيبته ، فاغتنمت امرأته أزبيل ذلك للحيلة على مزدكى ، وهو غافل عما تريد به ، مقبل على عبادة ربه وإصلاح معيشته ، فجمعت أزبيل جمعًا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى أنه سبّ زوجها أجب فأجابوها إلى ملتمسها من الشهادة عليه .

وكان من حكمهم فى ذلك الزمان على من سبّ الملك القتل إذا قامت عليه البينة بذلك فأحضرت مزدكى ، وقالت له : بلغنى أنّك شتمت الملك وعبته ، فأنكر مزدكى ذلك ، فقالت

المرأة: إنّ عليك شهودًا، وأحضرت الشهود فشهدوا بحضرة الناس عليه بالزور، فأمرت بقتل مزدكى فقتل وأخذت جنينته غصبًا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح.

فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر، فقال لها: ما أصبت ولا وفقت ولا أرانا نفلح بعده أبدًا، وإنا كنّا عن جنينته لأغنياء، قد كنّا نتنزه فيها، وقد جاورنا وتحرّم بنا منذ زمان طويل، فأحسنا جواره وكففنا عنه الأذى، لوجوب حقه علينا، فختمت أمره بأسوأ الجوار، وما حملك على اجترائك عليه إلاّ سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك فى العواقب. فقالت: إنما غضبتَ لك وحكمتَ بحكمك. فقال لها: أوما يسعه حلمك ويحدوك عظيم خطرك على العفو عن رجل واحد فتحفظين له جواره؟ قالت: قد كان ما كان.

فبعث الله تعالى إلياس (عليه السلام) إلى أُجب الملك وقومه وأمره أن يخبرهم أنّ الله سبحانه قد غضب لوليّه حين قتلوه بين أظهرهم ظلمًا، وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنعهما ولم يردّا الجنينة على ورثة مزدكى أن يهلكهما - يعنى أجب وامرأته - فى جوف الجنينة أشرّ ما يكونان بسفك دميهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما ولا يمتّعان بها إلاّ قليلاً.

قال: فجاء إلياس وأخبره بما أوحى الله تعالى إليه فى أمره وأمر امرأته والجنينة، فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له: يا إلياس والله ما أرى ما تدعو إليه إلاّ باطلاً، والله ما أرى فلانًا وفلانًا، سمى ملوكًا منهم قد عبدوا الأوثان - إلاّ على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتنعّمون مملكين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذى تزعم أنه باطل، وما نرى لكم علينا ولا عليهم من فضل.

قال: وهمّ الملك بتعذيب إلياس وقتله، فلما سمع إلياس ذلك وأحسّ بالشر، رفضه وخرج عنه، فلحق بشواهق الجبال، وعاد الملك إلى عبادة بعل. فارتقى إلياس أصعب جبل وأشمخه، فدخل مغارة فيه، فيقال: إنه قد بقى فيه سبع سنين شريدًا طريدًا خائفًا يأوى إلى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر، وهم فى طلبه قد وضعوا عليه العيون، يتوقعون أخباره ويجتهدون فى أخذه، والله سبحانه وتعالى يستره ويدفع عنه. فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى فى إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم، فأمرض الله سبحانه ابنًا لأجب - وكان أحبّ ولده إليه، وأعزهم عليه، وأشبههم به - فأدنف حتى يئس منه، فدعا صنمه بعلاً - وكانوا قد فتنوا ببعل وعظموه، حتى جعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أُمناءه، فكان الشيطان يدخل فى جوف الصنّم فيتكلّم بأنواع الكلام، وأربعمائة

يصغون بآذانهم إلى ما يقول الشيطان، ويوسوس إليهم الشيطان بشريعة من الضلال فيكتبونها للناس فيعملون بها، ويسمونهم الأنبياء.

فلما اشتدّ مرض ابن الملك طلب إليهم الملك أن يتشفعوه إلى بعل ويطلبوا لابنه من قِبَلِه الشفاء والعافية فدعوه فلم يجبهم، ومنع الله بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج فى جوفه ولا الكلام، وهم مجتهدون فى التضرع إليه وهو لا يزداد إلاّ خموداً. فلما طال عليهم ذلك قالوا لأجب: إن فى ناحية الشام آلهة أخرى، وهى فى العظم مثل إلهك، فابعث إليها الأنبياء ليشفعوا لك إليها، فلعلها أن تشفع لك إلى إلهك بعل، فإنه غضبان عليك، ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى لك ابنك.

قال أجب: ومن أجل ماذا غضب على، وأنا أطيعه وأطلب رضاه منذ كنت، لم أسخطه ساعة قط؟ قالوا: من أجل أنك لم تقتل إلياس، وفرطت فيه حتى نجا سليمًا، وهو كافرٌ بإلهك، يعبد غيره، فذلك الذى أغضبه عليك. قال أُجب: وكيف لى أن أقتل إلياس يومى هذا، وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابنى؟ فليس لإلياس مطلب، ولا يعرف له موضع فيقصد، فلو عوفى ابنى تفرغت لطلبه، ولم يكن لى همّ ولا شغل غيره حتى آخذه فأقتله، فأريح إلهى منه وأُرضيه.

قال: ثم إنه بعث أنبياءه الأربعمائة ليشفعوا إلى الآلهة التى بالشام، ويسألوها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفى ابنه. فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيال الجبل الذى فيه إلياس، أوحى الله سبحانه إلى إلياس أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم، وقال له: «لا تخف فإنى سأصرف عنك شرّهم، وأُلقى الرّعب فى قلوبهم» فنزل إلياس من الجبل، فلما لقيهم استوقفهم، فلما وقفوا، قال لهم: «إنّ الله سبحانه أرسلنى إليكم وإلى مَن وراءكم، فاسمعوا أيُّها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم، فارجعوا إليه وقولوا له: إنّ الله يقول لك: ألست تعلم يا أجب أنّى أنا الله لا إله إلاّ أنا إله بنى إسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم، أفجهلك وقلة علمك حملك على أن تشرك بى، وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لا يملكون لأنفسهم شيئًا إلاّ ما شئت؟ إنّى حلفت باسمى لأغيظنك فى ابنك ولأُميتنه فى فوره هذا حتى تعلم أن أحدًا لا يملك له شيئًا دونى».

فلما قال لهم هذا رجعوا، وقد مُلئوا منه رعبًا، فلما صاروا إلى الملك قالوا له ذلك وأخبروه بأن إلياس انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال، قد قشف وقحل وتمعط شعره وتقشر جلده، عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلاف، فاستوقفنا، فلما صار

معنا قذفت له فى قلوبنا الهيبة والرعب، وانقطعت ألسنتنا، ونحن فى هذا العدد الكبير وهو واحد، فلم نقدر على أن نكلّمه ونراجعه ونملأ أعيننا منه، حتى رجعنا إليك، وقصّوا عليه كلام إلياس، فقال أجب: لا ينتفع بالحياة ما كان إلياس حيًا، ما الذى منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به. وأنتم تعلمون أنه طلبى وعدوّى؟ فقالوا: قد أخبرناك ما الذى منعنا منه ومن كلامه والبطش به. قال أجب: ما يُطاق إذن إلياس إلاّ بالمكر والخديعة.

فقيّض له خمسين رجلاً من قومه من ذوى القوة والبأس، وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه والاعتناء به، وأن يطمعوه فى أنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليستنيم إليهم ويغترّ بهم فيمكنهم من نفسه، فيأتوا به ملكهم. فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه إلياس (عليه السلام)، ثم تفرقوا فيه وهم ينادونه بأعلى أصواتهم، ويقولون: يا نبى الله ابرز لنا وأشرف بنفسك فإنا قد آمنا بك وصدقناك، وملكنا أُجب وجميع قومنا، وأنت آمن على نفسك، وجميع بنى إسرائيل يقرءون عليك السلام ويقولون: قد بلغتنا رسالة ربك وعرفنا ما قلت وآمنا بك، وأجبناك إلى ما دعوتنا فهلم إلينا، فأنت نبينا ورسول ربنا، فأقم بين أظهرنا واحكم فينا، فإنا ننقاد لما أمرتنا وننتهى عما نهيتنا، وليس يسعك أن تتخلف عنا مع إيماننا وطاعتنا. فتداركنا وارجع إلينا، وكلّ هذا كان منهم مماكرة وخديعة.

فلما سمع إلياس مقالتهم وقعت بقلبه، وطمع فى إيمانهم وخاف الله، وأشفق من سخطه إن هو لم يظهر ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم، فلمّا أجمع على أن يبرز لهم، رجع إلى نفسه فقال: «لو أنى دعوت الله سبحانه وتعالى وسألته أن يعلمنى ما فى أنفسهم ويطلعنى على حقيقة أمرهم»، وذلك أنّ الله سبحانه وفقه وألهمه التوقف والدعاء والتحرز، فقال: «اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لى فى البروز إليهم، وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم».

فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم أجمعين.

قال: وبلغ أجب وقومه الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء، واحتال ثانيًا فى أمر إلياس، وقيّض فئة أُخرى مثل عدد أولئك، أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأى فأقبلوا حتى توغلوا فى تلك الجبال متفرقين، وجعلوا ينادون: يا نبى الله إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطواته، إنا لسنا كالذين أتوك قبلنا، إنّ أولئك فرقة نافقوا وخالفوا، فصاروا إليك ليكيدوا بك من غير رأينا ولا علمنا، وذلك أنهم حسدونا وحسدوك وخرجوا إليك سرًا، ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤونتهم، والآن فقد كفاك ربك أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم

دونك منهم. فلما سمع إلياس مقالتهم دعا الله بدعوته الأولى، فأمطر عليهم النار فاحترقوا عن آخرهم.

وفى كل ذلك ابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه إلياس، لا يُقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه، فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيًا ازداد غضبًا إلى غضب، وأراد أن يخرج فى طلب إلياس بنفسه إلاّ أنه شغله عن ذلك مرض ابنه، فلم يمكنه، فوجه نحو إلياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته، رجاء أن يأنس به إلياس، فينزل معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس سوءًا، وإنما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من إيمانه، وأنّ الملك مع اطلاعه على إيمانه كان مغضيًا عنه فيه؛ لما هو عليه من الأمانة والكفاءة والحكمة وسداد الرأى والبصر بالأمور - فلما وجّهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه، وأوعز إليهم دون الكاتب أن يوثقوا إلياس ويأتوه به إن أراد التخلف عنهم، وإن جاء مع الكاتب واثقًا به آنسًا لمكانته لم يوحشوه ولم يُرَوِّعوه. ثم أظهر للكاتب الإنابة، وقال له: إنه قد آن لى أن أتوب وأتعظ، وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا، والبلاء الذى فيه ابنى، وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس، ولست آمن أن يدعو على جميع من بقى منها فنهلك بدعوته، فانطلق لنا إليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا، وأنّه لا يصلحنا فى توبتنا، وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا إلاّ أن يكون إلياس بين أظهرنا، يأمرنا وينهانا، ويخبرنا بما يُرضى ربنا.

قال: وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام وقال له: أخبر إلياس أنا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وأرجأنا أمرها حتى ينزل إلياس إلينا فيكون هو الذى يحرقها ويهلكها، وكان ذلك مكرًا من الملك. فانطلق الكاتب والفئة حتى علا الجبل الذى فيه إلياس، ثم ناداه، فعرف إلياس صوته، فتاقت نفسه إليه وأنس به، وكان مشتاقًا إلى لقائه.

قال: وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى إلياس أن انزل إلى أخيك الصالح، فالقه وجدد العهد به. فنزل إليه وسلم عليه وصافحه وقال له: ما الخبر؟ فقال المؤمن: إنه بعثنى إليك هذا الجبار الطاغية وقومه، ثم قصّ عليه ما قالوا، ثم قال له: إنى لخائف إن رجعت إليه ولست معى أن يقتلنى، فمرنى بما شئت أفعله وأنتهى إليه، وإن شئت انقطعت إليك فكنت معك وتركته، وإن شئت جاهدته معك، وإن شئت ترسلنى إليه بما تحبّ فأبلغه رسالتك، وإن شئت دعوت ربك فجعل لنا من أمرنا فرجًا ومخرجًا.

قال: فأوحى الله سبحانه إلى إلياس أنّ كل شىء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك، وإنّ أجب إن أخبرته رسله أنّك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إليه اتهمه وعرف أنه قد داهن

فى أمرك فلم يأمن أن يقتله فانطلق معه ، فإنّ انطلاقك معه عذره وبراءته عند أجبّ ، وإنّى سأشغل عنكما أجب ، فأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون لهم همّ غيره ثم أُميته على شرّ حال ، فإذا مات هو فارجع عنه ولا تقم .

قال : فانطلق معهم حتى قدموا على أجب فلما قدموا عليه شدّد الله الوجع على ابنه وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك أجب وأصحابه عن إلياس ، ورجع إلياس سالمًا إلى مكانه . فلما مات ابن أُجب ، وفرغوا من أمره وقلّ جزعه ، انتبه لإلياس وسأل عنه الكاتب الذى جاء به ، فقال : ليس لى به علم وذلك أنه شغلنى عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلاّ وقد استوثقت منه . فأضرب عنه أجب وتركه لما كان فيه من الجزع على ابنه .

فلما طال الأمر على إلياس ملّ المكث فى الجبال والمقام بها واشتاق إلى العمران والناس ، نزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بنى إسرائيل ، وهى أم يونس بن متّى ذى النون ، فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى يومئذ مولود يرضع ، وكانت أُمّ يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدّخر عنه كرامة تقدر عليها .

قال : ثم إنّ إلياس سئم ضيق البيوت بعد تعوده فسحة الجبال دوحها فأحبّ اللّحوق بالجبال ، فخرج وعاد إلى مكانه ، فجزعت أُمّ يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم تلبث إلا يسيرًا حتى مات ابنها حين فطمته ، فعظمت مصيبتها فيه ، فخرجت فى طلب إلياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فقالت له : إنى قد فجعت بعدك بموت ابنى فعظمت فيه مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع ربك جل جلاله ليُحيى لى ابنى ويجبر مصيبتى ، وإنى قد تركته مسجّى لم أدفنه ، وقد أخفيت مكانه . فقال لها إلياس : «ليس هذا مما أُمرت به ، وإنما أنا عبدٌ مأمور أعمل بما يأمرنى ربى ، ولم يأمرنى بهذا» فجزعت المرأة وتضرعت ، فأعطف الله سبحانه قلب إلياس لها ، فقال لها : «ومتى مات ابنك؟» قالت : منذ سبعة أيام .

فانطلق إلياس معها وسار سبعة أخرى حتى انتهى إلى منزلها فوجد ابنها يونس بن متى ميتًا منذ أربعة عشر يومًا ، فتوضأ وصلّى ودعا فأحيا الله يونس بن متّى بدعوة إلياس . فلما عاش وجلس ، وثب إلياس وانصرف وتركه وعاد إلى موضع ما كان فيه . فلما طال عصيان قومه ضاق بذلك إلياس ذرعًا وأجهده البلاء ، قال : فأوحى الله سبحانه إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود : «يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه؟ ألست أمينى على وحيى ، وحجتى فى أرضى ، وصفوتى من خلقى؟ فسلنى أُعطك فإنى ذو الرحمة الواسعة والفضل

العظيم» قال: «تميتنى فتلحقنى بآبائى فإنى قد مللت بنى إسرائيل وملّونى، وأبغضتهم فيك وأبغضونى». فأوحى الله سبحانه إليه: «يا إلياس، ما هذا باليوم الذى أُعرى منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها وصلاحها بك وأشباهك وإن كنتم قليلاً، ولكن تسألنى فأُعطيك».

قال إلياس: «فإن لم تمتنى يا إلهى فأعطنى ثأرى من بنى إسرائيل». قال الله سبحانه: «وأى شىء تريد أن أعطيك يا إلياس؟».

قال: «تمكننى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشأ عليهم سحابة إلاّ بدعوتى، ولا يمطر عليهم سبع سنين قطرة إلاّ بشفاعتى، فإنهم لا يذلّهم إلاّ ذلك». قال الله سبحانه وتعالى: «يا إلياس، أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين». قال: «فستّ سنين». قال: «أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين».

قال: «فخمس سنين». قال: «أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين، ولكنّى أُعطيك ثأرك ثلاث سنين، أجعل خزائن المطر بيدك، ولا تنشأ عليهم سحابة إلا بدعوتك، ولا ينزل عليهم قطرة إلاّ بشفاعتك». قال إلياس: «فبأى شىء أعيش».

قال: «أسخر لك جنسًا من الطير ينقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التى لم تقحط». قال إلياس: «قد رضيت».

قال: فأمسك الله عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر، وجهد الناس جُهدًا شديدًا، وإلياس على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيثما كان، وقد عرفه بذلك قومه، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى البيت قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان، فطلبوه ولقى منهم أهل ذلك المنزل شيئًا.

قال ابن عباس: أصاب بنى إسرائيل ثلاث سنين القحط، فمرّ إلياس بعجوز، فقال لها: هل عندك طعام؟ فقالت: نعم، شىء من دقيق وزيت قليل. قال فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسّه حتى ملأ جرابها دقيقًا وملأ خوابيها زيتًا، فلمّا رأى بنو إسرائيل ذلك عندها قالوا: من أين لك هذا؟ قالت: مرّ بى رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته، فعرفوه وقالوا: ذلك إلياس، فطلبوه فوجدوه فهرب منهم.

ثم إنه آوى ليلة فى بيت امرأة من بنى إسرائيل لها ابن يقال له: اليسع ابن أخطوب وكان به ضر، فآوته وأخفت أمره، فدعا له فعوفى من الضر الذى كان به، واتبع اليسع إلياس فآمن به وصدّقه ولزمه، وكان يذهب به حيثما ذهب، وكان إلياس قد أسنّ وكبر، وكان اليسع غلامًا شابًا.

ثم إن الله سبحانه أوحى إلى إلياس: «إنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعص سوى بنى إسرائيل من البهائم والدواب والطير والهوام والشجر يحبس المطر من بنى إسرائيل».
فيزعمون - والله أعلم - أنّ إلياس قال: «يا ربّ دعنى أكن أنا الذى أدعو لهم به، وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذى أصابهم لعلّهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك».
قيل له: «نعم».

فجاء إلياس إلى بنى إسرائيل فقال لهم: «إنكم قد هلكتم جوعًا وجهداً، وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر لخطاياكم، وإنكم على باطل وغرور، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم تلك فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم، ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء».

قالوا: أنصفت.

فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم يفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، ثم قالوا لإلياس (عليه السلام): يا إلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا. فدعا لهم إلياس ومعه اليسع بالفرج عنهم مما هم فيه، وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر، وهم ينظرون، فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق، ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر وأغاثهم وحييت بلادهم. فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد، ولم ينزغوا عن كفرهم، ولم يقلعوا عن ضلالتهم، وأقاموا على حيث ما كانوا عليه، فلما رأى إلياس ذلك دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم، فقيل له - فيما يزعمون - انظر يوم كذا، فخرج فيه إلى موضع كذا، فما جاءك من شىء فاركبه ولا تهبه.

فخرج إلياس ومعه اليسع بن أخطوب، حتى إذا كان بالموضع الذى أمر، أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه إلياس، فانطلق به الفرس، فناداه اليسع: يا إلياس، ما تأمرنى؟ فقذف إليه بكسائه من الجوّ الأعلى، وكان ذلك علامة استخلافه إياه على بنى إسرائيل، فكان ذلك آخر العهد به، ورفع الله سبحانه إلياس من بين أظهرهم، وقطّع عنه لذّة المطعم والمشرب، وكساه الرّيش، فكان إنسيًا ملكيًا، أرضيًا سماويًا، وسلّط الله تعالى على أجب الملك وقومه عدواً لهم، فقصدهم من حيث لم يشعروا بهم حتى رهقهم، فقتل أجب ملكهم وأزبيل امرأته فى بستان مزدكى، فلم تزل جيفتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورميت عظامهما.

ونبأ الله سبحانه بفضله اليسع، وبعثه رسولاً إلى بنى إسرائيل وأوحى إليه وأيده بمثل ما أيّد

به عبده إلياس ، فآمنت به بنو إسرائيل ، فكانوا يعظّمونه وينتهون إلى أمره ، وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع .

أخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال : حدّثنا الحسن بن عبد العزيز الجدوى ، عن ضمرة ، عن السدى بن يحيى عن عبد العزيز بن أبى رواد قال : إلياس والخضر عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ، ويوافيان الموسم فى كلّ عام .

وأخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا ابن ماجه ، قال : حدثنا الحسن بن أيوب ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى زياد قال : حدثنا يسار قال : حدثنا بشر بن منصور قال : حدثنى سعيد بن أبى سعيد البصرى قال : قال حدثنى العلاء البجلى عن زيد مولى عون الطفاوى عن رجل من أهل عسقلان كان يمشى بالأردن عند نصف النهار ، فرأى رجلاً فقال : يا عبد الله من أنت؟ قال : فجعل لا يكلمنى ، قلت : يا عبد الله من أنت؟ قال : «أنا إلياس» قال فوقعت علىّ رعدة ، فقلت : ادع الله يرفع عنى ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك . قال : فدعا لى بثمانى دعوات : «يا بر يا رحيم يا حنان يا منان يا حى يا قيوم» ، ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما .

قال : ورفع الله عنّى ما كنت أجدُ ، فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين يدى ، قال : فقلت له : يوحى إليك اليوم؟ قال : «منذ بعث الله سبحانه محمداً رسولاً فإنه ليس يوحى إلى» قال : قلت له : كم الأنبياء اليوم أحياء؟ قال : «أربعة ، اثنان فى الأرض ، واثنان فى السماء ، فى السماء عيسى وإدريس ، وفى الأرض إلياس والخضر . قلت : كم الأبدال؟ قال : «ستون رجلاً ، خمسون منهم من لدن عريش مصر إلى شاطئ الفرات ، ورجل بالمصيصية ورجلان بعسقلان وسبعة فى سائر البلدان ، كلّما أذهب الله بواحد ، جاء الله بآخر ، بهم يدفع عن الناس وبهم يمطرون» . قلت : فالخضر أين يكون؟ قال : «فى جزائر البحر» . قلت : فهل تلقاه؟ قال : «نعم» . قلت : أين؟ قال : «بالموسم» قلت : فما يكون من حديثكما؟ قال : «يأخذ من شعرى وآخذ من شعره» .

قال : وذاك حين كان بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال ، فقلت : فما تقول فى مروان بن الحكم؟ قال : «ما تصنع به؟ رجل جبّار عات على الله سبحانه ، القاتل والمقتول والشاهد فى النار» . قال : قلت : فإنى قد شهدت فلم أطعن برمح ولم أرمِ بسهم ولم أضرب بسيف ، وأنا أستغفر الله عز وجل من ذلك المقام أن أعود إلى مثله أبدًا .

قال : «أحسنت ، هكذا فكن» .

قال: فإني وإياه قاعدان، إذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضًا من الثلج، أكلت أنا وهو رغيفًا وبعض آخر ثم رفع فما رأيت أحدًا وضعه ولا أحدًا رفعه. قال: وله ناقة ترعى في وادي الأردن، فرفع رأسه إليها فما دعاها حتى جاءت فبركت بين يديه فركبها، قلت: أُريد أن أصحبك. قال: «إنك لا تقدر على صحبتي». قلت: إني خلوٌ، ما لي زوجة ولا عيال. قال: «تزوج وإياك والنساء الأربع: إياك والناشز والمختلعة والملاعنة والمبارية، وتزوج ما بدا لك من النساء». قال: قلت: إني أُحب لقاءك. قال: «إذا رأيتني فقد لقيتني»، ثم قال: «إني أُريد أن أعتكف في بيت المقدس في شهر الله المبارك رمضان».

قال: ثم حالت بيني وبينه شجرة، فوالله ما أدري كيف ذهب، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ۝ أَتَدْعُونَ﴾: أتعبدون ﴿بَعْلًا﴾؟ وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونها، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك، وقال مجاهد وعكرمة والسدي: البعل الرب بلغة أهل اليمن، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ابن عباس: وسألت أعرابيًا يقول لآخر: من بعل هذه الناقة؟ يعني صاحبها. قال الفراء: هي بلغة هذيل.

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾، فلا تعبدونه: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب بنصب الهاء والباءين على البدل، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم ورواية حفص عن عاصم، وقرأ الآخرون برفعها على الاستئناف.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: في العذاب والنار ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: من قومه فإنهم ... [1] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ۝ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾: قرأ ابن محيصن وشيبة ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾: موصولاً.

وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب (آل ياسين) بالمدّ. الباقون: ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾: بالقطع والقصر، فمن قرأ آل ياسين بالمد، فإنه أراد آل محمد عن بعضهم، وقيل: أراد إلياس، وهو أليق بسياق الآية، ومن قرأ آل ياسين فقد قيل: إنها لغة في إلياس مثل إسماعيل وإسماعين وميكائيل وميكائين، وقال الفراء: هو جمع، أراد إلياس وأتباعه من المؤمنين كقولهم: الأشعرون والمكيون وقال الكسائي: العرب تثني وتجمع الواحد كقول الشاعر:

❖ قدني من نصر الخبيبين قدي ❖

وإنما هو أبو خبيب عبد الله بن الزبير. وقال الآخر:

❖ جزاني الزهدمان جزاء سوء ❖

---

(١) بياض بالأصل المخطوط.

وإنما هو زهدم، وفى حرف عبد الله: (وإن إدريس لمن المرسلين، وسلامٌ على إدراسين).

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾: أى على آثارهم ومنازلهم، ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: وقت الصباح، ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾: أيضًا تمرّون، وههنا تمّ الكلام، ثم قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتعتبروا؟

❖ ❖ ❖

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ﴾: هرب ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾، قال ابن عباس ووهب: كان يونس (عليه السلام) قد وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمنشور منهم، فقصد البحر وركب السفينة، فاحتبست السفينة، فقال الملاحون: ههنا عبد أبق من سيده، وهذا رسم السفينة إذا كان فيه آبق لا تجرى. فاقترعوا، فوقعت القرعة على يونس، فقالوا: ألا نلقيه فى الماء؟ واقترعوا ثانيًا وثالثًا فوقعت القرعة على يونس، فقال: «أنا الآبق» وزجّ نفسه فى الماء، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَسَاهَمَ﴾: فقارع، والمساهمة: إلقاء السهام على جهة القرعة. ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾: المقروعين المخلوعين المغلوبين.

﴿فَٱلْتَقَمَهُ﴾: فابتلعه والتقمه ﴿ٱلْحُوتُ﴾: وأوحى الله سبحانه إليه أنّى جعلت بطنك سجنًا ولم أجعله لك طعامًا، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: مذنب، قد أتى بما يلام عليه.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: المنزهين الذاكرين لله سبحانه قبل ذلك فى حال الرخاء، وقال ابن عباس: من المصلين، وقال مقاتل: من المصلحين المطيعين قبل المعصية، وقال وهب: من العابدين، وقال سعيد بن جبير: يعنى قوله: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧) وقال الحسن: ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملاً صالحًا، ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: لصار بطن الحوت قبرًا له إلى يوم القيامة.

﴿فَنَبَذْنَـٰهُ﴾: طرحناه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ قال الكلبى: يعنى وجه الأرض. مقاتل بن حيان: يعنى ظهر الأرض. مقاتل بن سليمان بالبرارى من الأرض. الأخفش بالفناء، الفراء: بالأرض الواسعة. السدّى: بالساحل، وأصل العراء الأرض الخالية من الشجر والنّبات، ومنه قيل للمتجرد: عريان. قال الشاعر:

ترك الهام. . . . [1] بالعراء صار للخير حاصر العبقا

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: عليل كالفرخ الممغط، واختلفوا فى المدة التى لبث يونس (عليه السلام) فى بطن الحوت، فقال مقاتل بن حيان: ثلاثة أيام. عطاء: سبعة أيام، ضحاك: عشرين يومًا. السدى والكلبى ومقاتل بن سليمان: أربعين يومًا.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ﴾: أى له، وقيل: عنده، كقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ (الشعراء: ١٤) أى عندى ﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾: قال ابن مسعود: يعنى القرع. ابن عباس والحسن ومقاتل هو كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض، ولا يبقى على الشتاء وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع والحنظل. سعيد بن جبير: هو كل شىء ينبت ثمّ يموت من عامه، وقيل: هو يفعيل من (قطن

(١) بياض بالأصل المخطوط.

بالمكان) إذا قام به إقامة زائل لا إقامة ثابت، وقال مقاتل بن حيان: وكان يستظل بالشجرة، وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها، ﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ﴾: يجوز أن يكون من حبسه فى بطن الحوت، تقدير الآية وقد أرسلناه، ويجوز أن يكون بعده، ويجوز أن يكون إلى قوم آخرين.

﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه ويزيدون، قال الشاعر:

فلما اشتد أمر الحرب فينا　　　تأملنا رياحًا أو رزاما

أى ورزامًا، وقال مقاتل: بل يزيدون.

واختلفوا فى مبلغ الزيادة على مائة ألف؛ فقال ابن عباس ومقاتل: عشرون ألفًا. الحسن والربيع: بضع وثلاثون ألفًا، ابن حيان: سبعون ألفًا، ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾: عند معاينة العذاب، ﴿فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: انقضاء آجالهم.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: فسل يا محمد أهل مكة ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾؛ وذلك أن جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا أنّ الملائكة بنات الله، ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ﴾: حاضرون خلقنا إياهم، نظيره قوله: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ (الزخرف: ١٩).

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝ أَصْطَفَى﴾. قرأ العامة بقطع الألف؛ لأنه ألف استفهام دخلت على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة على حالها مثل ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ (ص: ٧٥) و﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ (المنافقون: ٦) و﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ (الأحقاف: ٢٠) ونحوها.

وقرأ أبو جعفر ونافع فى بعض الروايات (الكاذبون اصطفى) موصولة على الخبر والحكاية عن قول المشركين، مجازه: ﴿لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾: ويقولون ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾: ثم رجع إلى الخطاب: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ﴾: برهان بيّن على أنّ لله ولدًا ﴿فَأْتُواْ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾: فجعلوا الملائكة بنات الله، فسمّى الملائكة جنًا لاختبائهم عن الأبصار، هذا قول مجاهد وقتادة، وقال ابن عباس: قالوا الحىّ من الملائكة ـ يقال لهم الجنّ ومنهم إبليس ـ: بنات الله.

قال الكلبى: قالوا (لعنهم الله): بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وقال الحسن: أشركوا الشيطان فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾: يعنى قائلى هذا القول ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾: فى النار.

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾؛ فإنهم من النار ناجون. ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: يعنى الأصنام ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: أى مع ذلك ﴿بِفَـٰتِنِينَ﴾: بمضلّين ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ

﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ : أى إلاّ من هو فى علم الله وإرادته سيدخل النار.

أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا الفريابى قال: حدثنا أبو بكر بن شنبه قال: حدثنا عبد الله بن إدريس عن عمر بن ذر قال: قدمنا على عمر بن عبد العزيز فذكر عنده القدر، فقال عمر بن عبد العزيز: لو أراد الله ألا يُعصى ما خلق إبليس وهو رأس الخطيئة، وإن فى ذلك لعلمًا من كتاب الله، وجهله من جهله وعرفه من عرفه، ثم قرأ ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾، وقد فصلت هذه الآية بين الناس.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا الفريابى قال: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصارى قال: حدثنا أنس بن عياض قال: حدثنى أبو سهيل نافع بن مالك بن أبى عامر قال لى عمر بن عبد العزيز (من فيه إلى أُذنى): ما تقول فى الذين يقولون لا قدر؟ قال: أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلاّ ضربت أعناقهم. قال عمر بن عبد العزيز: ذلك الرأى فيهم والله لو لم يكن إلاّ هذه الآية الواحدة لكفى بها: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ﴾ : يعنى إلا من له ﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ : مكان مخصوص فى العبادة. قال ابن عباس: ما فى السموات موضع شبر إلاّ وعليه ملك مصلٍّ أو مسبح، وقال أبو بكر الوراق: ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ : يعبد الله عليه، كالخوف والرجا، والمحبة والرضا، وقال السدى: يعنى فى القربى والمشاهدة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ : فى الصلاة، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ۝ وَإِن كَانُواْ﴾ : وقد كادوا يعنى أهل مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾ : لام التأكيد: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ : كتابًا مثل كتبهم، ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ : فيه اختصار تقديره: فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به. نظيره قوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥٧).

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ : وهذا وعيد لهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وهى قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ (المجادلة: ٢١).

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال ابن عباس: يعنى الموت، وقال مجاهد: يعنى يوم بدر، وقيل: إلى يوم القيامة، وقال مقاتل بن حيان: نسختها آية القتال.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ : أنظر إليهم إذا عدوا، وقيل: أبصر حالهم بقليل، وقيل انتظرهم ﴿فَسَوْفَ

﴿يُبۡصِرُونَ﴾: ما أنكروا ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾: وذلك أنّ رسول الله عليه السلام لما أوعدهم العذاب، قالوا: متى هذا الوعد؟ فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾: العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمۡ﴾: بناحيتهم وفنائهم ﴿فَسَآءَ﴾: فبئس ﴿صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾: الكافرين. أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الزاهد، قال: أخبرنا أبو العباس السراج قال حدثنا محمد بن رافع قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمّر عن قتادة عن أنس فى قوله: ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ قال: لما أتى النبى ﷺ خيبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومعهم مساحيهم، فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا، فرجعوا إلى حصنهم، فقال النبى عليه السلام: «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

﴿وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ﴾: تأكيد للأُولى.

﴿سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ﴾ - إلى آخر السورة - أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عمر بن الخطاب قال: حدثنا أبو مسلم: حدثنا محمد بن إسماعيل بن محمد بن أُسد بن عبد الله الأصفهانى قال: حدّثنا أسيد بن عاصم قال: حدثنا أبو سفيان بن صالح بن مهران قال: حدثنا نعمان قال: حدثنا أبو العوام عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سلمتم علىّ فسلّموا على المرسلين؛ فإنما أنا رسول من المرسلين».

قال أبو العوام: كان قتادة يذكر هذا الحديث إذا تلا هذه الآية: ﴿سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ﴾ إلى آخر السورة.

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا موسى بن محمد قال: حدثنا الحسن بن علوية قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا المسيب قال: حدثنا مطرف عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ يقول قبل أن يسلّم: ﴿سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال: حدثنا على بن محمد الطنافسى قال: حدثنا وكيع عن ثابت بن أبى صفية عن الأصبغ بن نباتة عن على رضى الله عنه قال: «من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه من مجلسه ﴿سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه، أخبرنا الحسن المخلدى المقرئ عن أبى الحسن على بن أحمد عن أبى

عثمان البصرى عن أبى خليفة الجمحى عن عبد المؤمن عن إبراهيم بن إسحاق عن عبد الصمد عن صالح بن مسافر قال: قرأت على عصام بن أبى النجود سورة والصافات فلما أتيت على آخرها سكت، فقال: لم؟ اقرأ.

فقلت: قد ختمت، قال إنى فعلت كما فعلت على أبى عبد الرحمن السلمى، فقال أبو عبد الرحمن: كذلك قال لى علىّ وقال لى: قل: آذنتكم بأذانه المرسلين و(لتسألن عن النبأ العظيم).



سورة ص

وهى ثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفًا،
وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة، وثمان وثمانون آية

من كتاب ثواب الأعمال: أخبرنا إبراهيم قال: حدثنا سلام فى إسناده قال: ومن قرأ سورة ص كان له من الأجر مثل جبل سخّره الله لداود عشر حسنات، وعصم من أن يصر على ذنب صغير أو كبير.

حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا أبو الربيع قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنى العطاف بن خلد عن عبد الرحمن بن حرملة عن برد مولى سعيد بن المسيب: أن ابن المسيب كان لا يدع أن يقرأ كل ليلة ص.

قال العطاف: فلقيت عمران بن محمد بن سعيد بن المسيب فسألته عن ذلك.

قال: بلغنى أنّه ما من عبد يقرأها كلّ ليلة إلاّ اهتز له العرش.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾

﴿صٓ﴾: قرأ العامة بالجزم، واختلفوا فى معناه.

فقال الكلبى: عن أبى صالح، سُئل جابر بن عبد الله وابن عباس عن ﴿صٓ﴾: فقالا: لا ندرى.

وقال عكرمة: سأل نافع الأزرق عبد الله بن عباس عن ﴿صٓ﴾: فقال: كان بحراً بمكّة

وكان عليه عرش الرحمن، إذ لا ليل ولا نهار.

سعيد بن جبير: ﴿صٓ﴾: بحر يُحيى الله به الموتى بين النفختين.

الضحاك: صدق الله. مجاهد: فاتحة السّورة. قتادة: اسم من أسماء القرآن. السدّى: قسم أقسم الله سبحانه وتعالى به، وهو اسم من أسماء الله عزّ وجلّ. وهى رواية الوالبى عن ابن عباس.

محمد بن كعب القرظى: هو مفتاح أسماء الله، صمد، وصانع المصنوعات، وصادق الوعد.

وقيل: هو اسم السورة، وقيل: هو إشارة إلى صدود الكفّار من القرآن.

وقرأ الحسن وابن أبى إسحاق: صاد بخفض الدّال، من المصاداة، أى عارض القرآن بعملك وقابله به، واعمل بأوامره، وانته عن نواهيه.

وقرأ عيسى بن عمر صاد بفتح الدّال، ومثلهُ قاف ونون، لاجتماع السّاكنين، حرّكها إلى أخف الحركات.

وقيل: على الإغراء.

وقيل فى ﴿صٓ﴾: إنّ معناه صاد محمّد قلوبَ الخلق واستمالها حتّى آمنوا به.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾: قال ابن عباس ومقاتل: ذى البيان.

الضحاك: ذى الشرف، دليله قوله عزّ وجلّ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: ٤٤).

وقيل: ذى ذكر الله عزّ وجلّ.

واختلفوا فى جواب القسم، فقال قتادة: موضع القسم قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ كما قال سبحانه: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ (ق: ١، ٢). وقال الأخفش جوابه قوله: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ (ص: ١٤). كقوله عزّ وجلّ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا ...﴾ (الشعراء: ٩٧). وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ.... إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾ (الطارق: ١-٤). وقيل: قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ (ص: ٥٤).

وقال الكسائى: قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ (ص: ٦٤).

وقيل: مقدم ومؤخر تقديره: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾.

وقال الفراء: ﴿صٓ﴾ معناها وجب وحقّ، فهى جواب لقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ كما تقول: نزل والله.

وقال القتيبى من قال جواب القسم ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: «بل» إنما تجىء لتدارك كلام ونفى آخر، ومجاز الآية أن الله أقسم بـ ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ

وَشِقَاقٍ﴾: ويعنى حمية جاهلية وتكبر.

﴿وَشِقَاقٍ﴾: يعنى خلاف وفراق.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا﴾: بالإيمان والاستغاثة عند نزول العقوبة وحلول النقمة بهم.

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾: وليس بوقت فرار ولا بر.

وقال وهب: ﴿وَّلَاتَ﴾: بلغة السريانية إذا أراد السريانى أن يقول وليس يقول: ولات.

وقال أئمة أهل اللغة: ﴿وَّلَاتَ حِينَ﴾: مفتوحتان كأنّهما كلمة واحدة، وإنّما هى «لا» زيدت فيها التاء كقوله: رُبّ وربّت، وثمّ وثمّت.

قال أبو زيد الطائى:

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

وقال آخر:

تذكّرت حبّ ليلى لات حينا وأمسى الشيب فقطع القرينا

وقال قوم: إن التاء زيدت فى حين كقول أبى وجزة السعدىّ:

العاطفون حين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم

وتقول العرب: تلان بمعنى الآن، ومنه حديث ابن عمر سأله رجل عن عثمان رضى الله عنه فذكر مناقبه ثم قال: اذهب بها تلان إلى أصحابك يريد الآن.

وقال الشاعر:

تولى قبل يوم بين حمانا وصلينا كما زعمت تلانا

فمن قال: إن التاء مع «لا» قالوا: قف عليه لأن بالتاء. . . [1].

وروى قتيبة عن الكسائى أنّه كان يقف: ولاه بالهاء، ومثله روى عن أهل مكة، ومن قال: إن التاء مع حين. قالوا: قف عليه ولا، ثم يبتدئ بحين مناص. وهو اختيار أبى عبيد قال: لأنى تعمدت النظر إليه فى مصحف الإمام عثمان بن عفان رضى الله عنه فوجدت التاء متصلة مع حين قد ثبتت: «تحين».

وقال الفراء: النوص بالنون التأخر، والبوص بالباء التقدم. وجمعهما امرؤ القيس فى بيت فقال:

أمن ذكر ليلى إذ نأتك تنوص فتقصر عنها خطـوة وتبوص

(١) بياض بالأصل المخطوط.

فمناص مفعل من ناص مثل مقام.

قال ابن عباس: كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض: مناص، أى اهربوا وخذوا حذركم، فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا: مناص، فأنزل الله سبحانه ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ﴾.

وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون، فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش، وهم الصناديد والأشراف، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً، الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم سنًا، وأبو جميل ابن هشام، وأُبى وأُمية ابنا خلف، وعمر بن وهب بن خلف، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وعبد الله بن أُمية والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، وعدى بن قيس، والنضر بن الحارث، وأبو البحترى بن هشام، وقرط بن عمرو، وعامر بن خالد، ومحرمة بن نوفل، وزمعة بن الأسود، ومطعم بن عدى، والأخنس ابن سريق، وحويطب ابن عبد العزى، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، والوليد بن عتبة، وهشام بن عمر بن ربيعة، وسهيل بن عمرو، فقال لهم الوليد بن المغيرة: امشوا إلى أبى طالب. فأتوا أبا طالب فقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنّا أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك. فأرسل أبو طالب إلى النبى ﷺ فدعاه فقال له: يا ابن أخ هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك.

فقال رسول الله ﷺ: «وماذا يسألوننى؟» فقال: يقولون ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك.

فقال النبى عليه السلام: «أتعطوننى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟» فقال أبو جهل: لله أبوك لنعطينكها وعشر أمثالها.

فقال رسول الله ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله». فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ﴾: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾: أى عجيب.

قال مقاتل: بلغة أزد شنوءة.

قال أهل اللغة: العجيب والعجاب واحد كقولك كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض وسكين حديد وحداد.

أنشد الفراء:

كحلقة من أبى رماح   تسمعها لاهة الكبار

وقال آخر:

نحن أجدنا دونها الضرابا   إنّا وجدنا ماءها طيابا

يريد طيبًا.

وقال عباس بن مرداس: تعدو به سلميةٌ سُراعة. أى سريعة.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى وعيسى بن عمر: عجّاب بالتشديد. وهو المفرط فى العجب.

فأنشد الفراء:

آثرت إدلاجى على ليل جرّة   هضيم الحشا حسانة المتجرد

وأنشد أبو حاتم:

جاءوا بصيد عجّب من العجب   أزيرق العينين طوال الذنب

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾: يعنى إلى أبى طالب فاشكوا إليه ابن أخيه ﴿وَٱصْبِرُوا۟﴾: واثبتوا ﴿عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾: نظيرها فى الفرقان ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ (الفرقان: ٤٢).

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾: أى لأمر يُراد بنا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: الذى يقول محمّد ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

قال ابن عباس والقرظى والكلبى ومقاتل: يعنون النصرانية، لأن النصارى تجعل مع الله إلهًا.

وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملة قريش، ملة زماننا هذا.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ

إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ : القرآن ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ : قال الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ أى وحيى.

﴿بَل لَّمَّا﴾ : أى لم ﴿يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ : ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ﴾ : نعمة ﴿رَبِّكَ﴾ : يعنى مفاتيح النبوة، نظيرها فى الزخرف ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢) أى نبوة ربك ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ : أى فليصعدوا فى الجبال إلى السموات، فليأتوا منها بالوحى إلى من يختارون ويشاءون، وهذا أمر توبيخ وتعجيز.

وقال الضحاك ومجاهد وقتادة: أراد بالأسباب: أبواب السماء وطرقها.

﴿جُندٌ﴾ : أى هم جُند ﴿مَّا هُنَالِكَ﴾ : أى هنالك و(ما) صلة ﴿مَهْزُومٌ﴾ : مغلوب، ممنوع عن الصعود إلى السماء ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ : أى من جملة الأجناد.

وقال أكثر المفسرين: يعنى أن هؤلاء الملأ الذين يقولون هذا القول، جند مهزوم مقهور وأنت عليهم مظفر منصور.

قال قتادة: وعده الله عزّ وجلّ بمكة أنّه سيهزمهم، فجاء تأويلها يوم بدر من الأحزاب، أىّ كالقرون الماضية الذين قهروا وأهلكوا، ثم قال معزيًا لنبيه ﷺ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ : قال ابن عباس: ذو البناء المحكم.

وقال القتيبى: والعرب تقول: هم فى عز ثابت الأوتاد، وملك ثابت الأوتاد، يريدون أنّه دائم شديد، وأصل هذا أن البيت من بيوتهم بأوتاده.

قال الأسود بن يعفر: فى ظل ملك ثابت الأوتاد.

وقال الضحاك: ذو القوة والبطش.

وقال الحلبى ومقاتل: كان يعذب الناس بالأوتاد، وكان إذا غضب على أحد مَدّهُ مستلقيًا

بين أربعة أوتاد كل رجل منه إلى سارية وكل يد منه إلى سارية، فيتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت.

وقال مقاتل بن حيان: كان يمد الرجل مستلقيًا على الأرض ثم يشده بالأوتاد.

وقال السدي: كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيّات.

وقال قتادة وعطاء: كان له أوتاد وأرسال وملاعب يلعب عليها بين يديه.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُولَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝ إِن كُلٌّ﴾: ما كل منهم ﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾: فوجب عليهم ونزل بهم عذابي ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾: ينتظر ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: يعني كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: وهي نفخة القيامة.

وقد روي هذا التفسير مرفوعًا إلى النبي عليه السلام.

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾.

قال ابن عباس وقتادة: من رجوع. الوالبي: يزداد. مجاهد: نظرة. الضحاك: مستوية.

وفيه لغتان: (فُواق) بضم الفاء وهي لغة تميم، وقراءة يحيى والأعمش وحمزة والكسائي وخلف. و(فَواق) بالفتح وهي لغة قريش، وقراءة سائر القراء واختيار أبي عبيد.

قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد، كما يقال حُمام المكوك وحمامه، وقصاص الشعر وقصاصه.

وفرّق الآخرون بينهما.

قال أبو عبيدة والمؤرج: بالفتح بمعنى الراحة والإفاقة كالجواب من الإجابة، ذهبا به إلى إفاقة المريض من علته، و(الفُواق) بالضم ما بين الحلبتين، وهو أن يحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق. فاستعير في موضع الانتظار مدة يسيرة.

قال رسول الله ﷺ: «من رابط فواق ناقة في سبيل الله حرّم الله جسده على النار».

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: يعني كتابنا.

وعنه أيضًا: القط الصحيفة التي أحصت كل شيء.

قال أبو العالية والكلبي: لمّا نزلت في الحاقة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ (الحاقة: ١٩)، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ (الحاقة: ٢٥).

قالوا على جهة الاستهزاء: (عجّل لنا قطنا) يعنون كتابنا عجله لنا في الدُّنيا.

قيل: يوم الحساب.

وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدى : يعنى عقوبتنا وما كتب لنا من العذاب .

قال عطاء : قاله النضر بن الحارث ، وهو قوله : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢) وهو الذى قال الله سبحانه ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج: ١) .

قال عطاء : لقد نزلت فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عزّ وجلّ .

وقال سعيد بن جبير : يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول .

قال الفراء : القطّ فى كلام العرب الحظ ، ومنه قيل للصك قطّ .

وقال أبو عبيدة والكسائى : القطّ الكتاب بالجوائة .

قال الأعشى :

ولا الملك النعمان يوم لقيته بغبطته يعطى القطوط ويأفق

يعنى كتب الجوائز أى بفضل وبعلو يقال فرس أفق وناقة أفقة إذا كانا كريمين ، وفضّلا على غيرهما .

وقال مجاهد : قطّنا حسابنا ، ويقال لكتاب الحساب : قطّ ، وأصل الكلمة من الكتابة .

فقال الله سبحانه لنبيه عليه السلام : ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ : ذا القوة فى العبادة ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ : مطيع .

عن ابن عباس : رجاع إلى التوبة .

عن الضحاك ، سعيد بن جبير : هو المسبح بلغة الحبش .

أخبرنى الحسين بن محمد الدينورى قال : حدثنا الفضل بن الفضل الكندى قال : حدثنا أبو العبّاس عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ببغداد قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن القاسم قال : حدثنا عمرو بن حصين قال : حدثنا الحسين بن عمر عن أبى بكر الهذلى عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «الزرقة يمن وكان داود النبى (عليه السلام) أزرق» .

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ : بتسبيحه .

قال ابن عبّاس : وكان يفهم تسبيح الحجر والشجر .

﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ .

أخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا ابن شنبه قال : حدثنا الحسين بن يحيويه قال : حدثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم قال : حدثنا الحجاج بن نصير قال : حدثنا أبو بكر الهذلى عن عطاء بن

أبى رباح عن ابن عباس قال كنت أمُرّ بهذه الآية لا أدرى ما العشى والإشراق، حتى حدثتنى أم هانئ بنت أبى طالب أن رسول الله عليه السلام دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ، ثم صلى الضحى وقال: «يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق».

وروى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال: لم يزل فى نفسى من صلاة الضحى شىء حتى طلبتها فى القرآن فوجدتها فى هذه الآية ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾.

قال عكرمة: وكان ابن عباس لا يصلى صلاة الضحى ثم صلى بعدها.

وروى أن كعب الأحبار قال لابن عبّاس رضى الله عنهما: إنى لأجد فى كتاب الله صلاة بعد طلوع الشمس.

فقال ابن عبّاس: أنا أوجدك ذلك فى كتاب الله فى قصة داود ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾: وليس الإشراق طلوع الشمس، إنّما هو صفاؤها وضوءها.

﴿وَالطَّيْرَ﴾: أىّ وسخّرنا له الطير ﴿مَحْشُورَةً﴾: مجموعة، ﴿كُلٌّ لَّهُ﴾: أى لداود، ﴿أَوَّابٌ﴾: مطيع، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: أى قوّيناه.

وقرأ الحسن: وشددنا بتشديد الدال.

قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطانًا كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل، فذلك قوله ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: بالحرس.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمّد بن خالد بن الحسن قال: حدثنا داود بن سليمان قال: حدثنا عبد بن حميد قال: حدثنا محمّد بن الفضل قال: حدثنا داود بن أبى الفرات عن علىّ بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس: أن رجلا من بنى إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم، فاجتمعا عند داود النبى فقال المستعدى: إن هذا غصبنى بقرتى.

فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، وسأل الآخر البينة فلم يكن له بيّنة. فقال لهما داود: قوما حتى أنظر فى أمركما.

فقاما من عنده، فأوحى الله سبحانه إلى داود (عليه السلام) فى منامه: أن يقتل الرجل الذى استُعدى عليه.

فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتّى أتثبت.

فأوحى الله سبحانه إليه مرة أُخرى أن يقتله. فلم يفعل، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه الثالثة: أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله، فأرسل داود إلى الرجل فقال له: إن الله قد أوحى إلىّ أن أقتلك.

فقال له الرجل: تقتلني بغير بيّنة ولا ثبت!

فقال له داود: نعم، والله لأنفذن أمر الله فيك.

فلمّا عرف الرجل أنّه قاتله قال: لا تعجل حتّى أُخبرك أني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فلذلك أُخذت.

فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيبته في بني إسرائيل عند ذلك لداود، واشتد به ملكه فهو قوله سبحانه: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾: يعني النبوة والإصابة في الأمور. وقال أبو العالية: العلم الذي لا تردّه العقول.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: قال ابن عباس: بيان الكلام.

وقال الحسن والكلبي وابن مسعود ومقاتل وأبو عبد الرحمن السلمي: يعني علم الحكم والبصر بالقضاء، كأن لا يتتعتع في القضاء بين الناس، وهي إحدى الروايات عن ابن عباس.

وقال علي بن أبي طالب: هو البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر.

وأخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن عمر الجوري قال: أخبرنا أبو بكر بالويه بن محمّد بن بالويه المربتاني بها، قال: حدثنا محمّد بن حفص الحوني قال: حدثنا نصر بن علي الخميصمي قال: أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا شريك عن الأعمش عن أبي صالح عن كعب في قوله: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: قال: الشهود والأيمان.

أنبأني عبد الله بن حامد قال: أخبرنا عبد الله بن محمّد قال: حدثنا محمّد بن يحيى قال: حدثنا وهب بن جرير قال: أخبرنا شعبة عن الحكم عن شريح في قوله: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: قال: الشهود والأيمان. وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن عبد الله بن أبي سمرة البغوي قال: حدثنا أحمد بن محمّد أبي شيبة قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم البغوي قال: حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن زكريا يعني ابن أبي زائدة عن السبيعي قال: سمعت زياداً يقول: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ الذي أُعطي داود، أما بعد وهو أوّل من قالها.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾: الآية. اختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب امتحان الله سبحانه نبيّه داود بما امتحنه به من الخطيئة.

فقال قوم: كان سبب ذلك أنه تمنى يومًا من الأيام على ربّه عزّ وجلّ منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) وسأله أن يمتحنه نحو الذي كان امتحنهم، ويعطيه من

الفضل نحو الذى كان أعطاهم.

وروى السدى والكلبى ومقاتل: عن أشياخهم دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا: كان داود قد قسّم الدهر ثلاثة أيام: يومًا يقضى فيه بين الناس، ويومًا يخلو فيه لعبادة ربّه، ويومًا يخلو فيه لنسائه وأشغاله. وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال: يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: أنهم ابتلوا ببلاء ما لم تبتل بشىء من ذلك فصبروا عليها. ابتلى إبراهيم بنمروذ وبذبح ابنه، وابتلى إسحاق بالذبح وبذهاب بصره، وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف. وإنك لم تبتل بشىء من ذلك.

فقال داود: ربِّ فابتلنى بمثل ما ابتليتهم وأعطنى مثل ما أعطيتهم.

فأوحى الله سبحانه إليه: أنك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا واحترس.

فلمّا كان ذلك اليوم الذى وعده الله تعالى، دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور، فبينا هو كذلك إذ جاءه الشيطان قد تمثل فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن، فوقعت بين رجليه، فمدَّ يده ليأخذها ويدفعها إلى ابن صغير له، فلما أهوى إليها طارت غير بعيد، من غير أن توئيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتنحت، فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة، فذهب ليأخذها فطارت من الكوة، فنظر داود أين تقع، فبعث إليها من يصيدها، فأبصر امرأة فى بستان على شط بركة لها تغتسل، هذا قول الكلبى.

وقال السدى: رآها تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل النساء خلقًا، فتعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة وأبصرت ظله، فنفضت شعرها فغطى بدنها، فزاده ذلك إعجابًا بها فسأل عنها. فقيل: هى تشابع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا، وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود.

فكتب داود إلى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء: أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدّمه قبل التابوت وكان من قدّم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتّى يفتح الله سبحانه على يديه أو يستشهد، فبعثه وقدّمه فَفتح له، فكتب إلى داود بذلك، فكتب إليه أيضًا: أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا. فبعثه فَفُتح له، فكتب إلى داود بذلك، فكتب إليه أيضًا: أن ابعثه إلى عدو كذا أشدّ منه بأسًا. فبعثه فقتل فى المرة الثالثة، فلمّا انقضت عدّة المرأة تزوّجها داود فهى أم سليمان.

وقال آخرون: سبب امتحانه أن نفسه حدثته أنّه يطيق قطع يوم بغير مقارفة.

وهو ما أخبرنا شعيب بن محمّد قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن الأزهر قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا سعيد عن مطر عن الحسن قال: إن داود جزّأ الدهر أربعة أجزاء: يومًا لنسائه، ويومًا للعبادة، ويومًا للقضاء بين بنى إسرائيل، ويومًا لبنى إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه.

قال: فلما كان يوم بنى إسرائيل ذكروا فقالوا: هل يأتى على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبًا؟

فأضمر داود فى نفسه أنه سيطبق ذلك، فلما كان يوم عبادته غلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكبّ على قراءة التوراة، فبينما هو يقرأ إذ حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها، فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها، فما زال يتبعها حتّى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها، فلمّا رأت ظله فى الأرض جللت نفسها بشعرها، فزاده ذلك بها إعجابًا، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن أسر إلى مكان كذا وكذا مكانًا، إذا سار إليه قُتل ولم يرجع ففعل فأصيب، فخطبها داود فتزوجها.

وقال بعضهم فى سبب ذلك ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمّد قال: حدثنا مخلد بن جعفر الباقرجى قال: حدثنا الحسين بن علوية قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن قال: قال داود لبنى إسرائيل حين ملك: والله لأعدلن بينكم، فلم يستثن فابتلى به.

وقال أبو بكر محمّد بن عمر الوراق، كان سبب ذلك أن داود (عليه السلام) كان كثير العبادة فأعجب بعلمه فقال: هل فى الأرض أحد يعمل عملى؟

فأتاه جبريل فقال: إن الله عزّ وجلّ يقول: أعجبت بعبادتك والعُجب يأكل العبادة، فإن أُعجبت ثانيًا وكلتك إلى نفسك.

قال: يا رب كلنى إلى نفسى سنة.

قال: إنها لكثيرة.

قال: فساعة.

قال: شأنك بها.

فوكل الأحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه، فبينا هو فى نسكه وعبادته إذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان.

قالوا: فلمّا دخل داود بامرأة أوريا لم تلبث إلاّ يسيرًا حتّى بعث الله سبحانه ملكين في صورة إنسيين فطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس أن يدخلا عليه، فتسورا المحراب عليه، فما شعر وهو يصلي إلا وهو بهما بين يديه جالسين، فذلك قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾: وإنما جعلوا جمع الفعل، لأن الخصم اسم يصلح للواحد والجميع والاثنين والمذكر والمؤنث.

قال لبيد:

وخصم يعدون الدخول كأنهم قروم غيارى كل أزهر مصعب

وقال آخر:

وخصم عضاب ينفضون لحاهم كنفض البراذين العراب المخاليا

وإنما جمع وهما اثنان، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء فالاثنان فما فوقهما جماعة، كقوله عزّ وجلّ: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم: ٤).

❖ ❖ ❖

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾: قال الفراء: قد كرر إذ مرتين، ويكون معناهما كالواحد، كقولك: ضربتك إذ دخلت علي إذ اجترأت، فالدخول هو الاجتراء، ويجوز أن يجعل إحداهما على

مذهب لما.

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ : حين هما عليه محرابه بغير إذنه.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ : يا داود ﴿خَصْمَانِ﴾ : أى نحن خصمان ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ : ولا تجز، عن ابن عباس والضحاك.

وقال السدى: لا تسرف. المؤرج: لا تفرط.

وقرأ أبو رجاء العطاردى: ولا تَشطُط بفتح التاء وضم الطاء الأولى، والشطط والإشطاط مجاوزة الحد، وأصل الكلمة من حدهم شطت الدار، وأشطت إذا بعدت.

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ : أى وسط الطريق، فإن قيل: كيف قال: إن هذا أخى فأوجب الأخوة بين الملائكة ولا مناسبة بينهم، لأنهم لا ينسلون.

فى الجواب: أن معنى الآية: نحن لخصمين كما يقال: وجهه القمر حسنًا، أى كالقمر.

قال أحد الخصمين ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ : على التمثيل لا على التحقيق، على معنى كونهما على طريقة واحدة وجنس واحد، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ : وقد يقال: إن المتسورين كانا أخوين من بنى إسرائيل لأب وأم، وإن أحدهما كان ملكًا والآخر لم يكن ملكًا، فنبها داود على ما فعل.

﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ : وهذا من أحسن التعريض، حتى كنّى بالنعاج عن النساء.

والعرب تفعل ذلك كثيراً تورى عن النساء، بالظباء والشاة والبقر وهو كثير وأبين فى أشعارهم.

قال الحسن بن الفضل: هذا تعريض التنبيه والتفهيم، لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغى، وإنما هو كقول الناس ضرب زيد عمراً، وظلم عمرو زيداً، واشترى بكر داراً وما كان هناك ضرب ولا ظلم ولا شراء.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾. قال ابن عباس: أعطنيها.

ابن جبير عنه: تحوّل لى عنها.

مجاهد: أنزل لى عنها.

أبو العالية: ضمها إلىّ حتّى أكفلها.

ابن كيسان: اجعلها كفلى، أى نصيبى.

﴿وَعَزَّنِى﴾ : وغلبنى ﴿فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

قال الضحاك: إن تكلم كان أفصح منى، وإن حارب كان أبطش منى.

وقرأ عبيد بن عمير: وعازنى فى الخطاب بالألف من المعاز وهى المغالبة.

فقال داود: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ فإن قيل: كيف جاز لداود أن يحكم وهو لم يسمع كلام الخصم الآخر؟

قيل: معنى الآية أن أحدهما لمّا ادعى على الآخر عرّف له صاحبه، فعند اعترافه فصل القضية بقوله: (لقد ظلمك) فحذف الاعتراف، لأن ظاهر الآية دال عليه، كقول العرب: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال.

وقال الشاعر:

تقـــول ابنتى لـما رأتنى شاحبًا كأنك سعيد يحميك الطعام طبيب

تتابع أحــداث تخر من إخوتى فشيّبن رأسى والخطــوب تشيب

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: الـشـركــاء ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: فليسوا كذلك ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

ودليل ما ذكرنا من التأويل ما قاله السدى، بإسناده: أن أحدهما لما قال: ﴿إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى﴾ الآية فقال داود للآخر: ما تقول؟ فقال إن لى تسعًا وتسعين نعجة، ولأخى هذا نعجة واحدة، وأنا أريد أن آخذها منه فأكمل نعاجى مائة. قال: وهو كاره.

قال: إذًا لا ندعك وذلك، وإن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وهذا يعنى طرف الأنف وأصله الجبهة.

فقال: يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا إلاّ امرأة واحدة، فلم تزل به تعرضه للقتل حتّى قتل وتزوجت امرأته.

قال: فنظر داود فلم ير أحدًا، فعرف ما قد وقع فيه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَظَنَّ﴾: وأيقن ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ﴾: ابتليناه.

قال سعيد بن جبير: إنما كانت فتنة داود النظر.

قلت: ولم يتعمد داود النظر إلى المرأة، ولكنه أعاد النظر إليها فصارت عليه.

فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود.

وقد روى عن الحارث الأعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: من حدث بحديث داود على ما روته القصاص معتقداً صحته جلدته حدّين لعظيم ما ارتكب وجليل ما احتقب من الوزر والإثم، برمى من قد رفع الله سبحانه وتعالى محله، وأبانه رحمة للعالمين

وحجة للمهتدين.

فقال القائلون بتنزيه المرسلين فى هذه القصة: إنه ذنب لما كان أنه تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالاً له وحدث نفسه بذنب، واتفق غزو أوريا وتقدمه فى الحرب وهلاكه، فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له، كما جزع على غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوج امرأته، فعاتبه الله سبحانه على ذلك، لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهى عظيمة عند الله سبحانه وتعالى.

وقال بعضهم: كان ذنب داود أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطّن نفسه عليها، فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت منه لجلالته، فاغتم لذلك أوريا غمًا شديدًا، فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم تزل هذه الواحدة لخاطبها الأول، وقد كانت عنده تسع وتسعون امرأة.

ومّما يصدق ما ذكرنا ما قيل عن المفسرين المتقدمين، ما أخبرنى عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه: أن المعافى بن زكريا القاضى ببغداد أحمد بن زكريا أخبره عن محمد بن جرير قال: حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنى ابن وهب قال: أخبرنى ابن لهيعة عن أبى صخر عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك سمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن داود النبى حين نظر إلى المرأة وأهم، قطع على بنى إسرائيل، وأوصى صاحب البعث فقال: إذا حضر العدو فقرّب فلانًا بين يدى التابوت، وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدى التابوت وكان التابوت لم يرجع حتّى يقتل أو ينهزم عنه الجيش، فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته، ففطن داود فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدًا حتى نبت الزرع من دموعه وأكلت الأرضة من جبينه، وهو يقول فى سجوده: ربّ زلّ داود زلة أبعد ممّا بين المشرق والمغرب، ربّ إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثًا فى الخلوف من بعده.

فجاءه جبريل (عليه السلام) من بعد أربعين ليلة فقال: يا داود إن الله غفر لك الهم الذى هممت به.

فقال داود: عرفت أن الربّ قادر على أن يغفر لى الهمّ الذى هممت به، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: ربّ دمى الذى عند داود؟

فقال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك، ولئن شئت لأفعلن.

قال: نعم.

فعرج جبريل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل، فقال: قد سألت الله تعالى يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال: قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى

عند داود. فيقول: هو لك يا رب. فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضًا».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا الباقرجي قال: حدثنا الحسن بن علوية قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا إسحاق بن بشير قال: أخبرنا جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عبّاس قال: وأخبرنا سعيد بن بشير وعصمة بن حداس القطعي، عن قتادة عن الحسن وابن سمعان، عمن يخبره عن كعب الأحبار قال: وأخبرني أبو إلياس عن وهب بن منبه قالوا جميعًا: إن داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه، فتحولا في صورتهما فعرجا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه. وعلم داود أنه عني به، فخر ساجدًا أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلاّ لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة، ثم يعود ساجدًا ثم لا يرفع رأسه إلاّ لحاجة لا بدّ منها، ثم يعود ويسجد تمام أربعين يومًا، لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتّى نبت الزرع حول رأسه وهو ينادي ربّه عزّ وجلّ ويسأله التوبة، وكان يقول في سجوده:

سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إلهي خليت بيني وبين عدوي إبليس، فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلهي تبكي الثكلى على ولدها إذا فقدته وداود يبكي على خطيئته، سبحان خالق النور، إلهي لم أتعظ بما وعظت به غيري، سبحان خالق النور، إلهي أنت خلقتني، وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر، سبحان خالق النور، إلهي يُغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة بي لا تذهب عني، سبحان خالق النور، إلهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج الرحيم فنسيت عهدك، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال: هذا داود الخاطئ، سبحان خالق النور، إلهي بأي عينين أنظر بهما إليك يوم القيامة، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي، إلهي بأي قدم أقوم بها أمامك يوم تزول أقدام الخاطئين، سبحان خالق النور، إلهي ويل للخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب، سبحان خالق النور، إلهي مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها، فتركتني والخطيئة لازمة بي، سبحان خالق النور، إلهي من أين تطلب المغفرة إلاّ من عند سيده، سبحان خالق النور، إلهي مطرت السماء ولم تمطر حولي، سبحان خالق النور، إلهي أعشبت الأرض ولم تعشب حولي بخطيئتي، سبحان خالق النور، إلهي أنا الذي لا أطيق حرّ شمسك فكيف أطيق حرّ نارك، سبحان خالق النور، إلهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم، سبحان خالق النور، إلهي كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت شاهدهم حيث كانوا، سبحان خالق النور، إلهي قرح الجبين وجمدت العينان من مخافة

الحريق على جسدى، سبحان خالق النور، إلهى الطير تسبّح لك بأصوات ضعاف تخافك وأنا العبد الخاطئ الذى لم أرع وصيتك، سبحان خالق النور، إلهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصاب، سبحان خالق النور، إلهى أنت المغيث وأنا المستغيث فمن يدعو المستغيث إلاّ المغيث، سبحان خالق النور، إلهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل عذرى، سبحان خالق النور.

اللهمّ إنى أسألك إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، أن تعطينى سؤلى فإن إليك رغبتى، سبحان خالق النور، اللهم برحمتك اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى، سبحان خالق النور، اللّهم إنى أعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تُتَقَبَّل وذنب لا يغفر وعذر لا يقبل، سبحان خالق النور، إلهى أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى، سبحان خالق النور، فررت إليك بذنوبى وأعترف بخطيئتى، فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين، سبحان خالق النور، إلهى قرح الجبين وجمدت الدموع وتناثر الدود من ركبتى وخطيئتى ألزم بى من جلدى، سبحان خالق النور.

قال: فأتاه نداء: يا داود أجائع أنت فتطعم، أظمآن أنت فتسقى، أمظلوم أنت فتنصر؟

ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشىء، فصاح صيحة هاج ما حوله ثم نادى: يا رب الذنب الذنب الذى أصبته.

ونودى: يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك.

فلم يرفع رأسه حتى جاء جبريل (عليه السلام) فرفعه.

قال وهب: إن داود (عليه السلام) أتاه نداء: أنى قد غفرت لك.

قال: يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدًا.

قال: اذهب إلى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداك فتحلل منه.

قال: فانطلق حتى أتى قبره وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى: يا أوريا.

فقال: لبيك من هذا الذى قطع علىَّ لذتى وأيقظنى؟

قال: أنا داود.

قال: ما جاء بك يا نبى الله؟

قال: أسألك أن تجعلنى فى حل مما كان منى إليك!

قال: وما كان منك إلىَّ؟

قال: عرضتك للقتل.

قال: عرضتنى للجنّة وأنت فى حلّ.

فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ألم تعلم أنى حكم عدل لا أقضى بالتعنت والتغرير، ألا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته.

قال: فرجع إليه فناداه فأجابه.

فقال: من هذا الذى قطع علىَّ لذتى؟

قال: أنا داود.

قال: يا نبى الله أليس قد عفوت عنك؟

قال: نعم، ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وتزوجتها.

قال: فسكت فلم يجبه، ودعاه فلم يجبه، وعاوده فلم يجبه، فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى: الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يؤخذ برقبته فيدفع إلى المظلوم، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النّار، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين إلى النار، سبحان خالق النور.

قال: فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك.

قال: يا رب كيف لى أن تعفو عنى وصاحبى لم يعف عنى.

قال: يا داود أعطيه يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له: رضى عبدى؟

فيقول: يا رب من أين لى هذا ولم يبلغه عملى.

فأقول له: هذا عوض من عبدى داود فأستوهبك منه فيهبك لى.

قال: يا رب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لى.

فذلك قوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾: يعنى ذلك الذنب ﴿وَإِنَّ لَهُۥ﴾: بعد المغفرة ﴿عِندَنَا﴾ يوم القيامة ﴿لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: يعنى حسنُ مرجع.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا مخلد بن جعفر قال: حدثنا الحسن بن علوية قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا إسحاق بن بشر قال: أخبرنا أبو إلياس ومقاتل وأبو عبد الرحمن الجندى عن وهب بن منبه قال: إن داود لما تاب الله عزّ وجلّ عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا ترقأ له دمعة ليلاً ونهاراً، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة، فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: فكان يوم للقضاء بين بنى إسرائيل، ويوم لنسائه،

ويوم يسيح فى الفيافى وفى الجبال والساحل ويوم يخلو فى دار فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم سياحته، يخرج فى الفيافى فيرفع صوته بالمزامير، فيبكى وتبكى معه الشجر والرمال والطير والوحوش حتى تسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجىء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه الحجارة والجبال والدواب والطير حتى تسيل أودية من بكائهم، ثم يجىء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر والسباع وطير الماء، فإذا أمسى رجع.

فإذا كان يوم نوحه على نفسه، نادى مناديه: أن اليوم يوم نوح داود على نفسه، فليحضر من يساعده.

قال فيدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح، حشوها ليف فيجلس عليها وتجىء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى أيديهم العصى فيجلسون فى تلك المحاريب، ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه، ويرفع الرهبان معه أصواتهم، فلا يزال يبكى حتى يغرق الفراش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله، فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول: يا رب اغفر ما ترى، فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدُّنيا لعدله.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن ماجه قال: حدثنا الحسن بن أيوب قال: حدثنا عبد الله ابن أبى زياد قال: حدثنا سيار عن جعفر قال: سمعت ثابتًا يقول: ما شرب داود شرابًا بعد المغفرة إلاّ وهو ممزوج بدموع عينيه.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبى قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا عثمان بن أبى العاتكة: أنه كان من دعاء داود:

سبحانك إلهى إذا ذكرت خطيئتى، ضاقت علىّ الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلىّ روحى، إلهى أتيت أطباء عبادك ليداووا إلىّ خطيئتى، فكلهم عليك يدلنى.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال: حدثنا محمد ابن موسى الحلوانى قال: حدثنا مهنى بن يحيى الرملى قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعى قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «خَد الدموع فى وجه داود (عليه السلام) خديد الماء فى الأرض»

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ظفران بن الحسن بن جعفر بن هاشم قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن موسى بن سليمان قال: حدثنا أبو حفص عمر بن محمد النسائى قال: حدثنى إبراهيم بن عبد الله عن ابن بشر بن محمد بن أبان قال: حدثنا الحسن بن عبد الله القرشى قال: لما أصاب داود (عليه السلام) الخطيئة فزع إلى العباد، فأتى راهبًا فى قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه، فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب: من هذا الذى ينادينى؟

قال: أنا داود نبى الله.

قال: صاحب القصور الحصينة والخيل المسوّمة والنساء والشهوات، لئن نلت الجنّة بهذا لأنت أنت.

فقال داود: فمن أنت؟

قال: أنا راهب راغب مترقب.

قال: فمن أنيسك وجليسك؟

قال: اصعد تره إن كنت تريد ذلك.

قال: فتخلل داود الجبل حتّى صار إلى القلة فإذا هو بميت مسجًى.

فقال له: هذا جليسك وهذا أنيسك؟

قال: نعم.

قال: من هذا؟

قال: تلك قصته مكتوب فى لوح من نحاس عند رأسه.

قال: فقرأ الكتاب فإذا فيه: أنا فلان ابن فلان ملك الأملاك، عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وهزمت ألف عسكر وألف امرأة أحصنت وافتضضت ألف عذراء، فبينا أنا فى ملكى أتانى ملك الموت وأخرجنى مما أنا فيه، فهذا التراب فراشى والدود جيرانى.

قال: فخرّ داود مغشيًا عليه.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أحمد بن محمد بن على الهمدانى قال: حدثنا عثمان بن نصر البغدادى قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان قال: حدثنا الأشجعى عن الثورى عن عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كان الناس يعودون داود يظنون أن به مرضًا، وما به مرض وما به إلاّ الحياء والخوف من الله سبحانه».

وقال وهب: لما تاب الله تعالى على داود كان يبدأ إذا دعا يستغفر للخاطئين قبل نفسه.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا الباقرجى قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثنا إسحاق بن بشر قال: حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن قال: كان داود ساجداً من بعد الخطيئة لا يجالس إلاّ الخاطئين ثم يقول: تعالوا إلى داود الخاطئ.

ولا يشرب شرابًا إلا مزجه بدموع عينيه، وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعته، فلا يزال يبكى حتّى يبتل بدموع عينيه، وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين.

قال: وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم النصف من الدهر، فلما كان من خطيئته ما كان، صام الدهر كله وقام الليل كله.

وأخبرنا عن إسحاق قال: حدثنا مقاتل وأبو إلياس قالا: حدثنا وهب بن منبه: أن داود لما تاب الله عليه قال: يا رب غفرت لى؟

قال: نعم.

قال: فكيف لى أن لا أنسى خطيئتى فأستغفر منها وللخطائين إلى يوم القيامة.

قال: فوسم الله عزّ وجلّ خطيئته فى يده اليمنى، فما رفع فيها طعامًا ولا شرابًا إلاّ بكى إذا رآها، وما كان خطيبًا فى الناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس، ليروا وسم خطيئته.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا يوسف بن عبد الله ابن ماهان قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الله الجدلى قال: ما رفع داود رأسه بعد الخطيئة إلى السماء حتّى مات.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: حدثنا محمّد بن خالد قال: حدثنا داود بن سليمان قال: حدثنا عبد بن حميد قال: حدثنا أبو أسامة عن محمّد بن سليمان قال: حدثنا ثابت قال: كان داود إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يسدها إلاّ الأسر وإذا ذكر رحمته تراجعت.

قال: وروى المسعودى عن يونس بن حباب وعلقمة بن مرثد قالا: لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة، ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم (عليه السلام) أكثر حيث أخرجه الله تعالى من الجنّة وأهبط إلى الأرض.

ويروى أن داود كان إذا قرأ الزبور بعد الخطيئة لا يقف له الماء ولا تصغى إليه البهائم والوحوش والطيور كما كان قبله، ونقصت نعمته فقال: يا إلهى ما هذا؟

فأوحى الله سبحانه: يا داود إن الخطيئة هى التى غيرت صوتك وحالك.

فقال: إلهى أوليس قد غفرتها لى؟

فقال: نعم قد غفرتها لك، ولكن ارتفعت الحالة التى كانت بينى وبينك من الودّ والقربة، فلن تدركها أبدًا فذلك قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

قال الحسين بن الفضل: سألنى عبد الله بن طاهر وهو الوالى عن قوله سبحانه: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ هل يقال للراكع خرَّ؟

قلت: لا.

قال: فما معنى الآية؟

قلت: معناها فخرَّ بعد أن كان راكعًا، أى سجد.

أخبرنى الحسن بن محمّد بن الحسين قال: حدثنا هارون بن محمّد بن هارون العطار قال: حدثنا محمد بن عبد العزى قال: حدثنا سليمان بن داود قال: حدثنا ابن أبى عدى، عن حميد الطويل، عن بكر بن عبد الله المزنى، عن أبى سعيد الخدرى قال: رأيتنى أكتب سورة ص والقرآن ذى الذكر، فلما أتيت على هذه الآية: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، رأيت فيما يرى النائم كأن القلم خرّ ساجدًا، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له.

فقال النبى ﷺ: «تقول كما قال وتسجد كما سجد» فتلاها فسجدوا وأمرنا أن نسجد فيها.

وأخبرنى الحسين بن محمّد قال: حدثنا صمد بن على بن الحسن الصوفى قال: حدثنا أبو حفص بكر بن أحمد بن مقبل قال: حدثنا عمر بن على الصيرفى قال: حدثنا اليمان بن نصر الكعبى قال: حدثنا عبد الله أبو سعد المدنى قال: حدثنى محمد بن المنكدر، عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثنى أبو سعيد الخدرى، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنى رأيت الليلة فى منامى كأنى تحت شجرة، والشجرة تقرأ ص، فلما بلغت السجدة سجدت، فسمعتها تقول فى سجودها:

اللهم اكتب لى بها أجرًا، وحط عنى بها وزرًا، وارزقنى بها شكرًا، وتقبلها منى كما تقبلت من عبدك داود سجدته.

فقال رسول الله ﷺ: «أفسجدت أنت يا أبا سعيد؟».

قلت: لا يا رسول الله.

قال: «أنت أحق بالسجدة من الشجرة» ثم قرأ رسول الله ﷺ حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل ما قالت الشجرة.

وأخبرنى الحسين بن محمد قال: حدثنا محمد بن على بن الحسن قال: حدثنا بكر بن أحمد

ابن مقبل قال: حدثنا نصر بن على قال: حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس قال: حدثنا الحسن ابن محمد بن عبيد الله بن أبى يزيد قال: قال لى ابن جريج: حدثنا حسن قال: حدثنى جدّك عبيد الله بن أبى يزيد قال: حدثنى ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى رأيت الليلة فيما يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة، فرأيت كأنى قرأت السجدة فسجدت فرأيت الشجرة كأنها سجدت، فسمعتها وهى ساجدة تقول:

اللّهم اكتب لى عندك بها أجرًا، واجعلها لى عندك ذخرًا، وضع عنى بها وزرًا، واقبلها منى كما قبلت من عبدك داود.

قال ابن عباس: فرأيت النبى ﷺ قرأ السجدة ثم سجد فسمعته وهو ساجد يقول مثل ما قال الرجل من كلام الشجرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

روى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس أنهما قالا فى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

روى أبو معشر عن محمد بن كعب قال: إن أول من يشرب الكأس يوم القيامة داود.

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾: تركوا الإيمان بيوم الحساب ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾.



﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى

ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾ : ليتدبروا﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ . هذه قراءة العامة. وقرأ أبو جعفر وعاصم في رواية الأعشى والترجمني: (ليدبروا) بياء واحدة مفتوحة مخففة على الحذف.

قال الحسن: تدبر آياته: اتباعه.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ .

قال الكلبي: غزا سليمان (عليه السلام) أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس.

وقال مقاتل: ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة.

وقال عوف عن الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة.

قالوا: فصلى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه، فعرضت عليه منها تسعمائة فتنبه لصلاة العصر، فإذا الشمس قد غابت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك بفتنته له، واغتم لذلك فقال: ردوها عليّ.

فردوها عليه فعرقبت وعقرت بالسيف ونحرها لله سبحانه، وبقي منها مائة فرس، فما في أيدي الناس اليوم من الخيل فهو من نسل تلك المائة.

قال الحسن: فلما عقر الخيل، أبدله الله سبحانه مكانها خيراً منها وأسرع من الريح التي تجري بأمره كيف يشاء، وكان يغدو من إيليا فيقيل بقرير الأرض بإصطخر ويروح من قرير بكابل.

وقال ابن عباس: سألت علي بن أبي طالب عن هذه الآية فقال: ما بلغك في هذا يا ابن عبّاس؟

فقلت له: سمعت كعب الأحبار يقول: إن سليمان اشتغل ذات يوم بعرض الأفراس

والنظر إليها حتّى توارت الشمس بالحجاب.

فقال لما فاتته الصلاة: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ : يعنى الأفراس وكانت أربعة وعشرين، ويقول: أربعة عشر، فردوها عليه فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها، وأن الله سلبه ملكه أربع عشر يومًا، لأنه ظلم الخيل بقتلها.

فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: كذب كعب الأحبار، لكن سليمان اشتغل بعرض الأفراس ذات يوم، لأنه أراد جهاد عدو حتّى توارت الشمس بالحجاب، فقال بأمر الله للملائكة الموطنين بالشمس: ردّوها علىَّ. يعنى الشمس، فردوها عليه حتى صلى العصر فى وقتها.

فإن أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم ولا يرضون بالظلم، لأنهم معصومون مطهّرون، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ : وهى الخيل القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل.

قال عمرو بن كلثوم:

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا

وقال القتيبى: الصافن فى كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها.

قال النبى ﷺ: «من سرّه أن يقوم له الرجال صفونًا فليتبوأ مقعده من النار» أى وقوفًا ﴿ٱلۡجِيَادُ﴾ : الخيار السراع واحدها جواد ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ : يعنى الخيل، والعرب تعاقب بين الراء واللام فيقول: انهملت العين وانهمرت، وختلت الرجل وخترته أى خدعته.

وقال مقاتل: ﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ يعنى المال وهى الخيل التى عرضت عليه ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ : يعنى الصلاة، نظيرها ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ (النور: ٣٧)، ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ﴾ : يعنى الشمس، كناية عن غير مذكور.

كقول لبيد:

❖ حتّى إذا ألقت يدًا فى كافر ❖

يعنى الشمس ﴿بِٱلۡحِجَابِ﴾ : وهو جبل دون قاف بمسيرة سنة، تغرب الشمس من ورائه.

﴿رُدُّوهَا﴾ : كرّوها ﴿عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ : أى فأقبل يمسح سوقها وأعناقها بالسيف، وينحرها تقربًا بها إلى الله سبحانه وطلبًا لرضاه، حيث اشتغل بها عن طاعته، وكان ذلك قربانًا منه ومباحًا له، كما أُبيح لنا ذبح بهيمة الأنعام.

وقال قوم: معناه حبسها فى سبيل الله، وكوى سوقها وأعناقها بكيّ الصدقة.

ويقال للكيّة على الساق : علاظ ، وللكية على العنق : دهاو .

وقال الزهرى وابن كيسان : كان يمسح سوقها وأعناقها ، ويكشف الغبار عنها حبًا لها . وهى رواية ابن أبى طلحة عن ابن عباس .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ﴾ : هذه قصة محنة نبى الله سليمان وسبب زوال ملكه مدة ، واختلفوا فى سبب ذلك .

فروى محمّد بن إسحاق عن بعض العلماء قال : قال وهب بن منبه : سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون : بها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه فى البحر ، وكان الله قد آتى سليمان فى ملكه سلطانًا لا يمتنع عليه شىء فى بر ولا بحر ، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجنّ والإنس ، فقتل ملكها واستقام فيها وأصاب فيما أصاب بنتًا لذلك الملك يقال لها : جرادة ، لم يرَ مثلها حسنًا وجمالاً ، واصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام ، فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة ، وأحبها حبًا لم يحبه شيئًا من نسائه ، وكانت على منزلتها عنده ، لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها ، فشق ذلك على سليمان فقال لها : ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لايرقأ؟

قالت : إن أبى أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك .

فقال سليمان : فقد أبدلك الله به ملكًا هو أعظم من ملكه ، وسلطانًا أعظم من سلطانه ، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله .

قالت : إن ذلك لكذلك ، ولكننى إذا ذكرته أصابنى ما ترى من الحزن ، فلو أنك أمرت الشياطين فصوّروا صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشيًا ، لرجوت أن يُذهب ذلك حزنى ، وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى .

فأمر سليمان الشياطين فقال : مثّلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيئًا .

فمثّلوا لها حتّى نظرت إلى أبيها بعينه ، إلاّ أنه لا روح فيه ، فعمدت إليه حين صنعوه فأزّرته وقمّصته وعمّمته ، وردته بمثل ثيابه التى كان يلبس ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه فى ولائدها حتّى تسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع به فى ملكه ، وتروح كل عشية بمثل ذلك ، وسليمان لا يعلم بشىء من ذلك أربعين صباحًا وبلغ ذلك آصف بن برخيا ، وكان صدّيقًا وكان لا يرد عن باب سليمان أىّ ساعة أراد دخول شىء من بيوته ، حاضرًا كان سليمان أو غائبًا ، فأتاه فقال : يا نبى الله كبرت سنى ، ودق عظمى ، ونفد عمرى ، وقد حان منى

الذهاب، وقد أحببت أن أقوم مقامًا قبل الموت، أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأثنى عليهم بعلمى فيهم، وأُعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم.

فقال: افعل.

فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيبًا، فذكر من مضى من أنبياء الله، فأثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضّله الله به، حتى انتهى إلى سليمان فقال: ما كان أحلمك فى صغرك، وأورعك فى صغرك، وأفضلك فى صغرك، وأحكم أمرك فى صغرك، وأبعدك من كل ما يكره فى صغرك، ثم انصرف.

فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى ملأه غضبًا، فلما دخل سليمان داره أرسل إليه فقال: يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله، وأثنيت عليهم خيرًا فى كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتنى جعلت تثنى على بخير فى صغرى، وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى؟

قال: إن غير الله ليعبد فى دارك منذ أربعين صباحًا فى هوى امرأة.

فقال: فى دارى؟

فقال: فى دارك.

قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون، لقد علمت أنك ما قلت الذى قلت إلاّ عن شىء بلغك.

ثم رجع سليمان إلى داره فكسّر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائدها، ثم أمر بثياب الطهرة فأتى بها - وهى ثياب لا يغزلها إلا الأبكار، ولم تمسها امرأة رأت الدم - فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده، وأمر برماد ففرش له، ثم أقبل تائبًا إلى الله عزّ وجلّ حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللاً لله سبحانه وتضرعًا إليه، يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره ويقول فيما يقول:

رب ماذا ببلائك عند آل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقرّوا فى دورهم وأهاليهم عبادة غيرك.

فلم يزل كذلك يومه ذلك حتى أمسى، ثم يرجع إلى داره، وكانت أم ولد له يقال لها: الأمينة، كان إذا دخل مذهبه أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يلبس خاتمه إلاّ وهو طاهر، وكان ملكه فى خاتمه، فوضعه يومًا من تلك الأيام عندها كما كان يضعه ثم دخل مذهبه، فأتاها الشيطان صاحب البحر وكان اسمه: صخر، على صورة سليمان لا ينكر منه شيئًا.

فقال: يا أمينة خاتمى.

فناولته إياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمينة، وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رأى فقال: يا أمينة خاتمى.

فقالت: ومن أنت؟

قال: أنا سليمان بن داود.

فقالت: كذبت لست بسليمان وقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سريره فى ملكه.

فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل فيقول: أنا سليمان بن داود. فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون أى شىء يقول يزعم أنه سليمان بن داود.

فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق، فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأُخرى فأكلها، فمكث بذلك أربعين صباحًا، عدة ما كان عُبِدَ ذلك الوثن فى داره، فأنكر آصف وعظماء بنى إسرائيل حكم عدو الله الشيطان فى تلك الأربعين اليوم.

فقال آصف: يا معشر بنى إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت؟

قالوا: نعم.

قال: أمهلونى حتّى أدخل على نسائه فاسألهن: هل أنكرن منه فى خاصة أمره، ما أنكرناه فى عامة أمر الناس وعلانيته؟

فدخل على نسائه فقال: ويحكن هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرناه؟

فقلن: أشده ما يدع امرأة منّا من دمها، ولا يغتسل من جنابة.

فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون إن هذا لهو البلاء المبين.

ثم خرج إلى بنى إسرائيل فقال: ما فى الخاصة أعظم ممّا فى العامة. فلما قضى أربعون صباحًا طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرَّ بالبحر فقذف الخاتم فيه، فبلعته سمكة وأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتّى إذا كان العشى أعطاه سمكته وأعطى السمكة التى أخذت الخاتم، وخرج سليمان بسمكتيه فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها، فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه فجعله فى يده، ووقع ساجداً وعكفت عليه الطير والجنّ وأقبل عليه الناس، وعرف الذى كان دخل عليه

لما كان أحدث فى داره، فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين فقال: ائتونى بصخر. فطلبته له الشياطين حتّى أخذ له فأتى به فجاءت له صخرة، فأدخله فيها ثم شد عليه أخرى ثم أوثقها بالرصاص والحديد، ثم أمر به فقذف فى البحر.

فهذا حديث وهب بن منبه.

قال السدى فى سبب ذلك: كان لسليمان (عليه السلام) مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها: جرادة، وهى أبرّ نسائه وآمنهن عنده، فكان إذا أحدث أو أتى حاجة، نزع خاتمه ولم يأتمن عليه أحدًا من الناس غيرها، فجاءته يومًا من الأيام فقالت له: إن أخى بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضى له إذا جاءك.

فقال: نعم. ولم يفعل، فابتلى بقوله وأعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان فى صورته، فقال لها: هات الخاتم.

فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعده فسألها أن تعطيه خاتمه.

فقالت: ألم تأخذه قبل؟

قال: لا. وخرج من مكانه تائهًا، ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يومًا.

قال: فأنكر الناس حكمه، فاجتمع قرّاء بنى إسرائيل وعلماؤهم، فجاءوا حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنّا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، وأنكرنا أحكامه، فبكى النساء عند ذلك قال: فأقبلوا يمشون حتّى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا التوراة فقرءوها، فلما قرءوا التوراة طار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه حوت.

قال: فأقبل سليمان فى حاله التى كان فيها، حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه، فاستطعمه من صيدهم، وقال: إنى أنا سليمان.

فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه.

قال: فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه، وقالوا: بئس ما صنعت حين ضربته.

فقال: إنه زعم أنه سليمان، فأعطوه سمكتين مما قد مذر عنهم، فلم يشغله ما كان به من الضرب، حتى قام إلى شط البحر فشق بطونهما وجعل يغسلهما، فوجد خاتمه فى بطن إحديهما فأخذه فلبسه، فردَّ الله عليه ملكه وبهاءه، وجاء الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم

أنه سليمان، فقاموا يعتذرون مما صنعوا.

فقال: ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا أمر كان لابد منه.

ثم جاء حتى أُتى ملكه وأمر حتّى أتى بالشيطان الذى أخذ خاتمه، وجعله فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه، وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمره فألقى فى البحر، وهو كذلك حىٌّ حتّى الساعة.

وفى بعض الروايات: أن سليمان لما افتتن، سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه، فأخذه سليمان فأعاده إلى يده فسقط من يده، فلما رآه سليمان لا يثبت فى يده أيقن بالفتنة، وأن آصف قال لسليمان: إنك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك فى يدك أربعة عشر يومًا.

ففرّ إلى الله تائبًا من ذنبك، وأنا أقوم مقامك وأسير فى عالمك وأهل بيوتك بسيرتك، إلى أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك.

ففرّ سليمان هاربًا إلى ربه، وأخذ أصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت، وأن الجسد الذى قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ كان هو أصف كاتبًا لسليمان، وكان عنده علم من الكتاب، فأقام أصف فى ملك سليمان وعالمه يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يومًا، إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائبًا إلى الله سبحانه وردّ الله عليه ملكه، فقام أصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه، وأعاد الخاتم فى يده فثبت فيها.

وأخبرنا شعيب بن محمّد قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن الأزهر قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب: أن سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: أن يا سليمان احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمور عبادى، ولم تنصف مظلومًا من ظالم. وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما رويناه.

وقال فى آخره: قال على: فذكرت ذلك للحسن فقال: ما كان الله عزّ وجلّ يسلطه على نسائه.

وقال بعض المفسرين: كان سبب فتنة سليمان أنه أُمر أن لا يتزوج امرأة إلا من بنى إسرائيل، فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك.

وقيل: إن سليمان لما أصاب ابنة ملك صيدون أعجب بها، فعرض عليها الإسلام فأبت وامتنعت فخوّفها سليمان.

فقالت: إن أكرهتنى على الإسلام قتلت نفسى.

فخاف سليمان أن تقتل نفسها، فتزوج بها وهى مشركة، وكانت تعبد صنمًا لها من ياقوت أربعين يومًا فى خفية من سليمان إلى أن أسلمت، فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يومًا.

وقال الشعبى فى سبب ذلك: ولد لسليمان ابن، فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسحر، فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله.

فعلم سليمان بذلك فأمر السحاب حتى حملته الريح وغدا ابنه فى السحاب خوفًا من معرة الشيطان، فعاقبه الله لخوفه من الشيطان، ومات الولد فألقى ميتًا على كرسيّه، فهو الجسد الذى قال الله سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾.

وقيل: هو أن سليمان قال يومًا: لأطوفن الليلة على نسائى كلهن، حتّى يولد لى من كل واحدة منهن ابن فيجاهد فى سبيل الله. ولم يستثن، فجامعهن كلهن فى ليلة واحدة، فما خرج له منهن إلاّ شق مولود، فجاءت به القابلة وألقته على كرسى سليمان.

فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ وهو ما أخبرنا عبد الله بن حامد عن آخرين قالوا: حدثنا ابن الشرقى، قال: حدثنا محمد بن عقيل وأحمد بن حفص قالا: حدثنا حفص قال: حدثنى إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، قال: أخبرنى أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة.

قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله. فقال له صاحبه: قل إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله. فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلاّ امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذى نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانًا أجمعون». فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ﴾.

قال مقاتل: فُتن سليمان بعد ملك عشرين سنة، وملك بعد الفتنة عشرين سنة.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾: أى شيطانًا، عن أكثر المفسرين.

واختلفوا فى اسمه، فقال مقاتل وقتادة: اسمه صخر بن عمر بن عمرو بن شرحبيل وهو الذى دل سليمان على الألماس حين أمر ببناء بيت المقدس وقيل له: لا يسمعن فيه صوت حديد، فأخذوا الألماس فجعلوا يقطعون به الحجارة والجواهر ولا تصوت، وكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء والحمام لم يدخل بخاتمه، فدخل الحمام وذكر القصة فى أخذ الشيطان الخاتم.

قال: وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب فى القوة: أما والله لأجربنّه، فقال: يا نبى الله ـ وهو لا يرى أنه نبى الله ـ أرأيت أحدنا تصيبه الجنابة فى الليلة الباردة فيدغ الغسل عمداً حتّى تطلع الشمس، أترى عليه بأسًا؟ قال: لا. فرخص له ذلك، وذكر الحديث.

وروى أبو إسحاق عن عمارة بن عبد عن على رضى الله عنه قال: بينما سليمان جالس على شاطئ البحر وهو يلعب بخاتمه، إذ سقط فى البحر وكان ملكه فى خاتمه.

وروى حماد بن سلمة عن عمر بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كان نقش خاتم سليمان بن داود لا إله إلا الله محمّد رسول الله».

رجع إلى حديث على قال: فانطلق سليمان وخلّف شيطانًا فى أهله وأتى عجوزاً فآوى إليها فقالت له العجوز: إن شئت أن تنطلق فأكفيك عمل البيت وإن شئت أن تكفينى البيت وانطلق والتمس.

قال: فانطلق يلتمس، فأتى قوم يصيدون السمك فجلس إليهم فنبذوا إليه سمكات، فانطلق بهن حتّى أتى العجوزة، فأخذت تصلحه فشقت بطن سمكة، فإذا فيها الخاتم فأخذته وقالت لسليمان: ما هذا؟

فأخذه سليمان فلبسه، فأقبلت الشياطين والجنّ والإنس والطير والوحوش، وهرب الشيطان الذى خلف فى أهله، فأتى جزيرة فى البحر فبعث إليه الشياطين فقالوا: لا نقدر عليه، ولكنه يرد علينا فى الجزيرة فى كل سبعة أيام يومًا، لا نقدر عليه حتّى يسكر.

قال: فنزح ماءها وجعل فيها خمراً. قال: فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر فقال: والله إنك لشراب طيب إلاّ أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلاً.

ثـم رجع حتى عطش عطشًا شديداً ثم أتاها فقال: إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلاً.

قال: ثم شربها حتّى غلبته على عقله، ثم أروه الخاتم فقال: سمع وطاعة.

قال: فأتى به سليمان فأوثقه ثم بعث به إلى جبل، فذكروا أنه جبل الدخان الذى يرون من نفسه، والماء الذى يخرج من الجبل هو بوله.

وقال السدى: اسم ذلك الشيطان اسمذى وقيل خبفيق.

وقال مجاهد: اسمه آصف.

أخبرنا أبو صالح بن أبى الحسن البيهقى الفقيه قال: أخبرنا أبو حاتم التميمى قال: حدثنا أبو الأزهر العبدى قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ : قال : شيطانًا يقال له : آصف . قال له سليمان : كيف تفتنون الناس؟

قال : أرنى خاتمك أخبرك . فلما أعطاه نبذه آصف فى البحر ، فساح سليمان فذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله سبحانه نساء سليمان فلم يقربهن ، وأنكر الناس أمر سليمان ، وكان سليمان يستطعم فيقول : أتعرفوننى؟ أنا سليمان فيكذبونه حتّى أعطته امرأة يومًا حوتًا فبطّ بطنه ، فوجد خاتمه فى بطنه فرجع إليه ملكه وفرّ آصف فدخل البحر . وقيل : إن الجسد هو آصف بن برخيا الصديق ، وقد مضت القصة .

وقيل : هو الولد الميت الذى غدا فى السحاب .

وقيل : هو الولد الناقص الخلق .

وقيل : معنى قوله : ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ : أن سليمان ضرب بعلّة أشرف منها على الموت ، حتى صار جسدًا فى المثل بلا روح ، وقد وصف المريض المضنى بهذه الصفة ، فيقال كالجسد المُلقى ولم يبق منه إلاّ جسده وتقدير الآية ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ .

❖ وأما صفة كرسى سليمان:

فروى أن سليمان لما ملك بعد أبيه ، أمر باتخاذ كرسى ليجلس عليه للقضاء ، وأمر بأن يعمل بديعًا مهولاً ، بحيث إن لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب .

قال : فعمل له كرسى من أنياب الفيل ، وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر ، وحففوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ، على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الآخرين نسران من ذهب بعضها مقابل لبعض ، وقد جعلوا من جنبتى الكرسى أسدين من الذهب ، على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر ، وقد عقدوا على النخلات أشجار كرومٍ من الذهب الأحمر ، واتخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر ، بحيث أظل عريش الكروم النخل والكرسى .

قال : وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى ، فيستدير الكرسى كله بما فيه دوران الرحى المسرعة ، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الأسدان أيديهما فيضربان الأرض بأذنابهما ، وكذلك يفعل كل درجة يصعدها سليمان ، فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأس سليمان ، ثم يستدير الكرسى بما فيه ويدور معه النسران والطاوسان والأسدان مائلات برؤوسها إلى سليمان

ينضحن عليه من أجوافها المسك والعنبر ثم تناولت حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسى التوراة، فيفتحها سليمان ويقرأها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء، ويجلس عظماء بنى إسرائيل على كراسى الذهب المفصصة وهى ألف كرسى عن يمينه، ويجيء عظماء الجنّ ويجلسون على كراسى من الفضة عن يساره وهى ألف كرسى حافين جميعًا به، ثم تحف بهم الطير تظلهم، ويتقدم إليه الناس للقضاء، فإذا دعى بالبينات وتقدمت الشهود لإقامة الشهادات، دار الكرسى بما فيه من جميع ما حوله دوران الرحى المسرعة، ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتهما، فيفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب شديد، فلا يشهدون إلا بالحق.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾: ذنبى ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ﴾.

وقال ابن كيسان: أى لا يكون لأحد.

﴿مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾: المعطى.

قال عطاء بن أبى رباح: يريد هب لى ملكًا لا أُسلبه فى باقى عمرى كما سلبته فى ماضى عمرى.

وقال مقاتل بن حيان: كان سيلمان ملكًا ولكنه أراد بقوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ تسخير الرياح والطير، يدل عليه ما بعده.

وقيل: إنما سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ومعجزًا لمن سواه.

وقيل: إنما سأل ذلك ليكون علمًا له على المغفرة وقبول التوبة، حيث أجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه ورد إليه ملكه وزاد فيه.

وقال عمر بن عثمان الصدفى: أراد به ملك النفس وقهر الهوى.

يؤيده ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد قال: حدثنا داود بن سليمان قال: حدثنا عبد بن حميد قال:

أخبرنا عبد الله بن يزيد قال: حدثنا عبد الرحمن بن زياد الأفريقى قال: حدثنا سلمان بن عامر الشيبانى قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم سليمان وما أعطاه الله من ملكه؟ فإنه لم يرفع طرفه إلى السماء تخشعًا لله عز وجل حتى قبضه الله عز وجل».

وأخبرنا شعيب بن محمد قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا أبو الأزهر قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا هشام عن الحسن أن النبى ﷺ قال: «قد عرض لى الشيطان فى مصلاى الليلة كأنه هركم هذا، فأخذته فأردت أن أحبسه حتّى أصبح، فذكرت دعوة أخى

سليمان ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ : فتركته» .

وعنه عن روح عن شعبة عن محمّد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة قال : إن رسول الله ﷺ قال : «إن عفريتًا من الجن جعل يتقلب عليَّ البارحة ليقطع عليَّ صلاتى وإن الله عزّ وجلّ أمكننى منه فرعته فلقد هممت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتّى يصبح فتنظرون إليه كلكم ، فتذكرت قول سليمان : ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فرده الله عزّ وجلّ خاسئًا» .

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ : لينة رطبة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ : حيث أراد وشاء ، بلغة حمير .

تقول العرب : أصاب الصواب وأخطأ الجواب ، أى أراد الصواب .

قال الشاعر :

أصاب الكلام فلم يستطع فأخطأ الجواب لدى المفصل

﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ : أى وسخرنا له الشياطين ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ : يستخرجون له اللآلئ من البحر ، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ : يعنى مشدودين فى القيود واحدها صفد ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾ : فأعط ، من قوله سبحانه : ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ (المدّثر : ٦) .

وتقول العرب : منَّ عليَّ برغيف ، أى أعطانيه .

قال الحسن : إن الله عزّ وجلّ لم يعط أحدًا عطية إلاّ جعل فيها حسابًا ، إلا سليمان فإن الله سبحانه أعطاه عطاءً هنيئًا فقال : ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾ .

﴿أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ : قال : إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة .

قال مقاتل : هو فى أمر الشياطين ، خذ من شئت منهم فى وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه .

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ : قربة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ : مصير .

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ .

قال مقاتل : كنيته أبو عبد الله .

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ : بتعب ومشقة وبلاء وضر .

قال مقاتل : بنصب فى الجسد وعذاب فى المال .

وفيه أربع لغات : (نُصُب) بضمتين وهى قراءة أبى جعفر ، و(نَصَب) بفتح النون والصاد

وهى قراءة يعقوب و(نَصْب) بفتح النون وجزم الصاد وهى رواية هبيرة عن حفص عن عاصم، و(نُصْب) بضم النون وجزم الصاد وهى قراءة الباقين.

واختلفوا فى سبب ابتلاء أيوب:

فقال وهب: استعان رجل أيوب على ظلم يدرأه عنه، فلم يعنه فابتلى.

وروى حيان عن الكلبى: أن أيوب كان يغزو ملكًا من الملوك كافرًا، وكانت مواشى أيوب فى ناحية ذلك الملك، فداهنه ولم يغزه فابتلى.

وقال غيرهما: كان أيوب كثير المال فأعجب بماله فابتلى.

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾: الأرض، أى ادفع وحرك ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ﴾.

ثم نبعت له عين أخرى باردة فقال: هذا ﴿بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾: أى حزمة من الحشيش ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾: امرأتك ﴿وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾: فى يمينك ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٨ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ۝٦٠﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ﴾ قرأه العامة: بالألف.

وقرأ ابن كثير: (عبدنا) على الواحد، وهى قراءة ابن عبّاس.

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن يوسف الفقيه قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى

ابن بلال قال: حدثنا يحيى بن الربيع المكى قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمر بن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ﴾ ويقول: إنما ذكر إبراهيم ثم ولده بعده ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ : ذوى القوة فى العبادة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ : التبصر فى العلم والدين ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ .

قرأ أهل المدينة مضافًا وهى رواية هشام عن الشام.

وقرأ الآخرون: بالتنوين على البدل ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝ هَٰذَا﴾ : الذى ذكرت ﴿ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ : لذات مستويات على ملاذ امرأة واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة، واحدها ترب ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ : بالتاء.

ابن كثير وأبو عمر والباقون: بالياء.

﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ : أى فى يوم الحساب.

قال الأعشى:

المهينين ما لهم لزمان السوء	حتّى إذا أفاق أفاقوا

أى فى زمان السوء ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ : هلاك وفناء ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ : الكافرين ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ : يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝ هَٰذَا﴾ : أى هذا العذاب ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ .

قال الفراء: رفعت الحميم والغساق بـ(هذا) مقدمًا ومؤخرًا، والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه، وإن شئت جعلته مستأنفًا وجعلت الكلام فيه مكتفيًا كاملاً قلت: هذا فليذوقوه ثم قلت منه حميم وغساق.

كقول الشاعر:

حتّى إذا ما أضاء الصبح فى غلس	وغودر البقل ملوى ومحصود

واختلف القراء فى قوله: (وغساق)، فشددها يحيى بن وثاب وحمزة والكسائى وخلف وحفص وهى قراءة أصحاب عبد الله، وخففها الآخرون.

قال الفراء: من شدد جعله اسمًا على فَعّال نحو الخبّاز والطبّاخ. ومن خفف جعله اسمًا على فعال نحو العذاب.

واختلف المفسرون فيه:

فقال ابن عباس: هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار.

وقال مجاهد ومقاتل: هو الثلج البارد الذى قد انتهى برده، أى يريد هو المبين بلغة الطحارية وقد بلغه النزل.

محمد بن كعب: هو عصارة أهل النار.

قتادة والأخفش: هو ما يغسق من قروح الكفرة والزناة بين لحومهم وجلودهم، أى تسيل.

قال الشاعر:

إذا مـــا تذكرت الحياة وطيبها وإلى جرى دمع من العين غاسق

﴿وَءَاخَرُ﴾ : قرأ أهل البصرة ومجاهد: (وأُخر) بضم الألف على جمع أُخرى، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لأنه نعته بالجمع فقال: أرواح مثل الكبرى والكبر.

وقرأ غيرهم: على الواحد وآخر.

﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ : مثله﴿أَزْوَاجٌ﴾ : أصناف من العذاب والكناية فى شكله راجعة إلى العذاب فى قوله هذا.

وأما قوله: ﴿هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ : قال ابن عباس: هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للقادة﴿هَـٰذَا﴾ : يعنى الأتباع﴿فَوْجٌ﴾ : جماعة﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ : النار، أى داخلوها كما دخلتم.

فقالت السادة: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ : يعنى بالأتباع﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ كما صليناها، فقال الأتباع للسادة: ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ : أى شرعتم وسننتم الكفر لنا﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ : أى قرارنا وقراركم، والمرحب والرحب السعة، ومنه رحبة المسجد.

قال أبو عبيدة: يقول العرب للرجل: لا مرحبًا بك، أى لا رحبت عليك الأرض، أى اتسعت.

وقال القتيبى: معنى قولهم: مرحبًا وأهلاً وسهلاً، أى أتيت رحبًا وسعة، وأتيت سهلاً لا حزنًا، وأتيت أهلاً لا غرباء فأنس ولا تستوحش، وهى فى مذهب الدعاء كما تقول: لقيت خيرًا، فلذلك نصب.

قال النابغة:

لا مرحبًا بغـد ولا أهلاً به إذا كان تفريق الأحبة فى غد

❖ ❖ ❖

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا فِى ٱلنَّارِ ۝٦١ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ۝٦٢ أَتَّخَذۡنَـٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَـٰرُ ۝٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنۡ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٲحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٲتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّـٰرُ ۝٦٦ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِىَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا﴾ : أى شرّعه وسنّه ﴿فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ : على عذابنا.

وقال ابن مسعود : يعنى حيات وأفاعى.

﴿وَقَالُواْ﴾ : يعنى صناديد قريش وهم فى النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ : فى دار الدُّنيا، يعنى فقراء المؤمنين ﴿أَتَّخَذۡنَـٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾.

قرأ أهل العراق إلاّ عاصمًا وأيوب : بوصل الألف، واختاره أبو عبيد قال : من جهتين : إحداهما : أنّ الاستفهام متقدم فى قوله : ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾.

والأُخرى : أنّ المشركين لم يكونوا يشكون فى اتخاذهم المؤمنين فى الدُّنيا سخريًا، فكيف يستفهمون عمّا قد عملوه. ويكون على هذه القراءة بمعنى بل.

وقرأ الباقون : بفتح الألف وقطعها على الاستفهام وجعلوا (أم) جوابًا لها مجازًا : اتخذناهم سخريًا فى الدُّنيا وليسوا كذلك، فلم يدخلوا معنا النار.

﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَـٰرُ﴾ : فلا نراهم وهم فى النار، ولكن احتجبوا عن أبصارنا.

وقال الفراء : هو من الاستفهام الذى معناه التعجب والتوبيخ، فهو يجوز باستفهام ويطرحه.

وقال ابن كيسان : يعنى أم كانوا خيرًا منّا ولا نعلم نحن بذلك، فكانت أبصارنا تزيغ منهم فى الدُّنيا فلا نعدهم شيئًا.

أخبرنا أبو بكر الحمشادى قال : أخبرنا أبو بكر القطيعى قال : حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال : حدثنا عصمة بن سليمان الجرار عن يزيد عن ليث عن مجاهد ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾.

قال : صهيب وسلمان وعمّار لا نراهم فى النار ﴿أَتَّخَذۡنَـٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ : فى الدُّنيا ﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَـٰرُ﴾ : فى النار ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ : الذى ذكرت ﴿لَحَقٌّ﴾ : ثم بين فقال : ﴿تَخَاصُمُ﴾ : أى

هو تخاصم ﴿أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾: ومجاز الآية: أن تخاصم أهل النار في النار لحق ﴿قُلْ﴾: يا محمد لمشركي مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾: مخوف ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ۝ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾: يعني القرآن.

عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، وروى معمر عنه يوم القيامة، نظيرها ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (النبأ: ١، ٢).

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في شأن آدم وهو قولهم حين قال الله سبحانه لهم: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ (البقرة: ٣٠) الآية هذا قول أكثر المفسرين.

وروى ابن عبّاس عن النبي عليه السلام قال: «قال ربي: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى يعني الملائكة؟.

فقلت: لا.

قال: اختصموا في الكفارات والدرجات، فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة: وأما الدرجات: فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام».

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

قال الفراء: إن شئت جعلت (أنما) في موضع رفع، كأنك قلت: ما يُوحى إليَّ إلاّ الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى ما يوحى إليَّ إلاّ لأني نذير مبين.

وقرأ أبو جعفر (إنما) بكسر الألف، لأن الوحي قول.



﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾: وفى تحقيق الله سبحانه وتعالى التنشئة فى اليد، دليل على أنه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة، إنما هما وصفان من صفات ذاته.

قال مجاهد: اليد ههنا بمعنى التأكيد، والصلة مجاز لما خلقت، كقوله سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ (الرحمن: ٢٧) أى ربك، وهذا تأويل غير قوى، لأنه لو كان بمعنى الصلة فكان لإبليس أن يقول: إن كنت خلقته فقد خلقتنى. وكذلك فى القدرة والنعمة، لا تكون لآدم فى الخلق مزية على إبليس وقد مضت هذه المسألة عند قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ (يس: ٧١).

قال: العرب تسمى الاثنين جميعًا لقوله سبحانه: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ (الحج: ١٩)، وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢) قال: هما رجلان وقال: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم: ٤).

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: ألف الاستفهام تدخل على ألف الخبر ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾: المتكبرين على السجود كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (القصص: ٤). ﴿قَالَ﴾: إبليس ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: أى من الجنة.

وقيل: من السموات.

وقال الحسن وأبو العالية: أىّ من الخلقة التى أنت فيها.

قال الحسين بن الفضل: وهذا تأويل صحيح، لأن إبليس تجبّر وافتخر بالخلقة، فغيّر الله تعالى خلقه فاسودّ بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنًا وأظلم بعد أن كان نورانيًا.

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود معذّب ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: وهو النفخة الأولى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾.

قرأ مجاهد والأعمش وعاصم وحمزة وخلف: برفع الأول ونصب الثانية على معنى فأنا الحقّ أو فمنّى الحق، وأقول الحق.

وقال الباقون : بنصبها .

واختلف النحاة فى وجهيهما ، قيل : نصب الأول على الإغراء والثانى بإيقاع القول عليه .

وقيل : هو الأول قسم ، والثانى مفعول مجاز قال : فبالحق وهو الله عزّ وجلّ أقسم بنفسه والحق أقول .

وقيل : إنه أتبع قسمًا بعد قسم .

وقال الفراء وأبو عبيد : معناهما حقفا لم يدخل الألف واللام ، كما يقال : الحمد لله وأحمد الله ، هما بمعنى واحد .

وقرأ طلحة بن مصرف : فالحق والحق بالكسر فهما على القسم .

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول : سمعت أبا بكر بن عبدش يقول : هو مردود إلى ما قبله ومجازه : فبعزتك وبالحق والحق قال الله سبحانه : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ : أى من نفسك وذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ : أى على تبليغ الوحى ، كناية عن غير مذكور ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ : قال الحسين بن الفضل : هذه الآية ناسخة لقوله ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى : ٢٣) .

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ : المتقولين القرآن من تلقاء نفسى .

أخبرنا ابن فنجويه قال : حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق البستى قال :

حدثنا أحمد بن عمير بن يوسف قال : حدثنا محمد بن عوف قال : حدثنا محمد بن المصفى قال : حدثنا حنوة بن سريج بن يزيد قال : حدثنا أرطأة بن المنذر عن ضمرة بن حبيب عن سلمة بن مقبل قال : قال رسول الله ﷺ : «للمتكلف ثلاث علامات : ينازع من فوقه ، ويتعاطى ما لا ينال ، ويقول فيما لا يعلم» .

وأخبرنا ابن فنجويه قال : حدثنى السنّى قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن جعفر قال : حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم قال : حدثنا سيف بن عمر الضبى عن وائل بن داود عن يزيد البهى عن الزبير بن العوام قال : نادى منادى رسول الله ﷺ : «اللهم اغفر للذين يدعون أموات أمتى ولا يتكلفون إلاّ أنى برىء من التكلف وصالحو أمتى» .

وأخبرنى الحسين قال : حدثنا ابن شيبة قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال : حدثنا إبراهيم بن عمرو بن بكر السكسكى ببيت المقدس قال : حدثنا أبى قال : حدثنا إبراهيم بن . . . [1] علية الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه صعد المنبر

(١) بياض بالأصل المخطوط .

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من آتاه الله عزّ وجلّ علمًا فليتق الله وليعلّمه الناس ولا يكتمه، فإنه من كتم علمًا يعلمه كان كمن كتم ما أنزل الله تعالى على نبيه وأمره أن يعلمه الناس، ومن لم يعلم فليسكت وإياه أن يقول ما لا يعلم فيهلك ويصير من المتكلفين ويمرق من الدين، وإن الله عزّ وجلّ قال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من أفتى بغير السنة فعليه الإثم.

وأخبرني الحسن قال: حدثنا السني قال: أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن خبير العبدي قال: أخبرنا سفيان الثوري عن الأعمش عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: يا أيها الناس من علم شيئًا فليقل به ومن لم يعلم شيئًا فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم وإن الله عزّ وجلّ قال لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝ إِنْ هُوَ﴾: ما هو يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾.

قال قتادة: يعني بعد الموت.

وابن عباس: يعني بعد القيامة.



سورة الزمر

مكية، إلاّ قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾ الآية، وهي أربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف، وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة، وخمس وسبعون آية[1]

أخبرنا ابن المقرئ قال: أخبرنا ابن مطر قال: حدثنا ابن شريك قال: حدثنا ابن يونس قال: حدثنا أبو سليمان قال: حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أُمامة عن أُبي ابن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه، وأعطاه ثواب الخائفين».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حمدان قال: حدثنا ابن ماهان قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا حماد بن يزيد عن مروان أبي لبابة مولى عبد الرحمن بن زياد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة ببني إسرائيل والزمر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى

(١) قال القرطبي في تفسيره تعليقًا على هذه السورة: سورة الزمر، ويقال سورة الغرف.
قال وهب بن منبه: من أحب أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغرف.
وهي مكية في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء وجابر، وابن زيد.
وقال ابن عباس: إلاّ آيتين نزلتا بالمدينة إحداهما: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾. والأخرى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية.
وقال آخرون: إلاّ سبع آيات من قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ إلى آخر سبع آيات نزلت في وحشي وأصحابه.

ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾. قال الفراء: معناه هذا تنزيل الكتاب، وإن شئت رفعته لمن، مجازه: من الله تنزيل الكتاب، وإن شئت جعلته ابتداء وخبره ممّا بعده.

﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: أى الطاعة ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾: قال قتادة: شهادة أن لا إله إلاّ الله.

قال أهل المعانى: لا يستحق الدين الخالص إلاّ الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾: يعنى الأصنام ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾: والخبر محذوف مجازه[1]: أى قالوا.

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾.

(١) جاء بأعلى هذه الصفحة وقف الكتاب بما نصه وقفت لله تعالى فى ذى القعدة سنة (١٢٤١) هذا المجلد من تفسير الإمام الثعلبى، والنظر فيه لنفسى، ثم للأرشد من ذريتى إن كان لى عقب وإلا فللأرشد من ذرية جدى شيخ الإسلام محمد مراد بن الحافظ يعقوب بن محمود الأنصارى السندى ذكراً كان أو أنثى ينتفع بنظره الخاص والعام.

كتبه واقفه محمد بن أحمد بن شيخ أحمد على ابن محمد الأنصارى رضى الله عنه وعن والديه وأسلافه ومشايخه رضاء لا سخط بعده آمين. اهـ.

ثم كتب بأعلى زاوية الصفحة من ناحية اليسار:

ورد هذا إلى محمد صديق بن عبد الله فى نوبة الفقير جعفر يحيى قادر فى جمادى سنة (١٢٤٨).

قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم وخلق السموات والأرض ونزل من السماء ماء؟.

قالوا: الله.

فيقال لهم: فما يعنى عبادتكم الأوثان؟.

قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى وتشفع لنا عند الله.

قال الكلبى: وجوابه فى الأحقاف ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾ (الأحقاف: ٢٨) الآية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: يوم القيامة ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾: لدينه وحجته ﴿مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ﴾.

قال قتادة: يعنى يغشى هذا على هذا ويغشى هذا على هذا[1]، نظيره قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وقال المؤرج: يدخل هذا على هذا وهذا على هذا، نظيره قوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ (فاطر: ١٣).

قال مجاهد: يُدور.

وقال الحسن وابن حيان والكلبى: ينقص من الليل فيزيد فى النهار وينقص من النهار فيزيد فى الليل، فما نقص من الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة[2]، وأصل التكوير اللف والجمع، ومنه كور العمامة.

---

(١) قلت: لأهل العلوم العصرية من أهل علوم الفضاء والجيولوجيا أقوال كثيرة علمية فى تفسير: ﴿يكور الليل على النهار﴾ وقد تكلم فى ذلك الأستاذ الدكتور زغلول النجار، فأفاد وأجاد، وبين سبب تقديم الليل على النهار فى هذا التكوير وبين أن النهار غبار ذرى وأنه غلالة ذرية حول الأرض، الأرض تضىء بسقوط الشمس عليها أو ما هذا معناه.

(٢) ليس ما قال هنا على إطلاقه، وإنما المعروف أن ذلك متعلق بالقرب والبعد عن خط الاستواء فكلما بعد عنه قلّ النهار وطال الليل والعكس بالعكس حتى يصل إلى أن يستويا اثنتى عشرة ليلاً ونهاراً لا يزيدان ولا ينقصان، وهناك ليل يطول إلى ستة أشهر أو يزيد ونهار ستة أشهر أو يزيد، وهناك ليل دائم، ونهار دائم وهذا معروف لدى طلاب المدارس الأولية فى هذه الأزمان، ولكن لا حياة هناك لبشر فى تلك المناطق المسماة بالقطبية.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ۝ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ﴾ : ونشأ وجعل ﴿لَكُم﴾ : وقال بعض أهل المعانى : جعلنا لكم نزلاً ورزقًا.

﴿مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ﴾ : أصناف وأفراد، تفسيرها فى سورة الأنعام ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ : نطفة ثم علقة ثم مضغة، كما قال: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح: ١٤).

وقال ابن زيد: معناه يخلقكم فى بطون أُمهاتكم من بعد الخلق الأول الذى خلقكم فى ظهر آدم.

﴿فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ﴾ يعنى البطن والرحم والمشيمة[1] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ : عن عبادته إلى عبادة غيره ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾.

فإن قيل: كيف؟.

قال: ولا يرضى لعباده الكفر وقد كفروا.

قلنا: معناه لا يرضى لعباده أن يكفروا به، وهذا كما يقول: لست أحب الإساءة وإن أحببت أن يسىء فلان فلانا فيعاقب.

وقال ابن عباس والسدى: معناه ولا يرضى لعباده المخلصين المؤمنين الكفر، وهم الذين قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ (الإسراء: ٦٥): فيكون عامًا فى اللفظ خاصًا فى المعنى كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ (الإنسان: ٦) وإنما يريد به بعض العباد دون البعض.

﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟﴾ : تؤمنوا ربّكم وتطيعوه ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ : ويثيبكم عليه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ : مخلصًا راجعًا إليه مستغيثًا به ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ : أعطاه، ومنه قيل للمال والعطاء: خول، والعبيد خول.

قال أبو النجم:

أعطى فلم يبخل ولم يبخل ... كوم الذرى من خول المخول

﴿نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ﴾ : ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ : فى حال النصر ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ : يعنى الأوثان.

---

(١) وذكر القرطبى عن الماوردى فيها قوله فى ظهر الأب، ثم خلقا فى بطن الأم، ثم خلقًا بعد الوضع.
قلت: وأهل الطب أكثر بها علمًا خصوصًا علماء الأجنة. والله أعلم.

وقال السدى : يعنى أنداداً من الرجال ، يطيعهم[1] فى معاصى الله .

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۝ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ﴾ .

قرأ نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة : (أمن) بتخفيف الميم .

وقرأ الآخرون بتشديده ، فمن شدّده فله وجهان ، أحدهما : تكون الميم فى أم صلة ويكون معنى الكلام الاستفهام ، وجوابه محذوف مجازه : أمن هو قانت كمن هو غير قانت ، كقوله : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ (الزمر: ٢٢) : كمن لم يشرح الله صدره ، أو تقول : أمن هو قانت كمن جعل لله أنداداً .

والوجه الثانى : أن يكون بمعنى العطف على الاستفهام مجازه : فهذا خير أم من هو قانت ، فحذف لدلالة الكلام عليه ونحوها كثير .

ومن خفف فله وجهان :

أحدهما : أن يكون الألف فى (أمن) بمعنى حرف النداء ، تقديره : يا من هو قانت ، والعرب تنادى بالألف كما تنادى بياء فتقول : يا زيد أقبل ، وأزيد أقبل .

قال أوس بن حجر :

أبنى لبينى لستم بيد ألا يد ليست لها عضد

يعنى يا بنى ليتنى .

وقال آخر :

أضمر بن ضمرة ماذا ذكرت من صرمة[2] أذت بالمغار

فيكون معنى الآية : قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ، ويا من هو قانت آناء الليل إنك من أهل الجنة ، كما تقول : فلان لا يصلى ولا يصوم ، فيا من تصلى وتصوم أبشر ، فحذف لدلالة الكلام عليه .

والوجه الثانى : أن يكون الألف فى (أمن) ألف استفهام ، ومعنى الكلام : أهذا كالذى جعل لله أنداداً ، فاكتفى بما سبق إذ كان معنى الكلام مفهومًا .

كقول الشاعر :

فاقسم لو شىء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لدفعناه .

---

(١) فى متن المخطوط : «يطيعونهم» والتصويب من الهامش .

(٢) فوقها فى المتن : «حرِمَة» .

وقال ابن عمر: القنوت قراءة القرآن وطول القيام.

وقال ابن عباس: الطاعة.

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ : ساعاته ﴿سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا محمد بن خالد، أخبرنا داود بن سليمان، أخبرنا عبد بن حميد، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر عن سعيد بن جبير: أنه كان يقرأ: (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر عذاب الآخرة).

﴿وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾.

قال مقاتل: نزلت فى عمار بن ياسر وأبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومى.

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ : يعنى عمار ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ : يعنى أبا حذيفة ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد بن العدل حدثنا هارون بن محمّد بن هارون العطار حدثنا حازم ابن يحيى الحلوانى حدثنا محمد بن يحيى بن الطفيل حدثنا هشام بن يوسف حدثنى محمد بن إبراهيم اليمانى قال: سمعت وهب بن منبه يقول: سمعت ابن عباس يقول: من أحب أن يهوّن الله تعالى الموقف عليه يوم القيامة، فليره الله فى سواد الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه.



﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٨ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ

كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴿١٩﴾ ﴾ .

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ﴾ : يعنى الجنة، عن مقاتل.

وقال السدى: يعنى العافية والصحة.

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ : فهاجروا فيها واعتزلوا الأوثان، قاله مجاهد.

وقال مقاتل: يعنى أرض الجنّة.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

قال قتادة: لا والله ما هنالك مكيال ولا ميزان.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الدينورى بقراءتى عليه، حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى حدثنا إبراهيم بن محمد بن الضحاك حدثنا نصر بن مرزوق حدثنا أسيد بن موسى حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن زيد الرقاشى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ: «تنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة فيؤتون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام فيؤتون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيؤتون أجورهم بالموازين، ويُؤتى بأهل الحج فيؤتون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صبًا بغير حساب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ : حتى يتمنى أهل العافية فى الدُّنيا أن أجسادهم تُقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل»[١].

قال حدثنا أبو على المقرئ قال: حدثنا أبو سهل عن إسماعيل بن سيف عن جعفر بن سليمان الضبعى عن سعد بن الطريف عن الأصبغ بن نباتة قال: دخلت مع على بن أبى طالب إلى الحسن بن على رضى الله عنهما نعوده فقال له على: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟.

قال: أصبحت بنعمة الله بارئًا.

قال: كذلك إن شاء الله.

ثم قال الحسن: أسندونى. فأسنده علىّ إلى صدره ثم قال: سمعت جَدى رسول الله ﷺ يقول: «يا بنى أدِّ الفرائض تكن من أعبد الناس، وعليك بالقنوع تكن أغنى الناس، يا بنى إن فى الجنة شجرة يُقال لها: شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء فلا يُنصب لهم ميزان ولا يُنشر لهم

(١) هذا حديث ضعيف فى إسناده يزيد الرقاشى وهو ضعيف.

ديوان، يُصب عليهم الأجر صبًا ـ ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ـ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

حدثنا الحارث بن أبى أسامة حدثنا داود بن المُحَبَّر حدثنا عباد بن كثير عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى أنه قال: «من سرّه أن يلحق بذوى الألباب والعقول فليصبر على الأذى والمكاره فذلك آية العقل وكمال التقوى، وآية الجهل الجزع ومن جزع صيّره جزعه إلى النار، وما نال الفوز فى القيامة إلاّ الصابرون إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٣، ٢٤).

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: من هذه الأمة ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: فعبدت غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: وهذا حين دعى إلى دين آبائه، قاله أكثر المفسرين.

وقال أبو حمزة الثمالى والسبب هذه الآية منسوخة[1]، إنما هذا قبل أن غُفِرَ ذنب رسول الله ﷺ.

﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ۝ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾

أمر توبيخ وتهديد كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (فصلت: ٤٠). وقيل: نسختها آية القتال[2] ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾: وأزواجهم وخدمهم فى الجنة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

قال ابن عباس: إن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلاً فى الجنة وأهلاً، فمن عمل بطاعة الله تعالى كان له ذلك المنزل والأهل، ومن عمل بمعصية الله صيّره الله تعالى إلى النار، وكان المنزل ميراثًا لمن عمل بطاعة الله إلى ما كان له قبل ذلك وهو قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠).

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾: أطباق وسرادق ﴿مِّنَ النَّارِ﴾: ودخانها ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: مهاد وفراش من نار، وإنما سمّى الأسفل ظلاً، لأنها ظلل لمن تحتهم، نظيره قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ (الأعراف: ٤١) وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ

---

(١) تكلمت فى أكثر من موضع من هذا الكتاب عن خلاف العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ فهم بين معارض ومؤيد، وهذه الآية أرى أنه لا يشوبها نسخ والله تعالى أعلم.

(٢) انظر التعليق السابق.

﴿أَرْجُلِهِمْ﴾ (العنكبوت: ٥٥) وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ وقوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ (الواقعة: ٤٣) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (المرسلات: ٣٠).

﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ۝ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الأوثان ﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا﴾: رجعوا له ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: إلى عبادة الله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾: فى الدُّنيا بالجنّة وفى العقبى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ[1] ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: أرشده وأهداه إلى الحق.

أخبرنا الحسين بن محمّد الدينورى حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق أخبرنا إبراهيم بن محمّد حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد عن عبد الله بن زحر عن سعيد بن مسعود قال: قال أبو الدرداء: لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يومًا واحدًا: الظمأ بالهواجر، والسجود فى جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون من خير الكلام كما ينتقى طيب التمر.

قال قتادة: أحسنُه طاعة الله.

وقال السدى: أحسنه ما يرجون به فيعملون به.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

عن ابن زيد فى قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآيتين، حدثنى أبى: أن هاتين الآيتين نزلتا فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، وهم زيد بن عمرو وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾: بكفره ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ أى: هو يكون من أهل النار، كرر الاستفهام كما كرر: أنكم ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٥).

ومثله كثير.

❖ ❖ ❖

﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ

---

(١) فى المخطوط: «عبادى» والرسم من مصحف حفص عن عاصم.

لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾»

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ﴾ : غرف مبنية ، قال ابن عباس : من زبرجد وياقوت .

حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه حدثنا الفريابى قال : حدثنى يحيى بن معين حدثنا معن ابن عيسى عن مالك بن أنس عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله عليه السلام قال : «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، فقالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال : بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» . ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ﴾ : نصب على المصدر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ : أى من السحاب ﴿مَآءً فَسَلَكَهُۥ﴾ : فأدخله ﴿يَنَٰبِيعَ﴾ : عيونًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ، قال الشعبى والضحاك : كل ماء فى الأرض فمن السماء نزل إنما ينزل من السماء إلى الصخرة ثم يقسم منها العيون والركايا ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ : ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ﴾ : بعد خضرته ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ﴾ : أى فتاتا منكسراً متفتتًا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ﴾ : فتح الله ﴿صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ : للإيمان ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ : على دلالة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ : قال قتادة : النور كتاب الله منه تأخذ وإليه تنتهى ومجاز الآية ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ : أى أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شيبة حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن يزيد حدثنا الموصلى ببغداد حدثنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد حدثنى أبى عن أبيه

حدثنا زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله عليه السلام: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه».

قلنا: يا رسول الله كيف انشراح صدره؟

قال: «إذا دخل النور لقلبه انشرح وانفتح».

قلنا: يا رسول الله فما علامة ذلك؟

قال: «الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت».

وقال الثمالى: بلغنا أنها نزلت فى عمّار بن ياسر وقال مقاتل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾: يعنى النبى ﷺ.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أبو جهل وذويه من الكفّار ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين الحافظ أخبرنا أبو أحمد القاسم بن محمد بن أحمد بن عبدويه[1] السراج الصوفى أخبرنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب البزاز حدثنا الحسين بن الفضل ابن السمح البصرى ببغداد، حدثنا جندل، حدثنا أبو مالك الواسطى الحسينى، حدثنا أبو عبد الرحمن السلمى عن داود بن أبى هند عن أبى نصرة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: اطلبوا الحوائج من السمحاء فإنى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإنى جعلت فيهم سخطى»[2].

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن على بن عبد الله قال: حدثنا عبد الله ابن محمد عن وهب حدثنا يوسف بن الصباح العطار حدثنا إبراهيم بن سليمان بن الحجاج حدثنا عمى محمد بن الحجاج حدثنا يوسف بن ميسرة بن جبير عن أبى إدريس الخولانى عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحبّ الرفق فى الأمر كله ويحبّ كل قلب خاشع حليم رحيم يعلّم الناس الخير ويدعو إلى طاعة الله، ويبغض كل قلب قاس ينام الليل كله فلا يذكر الله تعالى ولا يدرى يرد عليه روحه أم لا».

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا ابن نصرويه حدثنا ابن وهب حدثنا إبراهيم بن بسطام حدثنا سعيد بن عامر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه وما غضب الله تعالى على قوم إلاّ نزع منهم الرحمة.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا﴾. قال ابن مسعود وابن عباس: قال الصحابة: يا

---

(١) فى المتن: «عبد ربه» والتصويب من الهامش.

(٢) هذا خبر لا يصح.

رسول الله لو حدثتنا، فنزلت: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾: يشبه بعضه بعضًا فى الحسن ويصدق بعضه بعضًا ليس فيه تناقض ولا اختلاف فيه.

وقال قتادة: تشبه الآية الآية والكلمة الكلمة والحرف الحرف.

﴿مَّثَانِيَ﴾: القرآن. قال المفسرون: يسمى القرآن مثانى لأنه تثنى فيه الأخبار والأحكام والحدود وثنى للتلاوة فلا يمل ﴿تَقۡشَعِرُّ﴾: وتستنفر ﴿مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾.

يعنى إلى العمل بكتاب الله والتصديق به وقيل إلى بمعنى اللام.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه حدثنا أحمد بن داود حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا خلف بن سلمة عنه حدثنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن عروة ابن الزبير قال: قلت لجدتى أسماء بنت أبى بكر كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟.

قالت: كانوا كما نعتهم الله تعالى تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم.

فقلت لها: إن ناسًا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن؟

قالت: كما نعتهم: خر أحدهم مغشيًا عليه.

فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وبه عن سلمة حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحى: أن ابن عمر مرَّ برجل من أهل العراق ساقط[1] فقال: ما بال هذا؟

قالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط.

فقال ابن عمر: إنا لنخشى الله وما نسقط.

وقال ابن عمر: إن الشيطان يدخل فى جوف أحدهم، ما كان هذا صنيع أصحاب محمّد ﷺ.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل حدثنا أبو نعيم حدثنا عمران أو حمران بن عبد العزيز قال: ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطًا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق.

حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا

---

(١) فى المخطوط: «حافظ». وهو تحريف.

صلت بن مسعود الجحدرى حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجونى قال: وعظ موسى (عليه السلام) قومه فشق رجل منهم قميصه فقيل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه أيشرح لى عن قلبه.

أخبرنا الحسين بن محمّد حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن أبى سمرة البغوى حدثنا أحمد بن محمّد بن أبى شيبة حدثنا الحسن بن سعيد بن عمر حدثنا سعدان بن نصر أبو على حدثنا نشابة عن أبى غسان المدنى محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم قال: قرأ أبى بن كعب عند النبى ﷺ (ومعه أصحابه)[1] فرقّوا فقال رسول الله ﷺ: «اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة».

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا محمد بن عبد الله بن برزة وموسى بن محمد بن على بن عبد الله قالا: حدثنا محمد بن يحيى بن سليمان المروزى حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى (ح)[2] وأخبرنا الحسين بن محمد وحدثنا موسى بن محمد بن على حدثنا محمد بن عبدوس ابن كامل حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى حدثنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أم كلثوم بنت العباس عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتت عن الشجرة اليابسة ورقها».

أخبرنا الحسين بن محمّد حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا حمدان حدثنا موسى بن إسحاق الأنصارى حدثنا محمد بن معونة حدثنا الليث بن سعد حدثنا يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أم كلثوم بنت العبّاس بن عبد المطلب[3] قالت: سمعت النبى ﷺ يقول: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى حرّمه الله تعالى على النار».

﴿ذَٰلِكَ﴾: يعنى أحسن الحديث ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: وفيه ردٌّ على القدرية ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أى شدته يوم القيامة.

قال مجاهد: يجر على وجهه فى النار. وقال عطاء: يُرمى به فى النار منكوسًا، فأول شيء تمسه النار وجهه. وقال مقاتل: هو أن الكافر يُرمى به فى النار مغلولة[4] يداه إلى عنقه، وفى

---

(١) زيادة من تفسير القرطبى.

(٢) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

(٣) فى الهامش السفلى للصفحة تعليق نصه: فى نسخة بنت العباس عن جابر قال.

(٤) فى متن المخطوط: «مغلولاً» والتصويب من الهامش.

قلت والخبر لا يصح اعتقاده إذ إن الله تعالى أخبر أنه لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد فيكفى ما وصف الله به عذابه ومن تقول غير ذلك فلا يقبل منه إلا أن يأتى على ما يقوله ببرهان.

عنقه صخرة ضخمة مثل الجبل العظيم من الكبريت، فتشتعل النار فى الحجر وهو معلق فى عنقه، فحرّها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها من وجهه من أجل الأغلال التى فى يده وعنقه، ومجاز الآية ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: كمن هو آمن من العذاب وهو كقوله: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾ (فصلت: ٤٠) الآية.

قال المسيب: نزلت هذه الآية فى أبى جهل.

﴿وَقِيلَ﴾ أى: ويقول الخزنة ﴿لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أى: وباله ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾: العذاب والذل الذى يستحيا منه ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: نصب على الحال ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾.

قال مجاهد: يعنى غير ذى لبس.

قال عثمان بن عفان: غير متضاد.

ابن عبّاس: غير مختلف.

السدى: غير مخلوق.

بكر بن عبد الله المزنى: غير ذى لحن.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: الكفر والتكذيب به.



﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ۝ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ

أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾.

قال الكسائى: نصب رجلاً، لأنه ترجمة للمثل وتفسير له، وإن شئت نصبته بنزع الخافض، مجازه ضرب الله مثلاً لرجل أو فى رجل.

﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾: مختلفون متنازعون متاشحون فيه وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه فيه يقال رجل شكس وشرس وضرس وضبس، إذا كان سيئ الخلق مخالفًا للناس.

وقال المؤرج: متشاكسون متماكسون يقال شاكسنى فلان أى ماكسنى.

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾.

قرأ ابن عبّاس ومجاهد والحسن وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب سالمًا بالألف، واختاره أبو عبيد، قال: إنما اخترنا سالمًا لصحة التفسير فيه، وذلك أن السالم الخالص وهو ضد المشترك، وأما السلم فهو ضد المحارب، ولا موضع للحرب ههنا.

وقرأ سعيد بن جبير: سِلْمًا بكسر السين وسكون اللام.

وقرأ الآخرون: سلمًا بفتح السين واللام من غير ألف، واختاره أبو حاتم وقال: هو الذى لا تنازع فيه.

﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى، والمؤمن لا يعبد إلاّ الله الواحد، ثم قال عزّ من قائل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر الكامل لله سبحانه دون كل معبود سواه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ﴾: يا محمد ﴿مَيِّتٌ﴾: عن قليل ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

وقرأ ابن محيصن وابن أبى علية: إنك مايت وإنهم مايتون، بالألف فيهما.

قال الحسن والكسائى والفراء: (الميّت)، بالتشديد، من لم يمت سيموت، و(الميت)، بالتخفيف الذى فارقه الروح، لذلك لم يخفف ههنا.

قال قتادة: نُعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه، ونُعيت إليكم أنفسكم.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا ابن ماجه حدثنا الحسين بن أيوب حدثنا عبد الله بن أبى زياد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت قال: نعى رجل إلى صلت بن أشيم أخًا له

فوافقه يأكل فقال: ادن فكل فقد نعى إلىّ أخى منذ حين.

[قال: وكيف وأنا أول من أتاك بالخبر؟][1] قال: [إن][1] الله تعالى [نعاه إلىَّ][1] فقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: المحق والمبطل والظالم والمظلوم.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى حدثنا ابن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنا ابن نمير حدثنا محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن أنس عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾. قال الزبير: يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا فى الدُّنيا مع خواص الذنوب؟

قال: «نعم ليكررن عليكم حتّى يؤدى إلى كل ذى حق حقه».

قال الزبير: والله إن الأمر لشديد.

أخبرنا الحسين بن محمّد حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل حدثنا آدم بن أبى أياس بن أبى ذنب حدثنا سعيد المقرئ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من ماله أو عرضه فليتحلّلها اليوم منه قبل أن يؤخذ حين لا يكون درهم ولا دينار إن كان له عمل صالح أخذ بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه».

أخبرنا الحسين بن محمّد الثقفى حدثنا الفضل بن الفضل الكندى حدثنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا محمد بن بكر بن أبى بكر البرجمى حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تدرون من مفلس أُمتى؟».

قلنا: نعم من لا مال له.

قال: «لا، مفلس أُمتى من يُجاء به يوم القيامة قد ضرب هذا وشتم هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ من حسناته فيوضع على حسنات الآخر، وإن فضل عليه فضل أُخذ من سيئات الآخر فطرحت عليه ثم يؤخذ فيُلقى فى النار».

وقال أبو العالية: هم أهل القبلة.

أخبرنا الحسين بن فنجويه حدثنا موسى بن على بن عبد الله بن الحسن بن علوية حدثنا عبيد

---

(١) زيادة يتطلبها السياق زدتها من القرطبى.

ابن جناد العلوى الحلبى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبى أنيسة عن الليث[١] بن عوف البكرى قال: سمعت ابن عمر يقول: لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أُنزلت فينا وفى أهل الكتابين ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: قلنا: كيف نختصم ونبينا واحد فما هذه الخصومة وكتابنا واحد؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجه بعض بالسيف، فعرفت أنه فينا نزلت.

وروى خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن أبى سعيد الخدرى فى هذه الآية قال: كنا نقول: ربنا واحد وديننا واحد، فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين وشدّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هو هذا.

أخبرنا الحسين بن فنجويه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا حماد بن زيد: زعم ابن عون عن إبراهيم قال: لما نزلت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: قالوا: كيف نختصم ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان قالوا: هذه خصومتنا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فزعم أن له ولدًا وشريكًا ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: بالقرآن ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: منزل ومقام ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ ۝ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾.

قال السدى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ يعنى جبريل جاء بالقرآن ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ محمّد تلقاه بالقبول.

وقال ابن عباس: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ يعنى رسول الله جاء بلا إله إلاّ الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هو أيضًا رسول الله بلغه إلى الخلق.

وقال على بن أبى طالب وأبو العالية والكلبى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ يعنى رسول الله ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أبو بكر.

وقال قتادة ومقاتل: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ رسول الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم المؤمنون واستدلا بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

وقال عطاء: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ الأنبياء (عليهم السلام) ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ الأتباع وحينئذ يكون (الذى) بمعنى (الذين) على طريق الجنس كقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ (البقرة: ١٧) ثم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ (البقرة: ١٧) وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (العصر: ٢، ٣).

---

(١) كذا فى المتن، وفى هامش المخطوط: «أبى القاسم».

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا ابن فنجويه حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر وعبيد الله بن أحمد بن يعقوب قالا: حدثنا أبو بكر عن مجاهد حدثنا عبدان بن محمد المروزى حدثنا عمار ابن الحسن حدثنا عبد الله بن أبى جعفر الرازى عن أبيه عن الربيع: أنّه كان يقرأ (والذين جاءوا) يعنى الأنبياء (عليهم السلام) (وصدقوا به) الأتباع.

وقال الحسن: هو المؤمن صدّق به فى الدُّنيا وجاء به يوم القيامة.

يدل عليه ما أخبرنا ابن فنجويه حدثنا أبو على بن حبش المقرئ أخبرنا يعنى الظهرانى أخبرنا يحيى بن الفضل الخرقى حدثنا وهيب بن عمرو أخبرنا هارون النحوى عن محمّد بن حجارة عن أبى صالح الكوفى وهو أبو صالح السمان أنه قرأ ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: مخففة، قال: هو المؤمن جاء به صادقًا فصدّق به.

وقال مجاهد: هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة يقولون هذا الذى أعطيتمونا فعملنا بما فيه.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.

قرأ أبو جعفر ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائى وخلف: عباده بالجمع.

وقرأ الباقون: عبده يعنون محمداً ﷺ.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: وذلك أنهم خوّفوا النبى ﷺ معرة الأوثان وقالوا: إنك تعيب آلهتنا وتذكرها بسوء، فوالله لتكفّ عن ذكرها أو لنخلينك أو يصيبك بسوء ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: شدة وبلاء ﴿هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾: نعمة ورخاء ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾.

قرأ شيبة وأبو عمرو ويعقوب: بالتنوين فيهما، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم.

وقرأ الباقون: بالإضافة.

قال مقاتل: فسألهم النبى عليه السلام فسكتوا فأنزل الله سبحانه ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: إذا جاءكم بأس الله تعالى من المحق منّا ومن المبطل.

❖❖❖

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ۝ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ ورقيب، وقيل: موكّل عليهم في حملهم على الإيمان.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾: فيقبضها عند فناء أجلها وانقضاء مدتها ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾: كما يتوفى التي ماتت، فجعل النوم موتًا ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾: عنده.

قرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وخلف: قُضِيَ بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء ﴿ٱلْمَوْتَ﴾: رفع على مذهب ما لم يُسم فاعله.

وقرأ الباقون بفتحها، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قالا: لقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فهو يقضى عليها.

قال المفسرون: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام فيتعارف ما شاء الله تعالى منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها، أمسك الله تعالى أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقت انقضاء مدة حياتها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهانى أخبرنا محمد بن جعفر المطرى حدثنا على بن حرب الموصلى حدثنا ابن فضل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ قال: يقبض أنفس الأموات والأحياء، فيمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء إلى أجل مسمّى لا يغلط.

وقال ابن عباس: فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التى بها العقل والتمييز، والروح التى بها النفس والتحرك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه.

أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى حدثنا الفضل بن الفضل الكندى حدثنا إبراهيم بن سعد بن معدان حدثنا ابن كاسب حدثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله عن سعيد عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فليضطجع على شقه الأيمن وليقل: باسمك ربّى وضعت جنبى وبك أرفعه، إن أمسكت نفسى فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾: من الشفاعة ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: يعنى وإن كانوا لا يملكون شيئًا من الشفاعة ولا يعقلون أنكم تعبدونهم أفتعبدونهم ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾: فمن يشفع فبإذنه يشفع ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبض.

قتادة: كفرت واستكبرت.

الضحاك: نفرت.

الكسائى: انتفضت.

المؤرج: أنكرت، وأصل الاشمئزاز النفور والازورار.

قال عمرو بن كلثوم:

إذا عضّ الثقاف بها اشمأزت ... وولتهم عشوزنة زبونا[١]

﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾: يعنى الأوثان، وذلك حين ألقى الشيطان فى أُمنية رسول الله ﷺ عن قراءته سورة النجم: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة تُرتجى[٢] ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أى يا فاطر السموات والأرض ﴿عَـٰلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمّد بن فنجويه حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان حدثنا عبيد الله بن ثابت حدثنا أبو سعيد الكندى حدثنا ابن فضيل حدثنا سالم بن أبى حفصة عن منذر الثورى قال: كنت عند الربيع بن خيثم فدخل عليه رجل ممّن شهد قتل الحسين ممّن كان يقاتله فقال ابن خيثم يا معلقها. يعنى الرؤوس، ثم أدخل يده فى حنكه تحت لسانه فقال: والله لقد قتلتم صفوة لو أدركهم رسول الله ﷺ لقبّل أفواههم وأجلسهم فى حجره، ثم قرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَـٰلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أشركوا ﴿مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَافْتَدَوْا بِهِۦ مِن سُوٓءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه حدثنا ابن وهب حدثنى محمد بن الوليد القرشى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ابن عمران الجونى قال: سمعت أنس بن مالك يحدّث عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا لو أن لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتديًا به؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيئًا فأبيت إلاّ أن تشرك بى».

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: فى الدُّنيا أنه نازل بهم فى الآخرة.

قال السدى: ظنّوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات.

---

(١) جاء بهامش القرطبى تعريف بمعانى هذا البيت نصه:
الثقاف: ما تقوم به الرماح.
وعشوزنة: صلبة شديدة.
والبيت فى وصف فتاة، وقبله:
فإن قناتنا يا عمرو أعيت ... على الأعداء قبلك أن تلين

(٢) إشارة إلى حديث ضعيف لا يصح وهو فى خبر سجود أهل مكة عقب تلاوة السورة.

وقال سفيان: ويل لأهل الرياء، ثم قرأ هذه الآية[1].

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه حدثنا الفريابى حدثنى محمد بن عبد الله بن عماد حدثنى عقبة بن سالم عن عكرمة بن عمار قال: جزع محمد بن المنكدر عند الموت فقيل له: تجزع.

فقال: أخشى آية من كتاب الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾: فأنا أخشى أن يبدو لى من الله ما لم أحتسب.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ﴾: أعطيناه ﴿نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: من الله بأنى له أهل.

قال قتادة: على خير عندى.

﴿بَلْ هِىَ﴾: يعنى النعمة ﴿فِتْنَةٌ﴾.

وقال الحسين بن الفضل: بل كلمته التى قالها فتنة.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: يعنى: قارون إذ قال إنما أوتيته على علم عندى.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: يعنى كفار هذه الأمة ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ

(١) فى الهامش نقل نصًا آخر للعبارة من نسخة أخرى هذا نص ما بالهامش عنه: فى نسخة: وقال سفيان وقرأ هذه الآية: ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء.

وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الآية.

اختلف المفسرون في المعنيِّين بهذه الآية.

فقال بعضهم: عنى بها قوم من المشركين.

قال ابن عباس: نزلت في أهل مكة قالوا يزعم محمد أنه من عبد الأوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له، فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلهًا آخر وقتلنا النفس التى حرم الله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أنبأني عبد الله بن حامد بن محمّد الأصفهاني أخبرني إبراهيم بن محمد بن عبد الله البغدادي حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان الجبلي حدثنا أبو إسماعيل حدثنا إسحاق بن سعيد أبو سلمة الدمشقي حدثنا أنس بن سفيان عن غالب بن عبد الله عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمّد كيف تدعوني إلى دينك[1] وأنت تزعم أنه من قتل أو شرك أو زنى يلق أثامًا ويضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا، وأنا قد فعلت ذلك كله، فهل تجد لي رخصة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ (مريم: ٦٠) الآية.

قال وحشي: هذا شرط شديد فلعلي لا أقدر على هذا، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ (النساء: ٤٨).

فقال وحشي: أراني بعد في شبهة فلا أدري يغفر لي أم لا، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾.

فقال وحشي: نعم هذه، فجاء فأسلم.

فقال المسلمون: هذه له خاصة أم للمسلمين عامة؟

---

(١) في متن المخطوط: «دين» والتصويب من الهامش.

قال: «بل للمسلمين عامة».

وقال قتادة: ذكر لنا أن ناسًا أصابوا ذنوبًا عظامًا فى الجاهلية، فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لن يتاب عليهم، فدعاهم الله بهذه الآية.

قال ابن عمر: نزلت هذه الآيات فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول: لا يقبل الله تعالى من هؤلاء صرفًا ولا عدلاً أبدًا، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به، فنزلت على هؤلاء الآيات فكان عمر بن الخطاب كاتبًا فكتبها بيده، ثم بعث بها إلى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا أبو بكر بن خرجة حدثنا محمد بن عبد الله بن سلمان الحضرمى حدثنا محمّد بن العلاء حدثنا يونس بن بكير حدثنا ابن إسحاق حدثنا نافع عن ابن عمر عن عمر رضى الله عنه أنه قال: لما اجتمعنا إلى الهجرة أبعدت أنا وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص بن وائل وقلنا: الميعاد بيننا المناصف ميقات بنى غفار، فمن حبس منكم لم يأبها فقد حبس فليمض صاحبه، فأصبحت عندها أنا وعياش وحبس عنا هشام وفتن فافتتن، فقدمنا المدينة فكنا نقول: هل يقبل الله من هؤلاء توبة قوم عرفوا الله ورسوله ثم رجعوا عن ذلك لما أصابهم من الدُّنيا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

قال عمر: فكتبتها بيدى كتابًا ثم بعثت بها إلى هشام.

قال هشام: فلما قدمت علىَّ خرجت بها إلى ذى طوى فقلت اللهم فهمنيها، فعرفت أنها أُنزلت فينا، فرجعت فجلست على بعيرى فلحقت برسول الله ﷺ. فقتل هشام شهيداً بأجنادين فى ولاية أبى بكر رضى الله عنه.

وقال بعضهم: نزلت فى قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار، فأعلمهم الله تعالى أنه يغفر الذنوب جميعًا لمن يشاء.

وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب رسول الله نرى أو نقول: إنه ليس شىء من حسناتنا إلاّ وهى مقبولة حتى نزلت هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ (محمد: ٣٣) فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذى يبطل أعمالنا؟ فقيل لنا: الكبائر والفواحش.

قال: فكنا إذا رأينا من أصاب شيئًا منها قلنا: قد هلك، فنزلت هذه الآية، فلما نزلت كففنا

عن القول فى ذلك، فكنا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئًا خفنا عليه، وإن لم يصب منها شيئًا رجونا له. وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر، والآية عامة للناس أجمعين ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾.

قرأ أبو عمرو والأعمش ويحيى بن وثاب وعيسى والكسائى ويعقوب (لا تقنِطوا) بكسر النون.

وقرأ أشهب العقيلى: بضمه.

وقرأ الآخرون: بفتحه.

روى الأعمش عن أبى سعيد الأزدى عن أبى الكنود قال: دخل عبد الله بن مسعود المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال، فجاء حتّى قام على رأسه وقال: يا مذكّر لِمَ تقنط الناس ثم قرأ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا أبو حبش المقرئ حدثنا ابن فنجويه حدثنا سلمة حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم: أن رجلاً كان فى الأمم الماضية يجتهد فى العبادة فيشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ثم مات فقال: أى رب ما لى عندك؟

قال: النار.

قال: أى رب وأين عبادتى واجتهادى؟

فيقول: إنك كنت تقنط الناس من رحمتى فى الدُّنيا، فأنا اليوم أقنطك من رحمتى[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا حامد بن محمّد بن عبد الله حدثنا محمّد بن صالح الأشج حدثنا داود بن إبراهيم حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت بن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا ولا يبالى».

وفى مصحف عبد الله: (إن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن يشاء).

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا محمد بن المظفر حدثنا عمرو بن على حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبى عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء قال: ما علمت أحدًا من أهل العلم ولا من أصحاب

---

(١) هذا قول لا يقبله عاقل أو لبيب إذ إن هذا من أمر الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ولم يبين لنا الراوى من أخبره بهذا، ثم إن الله تعالى أرحم وأعدل من أن يعاقب عبداً صالحًا أراد نصح الناس بحرمانه من رحمته حاشى لله تعالى.

محمّد يقول لذنب: إن الله لا يغفر هذا.

أخبرنا عقيل بن محمد بن أحمد: أن المعافى بن زكريا أخبرهم عن محمّد بن جرير حدثنا زكريا بن يحيى وهداد بن أبى زائدة حدثنا حجاج حدثنا ابن لهيعة عن أبى قنبل قال: سمعت أبا عبد الرحمن المزنى يقول: حدثنى أبو عبد الرحمن الجيلانى أنه سمع ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «ما أحب أن لى الدُّنيا وما فيها بهذه الآية ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾».

فقال رجل: يا رسول الله ومن أشرك؟

فسكت النبى عليه السلام ثم قال: «ألا ومن أشرك ألا ومن أشرك ألا ومن أشرك».

وبإسناده عن محمد بن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا يونس عن ابن سيرين قال: قال على رضى الله عنه: ما فى القرآن آية أوسع من ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

وبه عن ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن الشعبى عن بشير[1] بن شكل قال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكثر آية فرجًا فى القرآن ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ الآية.

أخبرنا الحسين بن محمد الحديثى حدثنا محمّد بن على بن الحسن الصوفى حدثنا على بن محمّد بن ماهان حدثنا سلمة بن شبيب قال: قرئ على عبد الرزاق وأنا أسمع عن معمر عن الزهرى قال: دخل عمر بن الخطاب على النبى ﷺ وهو يبكى فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا عمر؟».

قال: يا رسول الله إن بالباب شابًا قد أحرق فؤادى وهو يبكى.

فقال له رسول الله: «أدخله علىَّ».

فدخل وهو يبكى فقال له رسول الله ﷺ: «ما شأنك يا شاب؟».

قال: يا رسول الله أبكانى ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان علىَّ.

قال: «أشركت بالله يا شاب؟».

قال: لا.

قال: «أقتلت نفسًا بغير حقها؟».

---

(١) فى هامش المخطوط: «شُتَيْر».

قال: لا.

قال: «فإن الله يغفر لك ذنبك ولو مثل السموات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسى».

قال: يا رسول الله ذنب من ذنوبى أعظم من السموات السبع ومن الأرضين السبع.

قال: «ذنبك أعظم أم العرش؟».

قال: ذنبى.

قال: «ذنبك أعظم أم الكرسى».

قال: ذنبى.

قال: «ذنبك أعظم أم إلهك؟».

قال: بل الله أجلّ وأعظم.

فقال: «إن ربّنا لعظيم ولا يغفر الذنب العظيم إلاّ الإله العظيم».

قال: «أخبرنى عن ذنبك».

قال: إنى مستحيى من وجهك يا رسول الله.

قال: «أخبرنى ما ذنبك؟».

قال: إنى كنت رجلاً نباشًا أنبش القبور منذ سبع سنين، حتّى ماتت جارية من بنات الأنصار فنبشت قبرها فأخرجتها من كفنها، ومضيت غير بعيد إذ غلبنى الشيطان على نفسى، فرجعت فجامعتها ومضيت غير بعيد إذ قامت الجارية فقالت: الويل لك يا شاب من ديّان يوم الدين يوم يضع كرسيّه للقضاء، يأخذ للمظلوم من الظالم تركتنى عريانة فى عسكر الموتى ووقفتنى جنبًا بين يدى الله تعالى.

فقام رسول الله ﷺ وهو يضرب فى قفاه ويقول: «يا فاسق اخرج ما أقربك من النار».

قال: فخرج الشاب تائبًا إلى الله تعالى حتّى أتى عليه ما شاء الله ثم قال: يا إله محمد وآدم وحواء إن كنت غفرت لى فأعلم محمدًا وأصحابه وإلاّ فأرسل نارًا من السماء فأحرقنى بها ونجنى من عذاب الآخرة.

قال: فجاء جبريل وله جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب قال: السلام يقرئك السلام.

قال: «هو السلام وإليه يعود السلام».

قال: يقول: أنت خلقت خلقى؟.

قال: «لا، بل هو الذى خلقنى».

قال: يقول: أنت ترزقهم؟.

قال: «لا، بل هو يرزقنى».

قال: أنت تتوب عليهم؟.

قال: «لا، بل هو الذى يتوب علىَّ».

قال: فتب على عبدى.

قال: فدعا النبى ﷺ الشاب فتاب عليه وقال: «إن الله هو التواب الرحيم»[١].

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: أى وأقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة. ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾: واخضعوا له ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الحافظ حدثنا أحمد بن محمّد بن إسحاق السنّى حدثنا أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا كثير بن زيد عن الحارث بن أبى يزيد قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله تعالى الإنابة».

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾: والقرآن كله حسن وإنما معنى الآية ما قال الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته، فإن الذى أُنزل على ثلاثة أوجه: ذكر القبيح لنجتنبه، وذكر الأدون لئلا نرغب فيه، وذكر الحسن لنؤثره.

وكذلك قال السدى: الأحسن ما أمر الله به فى الكتاب.

وقال ابن مسعود[٢]: (واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم) يعنى المحكمات وكلوا علم المتشابهات إلى عالمها.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾: يعنى لأن لا تقول كقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (النحل: ١٥) ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ (البقرة: ١٨٤) ونحوهما.

﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾[٣]: يا ندامتا وحزنى، والتحسر الاغتمام على ما فات، سُمّى بذلك لانحساره عن صاحبه بما يمنع عليه استدراكه وتلا فى الأمر فيه، والألف فى قوله: (يا حسرتا) هى بالكناية للمتكلم وإنما أريد يا حسرتى على الإضافة، ولكن العرب تحوّل الياء التى هى

---

(١) هذه قصة لا تحتاج إلى التدليل على وضعها عافانا الله وإياكم من الكذب على الله ورسوله ورزقنا الله وإياكم حسن الاعتقاد وحسن الختام بالموت على دين الإسلام اللهم آمين.

(٢) كذا فى المتن، وفى الهامش: «زيد».

(٣) رسمت فى المخطوط: «حسرتا» ورسمت ما فى مصحف حفص عن نافع المطبوع والمتداول.

كناية اسم المتكلم فى الاستغاثة ألفًا فتقول: يا ويلتا ويا ندامتا، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء، وربّما ألحقوا بها الهاء.

أنشد الفراء:

يا مرحباه بحمار ناجيه إذا أتى قربته للسانيه

وربّما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الإضافة.

وكذلك قرأ أبو جعفر: يا حسرتاى.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾: قصرت ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: قال الحسن: فى طاعة الله. سعيد بن جبير: فى حق الله فى أمر الله. قاله مجاهد.

قال أهل المعانى: هذا كما يقال هذا صغير فى جنب ذلك الماضى، أى فى أمره.

وقيل: فى سبيل الله ودينه. والعرب تسمى السبب والطريق إلى الشىء جنبًا تقول: تجرعت فى جنبك غُصصًا وبلاءً، أى بسببك ولأجلك.

قال الشاعر:

أفى جنب بكر قطعتنى ملامة لعمرى لقد كانت ملامتها ثنى

وقال فى الجانب الذى يؤدى إلى رضى الله تعالى وثوابه، والعرب تسمّى الجانب جنبًا.

قال الشاعر:

❖ الناس جنب والأمير جنب ❖

يعنى الناس من جانب والأمير من جانب.

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ﴾: المستهزئين بدين الله تعالى وكتابه ورسوله والمؤمنين.

قال قتادة: فى هذه الآية لم يكفه أن ضيع طاعة الله تعالى، حتّى جعل يسخر بأهل طاعة الله.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا هارون بن محمد حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا سلمة حدثنا أبو الورد الوزان عن إسماعيل عن أبى صالح: ﴿يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ قال: كان رجل عالم فى بنى إسرائيل ترك علمه وأخذ فى الفسق، أتاه إبليس فقال له: لك عمر طويل فتمتع من الدُّنيا ثم تب.

فأخذ فى الفسق، وكان عنده مال فأنفق ماله فى الفجور، فأتاه ملك الموت فى ألذ ما كان.

فقال: من أنت؟

فقال: أنا ملك الموت جئت لأقبض روحك.

فقال: يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله، ذهب عمرى فى طاعة الشيطان وأسخطت ربّى.

فندم حين لم تنفعه الندامة، قال: فأنزل الله سبحانه وتعالى خبره فى القرآن[١].

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدُّنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: وفى نصب قوله: ﴿فَأَكُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: على جواب لو.

والثانى: على الرد على موضع الكرّة، وتوجيه الكرّة فى المعنى لو أنّ لى أنّ أكر.

كقول الشاعر: أنشده الفراء:

فما لك منها غير ذكرى وحسرة وتسأل عن ركبانها أين يمموا

فنصب تسأل عطفًا على موضع الذكرى، لأن معنى الكلام: فما لك منها إلاّ أن يذكر، ومنه قول الله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ (الشورى: ٥١) عطف يرسل على موضع الوحى فى قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ (الشورى: ٥١).

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

قرأ العامة: بفتح الكاف والتاء.

وقرأت عائشة: بكسرها أجمع، ردتها إلى النفس.

وروى ذلك عن رسول الله ﷺ.

حدثنا ابن فنجويه حدثنا عمر بن الخطاب حدثنا عبد الله بن الفضل أخبرنا سعيد بن نصير قال سمعت إسحاق بن سلمة الرازى قال: سمعت أبا جعفر الرازى يذكر عن الربيع بن أنس (ح)[٢] وأنبأنى عبد الله بن حامد أخبرتنا سعيدة بنت حفص بن المهتدى ببخارى قالت: حدثنا صالح بن محمّد البغدادى حدثنا عبد الله بن يونس بن بكر حدثنا أبى حدثنا عيسى بن عبد الله ابن ماهان أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكِ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتِ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتِ وَكُنتِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ على مخاطبة النفس.

---

(١) هذه قصة تصلح أن تروى للأطفال فى مدارس الروضة، ولا يصح ذكرها فى كتاب جليل مثل هذا، وأبو صالح هذا منهم من اتهمه بالكذب فلا ينظر إلى أخباره إلاّ على حذر ولا يقبل منها إلا ما كان مدعومًا بدليل قوى وله شواهد من آخرين.

(٢) حرف الحاء، رمز لإحالة الإسناد وهى زيادة يتطلبها سياق الإسناد حتى لا يحدث خلط.

قال المروزى: وهى رواية السريحى عن الكسائى.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾: فزعم أن له ولداً وشريكاً ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.

قال الأخفش: ترى غير عاملة فى قوله: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ إنما ابتداء وخبر.

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾.

قرأ أهل الكوفة: بالألف على الجمع.

وقرأ الباقون: بغير ألف على الواحد، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم والأخفش، لأن المفازة ههنا الفوز، ومعنى الآية: بنجاتهم من العذاب بأعمالهم الحسنة.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾: لا يصيبهم المكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أى مفاتيح خزائن السموات والأرض، واحدها مقلاد مثل مفتاح ومفاتيح، ومقليد مثل منديل ومناديل وفيه لغة أُخرى أقاليد.

واحدها أقليد، وقيل: هى فارسية . . . [1] إكليد.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى بقراءتى عليه حدثنا عبيد الله بن محمّد بن شنبة حدثنا أبو حامد أحمد بن جعفر المستملى حدثنا عمر بن أحمد بن شنبة حدثنا إسماعيل بن سعيد الخدرى حدثنا أغلب بن تميم عن مخلد أبى الهذيل عن عبد الرحمن أخيه قال: ابن عيينة[2] عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير هذه الآية ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

فقال: «يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك، تفسيرها: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله لا قوة إلاّ بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير، يا عثمان من قالها إذا أصبح أو أمسى عشر مرات أعطاه الله تعالى ست خصال: أما أولها: فيحرس من إبليس وجنده، والثانية: يحضره اثنا عشر ملكاً، والثالثة: يعطى قنطاران من الجنّة، والرابعة: يرفع له درجة، والخامسة: يزوجه الله تعالى زوجة من الحور العين، والسادسة: يكون له من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل، وله أيضاً من الأجر كمن حج أو اعتمر فقبلت حجته وعمرته، فإن مات من ليلته مات شهيداً».

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن العدل بقراءتى عليه حدثنا أحمد بن محمّد بن يحيى أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن زكريا الجرجانى الفقيه حدثنا أحمد بن

(١) كلمة ممحوة من مصورة المخطوط.

(٢) فى المتن: ابن عُتْبَة.

جعفر بن نصر الرازى حدثنا محمد بن يزيد النوفلى حدثنا حماد بن محمّد المرزوى حدثنا أبو عصمة نوح بن أبى مريم عن أبى إسحاق عن الحارث عن على رضى الله عنه قال: سألت النبى ﷺ عن تفسير المقاليد.

فقال: «يا على سألت عظيمًا، المقاليد هو أن تقول عشرًا إذا أصبحت وعشرًا إذا أمسيت: لا إله إلا الله والله أكبر سبحان الله والحمد لله وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، من قالها عشرًا إذا أصبح وعشرًا إذا أمسى أعطاه الله تعالى خصالا ستًا؛ أولهن: يحرسه من إبليس وجنده فلا يكون لهم عليهم سلطان، والثانية: يعطى قنطاران[1] فى الجنة أثقل فى ميزانه من جبل أُحد، والثالثة: يرفع الله له درجة لا ينالها إلاّ الأبرار، والرابعة: يزوجه الله من الحور العين، والخامسة: يشهده اثنا عشر ألف ملك يكتبونها فى رق منشور يشهدون له بها يوم القيامة، والسادسة: كمن قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وكان كمن حج واعتمر فقبل الله حجته وعمرته، وإن مات من يومه أو ليلته أو شهره طبع بطابع الشهداء، فهذا تفسير المقاليد».

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾: وذلك حين دعا إلى دين آبائه. واختلف القراء فى قوله: ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾ فقرأ أهل المدينة: بنون واحدة مخففة على الحذف والتحقيق.

وقرأ أهل الشام: بنونين على الأصل.

وقرأ الآخرون: بنون واحدة مشددة على الإدغام.



﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۝ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ

(١) فى الهامش: قنطارًا.

وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ : **الذى عملته قبل الشرك.**

وقال أهل الإشارة: معناه لئن طالعت غيرى فى السر ليحبطن عملك.

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ : **ثم دلّه على التوحيد فقال عز من قائل:** ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ **لله تعالى على نعمة الإيمان** ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ : **حين أشركوا به غيره، ثم خبر عن عظمته فقال:** ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ **أى ملكه** ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ : **بلا مانع ولا منازع ولا مدّع، وهى اليوم أيضًا ملكه، ونظيره قوله تعالى:** ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤)، **و**﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ﴾ (غافر: ١٦).

قال الأخفش: هذا كما يقال خراسان فى قبضة فلان، ليس أنها فى كفّه وإنما معناه ملكه.

﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾: **للطى معان منها: الإدراج كطى القرطاس والثوب بيانه** ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ﴾ **ومنه الإخفاء كما تقول: طويت فلانًا عن الأعين[1]، واطو هذا الحديث عنى أى استره.**

ومنه: الإعراض يقال: طويت عن فلان أو أعرضت عنه.

ومنه: الإفناء، تقول العرب: طويت فلانًا بسيفى، أى أفنيته.

وقراءة العامة: مطويات بالرفع. وقرأ عيسى بن عمر: بالكسر ومحلها النصب على الحال

(١) بهامش المخطوط: عن أعين الناس.

والقطع ، وإنما يذكر اليمين للمبالغة فى الاقتدار.

وقيل : هو معنى القوة ، كقول الشاعر :

❖ تلقاها عرابة باليمين ❖

وقيل : اليمين بمعنى القسم ، لأنه حلف أنه يطويها ويفنيها. وهو اختيار على بن مهدى الطبرى قال : معناه مضنيات بقسمه.

حكى لى أستاذنا أبو القاسم بن حبيب عنه ثم نزه نفسه ، وقال تعالى : ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ثم إنى ذاكر بعض ما ورد من الأخبار[1] فى تفسير هذه الآية.

أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتى عليه حدثنا محمد بن جعفر المطرى حدثنا على بن حرب الموصلى حدثنا ابن فضيل حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والخلائق على إصبع ، ثم يقول : هكذا بيده.

فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ .

وأنبأنى عبد الله بن حامد أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا العباس بن الفضل الأسقاطى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبيد الله قال : جاء حبر إلى رسول الله ﷺ. فقال يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، يهززهن فيقول : أنا الملك أنا الملك.

فضحك النبى ﷺ تعجبًا مما قال الحبر تصديقًا له ، ثم قرأ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ .

أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف القصرى بها أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ببغداد حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن صالح الواسطى عن سليمان بن محمد عن عمر ابن نافع عن أبيه قال : قال عبد الله بن عمر رأيت رسول الله ﷺ قائمًا على هذا المنبر - يعنى منبر رسول الله عليه السلام وهو يحكى عن ربّه تبارك وتعالى فقال : «إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة جمع السموات والأرضين السبع فى قبضته - ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها - ثم يقول : أنا الله ، أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا المهيمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذى بدأت الدُّنيا ولم يك شيئًا ، أنا الذى أعدتها ، أين الملوك

(١) كذا فى المتن وفى الهامش : «الآثار».

أين الجبابرة».

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى حدثنا عمر بن الخطاب حدثنا عبد الله بن الفضل حدثنا هدية ابن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ فبسط رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «فيمجّد الله نفسه، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا العزيز، أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون».

قال: فرجف المنبر حتى قلنا ليتحركنَّ به، وقيل: ليخرنَّ به.

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا عمر عن عبد الله حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو أُسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله حدثنى عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

أخبرنا عبد الله بن حامد إجازة أخبرنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن جعونة أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبى مريم الغسانى عن سعيد بن ثوبان الكلاعى عن أبى أيوب الأنصارى عن النبى ﷺ: أنه أتاه حبر من أحبار اليهود فقال: إنى سائلك عن أشياء فخبّرنى بها.

فقال له النبى ﷺ: «اسأل ذلك».

قال الحبر: أرأيت قول الله تعالى فى كتابه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨) فأين الخلق عند ذلك؟.

فقال النبى ﷺ: «هم أضياف الله تعالى فلن يعجزهم ما لديه».

فقال الحبر: فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ فأين الخلق عند ذلك؟

فقال النبى ﷺ: «هم فيها كالرقيم فى الكتاب».

وقال ابن عباس: فى هذه الآية كل ذلك يمينه، وليس فى يده الأخرى شىء، وإنما يستعين بشماله المشغولة يمينه، وما السموات والأرضون السبع فى يدى الله تعالى إلاّ كخردلة فى يد أحدكم.

أنبأنى عقيل بن أحمد: أن المعافى بن زكريا أخبره عن محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثنى ابن إسحاق عن محمد عن سعيد قال: أتى رهط من اليهود النبى ﷺ

وقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟

فغضب النبى ﷺ حتّى انتقع لونه ثم ساورهم غضبًا لربّه فجاءه جبريل (عليه السلام) فسكنه وقال: اخفض عليك جناحك وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه، قال يقول الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

فلما تلاها عليهم النبى ﷺ قالوا له: صف لنا ربك كيف خلقه وكيف عضده وكيف ذراعه؟

فغضب النبى ﷺ أشد من غضبه الأول ثم ساورهم فجاءه جبريل فقال: مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سألوه ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: الآية.

وقال مجاهد: وكلتا يدى الرحمن يمين.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصبهانى أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق أخبرنا بشير ابن موسى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرنا عمرو بن أوس الثقفى: أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من منابر النور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا».

وقال الحسين بن الفضل والأخفش معنى الآية: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا ...مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ أى مضبوطات مربوطات بيمينه، أى بقدرته وهى كلها فى ملكه وقبضته، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ (النساء ٣٦) أى وما كانت لكم قدرة، وليس الملك لليمين دون سائر الجسد والله أعلم.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾.

أخبرنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدى إملاء وقراءة أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن محمد بن أبى رجاء المصيصى حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سليمان التيمى عن أسلم العجلى عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو قال: سألت رسول الله ﷺ عن الصور.

فقال: «قرن ينفخ فيه».

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أى ماتوا وهى النفخة الثانية ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: اختلفوا فى الذين استثناهم الله تعالى.

أخبرنا أبو على الحسين بن محمد بن محمد الروذبادى حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن

محمد بن عبد الرحيم الشروطى حدثنا عبدان بن عبد الله بن أحمد حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقية عن محمد عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه، عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: «من أُولئك الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟».

فقال: هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش.

أخبرنا الحسين بن فنجويه بقراءتى عليه حدثنا أبو على بن حبش المقرئ قال: قرأ على أبى يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى وأنا أسمع حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو اليمان الحكم ابن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه سأل جبريل (عليهما السلام) عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: «من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم؟».

قال: هم الشهداء متقلدون حول عرشه تتلقاهم الملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من نور[1]، أزمتها الدرّ برحائل السندس والإستبرق نمارها ألين من الحرير، مدَّ خطاها مدَّ أبصار الرجال يسيرون فى الجنة يقولون عند طول البرهة: انطلقوا إلى ربنا لننظر كيف يقضى بين خلقه، فيضحك إليهم إلهى عزّ وجلّ، فإذا ضحك إلى عبد فى موطن فلا حساب عليه.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الحسن بن يحيويه حدثنا عمرو بن ثور وإبراهيم بن أبى سفيان قالا:

حدثنا محمد بن يوسف الفريابى حدثنا سليمان بن حيان عن محمد بن إسحاق عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال: تلا رسول الله عليه السلام: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين استثنى الله تعالى؟

قال: «هو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ـ قال: فيقول يا ملك الموت خذ نفس إسرافيل. فيقول: يا ملك الموت من بقى؟ فيقول: سبحانك ربّى وتعاليت ذا الجلال والإكرام بقى جبريل وميكائيل وملك الموت. فيقول: يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل. فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم. فيقول: يا ملك الموت من بقى؟ فيقول: سبحانك ربى تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام بقى جبريل وملك الموت.

فيقول: مُت يا ملك الموت فيموت. فيقول: ياجبريل من بقى؟ فيقول: تباركت وتعاليت

---

(١) فى الهامش: «ياقوت».

ذا الجلال والإكرام وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى - قال: فيقول: يا جبريل لا بد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه فيقول: سبحانك ربّى تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام».

فقال رسول الله ﷺ: «إن فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على الضرب من الضراب».

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر حدثنا حاجب بن أحمد بن يرحم حدثنا محمّد بن حماد حدثنا محمد بن الفضيل عن سليمان التيمى عن أبى نصرة عن جابر فى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال: موسى ممّن استثنى الله تعالى، وذلك بأنه قد صعق مرة.

يدل عليه ما أخبرنا عقيل بن أحمد: أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمد بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال: قال يهودى بسوق المدينة: والذى اصطفى موسى على البشر، قال: فرفع رجل من الأنصار يده فصك بها وجهه فقال: تقول هذا وفينا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فأكون أنا أول من يرفع رأسه، فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممّن استثنى الله تعالى».

وقال كعب الأحبار: هم اثنا عشر، حملة العرش وجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

الضحاك: هم رضوان والحور ومالك والزبانية.

قتادة: الله أعلم بثنياه.

الحسن: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعنى الله وحده. وقيل: عقارب النار وحياتها، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾: أى فى الصور ﴿أُخْرَىٰ﴾: مرة أخرى ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾: من قبورهم ﴿يَنظُرُونَ﴾: يعنى ينظرون إلى البعث.

وقيل: ينتظرون أمر الله تعالى فيهم.

قالت العلماء: ووجه النفخ فى الصور أنه علامة جعلها الله تعالى ليتصوّر بها العاقل وأخذ الأمر، ثم تجديد الخلق.

﴿وَأَشْرَقَتِ﴾: وأضاءت ﴿ٱلْأَرْضُ﴾.

وقرأ عبيد بن عمير: ﴿وَأُشْرِقَتِ﴾ : على لفظ ما لم يُسم فاعله كأنها جعلت مضيئة.

﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ : قال أكثر المفسرين: بضوء ربّها، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون فى نوره إلاّ كما يتضارون فى الشمس فى اليوم الصحو الذى لا دخن فيه.

وقال الضحاك: بحكم ربّها.

وقال السدى: بعدل ربّها. ويقال: إن الله تعالى خلق فى القيامة نوراً يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به، ويقال: إن الله يتجلى للملائكة فتشرق الأرض بنوره، وأراد بالأرض عرصات القيامة.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ .

قال ابن عباس: يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة.

وقال السدى: الذين استشهدوا فى طاعة الله.

وقيل: هم الحفظة، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١).

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : سوقًا عنيفًا يسحبون على وجوههم﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ : أفواجًا بعضها على أثر بعض، كل أمة على حدة.

وقال أبو عبيد والأخفش: يعنى جماعات فى تفرقة، واحدتها زمرة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ : السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة.

واختلف القراء فى قوله: (فتحت) و(فتّحت) فخففهما أهل الكوفة، وشددهما الآخرون على التكثير.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ : توبيخًا وتقريعًا لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ﴾ : وجبت ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ : وهى قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩).

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَسِيقَ الَّذِينَ﴾ : وحشر الذين ﴿اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ : فأطاعوه ولم يشركوا به ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ﴾ : ركبانًا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾ : الواو فيه واو الحال ومجازه وقد فتحت أبوابها، فأدخل الواو ههنا لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفها من الآية الأولى لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، ويقال: زيدت الواو ههنا، لأن أبواب الجنّة ثمانية، وأبواب الجحيم سبعة، فزيدت[1] الواو ههنا

(١) فى المتن: «فوكدت» والتصويب من هامش المخطوط.

فرقًا بينهما.

حكى شيخنا عبد الله بن حامد عن أبى بكر بن عبدش أنها تُسمى واو ثمانية.

قال: وذلك أن من عادة قريش أنهم يعدون العدد من الواحد إلى الثمانية، فإذا بلغوا الثمانية زادوا فيها واواً فيقولون: خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، يدل عليه قول الله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة: ٧) وقال سبحانه: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ (التوبة: ١١٢)، فلما بلغ الثامن من الأوصاف قال: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (التوبة: ١١٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم: ٥).

وقيل: زيادة الواو فى صفة الجنّة علامة لزيادة رحمة الله على غضبه وعقوبته.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾: قال قتادة فإذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنّة والنار، فيقتص بعضهم من بعض، حتّى إذا هدءوا واطمئنوا قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين.

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمّد البيهقى أخبرنا أبو حاتم مكى بن عبدان التميمى حدثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر السليطى حدثنا روح بن عبادة القيسى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله عنه: أنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ الآية.

فقال: سيقودهم إلى أبواب الجنّة حتّى إذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من تحت ساقها عينان، فعمدوا إلى إحداهما فتطهروا فيها فجرت عليهم بنضرة النعيم، فلن تغير أجسادهم بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم بعدها أبدًا كأنما دهنوا بالدهان، ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها فأذهبت ما فى بطونهم من أذًى أو قذًى، وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنّة: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، ويلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم إذا جاء من الغيبة يقولون: أبشر قد أعدّ الله لك كذا وكذا وأعد لك كذا وكذا، وينطلق غلام من غلمانه يسعى إلى أزواجه من الحور العين فيقول: هذا فلان ـ باسمه فى الدُّنيا ـ قد قدم.

فيقلن: أنت رأيته؟

فيقول: نعم.

فيستخفهن الفرح حتّى[1] يخرجن إلى أسكفة الباب ويجيء ويدخل، فإذا سرر مرفوعة[2] وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابى مبثوثة، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه، فإذا هو قد أُسس على جندل اللؤلؤ بين أخضر وأحمر وأبيض وأصفر من كل لون، ثم يتكئ على أريكة من أرائكه، ثم يرفع طرفه إلى سقفه، فلولا أن الله تعالى قدر له لألمّ أن يذهب بصره، أنه مثل البرق فيقول: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣) قال: فيناديهم الملائكة ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣).

واختلف أهل العربية فى جواب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾.

فقال بعضهم: جوابه: (فتحت) والواو فيه مثبتة مجازها حتّى إذا جاءوها فتحت أبوابها كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾ (الأنبياء: ٤٨) أى ضياء.

وقيل: جوابه: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ والواو فيه ملغاة تقديره: حتّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها.

كقول الشاعر:

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن ... إلاّ توهم حالم بخيال

أراد فإذا ذلك لم يكن.

وقال بعضهم: جوابه مضمر ومعنى الكلام: حتّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، فدخلوها.

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: قال أبو عبيدة: جوابه محذوف مكفوف عن خبره، والعرب تفعل هذا لدلالة الكلام عليه.

قال الأخطل فى آخر قصيدة له:

خلا أن حيًا من قريش تفضلوا ... على الناس أو أن الأكارم نهشلا

وقال عبد مناف بن ربيع فى آخر قصيدة:

حتّى إذا أسلكوهم فى قتائده ... شلاء كما تطرد الجمالة الشردا

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾: يعنى أرض الجنة، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾: ثواب المطيعين ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾:

---

(١) فى المتن «ثم» والتصويب من الهامش.

(٢) كذا فى المتن وفى الهامش: «موضونة»

محدقين محيطين ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ : ودخول (من) للتوكيد ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ : متلذذين بذلك لا متعبدين به ، لأن التكليف يزول فى ذلك اليوم ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ : أى بين أهل الجنة والنار بالحق ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ .

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمّد البيهقى الفقيه أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد عن قتادة فى هذه الآية قال : فتح أول الخلق بالحمد وقال : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ﴾ (الأنعام: ١) وختم بالحمد فقال : ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك حدثنا أبو طلحة أحمد بن محمّد بن عبد الكريم الفزارى حدثنا نصر بن على حدثنا عبد الرحمن بن عثمان[١] عن عبادة بن ميسرة عن محمّد بن المنكدر عن ابن عمر أن النبىّ ﷺ قرأ على المنبر آخر سورة الزمر فتحرك المنبر مرتين .



(١) كذا وفى الهامش : «عفان»

سُورَةُ غَافِر
(المؤمن)

مكية، وهى خمس وثمانون آية،
وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة، وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفًا

قال الثمالى: إنما سميت بذلك من أجل حزقيل مؤمن آل فرعون.

❖ **(فصل)[١] فى فضل الحواميم:**

أخبرنا الأستاذ أبو الحسن على بن محمّد بن الحسن الجنازى قراءة عليه حدثنا أبو الشيخ الأصبهانى حدثنا محمّد بن أبى عصام حدثنا إبراهيم بن سليمان الحرّانى حدثنا عثمان المزنى حدثنا عبد القدوس بن حبيب عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الحواميم ديباج القرآن».

أخبرنا أبو محمّد ابن الرومى أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن الجراح بن أبى الجراح حدثه عن ابن عباس قال: لكل شىء لباب ولباب القرآن الحواميم.

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمّد بن يعقوب القصرى بها أخبرنا أبو على الصفار ببغداد حدثنا سعدان بن نصر (ح)[٢] وأخبرنا أبو الحسين الخبازى أخبرنا السندادى[٣] وهو أبو بكر أحمد بن نصر حدثنا ابن المنادى عن سعدان بن نصر: أن المعتمر بن سليمان الرقى حدثهم عن الخليل بن مرة مرسلاً قال: كان النبى ﷺ يقول: «الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع: جهنم، والحطمة، ولظى، والسعير، وسقر، والهاوية، والجحيم، فتجىء كل حاء ميم منهن يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول: لا يدخل الباب من كان يؤمن بى ويقرأنى».

أخبرنا على بن محمد بن الحسن حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن بذرة حدثنا أبو على أحمد بن بشر المرثدى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقانى حدثنا جعفر بن عون عن مسعر[٤]

(١) زيادة يتطلبها التصنيف للفصل بين تفسير السورة، والتقديم للسور اللاحقة لها.
(٢) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.
(٣) كذا فى المتن وفى الهامش: «الشندانى».
(٤) كذا وبالهامش: «مسعود».

عن سعد بن إبراهيم قال: كنّ الحواميم يسمون العرائس.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «لكل شىء ثمرة، وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات، فمن أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليقرأ الحواميم».

وقال ابن مسعود: إذا وقعت فى الحواميم وقعت فى روضات أتأنق فيهن.

وقال ﷺ: «مثل الحواميم فى القرآن مثل الحبرات فى الثياب».

وقال ابن سيرين: رأى رجل[١] فى المنام سبع جوار حسان فى مكان واحد لم ير أحسن منهن فقال لهن: لمن أنتن؟ قلن: لمن قرأ الحواميم.

❖ **فأما فضائل هذه السورة خاصة:**

فأخبرنا أبو عبد الله حدثنا ظفران حدثنا أبو محمّد بن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح (ح)[٢] وأخبرنا أبو الحسين الخبازى حدثنا ظفران حدثنا أبن أبى داود حدثنا محمد بن عاصم (ح)[٢] وأخبرنا الخبازى، حدثنا ابن حبش المقرئ حدثنى أبو العبّاس محمّد بن موسى الدقاق حدثنا عبد الله بن روح المدائنى حدثنا نشابة بن سوار حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد وعن عطاء بن أبى ميمونة عن زر بن حبيش عن أُبى بن كعب عن النبى ﷺ قال: «من قرأ حم المؤمن لم تبق (روح)[٣] نبىّ ولا صدّيق ولا شهيد ولا مؤمن إلاّ صلوا عليه واستغفروا له».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ

(١) فى متن المخطوط: «واحد» وما أثبته فمن الهامش لمناسبته للسياق.

(٢) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد حتى لا يحدث خلط بين طرق الحديث.

(٣) زيادة من هامش المخطوط.

عِقَابِ۝ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ۝ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ۝ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ۝ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ۝ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ۝﴾

﴿حمٓ﴾: أنبأنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا أبو على بن حبش المقرئ حدثنا أبو القاسم ابن الفضل حدثنا على بن الحسن حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا رشد عن الحسن بن ثوبان عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ: «حم اسم من أسماء الله تعالى وهى مفاتيح خزائن ربّك تعالى».

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا مكى بن عبدان، حدثنا عبد الله بن هاشم، حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى حدثنا شعبة قال: سألت السدى عن حم؟

فقال: قال ابن عباس: هو اسم الله الأعظم.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: (الر) و(حم) و(ن)[1] حروف الرحمن مقطوعة.

الوالبى عنه: قسم أقسم الله تعالى به، وهو اسم من أسماء الله تعالى.

وقال قتادة: حم اسم من أسماء القرآن.

مجاهد: فواتح السور.

القرظى: أقسم الله تعالى بحلمه وملكه أن لا يعذب أحداً عاد إليه يقول لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه.

الشعبى: شعار السورة.

---

(١) فى المخطوط: «نون» وأثبت الحرف بدل اللفظ.

وقال عطاء بن أبى مسلم الخراسانى: الحاء افتتاح أسماء الله تعالى: حليم، وحميد، وحىّ، وحنّان، وحكيم، والميم افتتاح أسمائه: ملك، ومجيد، ومنّان. يدل عليه ما روى عن أنس بن مالك أنه قال: سأل أعرابى رسول الله ﷺ ما حم، فإنا لا نعرفها فى لغتنا؟

فقال: «بدء أسماء وفواتح سور».

وقال الضحاك والكسائى: معناه قضى ما هو كائن، كأنه أراد الإشارة إلى حُمَّ بضم الحاء وتشديد الميم.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾: واختلف القراء فى قوله: (حم) فكسر الحاء حيث كان، عيسى وحمزة والكسائى وخلف، ومثله روى يحيى وحماد عن أبى بكر عن عاصم.

وقرأ أبو جعفر وأبو عبيد وأبو حاتم وابن ذكوان بين الفتح والكسر.

ومثله روى بكر بن سهل الدمياطى وإسماعيل النخاس عن ورش عن نافع.

وقرأ الباقون: بالفتح.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾: قال ابن عباس: لمن قال: لا إله إلا الله.

﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾: ممّن قال: لا إله إلاّ الله ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن لا يقول: لا إله إلا الله ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: ذى الغنى عمّن لا يقول: لا إله إلا الله.

وقال الضحاك: ذى المن[1].

قتادة: ذى النعم.

السدى: ذى السعة.

الحسن: ذى الفضل.

ابن زيد: ذى القدرة، وأصل الطول: الإنعام الذى تطول مدته على صاحبه، يقال: اللهم طل علينا، أى أنعم علينا وتفضل، ومنه قيل للمنفع: طائل، ويقال فى الكلام: ما خليت من فلان بطائل وما حظيت منه بنائل، أى لم أجد منه منفعة.

حدثنا الحسن بن محمد بن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا يوسف بن عبد الله بن ماهان حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن ثابت قال: كنت إلى جانب سرادق مصعب بن الزبير فى مكان لا يمر فيه الدواب، وقد استفتحت: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ إذ مرَّ رجل على دابة فلما قلت: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾. قال: قل: يا غافر الذنب اغفر لى ذنبى.

(١) فى الهامش: «المنن».

قلت: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾.

قال: قل: يا قابل التوب اقبل توبتى. قلت: ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾.

قال: قل: يا شديد العقاب اعف عن عقابى.

قلت: ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِ﴾.

قال: قل يا ذا الطول طلّ علىّ بخير.

قال: ثم التفت يمينًا وشمالاً فلم أر شيئًا.

وقال أهل الإشارة: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ فضلاً، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾: وعداً، ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾: عدلاً.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: فرداً. و(التّوب) يجوز أن يكون مصدراً، ويحتمل أن يكون جمع التوبة، مثل دومة ودوّم وعومة وعوّم.

أخبرنا عبد الله بن حامد قرأه عليه حدثنا محمد بن خالد بن الحسن أخبرنا داود بن سليمان حدثنا عبد بن حميد حدثنا كثير بن هشام أخبرنا جعفر بن مرقان حدثنا يزيد بن الأصم: أن رجلاً كان ذا بأس، وكان يوفد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبأسه، وكان من أهل الشام، وأن عمر فقده فسأل عنه فقيل له: يتابع فى هذا الشراب فدعا عمر كاتبه فقال: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليكم، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلاّ هو ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾. وختم على الكتاب ثم دفعه إلى رسوله وقال: لا تدفعن الكتاب إليه حتى تجده صحوان.

ثم أمر من عنده فدعوا له أن يقبل الله تعالى عليه بقلبه، وأن يتوب عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول قد وعدنى الله تعالى أن يغفر لى وحذرنى عقابه، فلم يزل يرددها على نفسه حتى بكى ثم نزع، فأحسن النزع وحسنت توبته وحاله، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم زَل زلة[1] فسدّدوه ووفقوه وادعوا الله تعالى له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشياطين عليه.

﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾: ما يخاصم ويعادى[2] ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بالإنكار لها ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا خالد بن

---

(١) كذا، وفى الهامش: «ذَا زَلّة».

(٢) كذا فى المتن وفى الهامش: «يمارى».

الوليد[١] حدثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال: آيتان ما أشدّهما على الذين يجادلون فى القرآن: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَاتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ و﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: ١٧٦).

أخبرنا عبد الله بن حامد حدثنا محمّد بن خالد حدثنا داود بن سليمان أخبرنا عبد بن حميد حدثنا الحسين بن على الجعفى عن زائد عن ليث عن سعد بن إبراهيم عن أبى أسامة[٢] عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «إن جدالاً فى القرآن كفر».

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾: تصرفهم ﴿فِي ٱلْبِلَادِ﴾: للتجارات وبقائهم فيها مع كفرهم، فإن الله تعالى يمهلهم ولا يهملهم، نظيره: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ (آل عمران: ١٩٦-١٩٧)، ثم قال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ والكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالمخالفة والعداوة ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أى من بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: ويقتلوه.

قال الفراء: كان حقه أن يقول برسولها وكذلك هى فى قراءة عبد الله، ولكنه أراد بالأمة الرجال فكذلك قال: ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾.

﴿وَجَادَلُواْ بِٱلْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ﴾: ليبطلوا ويزيلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ ۝ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾: من الملائكة.

قال ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام.

وقال: مسيرة أرجلهم فى الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفًا من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفًا من أهل السماء التى تليها، والتى تليها أشد خوفًا من التى تليها[٣].

قال مجاهد: بين الملائكة وبين العرش سبعون حجابًا من نور[٣].

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى حدثنا مخلد بن جعفر حدثنا الحسن بن علويه حدثنا إسماعيل ابن عيسى حدثنا إسحاق أخبرنى مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما خلق الله حملة العرش قال لهم: احملوا عرشى. فلم يطيقوا، فخلق مع كل ملك منهم من أعوانهم مثل

---

(١) هو محدث وليس بالصحابى المشهور.

(٢) كذا فى المتن وفى الهامش: «سَلَمة».

(٣) هذه الأقوال وما يليها ليس عليها دليل من كتاب الله تعالى، ولا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ فلا يعتد بها.

جنود من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من الخلق ، فقال : احملوا عرشى . فلم يطيقوا ، فخلق مع كل واحد منهم جنود سبع سموات وسبع أرضين وما فى الأرض من عدد الحصى والثرى فقال : احملوا عرشى . فلم يطيقوا ، فقال : قولوا لا حول ولا قوة إلاّ بالله .

فقالوا : لا حول ولا قوة إلا بالله استقلينا عرش ربّنا .

قال : فنفذت أقدامهم فى الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستقر ، فكتب على قدم كل ملك اسم من أسمائه تعالى ، فاستقرت أقدامهم(١) .

وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تتفكروا فى عظمته ولكن تفكروا فيما خلق الله تعالى من الملائكة ، فإن خلقًا من الملائكة يقال له : إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الأرض السفلى ، وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتّى يصير كأنه الوَصَع»(٢) .

وروى موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «أُذنَ لى أن أُحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة عرشه ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» .

وفى الخبر : إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة عرشه ، تفضيلاً لهم على سائر الملائكة ، فهذه صفة حملة العرش(٣) .

❖ **وأما صفة العرش(٤) :**

فروى لقمان بن عامر عن أبيه قال : إن الله تعالى خلق العرش من جوهرة خضراء ، للعرش ألف ألف رأس زاجون ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلاّ وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ، ما بين جناحى أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام ، وما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه أربعمائة عام ، واحتجب الله تعالى بينه وبين الملائكة الذين هم حول العرش بسبعين حجابًا من نار ، وسبعين حجابًا من ظلمة ، وسبعين

---

(١) راجع التعليق السابق .

(٢) الوَصَع : هو صغير العصافير ، ويقال : الصغير من أولاد العصافير .
والخبر كسوابقه لا يصح ولا يجب التحدث به .

(٣) هذا الباب لا يصح فيه شيء وما نسب إلى النبى ﷺ فهو منه براء ، وما نسب إلى ابن عباس وغيره من أهل العلم فهو مدسوس عليهم من وضع اليهود وأهل الكتاب ، وأهل الأهواء عافانا الله وإياكم ورزقنا وإياكم حسن الختام .

(٤) كل ما يرد فى هذا الباب ينطبق عليه ما سبق من كلام على حملة العرش من تعليق ، ولا يغترن مغتر بكبر أسماء من تروى عنهم هذه الأخبار .

حجابًا من نور، وسبعين حجابًا من در أبيض، وسبعين حجابًا من ياقوت أحمر، وسبعين حجابًا من زبرجد أخضر، وسبعين حجابًا من ثلج، وسبعين حجابًا من ماء، وسبعين حجابًا من برد وما لا يعلمه إلاّ الله تعالى.

قال: ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه: وجه ثور، ووجه أسد، ووجه نسر، ووجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة: أما جناحان فعلى وجه من أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيتبوأ فَيَقْوى بهما، ليس لهم كلام إلا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد.

وقال يزيد الرقاشى: إن لله تعالى ملائكة حول العرش يسمّون المخلصين، تجرى أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة يميدون كأنما ينفضهم من خشية الله، فيقول لهم الربّ جلّ جلاله: يا ملائكتى مخافة تخيفكم؟

فيقولون: يا ربّنا لو أن أهل الأرض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه، ما أساغوا طعامًا ولا شرابًا ولا انبسطوا فى فرشهم، ولخرجوا إلى الصحارى يخورون كما يخور البقر[1].

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: وهذا تفسير لقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الشورى: ٥) ﴿رَبَّنَا﴾: أى ويقولون: ربّنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾: نصبًا على التفسير، وقيل: نصبًا على النقل، أى وسعت رحمتك وعلمك كل شىء ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾: دينك ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

روى الأعمش عن إبراهيم قال: كان أصحاب عبد الله يقولون الملائكة خير من ابن الكواء (هم)[2] يستغفرون لمن فى الأرض، وابن الكواء يشهد عليهم بالكفر، وابن الكواء رجل من الخوارج قال: وكانوا لا يحبون الاستغفار على أحد من أهل هذه القبلة.

وقال: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله للعباد الشيطان.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبى يقول: سمعت محمد بن على بن محمد الوراق يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول لأصحابه إذا قرأ هذه الآية: افهموا فما فى العالم خيرًا أرجى منه.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن﴾: فى محل نصب عطفًا على الهاء والميم ﴿صَلَحَ

(١) سبق التعليق من أول الكلام فى الباب على أن هذا من وضع الوضاعين والقصاصين.
(٢) زيادة يتطلبها السياق.

مِنْ ءَابَآبِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قال سعيد بن جبير: يدخل الرجل الجنّة فيقول: أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجى؟

فيقال: لم يعملوا مثل عملك.

فيقول: كنت أعمل لى ولهم.

فيقال: أدخلوهم الجنّة.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أنواع العذاب ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ﴾: يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عاينوا العذاب فيقال لهم: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ إياكم فى الدُّنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ﴾ اليوم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ عند حلول العذاب بكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾.

قال ابن عباس وقتادة والضحاك: كانوا أمواتًا فى أصلاب آبائهم، فأحياهم الله تعالى فى الدُّنيا ثم أماتهم الموتة التى لابدّ منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨) الآية.

وقال السدى: أُميتوا فى الدُّنيا ثم أُحيوا فى قبورهم، فسُئلوا ثم أُميتوا فى قبورهم، ثم أُحيوا فى الآخرة.

﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾: فنصلح أعمالنا، نظيرها قوله: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٤) ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾: فى الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه، مجازه: فأُجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك وهو العذاب والخلود فى النار، بأنه إذا دُعى الله وحده فى الدُّنيا كفرتم به وأنكرتم أن لا تكون الإلهية له خالصة، وقلتم أجعل الآلهة إلهًا واحدًا ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾: غيره.

﴿تُؤْمِنُواْ﴾: تصدقوا ذلك المشرك. وسمعت بعض العلماء يقول: وإن يشرك به بعد الرد إلى الدُّنيا لو كان تؤمنوا تصدقوا المشرك ذكره بلفظ الاستفهام. نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ (الأنعام: ٢٨) ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى

ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ : بإدرار الغيث ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ : العبادة والطاعة ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ﴾ : أى هو رفيع ﴿ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ : يعنى رافع طبقات الثواب للأنبياء والمؤمنين فى الجنّة .

قال ابن عباس : رافع السموات وهو فوق كل شىء وليس فوقه شىء .

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: خالقه ومالكه ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ﴾: ينزل الوحي، سمّاه وحيًا، لأنه يحيى به القلوب كما يحيى بالأرواح الأبدان ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: من قوله وقيل بأمره ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.

قراءة العامة: بالياء أي ينذر الله تعالى.

وقرأ الحسن: بالتاء، يعني لتنذر أنت يا محمّد يوم التلاق.

أخبرنا أبو الحسين بن الفضل الفقيه حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا محمد بن عبيد الله حدثنا أبو أُسامة حدثنا المبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ قال: يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض.

وقال قتادة ومقاتل: يلتقي فيه الخلق والخالق.

ابن زيد: يتلاقى العباد.

ميمون بن مهران: يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم. وقيل: يلتقي العابدون والمعبودون.

وقيل: يلتقي فيه المرء مع عمله ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾: خارجون من قبورهم، ظاهرون لا يسترهم شيء ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ﴾: من أعمالهم وأحوالهم ﴿شَىْءٌ﴾: ومحل (هم) رفع على الابتداء و(بارزون) خبره ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾: وذلك عند فناء الخلق، وقد ذكرنا الأخبار فيه.

قال الحسن: هو السائل وهو المجيب، لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه فيجيب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: الذي قهر الخلق بالموت.

أخبرنا شعيب أخبرنا مكي حدثنا أبو الأزهر حدثنا روح حدثنا حماد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: يجمع الله الخلق يوم القيامة بصعيد واحد، بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضّة لم يعص الله تعالى فيها قط، فأول ما تتكلم به أن ينادي مناد ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: فأول ما يبدءون به من الخصومات الدماء ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾: أي بيوم القيامة، سمّيت بذلك لأنها قريبة، إذ كل ما هو آت قريب.

قال النابغة:

أزف الترحل غير أن ركابنا لـم تزل بركابها[1] وكأن قـد

أي: قَرُب، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ (النجم: ٥٧) أيّ قربت القيامة.

(١) في الهامش: «برحالها».

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾: من الخوف قد زالت وشخصت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم فلا هى تعود إلى أماكنها ولا هى تخرج من أفواههم فيموتوا فليسوا سواء نظيره قوله: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ (إبراهيم: ٤٣) ﴿كَـٰظِمِينَ﴾: مكروبين ممتلئين خوفًا وحزنًا، والكاظم الممسك للشىء على ما فيه، ومنه كظم قربته إذا شد رأسها، فهم قد أطبقوا أفواههم على ما فى قلوبهم من شدة الخوف، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن فى القلب حين يضيق به.

يقول العرب للبئر الضيقة وللساقية المملوءة: ماء كظامة وكاظمة، ومنه الحديث: كيف بكم إذا بعجت[1] مكة بكاظميها.

قال الشاعر:

يخرجن من كاظمة العصن الغرب يحملن عبّاس بن عبد المطلب

ونصب كاظمين على الحال والقطع.

﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: قريب وصديق، ومنه قيل للأقرباء والخاصة حامّة ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾: فيشفع فيهم ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾.

وقال المؤرج: فيه تقديم وتأخير مجازه أى الأعين الخائنة قال ابن عباس: هو الرجل يكون جالسًا مع القوم، فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها.

وقال مجاهد: هى نظر الأعين إلى ما نهى الله تعالى عنه.

قتادة: هى همزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله تعالى ولا يرضاه.

﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: يعنى الأوثان ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾: لأنها لا تعلم شيئًا ولا تقدر على شىء.

وقرأ أهل المدينة وأيوب: تدعون بالتاء، ومثله روى هشام عن أهل الشام والباقون: بالياء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

قرأ العامة: بالهاء.

وقرأ ابن عامر: منكم بالكاف. وكذلك هو فى مصاحفهم.

﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: فلم ينفعهم ذلك حين أخذهم الله ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: يعنى من عذاب الله من واق ينفعهم ويدفع عنهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ

---

(١) كتب فى تلك الكلمة: «نفخت».

﴿فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُواْ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ﴾: يعني فرعون وقومه ﴿ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾.

قال قتادة: هذا قتل غير القتل الأول، لأن فرعون كان أمسك عن قتل الولدان، فلما بُعث إليه موسى أعاد القتل عليهم.

﴿وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ﴾: ليصدوهم بقتل الأبناء واستحياء النساء عن متابعة موسى ومظاهرته ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم ﴿إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾: لملئه ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾: الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منّا ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ﴾ يغير ﴿دِينَكُمْ﴾: الذي أنتم عليه بسحر ﴿أَوْ أَن﴾.

قرأ أبو عمر وأهل المدينة وأهل الشام وأهل مكة: وأن بغير ألف، وكذلك هي في مصاحف أهل الحرمين والشام.

وقرأ الكوفيون وبعض البصريين: (أو أن) بالألف، وكذلك هي في مصاحف أهل العراق.

وقال أبو عبيد: وبها يقرأ للزيادة التي فيها، ولأن (أو) ربما كانت في تأويل الواو، ولا تكون الواو في معنى أو.

﴿يُظْهِرَ [(١)] فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾.

قرأ أهل المدينة والبصرة: (يُظهِر) بضم الياء وكسر الهاء، و(الفسادَ) بنصب الدال على التعدية.

ومثله روى حفص عن عاصم وهي اختيار أبي عبيد قال لقومه: يبدل دينكم، فكذلك يظهر ليكون الفعلان على نسق واحد.

وقرأ الآخرون: بفتح الياء والهاء ورفع الدال على اللزوم، وهي اختيار أبي حاتم. والفساد انتقاص الأمر، وأراد فرعون به تبديل الدين وعبادة غيره.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾: لما توعّده فرعون بالقتل: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾: اختلفوا في هذا المؤمن.

فقال بعضهم: كان من آل فرعون، غير أنه كان آمن بموسى، وكان يكتم إيمانه من فرعون وقومه خوفًا على نفسه.

قال السدّي ومقاتل: كان ابن عم فرعون وهو الذي أخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ

---

(١) رسمها في المخطوط: بفتح الياء، وسكون الظاء وفتح الهاء، ورسمت ما في مصحف حفص عن عاصم وتركت المؤلف يظهر الفرق عند أهل الأمصار على ما سيرد ذكره إن شاء الله تعالى.

مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ (القصص: ٢٠).

وقال آخرون: كان إسرائيليًا، ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون. واختلفوا أيضًا فى اسمه.

فقال ابن عباس وأكثر العلماء: اسمه حزبيل.

وهب بن منبه: اسمه حزيقال.

ابن إسحاق: خبرل.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمّد بن خالد أخبرنا داود بن سليمان أخبرنا عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يونس حدثنا خديج بن معاوية عن أبى إسحاق قال: وكان اسم الرجل الذى آمن من آل فرعون (حبيب).

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾: أى لأن ﴿يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ﴾: من العذاب.

وقال بعض أهل المعانى: أراد يصبكم كل الذى يعدكم.

والعرب تذكر البعض وتريد الكل، كقول لبيد:

تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها

أى كل النفوس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مشرك.

وقال السدى: قتّال.

﴿كَذَّابٌ﴾: على الله.

أخبرنا الإمام أبو منصور محمّد بن عبد الله الجمشاذى حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العبّاس بن محمّد الثورى حدثنا خالد بن مخلد القطوانى حدثنا سليمان بن بلال حدثنا هشام ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص قال: ما تؤول من رسول الله ﷺ شىء كان أشد من أن طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا: أنت الذى تنهانا عمّا كان يعبد آباؤنا؟

فقال: «أنا ذاك».

فقام أبو بكر رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ إلى آخر الآية رافع صوته بذلك، وعيناه تسفحان حتّى أرسلوه.

❖ ❖ ❖

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾: غالبين مستعلين على بنى إسرائيل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾: عذاب الله ﴿إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ﴾: من الرأى والنصيحة ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾: لنفسى.

وقال الضحاك: ما أعلمكم إلاّ ما أعلم نظيره ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ (النساء: ١٠٥). ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: مثل ما أصابهم من العذاب ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾.

قرأه العامة: بتخفيف الدال، بمعنى يوم ينادى المناد بالشقاوة والسعادة، إلا إن فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، إلا إن فلان ابن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا، وينادى الناس بعضهم بعضًا، وينادى أصحاب الأعراف، وأهل الجنّة أهل النار، وأهل النار أهل الجنّة، وينادى حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، وينادى كل قوم بأعمالهم. وقرأ الحسن: (التنادى) بتخفيف الدال وإثبات الياء على الأصل.

وقرأ ابن عبّاس والضحاك: بتشديد الدال، على معنى يوم التنافر، وذلك إذا ندّوا فى الأرض كما تند الإبل إذا شردت على أربابها.

قال الضحاك : وذلك إذا سمعوا زفير النار ندّوا هرابًا ، فلا يأتون قطرًا من الأقطار إلاّ وجدوا ملائكة صفوفًا ، فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه ، فذلك قوله : ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ وقوله تعالى : ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ﴾ (الرحمن : ٣٣) ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ (الحاقة : ١٧) .

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ : أى منصرفين عن موقف الحساب إلى النار .

وقال مجاهد : يعنى فارين غير معجزين .

﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ : ناصر يمنعكم من عذابه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ : ابن يعقوب (عليه السلام) ﴿مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ : أى من قبل موسى بالبينات .

قال وهب : إن فرعون موسى هو فرعون يوسف ، عمّر إلى زمن موسى . وقال الباقون : هو غيره .

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ : مشرك ﴿مُّرْتَابٌ﴾ : شاك ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا﴾ : أى كبر ذلك الجدال مقتًا كقوله : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ﴾ (الصف : ٣) و﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ (الكهف : ٥) ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ : يختم الله بالكفر ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ .

وقرأ أبو عمرو وابن عامر : (قلب) منونًا .

وقرأ الآخرون : بالإضافة .

واختاره أبو حاتم وأبو عبيد ، وفى قراءة ابن مسعود : (على قلب كل متكبر جبار) .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ : قصرًا . والصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعُد ، وأصله من التصريح وهو الإظهار .

﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ : أى طرقها وأبوابها ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ .

قرأه العامة : برفع العين نسقًا على قوله : (أبلغ) .

وقرأ حميد الأعرج : بنصب العين .

ومثله روى حفص عن عاصم على جواب (لعلّى) بالفاء .

وأنشد الفراء عن بعض العرب :

على صروف الدهر أو دولاتها يدلننا

اللمّة من لماتها فتستريح النفس من زفراتها

بنصب الحاء على جواب حرف التمني.

﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾: يعني موسى ﴿كَٰذِبًا﴾: فيما يقول: إن له ربًّا غيري أرسله إلينا ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾: خسار وضلال. نظيره: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ (المسد: ١).

❖ ❖ ❖

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا

كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ : طريق الصواب ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ : متعة وبلاغ ، تنتفعون بها مدة ثم تزول عنكم ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ : ينتفع بها .

وقال السدى : يعنى لا يستجيب لأحد فى الدُّنيا ولا فى الآخرة ، فكان معنى الكلام : ليست له استجابة دعوة .

وقال قتادة : ليست له دعوة مستجابة . وقيل : ليس له دعوة فى الدُّنيا ولا فى الآخرة إلاّ عبدوها ، لأن الأوثان لم تأمر بعبادتها فى الدُّنيا ، ولم تدع الربوبية وفى الآخرة تتبرأ من عابديها[1] ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ : مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ .

قال ابن عباس وقتادة : يعنى المشركين .

وقال مجاهد : هم السفّاكون الدماء بغير حقها .

وقال عكرمة : الجبارين المتكبرين .

﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡ﴾ : إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ : وذلك أنهم توعدوه لمخالفة دينهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ : عالم بأمورهم من المحق منهم ومن المبطل ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ .

قال قتادة : نجا مع موسى وكان قبطيًا .

﴿وَحَاقَ﴾ : نزل ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ : فى الدُّنيا الغرق وفى الآخرة النار وذلك قوله : ﴿ٱلنَّارُ﴾ : وهى رفع على البدل من السوء ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ﴾ : وأصل العرض إظهار الشيء .

قال قتادة : يعرضون عليها صباحًا ومساءً ، يقال لهم : يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخًا ونقمة وصغارًا لهم .

---

(١) فى الهامش : «عبادتها» .

وقال السدى وهذيل بن شرحبيل: هو أنهم لما هلكوا جُعلت أرواحهم فى أجواف طير سود، فهى تُعرض على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار حتى تقوم الساعة.

أخبرنى عقيل بن محمّد بن أحمد الجرجانى: أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمّد بن جرير حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير حدثنا حماد بن محمّد القارى[1] قال: سمعت الأوزاعى وسأله رجل فقال: يرحمك الله رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضًا فوجًا فوجًا، لا يعلم عددها إلا الله تعالى، فإذا كان العشى رجع مثلها سوداً.

قال: وفطنتم لذلك؟

قال: نعم.

قال: إن تلك الطيور فى حواصلها أزواج آل فرعون يعرضن على النار غدواً وعشيًا، فترجع إلى وكورها وقد احترقت رياشها وصارت سوداً[2]، فنبت عليها أرياش من الليل بيض وتناثر السود، ثم تغذو فيعرضون على النار غدواً وعشيًا ثم ترجع إلى وكورها، فذلك دأبهم فى الدُّنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

قال: وكانوا يقولون: إنهم ستمائة ألف مقاتل.

قال عكرمة ومحمد بن كعب: هذه الآية تدل على عذاب القبر، لأن الله تعالى ميّز عذاب الآخرة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ أدخلوا.

قرأ أهل المدينة والكوفة إلاّ أبا بكر ويعقوب: بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال.

وقرأ الباقون: بوصل الألف وضم الخاء من الدخول.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: فى الدُّنيا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: والتبع يكون واحداً وجمعًا.

وقال نحويو البصرة: وواحده تابع.

وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له، لأنه كالمصدر وجمعه أتباع.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾.

وقرأ ابن السميقع: (إنا كلاً فيه) بالنصب، جعلها تأكيداً[3] لـ (إنا).

---

(١) فى الهامش: «الفزارى».

(٢) فى الهامش: «شواء». وهذا خبر لا يعتد به حيث إن هذا من علوم الغيب ومتشابه القرآن ومما استأثر الله فلا يخاض فيه.

(٣) كذا فى المتن، وفى هامش المخطوط تعليق نصه: فى نسخة: جعلها نعتًا وتأكيداً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ إذا اشتد عليهم العذاب ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾ أنتم إذًا ربكم ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ لأنه لا ينفعهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس، بالغلبة. وقال الضحاك: بالحجة فى الدنيا، والعذر فى الآخرة. وقيل: بالانتقام من أعدائهم فى الدنيا والآخرة.

قال السدى: قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون فى الدنيا، وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التى تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله تعالى قومًا فينتصر لهم بأولئك الذين قتلوا منهم.

وقال بعضهم: أراد بقوله: ﴿رُسُلَنَا﴾ محمد ﷺ كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.

وقال أبو العالية: أراد أن الله تعالى يفلح حُجتهم فى الدنيا والآخرة.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ من الملائكة والأنبياء والمؤمنين.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ قرأ الكوفيون ونافع : بالتاء ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ البُعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ شر المنقلب.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على أذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ فى إظهارك وإهلاك أعدائك ﴿حَقٌّ﴾ وقال الكلبى: نسخت آية القتال الصبر[1] ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وصل بالشكر منك لربك ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ قال الحسن: يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ﴾ ما فى قلوبهم، والصدر موضع القلب فكنى به عن القلب لقرب الجوار، ولهذا قيل للموضع الشريف من المجلس: صدر. ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾ يتكبرون من أجله عن اتباعك وقبول الحق الذى أتيتهم به حسداً منهم وبغيًا. ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ يقول: الذى حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه لأن ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وليس بالتمنى.

قال مجاهد: معناه: إن فى صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغى تلك العظمة لأن الله تعالى مذلهم.

قال المفسرون: نزلت فى اليهود، وذلك أنهم قالوا للنبى ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود،

(١) كلام كثير كررته فى أمر الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء فيه ولا أرى هذه منسوخة.

يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله عز وجل[1]، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ثم قال: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من فتنة الدجال ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ۝ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى إعادتهم من بعد الموت. وقال أكثر المفسرين: يعنى من خلق الدجال ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعنى اليهود الذين يخاصمون المؤمنين فى أمر الدجال.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفى حدثنى موسى بن محمد بن على بن عبد الله، أخبرنا أبو شعيب الحَرَّانى[2] أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الأوزاعى أخبرنا قتادة أخبرنا شهر ابن حوشب حدثتنى أسماء بنت يزيد بن السكن - وهى بنت عم معاذ - قالت: أتى رسول الله ﷺ طائفة من أصحابه فذكروا الدجال، فقال رسول الله ﷺ: «إن قبل خروجه ثلاث سنين: أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية تمسك السماء ثلثى قطرها، وتمسك الأرض ثلثى نباتها، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها والأرض ما فيها، ويهلك كل ذات ضرس وظلف»[3].

وأخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا عمر بن الخطاب أخبرنا عبد الله بن الفضل بن داجرة أخبرنا أحمد بن وردان أخبرنا ضمرة بن ربيعة أخبرنا يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عمرو ابن عبد الله الحضرمى عن أبى أمامة قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، وكان أكثر خطبته أن يحدثنا عن الدجال، ويحذرنا، فكان من قوله: «يا أيها الناس إنه لم تكن فتنة فى الأرض أعظم من فتنة الدجال، وأن الله تعالى لم يبعث نبيًا إلا حذره أمته، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر

---

(١) كلام كثير فى نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدى، والدجال والجساسة وفى ذلك كتبٌ كثيرة بين مؤيدة ومعارضة فمن قائل: لا مهدى إلاّ عيسى، ومن قائل: إن عيسى عليه السلام قد بلغ رسالته كما بلغ غيره من الأنبياء وانتهى أمره ولا عودة له مرة أخرى كأصحابه من الأنبياء إلاّ يوم يجمع الله الرسل، ومن متكلم عن الدابة وفى تضعيف الأحاديث الواردة فيها، وعلى العموم فمعظم ما هو فى أمارات الساعة الكبرى ففيه نظر، والأولى ترك الخوض فيه لأنه فى غالب رواياته ضعف ووضع وكذب على الله ورسوله والمؤمن يؤمن أن الله مميت الخلق وباعثهم ومحاسبهم ومجازيهم بالإحسان إحسانًا وبالكفران عذاب النار، عافانا الله وإياكم من ذلك آمين وجعلنا وإياكم من المخلصين من المسلمين آمين.

(٢) كذا فى المتن: «الخراسانى» والتصويب من الهامش. وهو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب ولد سنة (٢٠٦) وتوفى سنة (٢٩٥)، وقيل عاش مائة وعشرين سنة.

(٣) هذا الحديث أخرجه أحمد فى مسنده (٦/ ٥٠٣) عن جرير بن حازم عن قتادة، ومما قيل فى ترجمته هو مستقيم الحديث صالح فيه إلا روايته عن قتادة فإنه يروى عنه أشياء لا يرويها غيره. وقيل أيضًا كان كثير الغلط، وقيل أيضًا اختلط بآخره. والحديث فى مسند أحمد بأتم مما هنا.

الأمم، فهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيج كل مسلم وإن يخرج بعدى فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، إنه يخرج بين حلتين بين العراق والشام، فيبعث يمينًا وشمالاً، فيا عباد الله أنيبوا، فإنه يبدأ فيقول أنا نبى، ولا نبى بعدى، ثم يثنى فيقول أنا ربكم، فلن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وليس ربكم بأعور وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتفل فى وجهه، وإن من فتنته أن معه نارًا وجنة فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلى بناره فليقرأ بفواتح سورة الكهف، ويستغيث بالله فتكون عليه بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم عليه السلام، وإن من فتنته أن معه شياطين تتمثل على صورة الناس فيأتى الأعرابى فيقول: إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أنى ربك؟ فيقول: نعم، فتتمثل له شياطينه على صورة أبيه وأمه، فيقولان يا بنى اتبعه فإنه ربك، ومن فتنته أنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها، فيقول لها: من ربك؟ فيقول: ربى الله، وأنت الدجال عدو الله، ولن تعود لها بعد ذلك ولن يصنع ذلك بنفس غيرها، فيقول: انظروا إلى عبدى هذا، فإنى بعثته الآن ويزعم أن له ربًا غيرى».

قال ضمرة: وسمعت أن النفس التى يُسلط عليها إلياس عليه السلام.

وقال ضمرة: وسمعت مقاتل بن سليمان يقول: الرجل الذى يسلط عليه الدجال رجل من خثعم فيبعثه الله، فيقول: من ربك؟ فيقول ربى الله، وأنت الدجال عدو الله.

وإن من فتنته أن يقول للأعرابى: أرأيت إن بعثت لك إبلك أتشهد أنى ربك؟ فيقول: نعم، فتتمثل له الشياطين على صورة إبله.

وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت.

وإن من فتنته أن يمر بالحى فيكذبوه فلا تبقى له سائمة إلا هلكت، ويمر بالحى فيصدقوه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، فتروح لهم مواشيهم من يومهم ذلك أعظم ما كانت وأسمنه وأمده خواصر، وأدره ضروعًا.

وإن أيامه أربعون يومًا، فيوم كالسنة ويوم دون ذلك، ويوم كالشهر، ويوم دون ذلك، ويوم كالجمعة، ويوم دون ذلك، ويوم كاليوم، ويوم دون ذلك، وآخر أيامه كالشررة فى الحديدة فيصبح الرجل بباب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى تغرب الشمس.

فقالوا: يا رسول الله كيف نصلى فى تلك الأيام القصار؟ قال: «تقدرون فيها كما تقدرون فى هذه الأيام الطوال، ثم تصلون، أنه لا يبقى شىء من الأرض إلا وطئه وغلب عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيه ملك مسلط السيف حتى ينزل الضريب

الأحمر عند مجتمع السيول عند منقطع السبخة، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، تنفى المدينة يومئذ الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد، يدعى ذلك اليوم يوم الخلاص».

قالت أم شريك: يا رسول الله أين الناس يومئذ؟ قال: «ببيت المقدس، ثم يخرج حتى يحاصرهم، وإمام الناس يومئذ رجل صالح، فيقول له: صل الصبح، فإذا كبَّر ودخل فى الصلاة نزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فإذا رآه ذلك الرجل عرفه، فرجع يمشى القهقرى فيتقدم عيسى عليه السلام فيضع يده بين كتفيه فيقول: صلِّ فإنما أقيمت لك الصلاة، فيصلى عيسى عليه السلام وراءه، ثم يقول: افتحوا الباب فيفتحون الباب، ومع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودى كلهم ذوو سلاح وسيف محلى فإذا نظر إلى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الرصاص فى النار أو الملح فى الماء، ثم يخرج هؤلاء فيقول عيسى عليه السلام فيقول: إن لى فيك ضربة لن تفوتنى فيدركه عند باب لُدّ الشرقى فلا يبقى شىء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء ولا شجر ولا حجر، ولا دابة إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا كافر فاقتله إلا الغرقد فإنها من شجرهم، فلا تنطق فيكون عيسى عليه السلام حكمًا عدلاً وإمامًا مقسطًا، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة ولا يسعى على شاة ولا بقرة، ترفع الشحناء والتباغض وتنزع حُمة كل دابة حتى يُدخل الوليد يده فى الحنش فلا يضره، ويلقى الوليد الأسد فلا يضره، ويكون فى الإبل كأنه كلبها، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من الإسلام ويسلب الكفار ملكهم، ولا يكون الملْك إلا للإسلام، وتكون الأرض كصفا تور الفضة تنبت نباتها كما كانت على عهد آدم عليه السلام ويجتمع النفر على الرمانة، وتكون الفرس بالدريهمات، ويكون الثور بالدراهم الكثيرة»[1].

وأخبرنى ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا المسوحى أخبرنا سهل بن عثمان أخبرنا ابن أبى زائدة، وعبد الرحمن عن مجالد عن الشعبى قال: كنية الدَّجال أبو يوسف.

❖ ❖ ❖

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ

---

(١) أخرج هذا الحديث ابن خزيمة، والحاكم، ابن ماجه فى سننه (٤٠٧٧) وفى إسناده هذا ممن لم أقف لهم على ترجمة.

رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾»

«وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ» : بالتاء أهل الكوفة وغيرهم: بالياء.

واختاره أبو عبيد قال: لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم.

«إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ» : لجائية «لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ» : بها «وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ» : أي وحدوني واعبدوني دون غيري أجبكم وآجركم وأثبكم وأغفر لكم، هذا قول أكثر المفسرين. يدل عليه سياق الآية.

وقال بعضهم: هو الذكر والدعاء والسؤال.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا محمّد بن الحسن حدثنا أبو بكر بن أبي الخصيب حدثني عثمان بن

خرداد حدثنا قطر بن بشير حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلها حتّى شسع نعله إذا انقطع».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾: توحيدى وطاعتى، عن أكثر المفسرين.

وقال السدى: عن دعائى.

أخبرنا عقيل بن محمد أبو المعافى بن زكريا أخبرنا محمد بن جرير حدثنا محمّد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن منصور والأعمش عن ذر عن سبع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة ـ ثم تلا هذه الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾: عن دعائى.

وبإسناده عن ابن جرير حدثنى يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشام بن القاسم عن الأشجع قال: قيل لسفيان: ادع الله. قال: إن ترك الذنوب هو الدعاء ﴿سَيَدۡخُلُونَ﴾.

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو حاتم: بضم الياء وفتح الخاء.

واختلف فيه عن أبى عمرو وعاصم، وقرأ غيرهم ضده.

﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: صاغرين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۝ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝ كَذَٰلِكَ﴾: كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل، كذلك ﴿يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾. قرأه العامة: بضم الصاد. وقرأ أبو رزين العقيلى: وأحسن صوركم بكسر الصاد، وهى لغة.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: قال الفراء: هو خبر وفيه إضمار الأمر، مجازه: فادعوه واحمدوه.

أخبرنى عقيل إجازة أخبرنا المعافى أخبرنا محمد بن جرير أخبرنا محمد بن على بن الحسن ابن شقيق قال: سمعت أبى أخبرنا الحسين بن واقد أخبرنا الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال: لا إله إلا الله، فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: وذلك حين دُعى إلى الكفر فأمر أن يقول هذا.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾: أى أطفالا، نظيره ﴿أَوِ

﴿ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ (النور: ٣١).

﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ﴾: قرأ نافع[1] وأبو عمرو وحفص وهشام بضم الشين، (وقرأ)[2] الباقون بكسرها ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾: أن يصير شيخًا ﴿وَلِتَبۡلُغُوٓاْ﴾: جميعًا ﴿أَجَلٗا مُّسَمّٗى﴾: وقتًا محدودًا لا تجاوزونه ولا تسبقونه ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: ذلك فتعرفوا أن لا إله غيره فعل ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ﴾.

قال ابن زيد: هم المشركون.

وقال أكثر المفسرين: نزلت فى القدريّة.

أخبرنى عقيل بن محمّد إجازة أخبرنا المعافى بن زكريا أخبرنا محمّد بن جرير أخبرنا محمّد ابن بشار ومحمّد بن المثنى حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن داود بن أبى هند عن محمد بن سيرين قال: إن لم تكن هذه الآية نزلت فى القدريّة فأنا لا أدرى فيمن نزلت. ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ﴾: إلى قوله: ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ إلى آخر الآية.

وبه عن ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى مالك بن أبى الخير الزيادى عن أبى قبيل عن عقبة بن عامر الجهنى: أن رسول الله ﷺ قال: «سيهلك من أمتى أهل الكتاب وأهل اللين».

فقال عقبة: يا رسول الله وما أهل الكتاب؟

قال: «قوم يتعلمون كتاب الله يجادلون الذين آمنوا».

فقال: وما أهل اللين؟ فقال: «قوم يتبعون الشهوات ويضيّعون الصلوات».

قال أبو قتيل: لا أحسب المكذبين بالقدر إلاّ الذين يجادلون الذين آمنوا، وأما أهل اللين فلا أحسبهم إلاّ أهل العمود ليس عليهم إمام جماعة ولا يعرفون شهر رمضان.

قال محمد بن جرير: أهل العمود الحى العظيم.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى حدثنا ابن حبش المقرئ حدثنا ابن فنجويه حدثنا سلمة حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن التيمى عن أبيه قال: لو أن غلاً من أغلال جهنّم وضع على جبل

---

(١) كتب فى متن المخطوط فوق كلمة «نافع» «مقدم» ووضع سهمًا منها إلى ما قبل كلمة: «قرأ». والمراد: أنه كان فى المخطوط الذى نسخ هذا منه: «نافع قرأ» فعل الناسخ العبارة على ما هو مرسوم هنا.

(٢) زيادة يتطلبها السياق تركها المؤلف اختصاراً.

لوهصه حتّى يبلغ الماء الأسود.

﴿وَٱلسَّلَـٰسِلُ﴾ قرأه العامة: بالرفع، عطفًا على الأغلال.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى حدثنا أبو على بن حبش المقرئ حدثنا أبو القاسم بن الفضل حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن على حدثنى أبى عن هارون عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿وَٱلسَّلَـٰسِلَ يُسۡحَبُونَ ۝ فِى ٱلۡحَمِيمِ﴾ بنصب اللام والياء. يقول: إذا كانوا يسحبونها كان أشد عليهم.

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا محمد بن على بن الحسن الصوفى حدثنا عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوى حدثنى جدى حدثنى منصور بن عمار حدثنا بشر بن طلحة عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منبه رفعه قال: ينشئ الله تعالى لأهل النار سحابة سوداء مظلمة فيقال يا أهل النار ما تشتهون؟

فيسألون بارد الشراب. فتمطرهم أغلالاً تزيد فى أغلالهم وسلاسل تزيد فى سلاسلهم وجمرًا يلتهب النار عليه.

﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾: أى توقد بهم النار.

قال مجاهد: يصيرون وقودًا للنار.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾: يعنى الأصنام ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾: فلا نراهم ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـًٔاۚ﴾: أنكروا. وقيل: جهلوا.

وقال بعضهم: فيه إضمار، أى لم نكن ندعو من قبل شيئًا ببصر وبسمع وبضر وبنفع.

وقال الحسين بن الفضل: يعنى لم نكن نصنع من قبل شيئًا، أى ضاعت عبادتنا لها فلم نكن نصنع شيئًا.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾.



﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ۝ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ۝ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ

ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾: تبطرون وتأمرون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تفخرون وتختالون وتنشطون ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب فى حياتك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل أن يحل بهم ذلك ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾: خبرهم فى القرآن ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾: تحق له العبادة هو الذى ﴿جَعَلَ﴾: خلق ﴿لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾: فى أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾: تحمل أثقالكم فى أسفاركم من بلد إلى بلد ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: نظيره ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ (الإسراء: ٧٠).

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يعنى مصانعهم وقصورهم ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾: أى لم ينفعهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: وقيل: هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أى شىء أغنى عنهم كسبهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟﴾: يعنى الأمم ﴿بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾.

قال مجاهد: قولهم نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث، وقيل: أشروا بما عندهم من العلم، بما كان عندهم أنه علم وهو جهل.

وقال الضحاك: رضوا بالشرك الذى كانوا عليه.

وقال بعضهم: هو الفرح راجع إلى الرسل يعنى فرح الرسل بما عندهم من العلم بنجاتهم وهلاك أعدائهم.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ : أى تبرأنا مما كنا نعدل بالله ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ : عذابنا ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى﴾ : فى نصبها ثلاثة أوجه أحدها: بنزع الخافض أى كسنّة الله.

والثانى: على المصدر، لأن العرب تقول سنّ يسنُّ سنًا وسنّة.

والثالث: على التحذير والإغراء، أى احذروا سنّة الله كقوله: (ناقة الله وسنّة الله).

﴿قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ : وهى أنهم إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ : بذهاب الدارين.



سُورَةُ فُصِّلَتْ
(حم السجدة)

مكّية، وهى أربع وخمسون آية، وسبعمائة وست وتسعون كلمة، وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفًا

قال أُبىّ بن كعب: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ (حم) السجدة أُعطى من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ﴾: بينت ﴿ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾: ولو كان غير عربى لما علموه. وفى نصب القرآن وجوه:

أحدها: إنّه شغل الفعل علامات حتّى صارت بمنزلة الفاعل، فنصب القرآن وقوع البيان عليه.

والثانى: على المدح.

والثالث: على إعادة الفعل، أى فصّلنا قرآنًا.

والرابع: على إضمار فعل، أى ذكرنا قرآنًا.

والخامس: على الحال.

والسادس: على القطع.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: نعتان للقرآن ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: أى لا يسمعونه ولا يصغون إليه ﴿وَقَالُوا﴾: يعنى مشركى مكّة ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾: أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: فلا نفقه ما يقول، قال مجاهد: كالجعبة للنبل ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾: فلا نسمع ما يقول، وإنّما قالوا ذلك ليؤيّسوه من قبولهم لدينه وهو على التمثيل. ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: خلاف فى الدين، فجعل خلافهم ذلك ساترًا وحاجزًا لا يجتمعون ولا يوافقون من أجله ولا يرى بعضهم بعضًا. ﴿فَاعْمَلْ﴾: بما يقتضيه دينك. ﴿إِنَّنَا[1] عَامِلُونَ﴾: بما يقتضيه ديننا. قال مقاتل: فاعبد أنت إلهك، وإنا عابدون آلهتنا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: قال الحسن: عَلَّمَهُ الله التواضع ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: وجهوا وجوهكم إليه بالطاعة والإخلاص ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: من ذنوبكم التى سلفت. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: قال ابن عباس: لا يشهدون لا إله إلاّ الله وهى زكاة الأنفس، وقال الحسن وقتادة: لا يقرّون بالزكاة ولا يؤمنون بها، ولا يرون إيتاءها واجبًا، وقال الضحاك ومقاتل: لا يتصدقون ولا ينفقون فى الطاعة.

وكان يقال: الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك، وقد كان أهل الردة بعد النبى ﷺ، قالوا: أما الصلاة فنصلى، وأما الزّكاة فوالله لا تغصب أموالنا.

وقال أبو بكر رضى الله عنه: والله لا أفرق بين شىء جمع الله تعالى بينه والله لو منعونى عقالاً ممّا فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه.

وقال مجاهد والربيع: يعنى لا يزكون أعمالهم، وقال الفراء: هو أنّ قريشًا كانت تطعم الحاج، فحرموا ذلك على من آمن بمحمّد ﷺ. ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال ابن عباس: غير مقطوع. مقاتل: غير منقوص، ومنه المنون لأنّه ينقص منه الإنسان أى قوته. مجاهد: غير محسوب، وقيل: غير ممنون به. قال السدى: نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم

---

(١) فى المخطوط: «فإننا» وهو سهو من الناسخ.

الأجر كأصح ما كانوا يعلمون منه[١].

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ : الأحد والاثنين[٢]. ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ : أى فى الأرض بما خلق فيها من المنافع، قال السدى: أنبت شجرها. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ : قال الحسن والسدى: يعنى أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم، وقال مجاهد وقتادة: وخلق فيها بحارها، وأنهارها، وأشجارها، ودوابها فى يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، روى ابن نجيح عن مجاهد، قال: هو المطر.

قال عكرمة والضحاك: يعنى وقدر فى كل بلدة منها، ما لم يجعله فى الأخرى، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد، فالسابرى من سابور، والطيالسة من الرى، والحِبَرَة[٣] اليمانية من اليمن، وهى رواية حصين، عن مجاهد.

وروى حيان، عن الكلبى، قال: الخبز لأهل قطر، والتمر لأهل قطر، والذرة لأهل قطر، والسمك لأهل قطر، وكذلك أقواتها[٤].

﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ : يعنى أن هذا مع الأول أربعة أيام، كما يقول: تزوجت أمس امرأة واليوم اثنتين وأحدهما الّتى تزوجتها أمس، ويقال: أتيت واسط فى خمسة والبصرة فى عشرة، فالخمسة من جملة العشرة. فرد الله سبحانه الآخر على الأوّل، وأجمله فى الذكر.

﴿سَوَاءً﴾ : رفعه أبو جعفر على الابتداء، أى هى سواءٌ، وخفضه الحسن ويعقوب على نعت قوله: فى أربعة أيّام، ونصبه الباقون على المصدر، أى استوت استواءً، وقيل: على الحال والقطع، ومعنى الآية: سواءً. ﴿لِّلسَّائِلِينَ﴾ : عن ذلك، قال قتادة والسدى: من سأله عنه، فهكذا الأمر، وقيل: للسائلين الله حوائجهم.

قال ابن زيد: قدر ذلك على قدر مسائلهم، لأنّه لا يكون من مسائلهم شىء إلاّ قد علمه قبل أن يكون.

قال أهل المعانى: معناه سواءً للسائلين وغير السائلين، يعنى أنّه بيّن أمر خلق الأرض وما

---

(١) فى متن المخطوط كتب: «فيه» وفوقها «منه» فأبدلت بالمناسب للسياق.

(٢) هذا قول ليس عليه دليل من أثارة من آثار العلم التى طلبنا الله أن نطالب بها كل مدع، ومن أوضح الدلالات على أن هذا التأويل غير دقيق أن الأيام لم تكن إذ ذاك مسماة، ثم إن يومًا عند ربك غيرهُ عندنا نحن ولم تستقر الأيام التى نعرفها نحن البشر بأطوالها فى ساعات الليل والنهار إلا بعد ذلك بأمد بعيد. والله أعلم.

(٣) فى هامش المخطوط: الحِبَر اليمانية.

(٤) فى المخطوط: «أخرَاتها». وهو تحريف.

فيها لمن سأل ومن لم[1] يسأل، ويعطى من سأل ومن لم يسأل.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ : أى عمد إلى خلق السماء وقصد تسويتها، والاستواء من صفة الأفعال على أكثر الأقوال، يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ : بخار الماء. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ : أى جيئا بما خلقت فيكما من المنافع، وأخرجاها، وأظهراها بمصالح خلقى. قال ابن عباس: قال الله تعالى للسّموات: أطلعى شمسك وقمرك ونجومك، وقال للأرض: شقى أنهارك وأخرجى ثمارك.

﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ : ولم يقل طائعتين، لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن، مجازه: أتينا بمن فينا طائعين، فلمّا وصفهما بالقول أخرجهما فى الجمع مجرى ما يعقل، وبلغنا أنّ بعض الأنبياء، قال: يا ربّ لو أنّ السموات والأرض حين قلت لهما ائتيا طوعًا أو كرهًا عصيناك، ما كنت صانعًا بهما؟ قال: كنت آمر دابة من دوابى فتبتلعهما. قال: وأين تلك الدابة؟ قال: فى مرج من مروجى. قال: وأين ذلك المرج؟ قال: فى علم من علمى[2].

وقرأ ابن عباس: أئتيا وآتينا بالمد، أى أعطينا الطاعة من أنفسكما. قالتا: أعطينا.



﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ

(١) فى المتن: «لا» والتصويب من الهامش.

(٢) ليس لهذا الخبر إسناد فلا يقبل وكذا كل ما كان على شاكلته بإسناد غير صحيح.

سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾: أى أتمهنّ وفرغ من خلقهنّ ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾: قال قتادة والسدى: يعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها، وخلق فى كلّ سماء خلقها من الملائكة والخلق الّذى فيها من البحار وجبال البرد، وما لا يُعلم، وقيل: معناه وأوحى إلى أهل كلّ ساء من الأمر والنهى ما أراد.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾: كواكب. ﴿وَحِفْظًا﴾: لها من الشياطين الّذين يسترقون السمع، ونصب حفظًا على المعنى، كأنه جعلها[1] زينة وحفظًا، وقيل: معناه: وحفظًا زيّنّاها ـ على توهم سقوط الواو ـ أى وزيّنا السماء الدّنيا بمصابيح حفظًا لها، وقيل: معناه وحفظها حفظًا.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾: يعنى هؤلاء المشركين، ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾: خوفتكم. ﴿صَـٰعِقَةً﴾: وقيعة وعقوبة ﴿مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ﴾: يعنى عادًا وثمودًا ﴿ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: يعنى قبلهم وبعدهم.

وأراد بقوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: الرّسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم ومن خلفهم، يعنى من بعد الرّسل الذين أرسلوا إلى آبائهم، وهو الرسول الذى أرسل إليهم، هود وصالح (عليهما السلام)، والكناية فى قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ راجعة إلى عاد وثمود، وفى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ راجعة إلى الرسل.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً﴾: بدل هؤلاء الرّسل ملائكة. ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصبهانى، قرأه عليه فى شوال سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العبيدى، حدثنا أحمد بن نجدة بن العُرْيان، حدثنا الجمانى حدثنا ابن فضيل، عن الأجلح بن الذيال بن حرملة، عن جابر بن عبد الله، قال: قال الملأ من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا أمر محمّد، فلو التمستم رجلاً عالمًا بالشعر والكهانة والسحر، فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيع: والله لقد سمعت بالشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علمًا، وما يخفى علىَّ إن كان ذلك. فأتاه، فلما خرج إليه، قال: يا محمّد، أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير

---

(١) فى متن المخطوط: «وحفظًا زيناها». والتصويب من الهامش.

أم عبد الله؟ فبم تشتم آلهتنا، ونضلك إيانا، فإن تتمنى الرئاسة[١] عقدنا لك ألويتنا، فكنت رئيسنا ما بقيت، وإن كانت بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أى أبيات قريش، وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى أنت وعقبك من بعدك، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ، قرأ رسول الله عليه السلام: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ...﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فأخذ[٢] عتبة على فيه و(قال)[٣] ناشده بالرحم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، فاحتبس عنهم عتبة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلاّ قد صبأ إلى محمّد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلاّ من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه.

فأتاه أبو جهل فقال: والله يا عتبة، ما حبسك عنّا إلاّ إنّك صبوت إلى محمّد، وأعجبك طعامه، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمّد. فغضب عتبة وأقسم ألاّ يكلم محمّدًا أبدًا، وقال: والله لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالا، ولكنى أتيته وقصصت عليه القصة، فأجابنى بشىء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر. ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ...﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾: فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أنّ محمّدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب.

﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾: يعنى قوم هود. ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: وذلك أنّهم كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: أى باردة شديدة الصوت والهبوب وأصله من الصرير، فضوعف كما يقال: نهنهت وكفكفت، وقد قيل: إنّ النهر الّذى يسمّى صرصرًا إنّما سمى بذلك لصوت الماء الجارى فيه.

﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾: متتابعات شديدات نكدات مشؤومات عليهم ليس فيها من الخير شىء، وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء، (وقرأ)[٤] غيرهم بجزمه.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا الحسن بن على، حدثنا

---

(١) فى هامش المخطوط ذكر العبارة على النحو التالى: إنما بك الرئاسة.

(٢) فى هامش المخطوط: «فأمسك».

(٣) زيادة يتطلبها السياق.

(٤) زيادة يتطلبها السياق تركها المؤلف اختصارًا.

إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، حدثنا مقاتل عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، قال: أمسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر، وبه عن مقاتل، عن إبراهيم التيمي وعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: إذا أراد الله بقوم خيراً، أرسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح، وإذا أراد الله بقوم شراً حبس عنهم المطر، وأرسل عليهم كثرة الرياح.

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾: لهم وأشد إذلالاً وإهانة. ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝ وَأَمَّا ثَمُودُ﴾: قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب (ثمودٌ) بالرفع والتنوين، وكانا يجران ثموداً في القرآن كله إلاّ قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ (الإسراء: ٥٩)، فإنهما كانا لا يجرانه ههنا من أجل أنّه مكتوب في المصحف ههنا بغير ألف، وقرأ ابن أبي إسحاق ﴿وَأَمَّا ثَمُودَ﴾: منصوباً غير منون، وقرأ الباقون مرفوعاً غير منون.

﴿فَهَدَيْنَـٰهُمْ﴾: دعوناهم وبيّنا لهم. ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: فاختاروا الكفر على الإيمان. ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ﴾: مهلكة. ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾: أي الهوان، ومجازه: ذي هون. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ وَيَوْمَ يُحْشَرُ﴾: يبعث ويجمع، وقرأ نافع ويعقوب: (نحشر): بنون مفتوحة وضم الشين. ﴿أَعْدَآءَ ٱللَّهِ﴾: نصباً. ﴿إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يساقون ويدفعون إلى النّار، وقال قتادة والسدي: يحبس أولهم على آخرهم. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾: أي بشراتهم. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: وقال السدي وعبيد الله بن أبي جعفر: أراد بالجلود الفروج.

• أنشد بعض الأدباء لعامر بن جوين:

المرء يسعى للسلامة والسلامة حسبه ... أو سالم من قد تثنى جلده وابيض رأسه

وقال: جلده كناية عن فرجه.

❖ ❖ ❖

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا

هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾: يعني الكفّار الذين يحشرون إلى النّار. ﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: حدثنا عقيل بن محمّد: أنّ أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمّد بن جرير، حدثنا أحمد بن حازم الغفاري، أخبرنا علي بن قادم الفزاري، أخبرنا شريك، عن عبيد المكيت، عن الشعبي، عن أنس، قال: ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال: «ألاّ تسألوني ممّ ضحكت».

قالوا: مم ضحكت يا رسول الله؟

قال: «عجبت من مجادلة العبد ربّه يوم القيامة، قال: يقول يا ربّ أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ قال: فإنّ لك ذاك. قال: فإنّي لا أقبل عليّ شاهداً، إلاّ من نفسي. قال: أوَ ليس كفى بي شهيداً، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال: فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل».

قال: «فيقول لهنّ بُعداً لكُنّ وسحقًا عنكنّ كنت أجادل».

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾: أي تستخفون في قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: تتقون. قتادة: تظنون. ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أخبرنا الحسين بن محمد ابن فنجويه، حدثنا هارون بن محمد بن هارون وعبد الله بن عبد الرحمن الوراق، قالا: حدثنا

محمد بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن كثير وأبو حذيفة، قالا: حدثنا سفيان عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن وهب بن ربيعة، عن ابن مسعود قال: إنّى لمستتر بأستار الكعبة، إذ جاء ثلاثة نفر، ثقفى وختناه قريشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقههم، فحدَّثوا الحديث بينهم، فقال أحدهم: أترى يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إذا رفعنا يسمع، وإذا خفضنا لم يسمع، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا رفعنا فإنّه يسمع إذا خفضنا. فأتيت النبى ﷺ، فذكرت له ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: والثقفى عبد ياليل وختناه القريشيان ربيعة وصفوان بن أمية. ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾: أهلككم. ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: قال قتادة: الظنّ ههنا بمعنى العلم، وقال النبى ﷺ: «لا يموتنّ أحدكم، إلاّ وهو يحسن الظنّ بالله، وإنّ قومًا أساءوا الظن بربّهم فأهلكهم» فذلك قوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم﴾ . . . الآية.

أخبرنا الحسين بن محمّد بن فنجويه الدينورى، حدثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى، حدثنا عبد الله بن العباس الطيالسى، حدثنا أحمد بن حفص، حدثنا أبى، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن أبى الزناد عن الأعرج، عن أبى هريرة، قال: قال: رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى».

وقال قتادة: من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظنّ بربّه فليفعل، فإنّ الظنّ اثنان: ظنّ ينجى، وظنّ يردى، وقال محمّد بن حازم الباهلى:

الحسن الظنّ مستريح	يهتم من ظنّه قبيح
من روح الله عنه هبّت	من كلّ وجه عليه[1] ريح
لم يمت المرء عن سخاء	وإنّما يهلك الشحيح

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾: يسترضوا ويطلبوا العتبى. ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾: المرضيين، والمعتّب الذى قُبل عتابه وأجيب إلى ما يسأل، وقرأ عبيد بن عمير (تُستعتبوا): على لفظ المجهول (فما هم من المعتبين): بكسر التاء، يعنى إن سألوا أن يعملوا ما يرضون به ربّهم ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾: أى ما هم بقادرين على إرضاء ربّهم لأنهم فارقوا دار العمل.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾: سلّطنا وبعثنا ووكلنا. ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾: نظراء من الشياطين. ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من أمر الدّنيا حتّى آثروه على الآخرة. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من أمر الآخرة، فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث.

---

(١) كتب فوقها فى المخطوط: إليه.

﴿وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ﴾ : مع أمم. ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ : من مشركى قريش. ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ : قال ابن عباس: يعنى والغطوا فيه، كان بعضهم يوصى إلى بعض، إذا رأيتم محمداً يقرأ، فعارضوه بالزجر والابتعاد.

مجاهد: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ : بالمكاء والصفير وتخليط فى المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ.

قال الضحاك: أكثروا الكلام فيختلط عليه القول.

السدى: صيحوا فى وجهه.

مقاتل: ارفعوا أصواتكم بالأشعار والكلام فى وجوههم حتى تلبسوا عليهم قولهم، فيسكتوا.

أبو العالية: قعوا فيه وعيبوه.

وقرأ عيسى بن عمرو (والغُوا فيه) : بضم الغين. قال الأخفش: فتح الغين، كان من لغا يلغا مثل طغا يطغا، ومن ضم الغين كان من لغا يلغو مثل دعا يدعو.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ : محمّداً على قراءته.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ﴾ : أقبح. ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ : فى الدّنيا. ﴿ذَٰلِكَ﴾ : الذى ذكرت. ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ : ثم بين ذلك الجزاء ما هو، فقال: ﴿ٱلنَّارُۖ﴾ : أى هو النّار. ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ : فقد ذكر أنّها فى قراءة ابن عباس ذلك جزاء أعداء الله النّار دار الخلد، ترجم بالدار عن النّار، وهو مجاز الآية.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ : وهو إبليس الأبالسة. ﴿وَٱلۡإِنسِ﴾ : وهو ابن آدم الذى قتل أخاه. ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ : فى النار. ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ : فى الدرك الأسفل لأنهما سنا المعصية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ : أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى بقراءتى عليه، حدثنا الفضل الكندى، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الزيدى[1] العسكرى، حدثنا عمرو بن على، حدثنا أبو قتيبة سلمة بن قتيبة، حدثنا سهل بن أبى حزم عن ثابت عن أنس عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ قال: من مات عليها، فهو ممّن استقام.

أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى بقراءتى عليه، حدثنا عبيد بن محمد بن شنبة، حدثنا جعفر ابن الفريابى، حدثنا محمد بن الحسن البلخى، أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا سفيان، عن

(١) فى الهامش: «الزينبى».

أبى إسحاق، عن عامر بن سعد، عن سعيد بن عمران[١]، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ قال: لم يشركوا بالله شيئًا.

أخبرنا ابن فنجويه الثقفى، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنى أبى، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس، عن الزهرى أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال وهو يخطب الناس على المنبر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ فقالوا: استقاموا على طريقة الله بطاعته، ثمّ لم يروغوا روغان الثعالب، وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه: يعنى أخلصوا العمل لله، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: أدُّوا الفرائض. ابن عباس استقاموا على أداء فرائضه.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا محمد بن موسى الحلوانى، حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور، حدثنا مسكين أبو فاطمة عن شهر بن حوشب، قال: قال الحسن: وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ فقال: استقاموا على أمر الله تعالى، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته، مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، حتّى لحقوا به، قتادة وابن يزيد: استقاموا على عبادة الله وطاعته، ابن سيرين: لم يعوجّوا، سفيان الثورى: عملوا على وفاق ما قالوا. مقاتل بن حيان: استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا. مقاتل بن سليمان: استقاموا على أنّ الله ربّهم. ربيع: أعرضوا عما سوى الله تعالى: فضيل بن عياض: زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية: بعضهم: استقاموا إسرارًا كما استقاموا إقرار، وقيل: استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً. روى ثابت عن أنس أنّ النبى ﷺ، قال لما نزلت هذه الآية: «أمتى وربّ الكعبة».

أخبرنا الحسن بن محمد الثقفى، حدثنا الفضل بن الفضل الكندى وأحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم السنى، قالا: حدثنا أبو خليفة الفضل بن حيان الجمحى، حدثنا أبو الوليد الطيالسى، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهرى، عن محمد بن عبد الرحمن بن مَاعِنْ[٢]، عن سفيان بن عبد الله الثقفى. قال: قلت: يا رسول الله أخبرنى بأمر أعتصم به، فقال: «قل ربّى الله ثم استقم» فقلت[٣]: ما أخوف ما تخاف علىّ؟.

فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه، وقال: «هذا».

---

(١) فى هامش المخطوط: «نمران».

(٢) فى هامش المخطوط: «ماعز».

(٣) فى هامش المخطوط: «ما قلت».

وروى أن وفداً أقدموا على النبي ﷺ، فقرأ عليهم القرآن، ثمّ بكى، فقالوا: أمن خوف الذى بعثك تبكى؟ قال: «نعم، إنى قد بعثت على طريق مثل حد السيف، إن استقمت نجوت، وإن زغت عنه هلكت».

وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية، قال: اللّهم أنت ربّنا فارزقنا الاستقامة.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: قال قتادة: إذا قاموا من قبورهم. قال وكيع بن الجراح البسرى: تكون فى ثلاثة مواطن: عند الموت، وفى القبر، وفى البعث، ألاّ يخافوا ولا يحزنوا. قال أبو العالية: لا تخافوا على صنيعكم ولا تحزنوا على مخلفكم. مجاهد: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم فى دنياكم من أهل وولد وشىء، فإنّا نخلفكم فى ذلك كله. السدى: لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما بعدكم. عطاء بن رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم، فإنّى أغفرها لكم.

وقال أهل اللسان فى هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: بالوفاء على ترك الجفاء ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: بالرضا أن لا تخافوا من العناء ولا تحزنوا على الفناء، وأبشروا بالبقاء مع الّذين كنتم توعدون من اللقاء.

(وقيل)[١]: لا تخافوا فلا خوف على أهل الاستقامة، ولا تحزنوا فإن لكم أنواع الكرامة، وأبشروا بالجنّة التى هى دار السلامة.

(وقيل)[١]: لا تخافوا فعلى دين الله استقمتم، ولا تحزنوا فبحبل الله اعتصمتم، وأبشروا بالجنّة وإن ارتبتم وأُحزنتم.

(وقيل)[١]: لا تخافوا فطالما رهبتم، ولا تحزنوا فقد نلتم ما طلبتم، وأبشروا بالجنّة التى فيها رغبتم.

(وقيل)[١]: لا تخافوا فأنتم أهل الإيمان، ولا تحزنوا فأنتم أهل الغفران، وأبشروا بالجنّة التى هى دار الرضوان.

(وقيل)[١]: لا تخافوا فأنتم أهل الشهادة، ولا تحزنوا فأنتم أهل السعادة، وأبشروا بالجنّة التى هى دار الزيادة.

(وقيل)[١]: لا تخافوا فأنتم أهل النوال، ولا تحزنوا فأنتم أهل الوصال، وأبشروا بالجنّة التى هى دار الجلال.

---

(١) زيادة يتطلبها السياق وربما كان المؤلف تركها اختصاراً.

(وقيل)[١] : لا تخافوا فقد أمنتم الثبور ولا تحزنوا فقد آن لكم الحبور وأبشروا بالجنّة التى هى دار السرور.

(وقيل)[١] : لا تخافوا فسعيكم مشكور ولا تحزنوا فذنبكم مغفور، وأبشروا بالجنّة التى هى دار النور.

(وقيل)[١] : لا تخافوا فطالما كنتم من الخائفين، ولا تحزنوا فقد كنتم من العارفين، وأبشروا بالجنّة التى عجز عنها وصف الواصفين.

(وقيل)[١] : لا تخافوا فلا خوف على أهل الإيمان، ولا تحزنوا فلستم من أهل الحرمان، وأبشروا بالجنة التى هى دار الإيمان.

(وقيل)[١] : لا تخافوا فلستم من أهل الجحيم، ولا تحزنوا فقد وصلتم إلى الربّ الرحيم، وأبشروا بالجنّة التى هى دار النعيم.

(وقيل)[١] : لا تخافوا فقد زالت عنكم المخافة، ولا تحزنوا فقد سلمتم من كلّ آفة، وأبشروا بالجنة التى هى دار الضيافة.

(وقيل)[١] : لا تخافوا العزل عن الولاية، ولا تحزنوا على ما قدمتم من الخيانة، وأبشروا بالجنة التى هى دار الهداية.

(وقيل)[١] : لا تخافوا حلول العذاب، ولا تحزنوا من هول الحساب وأبشروا بالجنة التى هى دار الثواب.

(وقيل)[١] : لا تخافوا فأنتم سالمون من العقاب، ولا تحزنوا فأنتم واصلون إلى الثواب، وأبشروا بالجنّة فإنها نعم المآب.

(وقيل)[١] : لا تخافوا فأنتم أهل الوفاء ولا تحزنوا على ما كسبتم من الجفاء وأبشروا بالجنّة فإنها دار الصفاء.

(وقيل)[١] : لا تخافوا فقد سلمتم من العطب، ولا تحزنوا فقد نجوتم من النصب، وأبشروا بالجنة فإنّها دار الطرب.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ : تقول لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة: نحن أولياؤكم وأنصاركم وأحباؤكم، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ : قال السدى: نحن أولياؤكم يعنى نحن الحفظة الذين كنا معكم فى الدنيا، ونحن أولياؤكم فى الآخرة.

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا ابن خالد، أخبرنا داود بن عمرو الضبّى أخبرنا إبراهيم ابن

---

(١) زيادة يتطلبها السياق تركها المؤلف اختصاراً.

الأشعث عن الفضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ : فى الحياة الدّنيا وفى الآخرة. قال: قرناؤهم الذين كانوا معهم فى الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، قالوا: لن نفارقكم حتى ندخلكم الجنة.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ : تريدون وتسألون وتتمنون، وأصل الكلمة إنّ ما تدّعون إنّه لكم، إنّه لكم، فهو لكم بحكم ربّكم.

﴿نُزُلًا﴾ : أى جعل ذلك رزقًا. ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.



﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ

أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ : إلى طاعة الله. ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ : قال ابن سيرين والسدى وابن زيد: هو رسول الله ﷺ، وقال مقاتل: هو جميع الأئمة والدعاة إلى الله تعالى، وقال عكرمة: هو المؤذن. قال أبو أُمامة الباهلى: ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ يعنى صلى ركعتين بين الأذان والإقامة.

أنبأنى عبد الله بن حامد، أخبرنا حاجب بن أحمد بن يزحم[1] بن سفيان، حدثنا عبد الله ابن هاشم، حدثنا وكيع، حدثنا عبيد الله بن الوليد الرُّصافى[2] عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عائشة رضى الله عنها قالت: إنى لأرى هذه الآية نزلت: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية فى المؤذنين.

وروى جرير بن عبد الحميد، عن فضيل بن رفيدة، قال: كنت مؤذنًا فى زمن أصحاب عبد الله، فقال لى عاصم بن هبيرة: إذا أذّنت وفرغت من أذانك، فقل: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، وأنا من المسلمين، ثم اقرأ هذه الآية: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ قال الفراء:

---

(١) فى المخطوط على هذا الرسم: «ترَجَم» وهو تحريف وهو حاجب بن أحمد بن يزحم بن سفيان أبو محمد الطوسى مسند نيسابور (أعلام النبلاء ١٥/ ٣٣٦).

(٢) فى الهامش: «الوصافى».

﴿وَلَا﴾: ههنا صلة معناه ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، وأنشده:

ما كان يرضى رسول الله فعلهما والطيبـــان أبو بكر وعمر

أى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾: قريبٌ صديق، قال مقاتل: نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان مؤذيًا لرسول الله ﷺ، فصار له وليًا، بعد أن كان عدوًا. نظيره قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ (الممتحنة: ٧)، قال ابن عباس: أمر الله تعالى فى هذه الآية بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنّه ولىّ حميم.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: يعنى هذه الخصلة والفعلة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: فى الخير والثواب، وقيل: ذو حظ. ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لاستعاذتك وأقوالك. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بأفعالك وأحوالك.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾: إنما قال خلقهنّ بالتأنيث لأنّه أجرى على طريق جمع التكسير، ولا يجرى[1] على طريق التغليب للمذكر على المؤنث؛ لأنه فيما لا يعقل. ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: عن السجود. ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: يعنى الملائكة. ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٦).

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾: يابسة دارسة لا نبات فيها. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: أى يميلون عن الحق فى أدلتنا.

قال ابن عباس: هو تبديل الكلام ووضعه فى غير موضعه، وقال مجاهد: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالمكاء والتصدية واللغو واللغط. قتادة: يعنى يكذبون فى آياتنا. السدى: يعاندون ويشاققون. ابن زيد: يشركون ويكذبون. قال مقاتل: نزلت فى أبى جهل لعنه الله.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾: أبو جهل. ﴿خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: عثمان بن عفان وقيل: عمار بن ياسر ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾: أمر وعيد وتهديد ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالم فيجازيكم به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾: بالقرآن. ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: حين جاءهم. ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ

(١) فى هامش المخطوط: «ولم يجر».

﴿عَزِيزٌ﴾: كريم على الله عن ابن عباس، وقال مقاتل: منيع من الشيطان والباطل. السدى: غير مخلوق. ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ﴾: قال قتادة والسدى: يعنى الشيطان. ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾. فلا يستطيع أن يُغير أو يُزيد أو يُنقص، وقال سعيد بن جبير: يعنى لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه، وقيل: لا يأتيه ما يبطله أو يكذّبه من الكتب المتقدمة، بل هو موافق لها مصدّق ولا يجىء بعده كتاب يبطله وينسخه، بل هو موافق لها مصدق. عن الكلبى. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ مَّا يُقَالُ لَكَ﴾: من الأذى. ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾: يعزّى نبيه ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: لمن تاب. ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: لمن أصر.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾: بغير لغة العرب. ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ﴾: بيِّنت. ﴿ءَايَـٰتُهُۥٓ﴾: بلغتنا حتّى نفهمها[1]، فإنّا قومٌ عربٌ، ما لنا وللأعجمية. ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾: يعنى أكتاب أعجمىّ ونبى عربى. قال مقاتل: وذلك أنّ رسول الله ﷺ، كان يدخل على يسار غلام ابن الحضرمى وكان يهوديًا أعجميًا ويكنى (أبا فكيهة)، فقال المشركون: إنّما يعلّمه يسار، فأخذه سيده عامر بن الحضرمى، وضربه، وقال: إنّك تعلم محمداً. فقال يسار: هو يعلمنى. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقرأ الحسن: أعجمى بهمزة واحدة على الخبر، وكذلك رواه هشام عن أهل الشام.

ووجهه ما روى جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير، قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميًا وعربيًا حتّى تكون بعض آياته أعجميًا وبعضها عربيًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأنزل فى الفرقان[2] بكلّ لسان، فمنه السجيل، وهى فارسية عُربت سَنْك وكِلْ، والقراءة الصحيحة[3] بالاستفهام على التأويل الأول.

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.

أخبرنا محمد بن نعيم، أخبرنا الحسين بن الحسين بن أيوب، أخبرنا على بن عبد العزيز، أخبرنا القاسم بن سلام، حدثنا حجاج بن أيوب، عن شعبة، عن موسى بن أبى عائشة، عن سلمان بن قتيبة، عن ابن عباس ومعاوية وعمرو بن العاص، أنّهم كانوا يقرأون هذه الحروف بكسر الميم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾، وقرأه الباقون بفتح الميم على المصدر، واختاره أبو عبيد، قال: لقوله: ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾: فكذلك ﴿عَمًى﴾: مصدر مثلها، ولو أنّها هاد وشاف لكان الكسر فى

---

(١) فى هامش المخطوط: «نفقهها».

(٢) فى الهامش: «القرآن».

(٣) فى الهامش: «وقراءة العامة».

عمّى أجود ليكون نعتًا مثلهما.

﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: قال بعض أهل المعانى: قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ خبر لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، وحديث عن محمد بن جرير، قال: حدثنى شيخ من أهل العلم، قال: سمعت عيسى بن عمر سأل[1] عمرو بن عبيد ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، أين خبره؟ فقال عمرو: معناه فى التفسير ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾: فقال عيسى بن عمر: أجدت يا أبا عثمان.

وقوله تعالى: ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: مثل لقلة استماعهم وانتفاعهم بما يوعظون به، كأنهم ينادون إلى الإيمان والقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: فمؤمن به وكافر، ومصدّق ومكذّب. كما اختلف قومك فى كتابك. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: فى تأخير العذاب. ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: من عذابهم وعجل إهلاكهم.

﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: فإنّه لا يعلمه غيره، وذلك أنّ المشركين قالوا للنبى ﷺ: لئن كنت نبيًا، فأخبرنا عن الساعة متى قيامها؟ ولئن كنت لا تعلم ذلك فإنّك لست بنبى. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ﴾ [2]: من صلة ثمرات، بالجمع أهل المدينة والشام، غيرهم ثمرة على واحدة. ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: أوعيتها، واحدتها كمة، وهى كلّ ظرف لمال أو غيره، وكذلك سمى قشرة الكفرى، أى الذين ينشق عن الثمرة كمه. قال ابن عباس: يعنى الكفرى قبل أن ينشق، فإذا انشقت فليست بأكمام. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: يقول إليه يردّ علم الساعة كما يردّ إليه علم الثمار والنتاج.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: يعنى ينادى الله تعالى المشركين. ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾: الّذين (هم)[3] تزعمون فى الدّنيا أنّهم آلهة. ﴿قَالُوا﴾: يعنى المشركين، وقيل: الأصنام، يحتمل أن يكون القول راجعًا إلى العابدين وإلى المعبودين أيضًا ﴿آذَنَّاكَ﴾: أعلمناك وقيل: أسمعناك. ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ شاهد أن لك شريكًا لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام، وتبرأ الأصنام منهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا

---

(١) فى الهامش: «يقول سُئل».

(٢) فى المخطوط: «ثمرة» ورسمت على ما فى المصحف المطبوع وهو برواية حفص عن عاصم وتركت البيان للمؤلف.

(٣) ساقطة من متن المخطوط وأتممتها من الهامش.

﴿كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾: فى الدنيا. ﴿وَظَنُّواْ﴾: أيقنوا. ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مهرب، و﴿مَا﴾: هاهنا حرف وليس باسم، فلذلك لم يعمل فيه الظنّ، وجعل الفعل ملغى.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ﴾: يمل. ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾: يعنى الكافر. ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾: أى من دعائه بالخير ومسألته ربّه، ودليل هذا التأويل، قراءة عبد الله (لا يسأم الإنسان من دعائه بالخير) أى بالصحة والمال. ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ﴾: من روح الله. ﴿قَنُوطٌ﴾: من رحمته. ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً﴾: عافية ونعمة. ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾: شدة وبلاء أصابته. ﴿لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾: أى بعملى، وأنا محقوق بهذا.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان، حدثنا عبد الله بن ثابت، حدثنا أبو سعيد الكندى، حدثنا أحمد بن بشر، عن أبى شرمة، عن الحسن بن محمد ابن على بن أبى طالب، قال: الكافر فى أمنيتين، أما فى الدنيا، فيقول: لئن رجعت إلى ربّى إنّ لى عنده للحسنى، وأما فى الآخرة، فيقول يا ليتنى كنت ترابًا.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض كليهما فى الكثرة، يقال: أطال فلان الكلام والدعاء، وأعرض إذا أكثر.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾: القرآن. ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾: قال ابن عباس: يعنى منازل الأمم الخالية. ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: بالبلاء والأمراض، وقال المنهال والسدى: فى الآفاق يعنى ما يفتح لمحمد ﷺ من الآفاق، وفى أنفسهم: مكّة، وقال قتادة: فى الآفاق يعنى وقائع الله تعالى فى الأمم، وفى أنفسهم: يوم بدر. عطاء وابن زيد: فى الآفاق يعنى أقطار الأرض والسماء من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار والبحار والأمطار، وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، وسبيل الغائط والبول، حتى إنّ الرجل ليأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج ما يأكل ويشرب من مكانين.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾: يعنى أنّ ما نريهم ونفعل من ذلك هو الحقّ، وقيل: إنّه يعنى الإسلام، وقيل: محمد ﷺ، وقيل: القرآن ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾.

سُورَةُ الشُّورَىٰ
﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾

مكّية، وهي ثلاث وخمسون آية، وثمانمائة وستّ وستّون كلمة، وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفًا

أخبرنا سعيد بن محمد بن محمد المقرى، أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد الحبرى، حدثنا إبراهيم بن شريك الكوفى، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعى، حدثنا سلام بن سليم المدائنى، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبى أُمامة الباهلى عن أُبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة: ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾

﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾: سمعت أبا إسحاق يقول: سمعت أبا عثمان بن أبى بكر المقرى الزعفرانى يقول: سمعت شيخى يقول: سمعت أبا بكر المؤمن يقول: سألت الحسين بن الفضل لِمَ قطّع ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ ولم تقطّع ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿الٓمٓرٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾؟.

قال: لكونها من سور أوائلها ﴿حمٓ﴾، فجرت مجرى نظائرها، قبلها وبعدها، وكان ﴿حمٓ﴾ مبتدأ، و﴿عٓسٓقٓ﴾ خبره، ولأنّها آيتان، وعدت أخواتها التى كتبت موصولة آية واحدة.

وقيل: لأنّ أهل التأويل لم يختلفوا فى ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وأخواتها، أنّها حروف التهجى لا غيره، واختلفوا فى ﴿حمٓ﴾، فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلوها فعلاً، وقالوا: معناه ﴿حمٓ﴾، أى قضى ما هو كائن إلى يوم القيامة.

فأمّا تفسيرها أخبرنا عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه: أنّ أبا الفرج المعافى بن زكريا القاضى، أخبرهم عن محمد بن جرير، حدثنى أحمد، حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى، حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، عن أرطأة بن المنذر، قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال له وعنده حذيفة بن اليمان: أخبرنى عن تفسير قول الله تعالى: ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ قال: فأطرق ثمّ أعرض عنه، ثمّ كرر مقالته، فلم يجبه بشىء، وكرّر مقالته، ثمّ كرّر الثالثة، فلم يجبه شيئًا، فقال له حذيفة: أنا أنبئك بها، قد عرفت لمَ كرهها، نزلت فى رجل من أهل بيته، يقال له: عبد الإله أو عبد الله، ينزل على نهر من أنهار المشرق، يبنى عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا، فإذا أذن الله تعالى فى زوال ملكهم وانقطاع دولتهم، بعث الله تعالى على إحداهما نارًا ليلاً، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت كلها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت[1]، فما هو إلاّ بياض يومها ذلك حتى يجمع فيها كل جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله تعالى بها وبهم جميعًا، فذلك قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾. يعنى عزيمة من الله وفتنة وقضاء: ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ عدلاً منه، سين سيكون فتنة، قاف يعنى واقع بهاتين المدينتين[2].

ونظير هذا التفسير ما أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن مخلد، حدثنا إسحاق بن بشر الكاهلى، حدثنا عمار بن سيف الضبى أبو عبد الرحمن، عن عاصم الأحول، عن أبى عثمان النهدى عن جرير بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصّراة تجتمع فيها جبابرة أهل الأرض، تجبى إليها الخزائن، يخسف بها، وقال مرة: يخسف بأهلها، فلهى أسرع ذهابًا فى الأرض من الوتد الحديد فى الأرض الرخوة.

وذكر عن ابن عباس أنّه كان يقرأ (حم سق) بغير عين، ويقال: إنّ السين فيها كلّ فرقة كائنة، وإنّ القاف كلّ جماعة كائنة، ويقول: إنّ عليًا إنّما كان يعلم الفتن بهما، وكذلك هو

---

(١) فى المتن: أقبلت والتصويب من الهامش.

(٢) هذا تفسير لا يقبل، وفى إسناده أكثر من رجل متكلم فيهم، وهذا ونظائره مثل الذى بعده من وضع الخصوم السياسيين للدولة العباسية، قد ساد فى ذلك العصر وضاع الحديث وأكثروا الكذب على رسول الله ﷺ نصرًا لمذاهبهم أو تأييدًا لحاكم هم يمالئونه يبتغون بذلك إضفاء الشرعية على حكمه وإكسابه رأيًا شعبيًا عريضًا يمكن ملكه ويوطده.

فى مصحف عبد الله (حم ❖ سق).

وقال عكرمة: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله: ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾.

فقال: (ح) حلمه، (م) مجده، (عين) علمه، (سين) سناه، (ق) قدرته، أقسم الله تعالى بها.

وفى رواية أبى الجوزاء أن ابن عباس قال لنافع: (عين) فيها عذاب، (سين) فيها مسخ، (ق) فيها قذف، يدلّ عليه ما روى فى حديث مرفوع أنّ النبى ﷺ لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة فى وجهه، فقيل له: ما هذه الكآبة يا رسول الله؟ قال: أخبرت ببلاء ينزل فى أمتى. من خسف ومسخ وقذف، ونار تحشرهم وريح تقذفهم فى اليم، وآيات متتابعات متصلة بنزول عيسى (عليه السلام)، وخروج الدجال.

وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبى رباح: (ح) حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز فى قريش، ثمّ تُقضى إلى العرب، ثم تُقضى إلى العجم، ثمّ تمتد إلى خروج الدجال.

وقال عطاء: (ح) حرب فى أهل مكّة يجحف بهم حتّى يأكلوا الجيف وعظام الموتى، (م) ملك يتحول من قوم إلى قوم (ع) عدو لقريش قصدهم، (س) سيئ يكون فيهم، (ق) قدرة الله النافذة فى خلقه.

وقال بكر بن عبد الله المزنى: (ح) حرب تكون بين قريش والموالى، فتكون الغلبة لقريش على الموالى، (م) ملك بنى أُمية، (ع) علو ولد العبّاس، (سين) سناء المهدى (ق) قوة عيسى (عليه السلام) حين ينزل، فيقتل النصارى ويخرب البيع.

وقال محمد بن كعب: أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسنائه وقدرته، أن لا يعذب من عاد إليه بلا إله إلا الله مخلصًا له من قلبه، وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير: (ح) من رحمن، (م) من مجيد، (عين) من عالم، (سين) من قدوس، (ق) من قاهر.

السدى: هو من الهجاء المقطع، (عين) من العزيز، (سين) من السلام، (ق) من القادر.

وقيل: هذا فى شأن محمد ﷺ (فالحاء) حوضه المورود، و(الميم) ملكه الممدود، و(العين) عزه الموجود، و(السين) سناؤه المشهود، و(القاف) قيامه فى المقام المحمود، وقربه فى الكرامة إلى المعبود.

وقال ابن عباس: ليس من نبىّ صاحب كتاب إلاّ وقد أوحيت ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ إليه، فلذلك، قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾ قرأ ابن كثير بفتح الحاء ومثله روى عباس، عن ابن عمرو ورفع الاسم بالبيان، كأنّه قال: يوحى إليك.

قيل: من الذى يوحى؟ قال: الله، وهى كقراءة من قرأ: ﴿يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ (النور: ٣٦) بفتح الباء، الباقون بكسره.

﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: وقال مقاتل: نزل حكمها على الأنبياء (عليهم السلام) ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ۝ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾: أى من عظمة الله وجلاله فوقهنّ.

قال ابن عباس: تكاد السموات كلّ واحدة منها تتفطّر فوق الّتى تليها من قول المشركين، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ (البقرة: ١١٦) نظيره قوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا۝ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا﴾ (مريم: ٩٠-٩١). ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من المؤمنين بيانها ويستغفرون للّذين آمنوا ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قال الحكماء: وعظّم فى الابتداء، ثمّ بشّر وألطف فى الانتهاء.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: يحفظ أعمالهم ويحصى عليهم أفعالهم ليجازيهم بها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: إن عليك إلاّ البلاغ. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: مكة، يعنى أهلها. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾: أى بيوم الجمع. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ﴾: أى منهم فريق ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ﴾: فضلاً وهم المؤمنون. ﴿وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾: عدلاً وهم الكافرون.

أخبرنا الإمام أبو منصور الجمشاذى، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان بن حبيب السوحى، حدثنا بشر بن مطر، حدثنى سعيد بن عثمان، عن أبى راهويه جدير بن كريب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - وكان النبى ﷺ يفضّل عبد الله على أبيه -. (ح)[1] أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى، حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل، حدثنى أبى، حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا ليث، حدثنى أبو قبيل حىّ ابن هانئ المعافرى عن شفى الأصبحى عن عبد الله بن عمرو، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم، قابضا على كفيه ومعه كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قلنا: لا يا رسول الله

فقال للذى فى يده اليمنى: هذا كتاب من ربّ العالمين بأسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفًا فى الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفًا فى الأرحام إذ هم فى الطينة منجدلون، فليس بزايد فيهم، ولا ناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة»، ثمّ قال للّذى فى يساره: «هذا كتاب من ربّ العالمين، بأسماء أهل النار وأسماء

---

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

آبائهم وعشائرهم وعدتهم، قبل أن يستقروا نطفًا فى الأصلاب وقبل أن يستقروا فى الأرحام إذ هم فى الطينة منجدلون، فليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة». فقال عبد الله بن عمرو: ففيم العمل؟، إذ قال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنّة يختم له بعمل أهل الجنّة وإن عمل أى عَمَل، وإنّ صاحب النّار يختم له بعمل أهل النّار وإن عملَ، أى عَمَل».

ثمّ قال: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ عدل من الله تعالى.



﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا

وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾»

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ : على ملّة واحدة. ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ : الكافرون. ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ : لا سواه. ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ : مجازه: لأنّه يحيى الموتى. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ : فى الدين. ﴿قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾ : فى الدين. ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ : حلائل - وإنما قال: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ : لأنه خلق حواء من ضلع آدم - ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ﴾ : يخلقكم ويعيشكم ﴿فِيهِ﴾ : أى فى الرحم، وقيل: فى البطن، وقيل: فى الروح، وقيل: فى هذا الوجه من الخليقة.

قال مجاهد: نسلاً بعد نسل، ومن الأنعام، وقيل: ﴿فِى﴾ بمعنى الباء، أى يذرؤكم فيه، قال ابن كيسان: يكثركم.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ : المثل صلة ومجازه: ليس كهو شىء، فأدخل المثل توكيداً للكلام، كقوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ (البقرة: ١٣٧) وفى حرف ابن مسعود، (فإن آمنوا بما آمنتم به): وقال أوس بن حجر:

وقتلى كمثل جذوع النخيل ... يغشاهم مطر منهمر

أى كجذوع، وقال آخر سعد بن زيد:

إذا أبصرت فضلهم ... كمثلهم فى النّاس من أحد

وقال آخر:

ليس كمثل الفتى زهير ... خلق يوازيه فى الفضائل

وقيل: (الكاف) صلة مجازه: ليس مثله، كقول الراجز:

❖ وصاليات ككما يُؤَفَيْنْ ❖

فأدخل على الكاف كافًا تأكيدًا للتشبيه، وقال آخر:

تنفى الغياديق على الطريق قلص عن كبيضـة فى نيق

فأدخل الكاف مع عن.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ۝ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ۝ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾: وهو أول أنبياء الشريعة.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾: فاختلفوا فى وجه الآية، فقال قتادة: تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقال الحكم: تحريم الأخوات والأمهات والبنات، وقال مجاهد: لم يبعث الله تعالى نبيًا إلاّ أوصاه بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة. فذلك دينه الذى شرع لهم، وهى رواية الوالبى عن ابن عباس، وقيل: الدين: التوحيد، وقيل: هو قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾: بعث الأنبياء كلّهم بإقامة الدّين والأُلفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة. ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ﴾: من التوحيد ورفض الأوثان. ثمّ قال عزّ من قائل: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ فيستخلصه لدينه.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾: يعنى أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس: يعنى أهل الكتاب. دليله ونظيره فى سورة المُنفكّين ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ (البينة: ٤).

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: من قبل بعث محمد وصفته. ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: تأخير العذاب. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو يوم القيامة. ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: بالعذاب. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: يعنى من بعد الأمم الخالية، وقال مجاهد: معناه من قبلهم أى من قبل مشركى مكّة وهم اليهود والنصارى. ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ۝ فَلِذَٰلِكَ﴾: أى فإلى ذلك الذين أوتوا الكتاب. ﴿فَٱدْعُ﴾: كقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (الزلزلة: ٥) أى إليها ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾: اثبت على الدين الذى به أمرت ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾: أى أن أعدل أو كى أعدل، كقوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ۝﴾ (الأنعام: ٧١).

قال ابن عباس: لأسوى بينكم فى الدين، وأؤمن بكلّ كتاب وكلّ رسول، وقال غيره: لأعدل بينكم فى جميع الأحوال والأشياء. قال قتادة: أُمر نبى الله ﷺ أن يعدل، فعدل حتى مات، والعدل ميزان الله تعالى فى الأرض، وذكر لنا أنّ داود (عليه السلام)، قال: ثلاث من كنّ فيه فهو الفائز: القصد فى الغنى والفقر، والعدل فى الرضا والغضب، والحسنة فى السرّ والعلانية، وثلاث من كنّ فيه أهانته: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأربع

من أعطيهنّ، فقد أعطى خير الدّنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة.

﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ﴾: لا خصومة. ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ﴾: نسختها آية القتال[1]. ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ﴾: لفصل القضاء. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ۝ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ﴾: يخاصمون. ﴿فِى ٱللَّهِ﴾: في دين الله نبيه. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾: أي من بعد ما استجاب له النّاس، فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته، وقيام حجته. ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: باطلة زائلة. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ۝﴾: قال مجاهد: نزلت في اليهود والنصارى. قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم وأولى بالحقّ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَۗ﴾: أي العدل عن ابن عباس وأكثر المفسرين. مجاهد: هو الذي يوزن به، ومعنى إنزال الميزان: إلهامه الخلق للعمل به[2]، وأمره بالعدل والإنصاف، كقوله: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ (الأعراف: ٢٦).

وقال علقمة: الميزان محمد ﷺ، يقضي بينهم بالكتاب. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازها الوقت، وقال الكسائي: إيتاؤها قريب.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ﴾: ظنًا منهم أنها غير جائية. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾: خائفون منها. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ۝ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: قال ابن عباس: حفي بهم. عكرمة: بارّ بهم. السدي: رقيق. مقاتل: لطيف بالبر والفاجر منهم، حيث لم يقتلهم جوعًا بمعاصيه. القرظي: لطيف بهم في العرض والمحاسبة.

قال الخوافي: غدًا عند مولى الخلق، للخلق موقف يسألهم فيه الجليل، فيلطف بهم الصادق في الرزق من وجهين: أحدهما: أنّه جعل رزقك من الطيبات، والثاني: أنّه لم يدفعه إليك بمرة واحدة، وقيل: الرضا بالتضعيف. الحسين بن الفضل: في القرآن وتيسيره.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عاد البغدادي يقول: سُئل جنيد عن اللطيف، فقال: هو الذي لطف بأوليائه حتى عرفوه، فعبدوه، ولو لطف بأعدائه لما جحدوه.

وقال محمد بن علي الكتاني: اللطيف بمن لجأ إليه من عباده إذا أيس من الخلق، توكل عليه

(١) سبق الكلام على أن هناك خلافًا بين العلماء بين مجيز النسخ في القرآن ورافض لذلك وأن القرآن كله محكم ويتغير حكم الآية بتغير الحال أو الدار. والله أعلم.

(٢) في المتن: «والعمل به» والتصويب من الهامش.

ورجع إليه فحينئذ يقبله ويقبل عليه، وفى هذا المعنى أنشدنا أبو إسحاق الثعلبى، قال: أنشدنى أبو القاسم الحبيبى. قال أنشدنى أبى، أنشدنى أبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى:

أمر بأفنـــاء القبـور كأنّنى أخو قطنة والثوب فيه نحيف

ومن شق فاه الله قدّر رزقه وربّى بمن يلجأ إليه لطيف

وقيل: اللطيف الّذى ينشر من عباده المناقب، ويستر عليه المثالب، وقيل: هو الّذى يقبل القليل، ويبذل الجزيل، وقيل: هو الذى يجبر الكسير، وييسر العسير، وقيل: هو الّذى لا ييأس أحد فى الدنيا من رزقه، ولا ييأس مؤمن فى العفو من رحمته.

وقيل: هو الذى لا يخاف إلاّ عدله، ولا يرجى إلاّ فضله، وقيل: هو الّذى يبذل لعبده النعمة، فوق الهمّة ويكلفه الطاعة دون الطاقة، وقيل: هو الّذى لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه، وقيل: هو الّذى لا يرد سائله ولا يؤيّس آمله، وقيل: هو الّذى يعفو عمن يهفو، وقيل: هو الذى يرحم من لا يرحم نفسه، وقيل هو الّذى يعين على الخدمة، ثم يكثر المدحة وقيل: هو الذى أوقد فى أسرار عارفيه من المشاهدة سراجًا، وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجًا، وأنزل عليهم من سحائب بره ماءً ثجاجًا.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾: كما يشاء من شاء موسعًا، ومن شاء مقترًا، ومن شاء قليلاً ومن شاء كثيرًا، ومن شاء حلالاً، ومن شاء حرامًا، ومن شاء فى خفض ودعة، ومن شاء فى كد وعناء، ومن شاء فى بلده ومن شاء فى الغربة، ومن شاء بحساب ومن شاء بغير حساب. ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾: يعنى يريد بعمله الآخرة. ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾: بالتضعيف بالواحدة عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة. ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾: يعنى يريد بعمله الدّنيا ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ۝﴾.

قال قتادة: يقول: من عمل لآخرته نزد له فى حرثه، ومن آثر دنياه على آخرته، لم يجعل الله له نصيبًا فى الآخرة إلاّ النّار، ولم يصب من الدّنيا إلاّ رزق قد فرغ منه وقسم له.

أنبأنى عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان، حدثنا الحسين بن إدريس، حدثنا سويد بن نصير، أخبرنا عبد بن المبارك عن أبى سنان الشيبانى، أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: الأعمال على أربعة وجوه: عامل صالح فى سبيل هدى يريد به دنيا، فليس به فى الآخرة شىء ذلك بأنّ الله تعالى، قال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا ..﴾ (هود: ١٥) الآية، وعامل الرياء ليس به ثواب فى الدّنيا والآخرة إلاّ الويل، وعامل صالح فى سبيل هدى يبتغى به وجه الله والدار الآخرة، فله الجنّة فى الآخرة، معها

نعاته في الدّنيا، وعامل خطأ وذنوب ثوابه عقوبة الله، إلاّ أن يعفو فإنّه أهل التقوى وأهل المغفرة.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾: يوم القيامة، حيث قال: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ (القمر: ٤٦). ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾: وجلين. ﴿مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ﴾: أي نازل بهم لا محالة. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝﴾

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي﴾: ذكرت من نعيم الجنّات. ﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾: به. ﴿عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ﴾: فإنّهم أهله.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝﴾ قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ من المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق، وليس في يديه سعة لذلك، قالت الأنصار: إنّ هذا الرجل قد هداكم الله به، وهو ابن أختكم، منوبة به. فقالوا له: يا رسول الله إنك ابن أختنا، وقد هدانا الله على يديك، وتنوبك نوائب وحقوق، ولست لك عندها سعة، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا، فنأتيك به، فتستعين به على ما ينوبك وها هو ذا، فنزلت هذه الآية.

وقال قتادة: اجتمع المشركون في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أترون محمّدًا يسأل على ما يتعاطاه أجرًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يحثهم على مودته، ومودّة أقربائه، وهذا التأويل أشبه بظاهر الآية والتنزيل؛ لأنّ هذه السورة مكّية، واختلف العلماء في معنى الآية.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه بقراءتي عليه، حدثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي، حدثنا أبو بكر الأزدي، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا قزعة بن سويد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «لا أسألكم على ما أتيتكم من البينات والهدى أجرًا إلاّ أن تودّوا الله تعالى، وتقربوا إليه بطاعته».

وإلى هذا ذهب الحسن البصري، فقال: هو القربى إلى الله تعالى، يقول إلاّ التقرب إلى الله تعالى والتودّد إليه بالطاعة والعمل الصالح، وروى طاوس والشعبي والوالبي والعوفي عن ابن

عباس، قال: لم يكن بطن من بطون قريش إلاّ وبين رسول الله وبينهم قرابة، فلما كذّبوه وأبوا أن يبايعوه، أنزل الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعنى أن تحفظونى وتودونى وتصلوا رحمى، فقال رسول الله: «إذا أبيتم أن تبايعونى، فاحفظوا قرابتى فيكم ولا تؤذونى، فإنكم قومى وأحق من أطاعنى وأجابنى».

وإليه ذهب أبو مالك وعكرمة ومجاهد والسدى والضحاك وابن زيد وقتادة، وقال بعضهم: معناه إلاّ أن تودوا قرابتى وعترتى وتحفظونى فيهم، وهو قول سعيد بن جبير وعمرو ابن شعيب.

ثمّ اختلفوا فى قرابة رسول الله ﷺ، الّذين أمر الله تعالى بمودتهم. أخبرنا الحسين بن محمد ابن فنجويه الثقفى العدل، حدثنا برهان بن على الصوفى، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى، حدثنا حرب بن الحسن الطحان، حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال: «على وفاطمة وأبناؤهما»، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو منصور الجمشاذى، قال: حدثنى أبو عبد الله الحافظ، حدثنى أبو بكر بن مالك، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا عبيد الله بن عائشة، حدثنا إسماعيل بن عمرو، عن عمر بن موسى، عن زيد بن على بن حسين، عن أبيه، عن جده على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: «شكوت إلى رسول الله ﷺ، حسد النّاس لى». فقال: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة، أول من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمالنا، وذريتنا خلف أزواجنا وشعيتنا من ورائنا»[1].

حدثنا أبو منصور الجمشاذى، حدثنا أبو نصر أحمد بن الحسين بن أحمد، حدثنا أبو العباس محمد بن همام، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن محمد بن رزين، حدثنا حسان بن حسان، حدثنا حماد بن سلمة ابن أخت حميد الطويل، عن على بن زيد بن جدعان، عن شهر بن حوشب، عن أُمّ سلمة، عن رسول الله ﷺ أنّه قال لفاطمة: «ائتينى بزوجك وابنيك، فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً[2]، ثم رفع يديه عليهم، فقال: اللّهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد، فإنك حميد مجيد». قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فاجتذبه وقال: «إنك على خير».

---

(١) هذا حديث غير صحيح.

(٢) فى الهامش: «فدكية». قلت: وهو نوع من أنواع الأكسية.

وروى أبو حازم عن أبى هريرة، قال: نظر رسول الله ﷺ إلى على وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم».

أخبرنا عقيل بن محمّد، أخبرنا المعافى بن زكريا بن المبتلى، حدثنا محمّد بن جرير، حدثنى محمّد بن عمارة، حدثنا إسماعيل بن أبان، حدثنا الصياح بن يحيى المزنى، عن الحسين[1]، عن أبى الديلم، قال: «لما جيء بعلى بن الحسين أسيراً فأقيم على درج دمشق، وقام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال على ابن الحسين: أقرأت القرآن؟

قال: نعم. قال: قرأت الـ «حم»؟ قال: قرأت القرآن، ولم أقرأ الـ «حم». قال: ما قرأت ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾. قال: وإنّكم لأنتم هم؟ قال: نعم».

أخبرنا الحسين بن العلوى الوصى، حدثنا أحمد بن على بن مهدى، حدثنى أبى، حدثنا على بن موسى الرّضا، حدثنى أبى موسى بن جعفر، حدثنا أبى جعفر بن محمد الصادق، قال: كان نقش خاتم أبى محمد بن على: ظنّى بالله حسن وبالنبى المؤتمن وبالوصى ذى المنن والحسين والحسن. أنشدنا محمد بن القاسم الماوردى، أنشدنى محمد بن عبد الرحمن الزعفرانى، أنشدنى أحمد بن إبراهيم الجرجانى، قال: أنشدنى منصور الفقيه لنفسه:

إن كان حبّى خمسة زكت بهم فرائضى
وبغض من عاداهم رفضًا فإنّى رافضى

وقيل: هم ولد عبد المطلب. يدلّ عليه ما حدثنا أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد المروزى، حدثنا أبو الحسن المحمودى، حدثنا أبو جعفر محمد بن عمران الأرسابندى حدثنا هَدِيَّة بن عبد الوهاب، حدثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن زياد اليمامى، عن إسحاق بن أبى عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنّة، أنا وحمزة وجعفر وعلى والحسن والحسين والمهدى».

على بن موسى الرضا: حدثنى أبى موسى بن جعفر، حدثنى أبى جعفر بن محمد، حدثنى أبى محمد بن على، حدثنى أبى على بن الحسين، قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمت الجنّة على من ظلم أهلى بيتى وآذانى فى عترتى، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها، فأنا أجازيه غداً إذا لقينى فى يوم القيامة».

وقيل: الّذين تحرم عليهم الصدقة ويقسم فيه الخمس وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب

(١) فى الهامش: «السدى».

الّذين لم يقترفوا فى جاهلية ولا إسلام. يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الأنفال: ٤١)، وقوله: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الحشر: ٧)، وقوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (الإسراء: ٢٦).

أخبرنا عقيل بن محمّد إجازة، أخبرنا أبو الفرج البغدادى، حدثنا محمّد بن جدير، حدثنا أبو كرير، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا عبد السلام حدثنى يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس، قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا فكأنهم مخزوك، فقال ابن عباس أو العباس: شل عبد السلم لنا الفضل عليكم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم فى مجالسهم. فقال: «يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بى؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أفلا تجيبونى؟». قالوا: ما نقول يا رسول الله؟. فقال: «ألا تقولون، ألم يخرجك قومك فآويناك، أولم يكذّبوك فصدقناك، أولم يخذلوك فنصرناك؟».

قال: فما زال يقول حتّى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما فى أيدينا لله تعالى ولرسوله. قال: فنزلت ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا محمد بن عبد الله بن حمزة، حدثنا عبيد بن شريك البزاز، حدثنا سلمان بن عبد الرحمن ابن بنت شرحبيل، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى، حدثنا يحيى بن بشير الأسدى، عن صالح بن حباب[1] الفزارى عبد الله بن شداد بن الهاد عن العباس بن عبد المطلب أنّه قال: يا رسول الله ما بال قريش يلقى بعضهم بعضًا بوجوه تكاد أن تسايل من الود، ويلقوننا بوجوه قاطبة، تعنى باسرة عابسة، فقال رسول الله عليه السلام: «أَوَيفعلون ذلك؟». قال: نعم، والّذى بعثك بالحقّ. فقال: «أما والّذى بعثنى بالحقّ، لا يؤمنوا حتّى يحبّوكم لى».

وقال قوم: هذه الآية منسوخة فإنّما نزلت بمكّة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمرهم فيها بمودة رسول الله وصلة رحمه. فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار وعزروه ونصروه أحبّ الله تعالى أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء (عليهم السلام) حيث قالوا: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٩)، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (سبأ: ٤٧)، فهى منسوخة بهذه الآية وبقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ٨٦)، وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا

---

(١) فى الهامش: «حيان».

فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ (المؤمنون: ٧٢)، وقوله: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (يوسف: ١٠٤)، وقوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ (الطور: ٤٠) وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل.

وهذا قول غير قوى ولا مرضى، لأن ما حكينا من أقاويل أهل التأويل فى هذه الآية لا يجوز أن يكون واحد منها منسوخًا، وكفى فتحًا بقول من زعم أنّ التقرب إلى الله تعالى بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته منسوخ.

والدليل على صحة مذهبنا فيه، ما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصبهانى، أخبرنا أبو عبد الله بن محمّد بن على بن الحسين البلخى، حدثنا يعقوب بن يوسف بن إسحاق، حدثنا محمد بن أسلم الطوسى، حدثنا يعلى بن عبيد، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم، عن جرير بن عبد الله البجلى، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائبًا، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله تعالى زوار قبره ملائكة الرحمن، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له فى قبره بابان من الجنة. ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة»[1].

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾: يكتسب طاعة. ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾: بالضعف. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا ابن حنش المقرئ، حدثنا أبو القاسم بن الفضل، حدثنا على بن الحسين، حدثنا إسماعيل بن موسى، حدثنا الحكم بن طهر، عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾، قال: المودة لآل محمّد ﷺ.



(١) كل ما سبق من أحاديث أو أخبار فى هذا الباب إنما هى تدور بين الوضع والضعف فلا يغتر بذلك القارئ وعلينا بحب النبى ﷺ وحب آله فى حدود ما يثبت لنا الولاء للنبى وآل بيته الكرام فى غير تعصب ولا مغالاة ولا انتقاص من أقدارهم، هدانا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه ويرضيه عنا آمين برحمته رب العالمين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ : يعنى كفّار مكّة. ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ . قال مجاهد: يعنى يربط عليه بالصبر حتّى لا يشق عليك أذاهم، وقال قتادة: يعنى يطبع على قلبك فينسيك للقرآن، فأخبرهم أنّهُ لو افترى على الله لفعل به ما أخبرهم فى الآية.

ثم ابتدأ، فقال عزّ من قائل: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ . قال السدى[1]: فيه تقديم وتأخير. مجازه: الله يمحو الباطل. فحذفت منه الواو فى المصحف، وهو فى وضع رفع كما حذفت من قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ﴾ (الإسراء: ١١) ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (العلق: ١٨) على اللفظ.

﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ . . . . ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ قال ابن عباس: لما نزلت ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا...﴾ : وقع فى قلوب قوم منها شىء، وقالوا: ما يريد إلا أن يحثنا على أقاربه من بعده. ثمّ خرجوا، فنزل جبريل (عليه السلام) فأخبره أنهم اتهموه وأنزل هذه الآية، فقال القوم يا رسول الله فإنا نشهد أنّك صادق، فنزل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ واختلفت عبارات العلماء فى حقيقة التوبة وشرائطها.

أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمّد بن حبيب بقراءته علىّ. فى شهور سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، حدثنا محمد بن سليمان بن منصور، حدثنا محمد مسكان بن جبلة بساوة. أخبرنا عبد الله بن عبد العزيز بن أبى داود عن إبراهيم بن طهمّان عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: دخل أعرابى مسجد رسول الله ﷺ وقال: اللهم إنّى أستغفرك وأتوب إليك، سريعًا وكبّر، فلما فرغ من صلاته قال له على: يا هذا إنّ سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذّابين، وتوبتك تحتاج إلى توبة، قال: يا أمير المؤمنين وما التوبة؟ قال: اسم يقع على ستة معان: على الماضى من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، وردّ المظالم، وإذابة

(١) فى الهامش: «الكسائى».

النفس فى الطاعة كما أذبتها فى المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كُلّ ضحك ضحكته.

وسمعت الحسن بن محمّد بن الحسن، يقول: سمعت إبراهيم بن يزيد، يقول: سمعت حسن بن محمّد الترمذى يقول: قيل لأبى بكر محمّد بن عمر الوراق: متى يكون الرجل تائبًا؟ فقال: إذا رجع إلى الله فراقبه واستحياه وخاف نقمته فيما عصاه، والتجأ إلى رحمته فرجاه، وذكر حلمه فى ستره فأبكاه، وندم على مكروه أتاه، وشكر ربّه على ما أتاه، وفهم عن الله وعظه فوعاه، وحفظ عهده فيما أوصاه.

وسمعت الحسن بن محمّد بن حبيب، يقول: سمعت أبا منصور محمّد بن محمّد بن سمعان المذكر، يقول: سمعت أبا بكر بن الشاه الصوفى الفارسى، يقول: سئل الحرب بن أسد المحاسبى: من التائب؟ فقال: من رأى نفسه من الذنوب معصومًا، وللخيرات موفقًا، ورأى الفرح من قلبه غائبًا والحزن فيه باقيًا، وأحبّه أهل الخير، وهابه أهل الشّر، ورأى القليل من الدّنيا كثيرًا، ورأى الكثير من عمل الآخرة قليلاً، ورأى قلبه فارغًا من كلّ ما ضمن له، مشتغلاً بكل ما أمر به.

وقال السرى بن المغلس السقطى: التوبة صدق العزيمة على ترك الذنوب، والإنابة بالقلب إلى علام الغيوب، والندامة على ما فرط من العيوب، والاستقصاء فى المحاسبة مع النفس بالاستكانة والخضوع.

وقال عمرو بن عثمان: ملاك التوبة إصلاح القوت.

وسمعت أبا القاسم بن أبى بكر بن عبد الله البابى، يقول: سمعت أبا يعلى حمزة بن وهب الطبرى، يقول: سمعت الحسن بن علوية الدامغانى، يقول: سمعت يحيى بن معاذ، وسئل: من التائب؟ فقال: من كسر شبابه على رأسه وكسر الدّنيا على رأس الشيطان، ولزم الفطام حتّى أتاه الحمام.

وقال سهل بن عبد الله: التوبة، الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، وسئل ابن الحسن البوشيخى: عن التوبة؟ فقال: إذا ذكرت الذنب فلا تجد حلاوته فى قلبك.

وقال الراعى: التوبة ترك المعاصى نيةً وفعلاً، والإقبال على الطاعة نيةً وفعلاً، وسمعت أبا القاسم الحبيبى، يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عماد البغدادى، يقول: سئل جنيد: من التائب؟

---

(١) أى الموت.

فقال: من تاب عما دون الله.

وقال شاه الكرمانى: اترك الدّنيا وقد تبت وخالف هواك وقد وصلت، ويعفو عن السيئات إذا تابوا فيمحوها.

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر، حدثنا أبى، حدثنا جعفر بن سواد، حدثنا عطية بن لفتة، حدثنا أبى، حدثنا الزبيرى، عن الزهرى عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أفرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد، ومن العقيم الوالد، ومن الظمآن الوارد. فمن تاب إلى الله تعالى توبة نصوحًا أنسى الله حافظيه وبقاع الأرض خطاياه وذنوبه». أو قال: «ذنوبه وخطاياه».

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾. قرأ الأعمش وحمزة والكسائى وخلف بالتاء، وهى قراءة عبد الله وأصحابه، ورواية حفص عن عاصم غيرهم بالياء، وهى اختيار أبى عبيد، قال: لأنّه لمن خبرنى عن قوم. قال قبله: عن عباده، وقال بعده: ويزيدهم من فضله.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أى يطيع الذين آمنوا ربهم فى قول بعضهم. جعل الفعل للذين آمنوا، وقال الآخرون: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جعلوا الإجابة فعل الله تعالى، وهو الأصوب والأعجب إلىّ لأنّه وقع بين فعلين لله تعالى: الأول قوله: ﴿يَقْبَلُ﴾ والثانى ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾، ومعنى الآية: ويجيب الله المؤمنين إذا دعوه، وقيل: معناه نجيب دعاء المؤمنين بعضهم لبعض.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا مكى بن عبدان، حدثنا عبد الله بن هاشم، حدثنا أبو معاوية بن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن سلمة بن سبرة، قال: خطبنا معاذ بالشام، فقال: أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنّة والله إنّى لأرجو أن يدخل الجنّة من تسبون من فارس والرّوم وذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل، قال: أحسنت يرحمك الله أحسنت بارك الله فيك ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمّد الثقفى، حدثنا الفضل بن الفضل الكندى، حدثنى أبو أحمد عبد الله بن أحمد الزعفرانى الهمذانى، حدثنا محمد بن الحسين بن قتيبة بعسقلان، حدثنا محمد بن أيوب بن سويد، حدثنى أبى، عن أبى بكر الهذلى، عن أبى صالح عن ابن عباس فى قول الله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، قال: تشفعهم فى إخوانهم. ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾. قال: فى إخوان إخوانهم.

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ . الآية نزلت فى قوم من أهل الصفّة[١] تمنوا سعة الدّنيا والغنى. قال خباب بن لادن: فينا نزلت هذه الآية وذلك أنّا نظرنا إلى بنى قريظة والنضير وبنى القينقاع، فتمنيناها فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ﴾ أى وسع الرزق لعباده.

﴿لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ : أى لطغوا وعصوا[٢]. قال ابن عباس: بغيهم ظلمًا، منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبًا بعد مركب وملبسًا بعد ملبس.

أخبرنا الحسين بن محمد بن إبراهيم التبستانى الأصبهانى، حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد ابن العباس العصمى الهروى، أخبرنى محمد بن على بن الحسين، حدثنا أحمد بن صالح الكرابيسى، يقول: سمعت قصير بن يحيى يقول: قال: سفيان[٣] بن إبراهيم فى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ ، قال: لو رزق الله العباد من غير كسب وتفرغوا عن المعاش والكسب لطغوا فى الأرض وبغوا وسعوا فى الأرض فسادًا، ولكن شغلهم بالكسب والمعاش رحمة منه وامتنانًا.

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ : أرزاقهم ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ : لكفايتهم. قال مقاتل: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ : فجعل واحدًا فقيرًا وآخر غنيًا.

﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ . قال قتادة: فى هذه الآية كان يقال: خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك، وذكر لنا أنّ نبى الله ﷺ قال: «أخوف ما أخاف على أمتى، زهرة الدّنيا وكثرتها».

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا أبو جعفر محمد بن الغفار الزرقانى، حدثنا محمد بن يحيى الأزدى، حدثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقى، حدثنا صدقة بن عبد الله، حدثنا عبد الكريم الجزرى، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل (عليه السلام)، عن ربّه عزّ وجلّ قال: «من أهان لى وليًا، فقد بارزنى بالمحاربة، وإنّى لأسرع شىء إلى نصرة أوليائى، وإنّى لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرد، وما ترددت عن شىء أنا فاعله، ترددى عن قبض روح عبدى المؤمن، يكره الموت وأنا أكره إساءته، ولا بد له منه، فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ولسانًا ويدًا ومؤيدًا، إن سألنى أعطيته وإن دعانى استجبت له وإنّ من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة، ولو أعطيته إياه دخله العجب فأفسده، وإنّ من عبادى المؤمنين، لمن لا يصلحه إلاّ السقم ولو

---

(١) فى الهامش: «المدينة».

(٢) فى الهامش: أى وسع الرزق لعباده.

(٣) فى الهامش: «شقيق».

صححته لأفسدهُ ذلك، وإنّ من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلاّ الصحّة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلاّ الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلاّ الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك. إنّى أدبر عبادى لعلمى بقلوبهم إنّى عليمٌ خبير».

قال صدقة: وسمعت أبان بن أبى عياش يحدث بهذا الحديث، عن أنس بن مالك ثمّ يقول: اللّهمّ إنّى من عبادك المؤمنين الّذين لا يصلحهم إلاّ الغنى فلا تفقرنى.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾: يعنى المطر، سمى بذلك لأنّه يغيث النّاس أى يجيرهم ويصلح حالهم.

قال الأصمعى: مررت ببعض قبائل العرب وقد مطروا، فسألت عجوزاً منهم، كم أتاكم المطر؟ فقالت: غثنا ما شئنا.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾: ويبسط مطره نظيره قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ (الأعراف: ٥٧).

أخبرنا شعيب بن محمد، أخبرنا أبو الأزهر، حدثنا روح، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذُكر لنا أنّ رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس. قال: مطرتم، ثمّ قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: من الإجرام والآثام. ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾: منها فلا يؤاخذكم بها.

وقرأ أهل المدينة والشام (بما) بغير (فاء)، وكذلك هى فى مصاحفهم، وقرأ الباقون ﴿فَبِمَا﴾، بالفاء، وكذلك فى مصاحفهم واختاره أبو عبيد وأبو حاتم.

أخبرنا الحسين بن محمد المقرى، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب، حدثنا رضوان بن أحمد، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية الضرير عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلاّ بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر».

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى، حدثنا بشر بن موسى الأسدى، حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا مروان بن معاوية حدثنى الأزهر بن راشد الكاهلى، عن الخضر بن القواس العجلى، عن أبى سخيلة، قال: قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾، قال: «وسأفسرها لك يا علىُّ: ما أصابكم فى الدنيا من بلاء أو مرض أو عقوبة فالله أكرم من أن يثنّى عليكم العقوبة فى الآخرة، وما عفا عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه».

قال: بإسناده عن خلف بن الوليد، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: دخلنا على عمران بن الحصين فى مرضه الشديد الذى أصابه، فقال رجل منّا: إنّى لا بد أن أسألك عما أرى من الوجع بك، فقال عمران: يا أخى لا تفعل فوالله إن أحبّه إلى أحبه إلى الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾. هذا بما كسبت يداى وعفو ربى تعالى فيما بقى.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا موسى بن محمّد بن على، حدثنا جعفر بن محمد الفرمانى، حدثنا أبو خثيمة مصعب بن سعيد، حدثنا زهير بن معاوية، عن أبى إسحاق، عن مرة الهمذانى، قال: رأيت على ظهر كف شريح قرحة، قلت: يا أبا أمامة ما هذا؟ قال: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

أخبرنا الحسين بن فنجويه الدينورى، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى، حدثنا عبد الله بن

أحمد بن حنبل، حدثنى إبراهيم بن الحسن الباهلى المقرى، حدثنا حمّاد بن زيد أبو إسماعيل عن ابن عون، عن محمد بن سيرين، قال: لما ركبه الدَّين اغتمّ لذلك، فقال: إنّى لأعرف هذا العلم، هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا موسى بن محمد، حدثنا أبو بشر أحمد بن بشر الطيالسى، حدثنى بعض أصحابنا، عن أحمد بن الحوارى، قال: قيل لأبى سلمان الدارانى: ما بال العقلاء أزالوا اللّوم عمن أساء إليهم؟ قال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنّما ابتلاهم بذنوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا محمد بن عبد الله بن برزة، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى، حدثنا عاصم بن على، حدثنا ليث بن سعد، عن يزيد بن أبى حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ، قال: «إذا أراد الله تعالى بعبده الخير عجّل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشّر أمسك عليه بذنبه حتّى يوافى به يوم القيامة».

وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبدًا فما فوقها إلاّ بذنب لم يكن الله ليغفر له إلاّ بها، أو درجة لم يكن الله ليبلّغه إلاّ بها.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن رجاء[1]، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا وكيع، عن ابن أبى داود، عن الضحاك، قال: ما تعلَّم رجلٌ القرآن ثمّ نسيه إلاّ بذنب، ثمّ قرأ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، ثمّ قال: وأى مصيبة أعظم من نسيان القرآن. وقال الحسن فى هذه الآية: هذا فى الحدود.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: هربًا. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾: يعنى السّفن، واحدتها جارية وهى السائرة فى البحر، قال الله تعالى: ﴿حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة: ١١).

﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾: أى الجبال، مجاهد: القصور، واحدها علم.

وقال الخليل بن أحمد: كلّ شىء مرتفع عند العرب فهو علم.

قالت الخنساء ترثى أخاها صخرًا:

وإنّ صخرًا لتأتمّ الهداة به ... كأنّه علم فى رأسه نار

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾: ثوابت وقوفًا. ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾: أى على ظهر الماء. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾: يهلكهنّ. ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾: أى بما كسب أصحابها

(١) فى الهامش: «حاجب».

وركبانها من الذنوب. ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾: فلا يعاقب عليها ويعلم.

قرأ أهل المدينة والشام بالرفع على الاستئناف كقوله فى سورة براءة: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ (التوبة: ١٥)، وقرأها الآخرون نصبًا على الصرف كقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢) صرف من حال الجزم إلى النصب استحقاقًا وكراهة لعوال الجزم، كقول النابغة:

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ... ربيع النّاس والشهر الحرامُ
وغمسك بعده بذناب عيش ... أجبّ الظهر له سنامُ

وقال الآخر:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: محيد عن عقاب الله تعالى. ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾: من رياش الدّنيا وقماشها. ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: وليس من زاد المعاد. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الثواب. ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾.

قرأ يحيى بن رثاب وحمزة والكسائى وخلف ههنا وفى سورة النجم (كبير) على التوحيد وفسروه الشرك عن ابن عباس، وقرأ الباقون: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ بالجمع فى السورتين، وقد بينا اختلاف العلماء فى معنى ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ والفواحش. قال السدى: يعنى الزنا، وقال مقاتل: موجبات الخلود.

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: يتجاوزون ويتحملون.

❖ ❖ ❖

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۝٤٤ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ

خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ، وقيل هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه. حين لامه الناس على إنفاق ماله كله، وحين شُتم فحلم.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا إسحاق بن صدقة، حدثنا عبد الله بن هاشم، حدثنا سيف بن عمر، عن عطية، عن أيوب، عن على رضى الله عنه قال: اجتمع لأبى بكر رضى الله عنه مال مرة فتصدق به كلّه فى سبيل الخير، فلامه المسلمون وخطّأه الكافرون، فأنزل الله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ خص به أبا بكر وعم به من اتبعه.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ : ينتقمون من ظالميهم من غير أن يعتدوا.

وقال مقاتل: هذا فى المجروح ينتصر من الجارح فيقتص منه. قال إبراهيم: فى هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا له.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ : سمى الجزاء باسم الابتداء وإن لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة. قال ابن نجيح: هو أن يجاب قائل الكلمة القبيحة بمثلها، فإذا قال: أخزاه الله. يقول له: أخزاه الله، وقال السدّى: إذا شتمك بشتمة فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدى.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا ابن حنش المقرى، حدثنا أبو القاسم بن الفضل، حدثنا على بن الحسين، حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر، قال سفيان بن عيينة: قلت لسفيان الثورى: ما قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ أن يشتمك رجل فتشتمه؟، أو أن يفعل بك فتفعل به؟

فلم أجد عنده شيئًا فسألت هشامًا الحجرى[1] عن هذه الآية، فقال: الجارح إذا جرح تقتص منه وليس هو أن يسبك فتسبه.

وقال سفيان: وكان ابن شبرمة يقول: أليس بمكّة مثل هشام بن حجير فمن عفا فلم ينتقم. قال ابن عباس: فمن ترك القصاص وأصلح، وقال مقاتل: وكان العفو من الأعمال الصالحة فأجره على الله.

قال ابن فنجويه العدل، حدثنا محمد بن الحسن بن بشر، أخبرنا أبو العباس محمد بن جعفر بن ملاس الدمشقى، حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن بشر القريشى، حدثنا زهير ابن عباد المدائنى، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، نادى مناد من كان له على الله أجرٌ، فليقم، قال: فيقوم عنق كثير. قال: فقال: ما أجركم على الله، فيقولون: نحن الّذين عفونا عمّن ظلمنا، وذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيقال لهم: ادخلوا الجنّة بإذن الله».

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الله ﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾. قال ابن عباس: الّذين يبدءون بالظلم. لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ مبتدئين به. ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾. فلم يخاف. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: وحزمها. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: يهديه أو يمنعه من عذاب الله.

﴿وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: الكافرين. ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾: رجوع إلى الدنيا. ﴿مِّن سَبِيلٍ ۝ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: أى على النّار ﴿خَـٰشِعِينَ﴾: خاضعين متواضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾: ذليل قد خفى من الذّلّ. قاله ابن عباس، وقال مجاهد وقتادة والسدى والقرظى: سارقو النظر.

واختلف العلماء باللغة فى وجه هذه الآية، فقال يونس: من بمعنى الباء، مجازه: بطرف خفى، أى ضعيف من الذل والخوف، وقال الأخفش: الطرف العين، أى ينظرون من عين ضعيفة، وقيل: إنما قال: ﴿مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ لأنه لا يفتح عينه إنّما ينظر ببعضها، وقيل معناه: ينظرون إلى النّار بقلوبهم لأنّهم يحشرون عميًا، والنظر بالقلب خفى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: دائم. ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾: طريق

(١) فى الهامش: «هشام بن حجير».

للوصول إلى الحقّ فى الدنيا والجنة فى العقبى، قد انسدت عليه طرق الخير. ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ : بالإيمان والطاعة. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ : معقل. ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ : منكم يغير ما بكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ۝ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ : فلا يكون له ولد ذكر.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا الفضل بن الفضل الكندى، حدثنا محمد بن الحسين الفرج، حدثنا أحمد بن الخليل القومى، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حكيم بن حزام أبو سمير، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من يمن المرأة تبكيرها بالأُنثى قبل الذكر، وذلك أنّ الله تعالى يقول: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ . ألا ترى أنّه بدأ بالإناث قبل الذكور».

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ : فلا يكون له أُنثى. ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ﴾ : يجمع بينهما فيولد له الذكور والإناث. تقول العرب: زوجت وزوجت الصغار بالكبار. أى قرنت بعضها ببعض.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا طلحة وعبيد، قالا: حدثنا ابن مجاهد، حدثنا الحسين بن على ابن العباس، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبيد الله، عن إسماعيل بن سلمان، عن أبى عمر، عن ابن الحنفية فى قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ﴾ . قال: التوائم.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ : فلا يلد ولا يُولد له.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا الحسن بن علوية، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، فى قول الله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ قال: نزلت فى الأنبياء (عليهم السلام) ثمّ عمت، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ : يعنى لوطًا (عليه السلام) لم يولد له ذكر إنّما ولد له ابنتان. ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ : يعنى إبراهيم (عليه السلام) لم يولد له أنثى ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ﴾ : يعنى النبى ﷺ ولد له بنون وبنات ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ : يعنى يحيى وعيسى (عليهما السلام).

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ .

أخبرنا أبو محمد الحسين بن أحمد بن محمد المخلدى إملاء، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك ابن

محمد بن عدى، حدثنا عمار بن رجاء وعلى بن سهل بن المغيرة، قالا: حدثنا على بن الحسن ابن شقيق، (ح)[1] وأخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا ابن وهب، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا على بن الحسن بن شقيق، حدثنا أبو حمزة السّكرى المروزى، عن إبراهيم الصائغ عن حماد بن أبى سليمان، عن إبراهيم النخعى، عن الأسود، عن عائشة «رضى الله عنها». قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أولادكم هبة الله لكم ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ فهم وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها».

قال على بن الحسن: سألنى يحيى بن معين عن هذا الحديث.



﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ الآية وذلك أنّ اليهود قالوا للنبى ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فإنّا لا نؤمن لك حتّى تفعل ذلك. فقال ﷺ: «لم ينظر موسى إلى الله» فأنزل الله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾.

﴿إِلَّا وَحْيًا﴾: يوحى إليه كما[2] يشاء إما بالإلهام أو فى المنام. ﴿أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾: بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى (عليه السلام) ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾. إليه من ملائكة، إما جبريل وإما غيره. ﴿فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾.

قرأ شيبة ونافع وهشام (أو يُرسل) برفع اللام على الابتداء (فيوحى) بإسكان الياء، وقرأ الباقون بنصب اللام والياء عطفًا بهما على محل الوحى لأنّ معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ أن يوحى أو يرسل.

﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ﴾: أى وما أوحينا إلى سائر رُسلنا كذلك. ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.
(٢) فى الهامش: «كيف».

﴿أَمْرِنَا﴾. قال الحسن: رحمة. ابن عباس: نبوة. السدى: وحيًا. الكلبى: كتابًا. ربيع: جبريل. ملك بن دينار: يعنى القرآن، وكان يقول: يا أصحاب القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم فإن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾: قبل الوحى. ﴿مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾: يعنى شرائع الإيمان ومعالمه.

وقال أبو العالية: يعنى الدعوة إلى الإيمان، وقال الحسين بن الفضل: يعنى أهل الإيمان من يؤمن ومن لا يؤمن، وقال محمد بن إسحاق بن جرير: الإيمان فى هذا الموضع الصلاة. دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ (البقرة:١٤٣).

﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا﴾: وحد الكتابة وهما اثنان: الإيمان والقرآن؛ لأن الفعل فى كثرة أسمائه بمنزلة[1] الفعل، ألا ترى أنك تقول إقبالك وإدبارك يُعجبنى فيوحّدوه وهما اثنان.

قال ابن عباس: ﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ﴾ يعنى الإيمان، وقال السدى: يعنى القرآن.

﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾: لتُرشد وتدعو. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾: أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، حدثنا أحمد بن محمد بن شاذان، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا صالح بن محمد، قال: سمعت أبا معشر يحدث، عن سهل بن أبى الجعداء وغيره. قال: احترق مصحف فلم يبق إلاّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ وغرق مصحف فامتحى كل شىء فيه إلاّ قوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.



(١) فى الهامش: يضبطه.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

مكية، وهى تسع وثمانون آية، وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة، وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف

أخبرنا ابن المقرى، أخبرنا ابن مطر، حدثنا ابن شريك، حدثنا ابن يونس، حدثنا سلام بن سليم، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه، عن أبى أُمامة الباهلى، عن أُبى بن كعب. قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة: يا عبادى لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب». قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ۝١٥﴾

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾. أى أنزلناه وسميناه وبيّناه ووصفناه. كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ﴾ (المائدة: ١٠٣). وقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ

عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ (الزخرف: ١٩)، وقوله: ﴿جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ (الحجر: ٩١)، وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾(التوبة: ١٩). كلّها بمعنى الوصف والتسمية ويستحيل أن يكون بمعنى الخلق. ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُۥ﴾: يعنى هذا الكتاب. ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: يعنى اللوح المحفوظ الذى عند الله تعالى منه ينسخ، وقال قتادة: أصل الكتاب وجملته.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا مكى بن عيدان، حدثنا عبد الله بن هاشم بن حيان، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا هشام الدستوائى، حدثنى القاسم بن أبى بزة، حدثنى عروة بن عامر القريشى، قال: سمعت ابن عباس يقول: إنّ أول ما خلق الله تعالى القلم وأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق والكتاب عنده ثمّ قرأ ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

﴿لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾: اختلفوا فى معناه. فقال قوم: أفنضرب عنكم العذاب ونمسك ونعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم، وهذا قول مجاهد والسدى، ورواية الوالبى عن ابن عباس. قال: أفحسبتم أنّه يصفح عنكم ولما تعقلوا[1] ما أمرتم به، وقال آخرون: معناه أفنمسك عن إنزال القرآن ونتركه من أجل أنكم لا تؤمنون به فلا ننزله ولا نكرره عليكم، وهذا قول قتادة وابن زيد.

وقال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رُفع حين ردّه أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله تعالى عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة. أو ما شاء الله من ذلك.

وقال الكلبى: أفنترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم. الكسائى: أفنطوى عنكم الذكر طيًا، فلا تدعون ولا توعظون.

وهذا من فصيحات القرآن، والعرب تقول لمن أمسك عن الشيء وأعرض عنه: ضرب عنه صفحًا، والأصل فى ذلك أنّك إذا أعرضت عنه ولّيته صفحة عنقك، قال كثير:

صفوحًا فما تلقاك إلا بخيلَةً ... فمن ملّ منها ذلك الوصل مَلّت

أى معرضة بوجهها، وضربت عن كذا وأَضربت، إذا تركته وأمسكت عنه.

﴿أَن كُنتُمۡ﴾: قرأ أهل المدينة والكوفة إلاّ عاصمًا إن تُكتب الألف على معنى إذ. كقوله: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، (البقرة: ٢٧٨) وقوله: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنًا﴾ (النور: ٣٣).

وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم أرادوا على معنى المضى كما يقول فى الكلام: أسبّك إن حرمتنى، يريد إذا حرمتنى. قال أبو عبيدة: والنّصبُ أَحبُّ إلىَّ؛ لأن الله تعالى عاتبهم على ما كان منهم وعلمه قبل ذلك من فعلهم.

(١) فى الهامش: «تفعلوا».

﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ : مشركين متجاوزين أمر الله. ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم﴾. أى وما كان يأتيهم. ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ : كاستهزاء قومك بك. يعزّى نبيه ﷺ ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ : قوة. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ : صفتهم وسنتهم وعقوبتهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ : أى بمقدار حاجتكم إليه. ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ : فأحيينا. ﴿بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ﴾ : أى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك. ﴿تُخْرَجُونَ﴾ : من قبوركم أحياء.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ : الأصناف. ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ : ذكر الكناية لأنّه ردها إلى ما، وقال الفراء: أضاف الظهور إلى الواحد لأنّ ذلك الواحد فى معنى الجمع كالجند والجيش والرهط والخيل ونحوها من أسماء الجيش.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ : أى مطبقين ضابطين قاهرين وهو من القرآن، كأنه أراد وما كنا مقاومين له فى القوة. ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ : لمنصرفون فى المعاد.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى، حدثنا سعيد بن محمد بن إسحاق الصيرفى حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شنبه، حدثنا محمد بن عمران بن أبى ليلى، حدثنا أبى عن ابن أبى ليلى، عن الحكم، عن على بن ربيعة، عن على رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، أنّه كان إذا وضع رجله فى الركاب، قال: «بسم الله» فإذا استوى على الدابة. قال: «الحمد لله على كل حال ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾، وكبر ثلاثًا وهلل ثلاثًا.

وقال قتادة: فى هذه الآية يُعلمكم كيف تقولون إذا ركبتم فى الفلك والأنعام تقولون: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٩).

﴿وَجَعَلُوا﴾ : يعنى هؤلاء المشركين ﴿لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ : أى نصيبًا وبعضًا.

وقال مقاتل وقتادة: عدلاً وذلك قولهم للملائكة هم بنات الله تعالى.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝﴾

وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم﴾: أخلصكم وخصصكم. ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾: نظيره قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا﴾ (الإسراء: ٤٠).

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا﴾: يعنى البنات. دليلها فى النّحل ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: من الحزن والغيظ.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟﴾ قرأها أهل الكوفة بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين على غير تسمية الفاعل. أى يُربى غيرهم (يَنْشَأُ): بفتح الياء وجزم النون وتخفيف الشين، أى ينبت ويكبر. ﴿فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾: فى الزينة، يعنى النساء. قال مجاهد: رخّص للنساء فى الحرير والذهب، وقرأ

هذه الآية.

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن الحسين الزعفرانى، حدثنا يحيى بن جعفر بن أبى طالب، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن سعيد بن أبى هند، عن أبى موسى الأشعرى، قال قال رسول الله ﷺ: «الذهب والحرير حرام على ذكور أمتى، حلّ لإناثهم».

﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: للحجة من ضَعفهنّ وسَفههُنّ. قال قتادة فى هذه الآية: قلما تتكلم امرأة بحجتها إلاّ تكلمت الحجة عليها، وفى مصحف عبد الله (وهو فى الكلام غير مبين).

وقال بعض المفسرين: عنى بهذه الآية أوثانهم التى كانوا يعبدونها ويجلونها ويزينونها وهى لا تتكلم ولا تنبس. قال ابن زيد: هذه تماثيلهم التى يضربونها من فضة وذهب، وينشئونها فى الحلية يتعبدونها. فى محل من ثلاثة وجوه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإضمار، مجازه: أو من ينشأ يجعلونه ربًا أو بنات الله، والخفض ردًا على قوله: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ وقوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾.

﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة ﴿عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: بالألف والياء، واختاره أبو عبيد قال: لأن الإسناد فيها أعلى ولأنّ الله تعالى إنما كذبهم فى قوله: (بنات الله) فأخبر أنّهم عبيده وليسوا بناته، وهى قراءة ابن عباس.

أخبرنا محمد بن نعيم، أخبرنا الحسين بن أيوب، أخبرنا على بن عبد العزيز، أخبرنا القاسم بن سلام، حدثنا هيثم عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنَّهُ قرأها ﴿عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾.

قال سعيد: فقلت لابن عباس: إنَّ فى مصحفى عبد الرحمن. فقال: امسحها واكتبها ﴿عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾، وتصديق هذه القراءة، قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء:٢٦)، وقرأ الآخرون عند الرّحمن بالنون واختاره أبو حاتم، قال: لأن هذا مدح، وإذا قلت: ﴿عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: وتصديقها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ (الأعراف:٢٠٦).

﴿أَشَهِدُواْ﴾: أَحَضرُوا. ﴿خَلْقَهُمْ﴾: حتّى يعرفوا أنّهم إناث، وقرأ أهل المدينة ﴿أَشْهِدُواْ﴾[1] على غير تسمية الفاعل أى أحضروا. ﴿خَلْقَهُمْ﴾: حين خلقوا. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ﴾: على الملائكة أنّهم بنات الله. ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾: عنها.

(١) فى الهامش: «أو اشهِدُوا».

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ : يعنى الملائكة فى قول قتادة ومقاتل والكلبى، وقال مجاهد: يعنى الأوثان، وإنّما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها الرضا منا بعبادتها. قال الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ فيما يقولون: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ : يكذبون.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ : أى من قبل هذا القرآن. ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۞ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ : دين. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ : وقراءة العامة (أمة) بضم الألف، وهى الدين والملة، وقرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد إمة بكسر الألف واختلفوا فى معناها، فقيل: هى الطريقة والمقصد من قولهم أممت، وقيل: هى النعمة. قال عدى بن زيد: ثمّ بعد الفلاح والملك والأمة وأريهم هناك القبور، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ : مستنون متبعون.

﴿قَٰلَ﴾[1] : قراءة العامة على الأمر، وقرأ ابن عامر على الخبر ومثله روى حفص بن عاصم. ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾[2] : بالألف أبو جعفر. الباقون: جئتكم على الواحد. ﴿بِأَهْدَىٰ﴾ : بدين أصوب. ﴿مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ : أى برىء، ولا يثنى البراء ولا يجمع ولا يؤنث لأنه مصدر وضع موضع النعت، وفى قراءة عبد الله (برىء) بالياء. ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ : خلقنى، ومجاز الآية: إننى براء من كل معبود إلاّ الذى فطرنى.

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ : إلى دينه. ﴿وَجَعَلَهَا﴾ : يعنى هذه الكلمة والمقالة ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ : قال قتادة ومقاتل[3] : يعنى لا إله إلا الله، وقال القرظى: يعنى وجعل وصية إبراهيم التى أوصى بها بنيه باقية فى نسله وذريته وهى التى ذكرها الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ﴾ (البقرة: ١٣٢)، وقال ابن زيد: يعنى قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة ١٣١) وقرأ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الحج: ٧٨).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ : من كفرهم إلى الطاعة ويتوبون ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ : فى الدنيا فلم أهلكهم ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم. ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ : القرآن، وقال الضحاك: الإسلام. ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ : يبين لهم الأعلام والأحكام وهو محمد ﷺ.

---

(١) فى المخطوط: «قُلْ» ورسمت فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع فيلاحظ ذلك مع قول المؤلف.

(٢) فى المخطوط: «جئناكم» ورسمت ما فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع فتابع على ضوء ذلك قول المؤلف.

(٣) فى الهامش: «مجاهد».

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ : القرآن ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ . يعنى من إحدى القريتين ولم يختلفوا فى القريتين أنَّهما مكة والطائف، واختلفوا فى الرجلين من هما. قال ابن عباس: الوليد بن المغيرة من مكّة وكان يسمى ريحانة قريش، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفى من الطائف.

وقال مجاهد: عتبة بن الربيع من مكة وابن عبد ياليل الثقفى من الطائف. قتادة: هما الوليد بن المغيرة المخزومى، وأبو مسعود عروة بن مسعود الثقفى، وقال السدى: الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ نبوته وكرامته فيجعلونها لمن شاءوا. ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ : فجعلنا هذا غنيًا وهذا فقيرًا وهذا ملكًا وهذا مملوكًا، وقرأ ابن عباس وابن يحيى (معايشهم) ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ : أى ليُسخّر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل ويستخدمونهم ليكون بعضهم لبعض سبب المعاش فى الدنيا، هذا بماله وهذا بأعماله؛ هذا قول السدى وابن زيد، وقال قتادة والضحاك: يعنى ليملك بعضهم بعضًا فهذا عبد هذا، وقيل: يسخر بعضهم من بعض، وقيل: يتسخر بعضهم بعضًا.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ : يعنى الجنّة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ : فى الدنيا من الأموال ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ : مجتمعين على الكفر فيصيروا كلهم كفّارًا. هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن زيد: يعني: ولولا أن يكون النّاس أُمة واحدة فى طلب الدّنيا واختيارها على العقبى.

﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ : وقرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وحميد ويحيى بن وثاب ﴿سُقُفًا﴾ : بفتح السين على الواحد ومعناه الجمع اعتبارًا بقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ (النحل: ٢٦)، وقرأ الباقون بضم السين والقاف على الجمع. يقال سقف وسُقف مثل رهن ورهن: قال أبو عبيد: ولا ثالث لهما، وقيل: هو جمع سقيف، وقيل: هو جمع سقوف وجمع الجمع. ﴿وَمَعَارِجَ﴾ : أى مصاعد ومراق ودرجًا وسلالم، وقرأ أبو رجاء العطاردى (ومعاريج) وهما لغتان واحدهما معراج مثل مفتاحٍ ومفاتيح.

﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ : يعلون ويرتقون ويصعدون بها، ظهرت على السطح إذا علوته. قال النابغة الجعدى:

بلغنا السماء بمجدنا وفعالنا[1] وإنَّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

(١) فى الهامش: فى نسخة: «بلغنا السماء مجدنا وجدودنا».

أى مصعداً.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ : من فضة ﴿وَسُرُرًا﴾ : من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۝ وَزُخْرُفًا﴾ : أى وجعلنا لهم مع ذلك ﴿وَزُخْرُفًا﴾ : وهو الذهب نظير بيت مزخرف، ويجوز أن يكون معناه من فضة وزخرف فلما نزع الخافض نصب.

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ : شدده عاصم وحمزة على معنى ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وخففه الآخرون على معنى ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (آل عمران: ١٤) فتكون لغة الواصلة ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ : للمؤمنين.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا أحمد بن شاذان، أخبرنا جيغويه بن محمد، حدثنا صالح بن محمد، حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبان، عن سليمان بن القيس العامرى، عن كعب. قال: إنّى لأجد فى بعض الكتب، لولا أن يحزن عبدى المؤمن لكللت رأس الكافر بأكاليل فلا يصدع ولا ينبض منه عرق يوجع.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا الفريابى، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزيدى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم، عن مسلم بن أبى المجرر[1]، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنّه كان يقول: لو أنّ رجلاً هرب من رزقه لاتبعه حتى يدركه، كما أن الموت يدرك من هرب منه له أجل هو بالغه، أو أثر هو واطئه ورزق هو آكله وحرف هو قائله فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، فلا يحملنكم استبطاء شىء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، فإنّ الله لا ينال ما عنده إلاّ بطاعته، ولن يُدرك ما عنده بمعصيته. فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب.



﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝٣٨ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٩ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٤٠ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝٤٢ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ

(١) فى الهامش: «المجرد».

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَمَن يَعْشُ﴾: يعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه.

وقال الضحاك: يمض قدمًا. القرظى: يولّ ظهره على ذكر الرّحمن وهو القرآن. أبو عبيدة والأخفش: أى تظلم عينه، الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر ببصر ضعيف، وأنشد فى معناه:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

وروى نوفل بن أبى عقرب عن ابن عباس أنّه قرأ ﴿وَمَن يَعْشَ﴾ بفتح الشين ومعناه: «من يعم». يقال منه: عشى يعشى عشيًا إذا عمى، ورجل أعشى وامرأة عشواء، ومنه قول الأعشى:

رأت رجلاً غائب الوافدين ... مختلف الخلق أعشى ضريرا

﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا﴾: أى نضمه إليه ونسلّطه عليه ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾: فلا يفارقه. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: يعنى الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾: يعنى الكافرين. ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾: قرأ أهل العراق وابن محيصن على الواحد يعنون الكافر، واختاره أبو عبيد وقرأ الآخرون ﴿جَآءَنَا﴾ على التشبيه يعنون الكافر وقرينه.

﴿قَالَ﴾: الكافر للشيطان. ﴿يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: أى المشرق والمغرب، فقلب اسم أحدهما على الآخر، كما قال الشاعر:

أخذنا بآفاق السّماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

يعنى الشمس والقمر، ويقال للغداة والعشى العصران: قال حميد بن ثور:

ولن يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وقال آخر:

وبصرة الأزد منا والعراق لنا والموصلان ومنا المصر والحرم

أراد الموصل والجزيرة، ويقال للكوفة والبصرة: البصرتان، ولأبى بكر وعمر «رضى الله عنهما»: العمران، وللسبطين: الحسنان، وقال بعضهم: أراد بالمشرقين، مشرق الصيف ومشرق الشتاء. كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: ١٧).

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾: قال أبو سعيد الخدرى: إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: فى الآخرة ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾: أشركتم فى الدّنيا ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: يعنى لن ينفعكم إشراككم فى العذاب لأنّ لكلّ واحد نصيبه الأوفر منه فلا يخفف عنكم العذاب لأجل قرنائكم.

وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لأنّكم أنتم وقرناءكم مشتركون اليوم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الكفر.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: يعنى الكافرين الذين حقّت عليهم كلمة العذاب فلا يؤمنون.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾: فنميتك قبل أن نعذبهم. ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾: فنعذبهم فى حياتك.

﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾: قال أكثر المفسرين: أراد به المشركين من أهل مكّة فانتقم منهم يوم بدر، وقال الحسن وقتادة: عنى به أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ وقد كان بعد نبى الرحمة نقمة شديدة فأكرم الله نبيه وذهب به، ولم يُره فى أمته إلاّ الذى تقر عينه، وأبقى النقمة بعده، وليس من نبى إلا أُرى فى أُمته العقوبة، وذكر لنا أنّ النبى ﷺ أُرى ما يصيب أمته بعده فما رُئى ضاحكًا منبسطًا[1] حتى قبضه الله تعالى.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُۥ﴾: يعنى القرآن. ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾: لشرف لك ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾: من قريش، نظيره قوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (الأنبياء: ١٠) أى شرفكم. ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾: عن حقّه وأداء شكره.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى، حدثنا أبو على بن حبش المقرى، حدثنا أبو بكر ابن محمد بن أحمد بن إبراهيم الجوهرى، حدثنا عمى، حدثنا سيف بن عمر الكوفى، عن وائل أبى بكر، عن الزهيرى، عن عبد الله وعطية بن الحسن، عن أبى أيوب، عن على،

(١) فى الهامش: «مستبشراً».

(ح)[١] وعن الضحاك، عن ابن عباس. قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكّة، ويعدهم الظهور، فإذا قالوا لمن الملك بعدك، أمسك، فلم يخبرهم بشىء، كأنّه[٢] لم يؤمر فى ذلك بشىء حتّى نزل ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾. فكان بعد ذلك إذا سئل، يقول: فى قريش[٣]، فلا يجيبونه، وقبلته الأنصار على ذلك.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى، حدثنا نصر بن منصور بن جعفر النهاوندى، حدثنا أحمد بن يحيى بن الجارود، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد، عن العمرى، عن نافع، عن ابن عمر، أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان».

أخبرنا عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد الناهد، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، حدثنا الحسن بن ناصح ومحمد بن يحيى، قالا: حدثنا نعيم بن عماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا معمر، عن الزهرى، عن محمد بن حسن بن مطعم، عن معاوية، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «لا يزال هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلاّ كُبّ على وجهه ما أقاموا الدّين».

أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد، أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا إبراهيم بن عبد الرحيم حدثنا هوذة بن خليفة، حدثنا عوف، عن زياد بن محراق، عن أبى كنانة، عن أبى موسى، قال: قام النبى ﷺ على باب البيت وفيه نفرٌ من قريش، فأخذ بعضادتى الباب، ثمّ قال: «هل فى البيت إلاّ قريشى؟» قالوا: لا يا رسول الله. إلاّ ابن أخت لنا، قال: «ابن أخت القوم منهم» ثم قال: «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما داموا إذا حكموا فعدلوا، واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً».

أخبرنا عبيد الله الزاهد، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا إبراهيم بن عبد الرحيم، حدثنى موسى بن داود وخالد بن خداش، قالا: حدثنا بكير بن عبد العزيز، عن يسار بن سلامة، عن أبى بردة[٤]، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأُمراء من قريش، لى عليهم حق ولهم عليكم حقّ

(١) زيادة حديثية يتطلبها السياق.

(٢) فى الهامش: «لأنه».

(٣) هذا خبر غير صحيح.

(٤) فى الهامش: «برزة».

ما فعلوا ثلاثًا: ما حكموا فعدلوا، واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا».

زاد خالد: «فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبة قال: سمعت أبي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قال: قول الرجل: حدثني أبي عن جدي.

﴿وَسْـَٔلْ﴾: يا محمد. ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

اختلف العلماء في هؤلاء المسؤولين[1]. فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي وعطاء بن أبي رباح والحسن والمقاتلان: هم المؤمنون أهل الكتابين، وقالوا: هي في قراءة عبد الله وأبي (وأسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا)، وقال ابن جبير وابن زيد: هم الأنبياء الذين جمعوا له ليلة أُسرى به ببيت المقدس.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا موسى بن محمد، حدثنا الحسن بن علويه، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا المسيب، قال: قال أبو جعفر الدمشقي: سمعت الزهري يقول: لما أسرى بالنبي ﷺ صلى خلفه تلك الليلة كلّ نبي كان أُرسل فقيل للنبي عليه السلام: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري، حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الأزدي الموصلي، حدثنا عبد الله بن محمد بن غزوان البغدادي، حدثنا علي بن جابر، حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله ومحمد بن إسماعيل، قالا: حدثنا محمد بن فضل، عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني ملك فقال: يا محمد ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ على ما بعثوا، قال: قلت: على ما بعثوا قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾: وبها يستهزئون ويكذبون.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها. ﴿وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: بالسنين والطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَقَالُوا۟﴾: لما عاينوا العذاب. ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾: يا أيها العالم الكامل الحاذق، وإنّما قالوا هذا توقيراً وتعظيمًا منهم، لأنّ السحر كان عندهم علمًا عظيمًا وصفة ممدوحة، وقيل: معناه يا

(١) في المتن: «المشركين»، والتصويب من الهامش.

أيها الذى غلبنا بسحره، كقول القائل[١]: خاصمته فخصمته، ونحوها.

ويحتمل أنهم[٢] أرادوا به الساحر على الحقيقة عيبًا منهم إياه، فلم يناقشهم موسى (عليه السلام) فى مخاطبتهم إياه بذلك رجاء أن يؤمنوا.

﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أى بما أخبرتنا عن عهده إليكَ أنَّا إن آمنا كُشف عنا، فاسأله يكشف عنا، ﴿إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾: مؤمنون.

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾: ينقضون عهدهم ويصرّون على كفرهم ويتمارون فى غيهم.



﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِى قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِى مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِى مِن تَحۡتِىٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝ فَلَوۡلَآ أُلۡقِىَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ۝ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلۡأٓخِرِينَ ۝ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِى تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ۝ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ۝ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝﴾

﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِى قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِى مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: يعنى أنهار النيل

---

(١) فى الهامش: «العرب».

(٢) فى المخطوط: «أنه»، وهو تحريف.

ومعظمها أربعة: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تنيس. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾: بين يدى وجناتى وبساتينى، وقال ابن عباس: حولى. عطاء: فى قبضتى وملكى. الحسن: بأمرى.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾: بل أنا بخير. (أم) بمعنى بل، وليس بحرف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء: وقوم من أهل المعانى الوقوف على قوله: (أَم)، وعنده تمام الكلام.

وفى الآية إضمار ومجازها: أفلا تبصرون أم لا تبصرون أم ابتداء، فقال: أنا خير ﴿مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾: ضعيف حقير يعنى موسى (عليه السلام). ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: يفصح بكلامه وحجته، لعيّه ولعقدته والرنة التى فى لسانه.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ﴾: إن كان صادقًا ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾: قرأ الحسن ويعقوب وأبو حاتم وحفص ﴿أَسْوِرَةٌ﴾: على جمع السوار، وقرأ أبى: أساور، وقرأ ابن مسعود: أساوير، وقرأ العامة: أساورة بالألف على جمع الأسورة وهو جمع الجمع.

وقال أبو عمرو بن العلاء: واحد الأساورة والأساور والأساوير أساور، وهى لغة فى السوار. قال مجاهد: كانوا إذا استودوا رجلاً سوّروه بسوار، وطوّقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته وعلامة لرياسته. فقال فرعون: هلا ألقى ربّ موسى أسورة من ذهب.

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: متابعين يقارن بعضهم بعضًا يمشون معه شاهدين له.

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ القبط وجدهم جهالاً. ﴿فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا ابن مالك، حدثنا ابن حنبل، حدثنا أبى، حدثنا الوليد بن مسلم، قال: قال الضحاك بن عبد الرحيم بن أبى حوشب: سمعت بلال بن سعد يقول: قال أبو الدرداء: لو كانت الدّنيا تزن عند الله جناح ذباب ما سقى فرعون منها شرابًا.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾: أغضبونا، وقال الحسين بن الفضل: خالفونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا﴾ قرأ على وابن مسعود بضم السين وفتح اللام، وقال المؤرخ والنضر ابن شميل: هى جمع سلفة، مثل طرقة وطرق، وغرفة وغرف، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائى بضم السين واللام، قال الفراء: هو جمع سليف، وحكى عن القاسم بن معين أنّه سمع العرب تقول: مضى سليف من الناس، وقال أبو حاتم: سَلَف وسُلُف واحد، مثل خَشَب وخُشُب، وثَمَر وثُمُر وقرأ الباقون فتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس، وراصد ورصد، وهم جميعًا: الماضون المتقدمون من الأمم.

﴿وَمَثَلًا﴾: عبرة. ﴿لِّلْـَٔاخِرِينَ﴾: لمن يجىء بعدهم، قال المفسرون: سلفًا لكفّار هذه الأمة

إلى النار.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ : فى خلقه من غير أب. فشبه بآدم من غير أب ولا أُم. ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ : يقولون ما يريد محمد منا إلاّ أن نعبده ونتخذه إلهًا كما عبدت النصارى عيسى. قاله قتادة.

وقال ابن عباس: أَراد به مناظرة عبد الله بن الزبعرى مع النبى ﷺ وشأن عيسى (عليه السلام)، وقد ذكرناها فى الأنبياء (عليهم السلام) واختلف القرّاء فى قوله: ﴿يَصِدُّونَ﴾ فقرأ أهل المدينة والشام وجماعة من الكوفيين بضم الصاد، وهى قراءة على والنخعى ومعناه يعرضون، ونظيره قوله: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦١).

وقرأ الباقون بكسر الصاد، وهى اختيار أبى عبيد وأبى حاتم واختلفوا فى معناه، فقال الكسائى: هما لغتان مثل يعرشون ويعرُشون، ويعكفون ويعكُفون، ودرّت الشاة تدر وتدُر، وشذ عليه يشذ ويشذ، ونمّ الحَديث ينمه وينمُه، وقال ابن عباس: معناه يضجون. سعيد بن المسيب: يصيحون ضحاك: يعجون. قتادة: يجزعون ويضحكون، وقال القرظى: يضجرون.

وقال الفراء: حدثنى أبو بكر بن عياش أنَّ عاصمًا قرأ يصُدون من قراءة أبى عبد الرحمن، وقرأ يصدُّون، وفى حديث آخر أنّ ابن عباس لقى أخى عبيد بن عمير، فقال: إنّ عمك لعربى، فما له يلحن فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ؟.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ : يعنون محمداً ﷺ فنعبد إلهه ونطيعه ونترك آلهتنا، هذا قول قتادة، وقال السدى وابن زيد: أم هُوَ يعنون عيسى (عليه السلام)، قالوا: يزعم محمد أنّ كلّ ما عبد من دون الله فى النّار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عزير وعيسى والملائكة فى النار.

قال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ : يعنى هذا المثل. ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ : خصومة بالباطل. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ : أخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن على الجمشاذى الفقيه، بقراءتى عليه، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعى، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل. حدثنى أبى، حدثنا عبد الله بن نمير الكوفى، حدثنا حجاج بن دينار الواسطى، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا هارون بن محمد بن هارون، حدثنا السرى، حدثنا أبو النضر، حدثنا عنبسة بن عبد الواحد القريشى، عن الحجاج بن دينار، عن أبى غالب، عن أبى أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلاَّ أُوتوا الجدل، ثمّ قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾».

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ : يعني آية أو عبرة وعظة لبني إسرائيل. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ : لأهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم. ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ : يعني يكونون خلفًا منكم فيعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني.

﴿وَإِنَّهُ﴾ : يعني عيسى (عليه السلام). ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ : بنزوله يعلم قيام الساعة ويستدل على ذهاب الدّنيا وإقبال الآخرة.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد، قالا: حدثنا أبو بشر بن مجاهد، حدثنا فضل بن الحسن، حدثنا عبيد الله بن معاد، حدثنا أبي، عن عمران بن جرير قال سمعت أبا نضرة يقرأ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ ، قال: هو عيسى، وبإسناده عن ابن مجاهد، حدثني عبد الله بن عمر بن سعد، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا خالد ابن الحارث، حدثنا أبو مكي، عن عكرمة﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ ، قال: ذلك عيسى (عليه السلام).

وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ : بفتح السين واللام، أي أمارة وعلامة، وفي الحديث: ينزل عيسى ابن مريم على ثنية بالأرض المقدسة، يقال لها: أفيق، بين مُمصرتَيْن وشعر رأسه دهين وبيده حربة يقتل بها الدجال. فيأتي بيت المقدس والنّاس في صلاة العصر، والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام، فيتقدّمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثمّ يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى. إلاّ من آمن به.

وقال قوم: الهاء في قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ : كناية عن القرآن، ومعنى الآية وإنَّ القرآن لَعِلمٌ للسَّاعَة يعلمكم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها، وإليه ذهب الحسن.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ : فلا تشكّنَّ بها أي فيها. ﴿وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ : ولا يصرفنكم﴿الشَّيْطَانُ﴾ : عن دين الله. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى﴾ : بني إسرائيل. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾ : بالنبوة. ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ : من أحكام التوراة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ : اليهود والنصارى. ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : كفروا وأشركوا كما في سورة مريم. ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ الْأَخِلَّاءُ﴾ : على المعصية في الدنيا. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة. ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعة الله.

أخبرنا عقيل بن محمد أنّ أبا الهرج البغدادى القاضى أخبرهم، عن محمد بن جرير، حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أبى إسحاق، أنّ عليًا رضى الله عنه قال فى هذه الآية: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فقال: يا ربّ إنّ فلانًا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرنى بالخير، وينهانى عن الشرّ، ويخبرنى أنّى ملاقيك. يا ربّ فلا تضلّه بعدى واهده، كما هديتنى، وأكرمه كما أكرمتنى.

وإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما، فيقول: ليثنى أحدكما على صاحبه. فيقول: يا ربّ إنه كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشرّ، ويخبرنى أنى ملاقيك، فيقول: نعم الأخ، ونعم الخليل، ونعم الصاحب.

قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: إنّ فلانًا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرنى بالشّر، وينهانى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملاقيك.

فيقول: بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب.



﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿يَٰعِبَادِ﴾: أى فيقال لهم يا عبادى. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: أخبرنا عقيل ابن محمد، أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمد بن جرير. أخبرنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر عن أبيه، قال: سمعت أنّ الناس حتى يبعثون ليس منهم أحد إلاّ فزع، فينادى مناد:

﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ فيرجوها الناس كلهم. قال: فيتبعها. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ : فينكس أهل الأديان رؤوسهم غير المسلمين.

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾ : تسرون وتنعمون. ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ﴾ : بقصاع واحدتها صفحة.

﴿مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ﴾ : أباريق مستديرة الرؤوس ليست لها آذان ولا خراطم، واحدها كوب. قال الأعشى:

صريفيّة طَيّبٌ طعمها لها زَبَدٌ بين كوب ودَنّ

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى، حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل، حدثنى أبى، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا السكونى عبد الحميد بن عبد العزيز، حدثنا الأشعث الضرير، عن شهر بن حوشب، عن أبى هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة لمن له سبع درجات هو على السادسة وفوق السابعة، وإن له لثلاثمائة خادم، ويُغدى ويراح عليه كل يوم ثلاثمائة صحيفة»، ولا أعلمه إلاّ قال: «من ذهب فى كل صحيفة لون ليس فى الأخرى، وإنّه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة ثلاثمائة إناء، فى كلّ إناء لون ليس فى الأخرى، وإنَّهُ ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول يا ربّ لو أذنتنى لأطعمت أهل الجنة، وسقيتهم لا ينقص مما عندى شىء إنّ له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة، سوى زوجته فى الدّنيا، وإنّ الواحدة منهنّ ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض».

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى، حدثنا ابن حبش المقرى، حدثنا ابن زنجويه، حدثنا سلمة، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن إسماعيل بن أبى سعيد أنّ عكرمة أخبره رسول الله ﷺ قال: «إنّ أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة، رجل لا يدخل الجنّة بعده أحد، يفتح له بصره مسيره مائة عام فى قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس منها موضع شبر، إلاّ معمور يغدى عليه ويراح سبعين ألف صحيفة من ذهب، ليس منها صحيفة إلاّ وفيها لون ليس فى الأخرى مثله».

«شهوته فى آخرها كشهوته فى أولها، لو نزل به جميع أهل الدنيا لوسع عليهم مما أعطى لا ينقص ذلك مما أوتى شيئًا».

﴿وَفِيهَا﴾ : فى الجنة. ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ[1] ٱلۡأَنفُسُ﴾ : قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم

(١) فى المخطوط: تشتهى، ورسمت ما فى المصحف المطبوع برواية حفص عن عاصم ولاحظ قول المؤلف مع تغيير ما غيرت.

﴿تَشْتَهِيهِ﴾ : بالهاء وكذلك هى فى مصاحفهم .

﴿وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ : أخبرنا عقيل بن محمد، أخبرنا المعافى بن زكريا ، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا ابن يسار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن ابن سابط، أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنى أحبُّ الخيل، فهل فى الجنة خيل؟. فقال: «إن يدخلك الله الجنة فإن[1] تشاء أن تركب فرسًا من ياقوتة حمراء تطير بك فى أى الجنة شئت، إلاَّ ركبت».

فقال أعرابى: يا رسول الله إنى أحب الإبل، فهل فى الجنة إبل؟. فقال: «يا أعرابى إن يدخلك الله الجنّة إن شاء الله. كان لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك»[2].

وبه عن ابن جرير، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عمر بن عبد الرحمن الأياد، عن محمد ابن سعد الأنصارى، عن أبى ظبية السلمى، قال: إنّ السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة، فتقول: ما أمطركم؟. فما يدعو داع من القوم بشىء إلاّ مطرتهم، حتّى إنّ القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أترابًا.

وبه عن ابن جرير، حدثنا موسى بن عبد الرحمن، حدثنا زيد بن الحبان بن الرّيان، أخبرنا معاوية بن صالح، حدثنى سليمان بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة يقول: إنّ الرجل من أهل الجنّة ليشتهى الطائر وهو يطير، فيقع منفلقًا نضيجًا فى كفه، فيأكل منه حتى تنتهى نفسه، ثم يطير، ويشتهى الشراب فيقع الإبريق فى يده فيشرب منه ما يريد ثمّ يرجع إلى[3] مكانه.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾. أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا محمد بن إبراهيم ابن زياد الطيالسى الرازى، حدثنا محمد بن حسان الأزرق، حدثنا ريحان بن سعيد، حدثنا عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبى قلابة، عن أبى أسماء الرحبى، عن ثوبان، أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا ينزع رجل من أهل الجنّة من ثمرها إلاّ أعيد فى مكانها مثلاها».

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: المشركين. ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ۝ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾: ليمتنا ربّك فنستريح، فيجيبهم مالك بعد ألف سنة: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: مقيمون فى العذاب.

---

(١) فى الهامش: «فلا».

(٢) فى الهامش: «عيناك».

(٣) فى المخطوط: «إلا» وهو تحريف.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى، حدثنا ابن حبش المقرى، حدثنا ابن الفضل، حدثنا جعفر ابن محمد الدنقاى الضبى، حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعى، حدثنا قطبة بن عبد العزيز السعدى، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أُم الدرداء، عن أبى الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «يلقى على أهل النار الجوع حتّى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم، فيقولون ادعوا خزنة جهنم، فيقولون ألم تك تأتكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى، قالوا: فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال، قال: فيقولون ادعوا مالكًا، فيدعون: يا مالك ليقض علينا ربّك، فيجيبهم إنّكم ماكثون»!

قال: فقال الأعمش: أنبئت أنّ بين دعائهم وبين إجابته إياهم ألف عام.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا هارون بن محمد بن هارون، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا القاسم بن يونس الهلالى، حدثنا قطبة بن عبد العزيز يعنى السعدى، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبى الدرداء، عن النبى ﷺ: «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك». باللام.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۝ أَمْ أَبْرَمُوا﴾: أحكموا. ﴿أَمْرًا﴾: فى المكر برسول الله ﷺ. ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: محكمون.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ﴾: نسمع ونعقل. ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾: يعنى الحفظة.

❖ ❖ ❖

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ

ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ : يعنى ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ : فى قولكم وبزعمكم، فأنا أولُ الموحدين المؤمنين بالله فى تكذيبكم والجاحدين لما قلتم من أنّ له ولداً. قاله مجاهد.

وقال ابن عباس: يعنى ما كان للرّحمن ولد وأنا أول الشاهدين له بذلك والعابدين له، جعل بمعنى النفى والجحد، يعنى ما كان وما ينبغى له ولد. ثم ابتداء: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾، وقال السدى: معناه، قل: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠﴾ أول من عبده بأن له ولد، ولكن لا ولد له، وقال قوم من أهل المعانى: معناه، قل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ﴾ الآنفين من عبادته.

ويحتمل أن يكون معناه ما كان للرحمن ولدٌ. ثم قال: فأنا أول العابدين الآنفين من هذا القول المنكرين أنّ له ولداً. يقال عبد إذا أنف وغضب عبداً. قال الشاعر:

ألا هويت أُم الوليد وأصبحت ... لما أبصرت فى الرأس منى تعبد

وقال آخر:

متى ما يشاء ذو الود يصرم خليله ... ويعبد عليه لا محالة ظالما

أخبرنا عقيل بن محمد إجازة، أخبرنا أبو الفرج، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنى يونس، أخبرنا ابن وهب، حدثنا ابن أبى ذئب محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة، عن ابن قشط، عن نعجة بن بدر الجهنى أنّ امرأة منهم دخلت على زوجها - وهو رجل منهم أيضًا - فولدت فى ستة أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضى الله عنه وأمر بها ترجم[1]، فدخل عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال: إنّ الله تعالى يقول فى كتابه: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥) وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ (لقمان: ١٤) قال: فوالله ما عبد عثمان رضى الله عنه أن بعث إليها ترد: قال عبد الله بن وهب: ما استنكف ولا أنف.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يكذبون. ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾: فى باطلهم. ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾: فى دنياهم. ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾: يعنى يعبد فى السماء ويعبد فى الأرض. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: فى تدبير خلقه.

---

(١) فى المتن: «فرجمت». والتصويب من الهامش.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ : بصلاحهم.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ (١) مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ ؛ اختلف العلماء فى معنى هذه الآية. فقال قوم: ﴿مَن﴾ فى محل النصب وأراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ : عيسى وعزير والملائكة، ومعنى الآية: ولا يملك عيسى وعزير والملائكة﴿ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ : فآمن على علم وبصيرة، وقال آخرون: ﴿مَن﴾ فى وضع رفع والذين يدعون الأوثان والمعبودين من دون الله. يقول: ولا يملك المعبودون من دون الله﴿ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ : وهم عيسى وعزير والملائكة يشهدون بالحق.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : حقيقة ما شهدوا. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ : عن عبادته. ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ : يعنى قول محمد ﷺ شاكيًا إلى ربّه. ﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ .

واختلف القُراء فى قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ ، فقرأ عاصم وحمزة﴿وَقِيلِهِۦ﴾ : بكسر اللام على معنى ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ : وعلم قيله، وقرأ الأعرج بالرفع، أى وعنده قيله، وقرأ الباقون بالنصب وله وجهان: أحدهما: إنّا لا نسمع سرهم ونجواهم ونسمع قيله والثانى: وقال: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ .

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ﴾ : نسختها آية القتال(٢)، ثمّ هددهم.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ : بالتاء أهل المدينة والشام وحفص، واختاره أيوب وأبو عبيد، الباقون بالياء.



(١) جاء بالهامش: «قرأ حمزة والكسائى بالتاء».

(٢) ذهب القائلون بالنسخ أن آية القتال نسخت مائة وأربع وعشرين آية من القرآن هذه منها وعارضهم فى ذلك القائلون بعدم جواز ذلك القول.

سورة الدخان

مكّية، وهى تسع وخمسون آية،
وثلاثمائة وست وأربعون كلمة، وألف وأربعمائة وواحد وثمانون حرفًا

أخبرنا محمد بن القاسم، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد ابن يزيد، حدثنا زيد بن حباب، (ح)[1] وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا أبو عيسى بن على الختلى، حدثنا أبو هاشم الرفاعى، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عمر بن عبد الله بن أبى السرى عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الدّخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».

أخبرنا محمد بن القاسم، حدثنا عبد الله بن محمد بن على، حدثنا السراج، حدثنا أبو يحيى، حدثنا كثير بن هشام، عن هشام بن المقدام، عن الحسن، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم التّى يذكر فيها الدخان فى ليلة الجمعة، أصبح مغفوراً له».

أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبرانى بها، حدثنا أبو على الرقاء، أخبرنا أبو منصور سليمان بن محمد بن الفضل، حدثنا طالوت بن عباد، حدثنا فضال بن كثير حى، قال: أتيت أبا أُمامة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حم الدّخان ليلة الجمعة - يوم الجمعة - بنى الله له بيتًا فى الجنّة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ : قال قتادة وابن زيد: هى ليلة القدر، أنزل الله تعالى القرآن فى ليلة القدر من أم الكتاب إلى السّماء الدّنيا، ثم أنزله على نبيه ﷺ فى الليالى والأيام، وقال الآخرون: هى ليلة النصف من شعبان.

أخبرنا الحسين بن محمّد فنجويه، حدثنا عمر بن أحمد بن القاسم، حدثنا إبراهيم المستملى الهستجانى، حدثنا أبو حصين بن يحيى بن سليمان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا أبو بكر بن أبى سبرة، عن إبراهيم بن محمد، عن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، عن أبيه، عن على بن أبى طالب «رضى الله عنه» قال: قال النبى ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان، قوموا ليلتها وصوموا يومها، فإن الله تعالى ينزل لغروب الشمس إلى سماء الدّنيا فيقول: ألا مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتّى يطلع الفجر، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾».

﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ : يفصل. ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ : محكم. قال الحسن ومجاهد وقتادة: يبرم فى ليلة القدر من شهر رمضان كُلّ أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون فى تلك السنة، وقال أبو عبد الرّحمن السلمى، يدبر أمر السنة فى ليلة القدر، وقال هلال بن نساف: كان يقال: انتظروا القضاء فى شهر رمضان.

وقال عكرمة: فى ليلة النصف من شعبان، يُبرم فيه أمر السنة، وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج، فلا يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد.

يدل عليه ما أخبرنا عقيل بن محمد، أخبرنا أبو الفرج القاضى، أخبرنا محمد بن جبير، حدثنى عبيد بن آدم بن أبى إياس، حدثنى أبى، حدثنا الليث، عن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان. حتّى إنّ الرجل لينكح ويولد له، وقد خرج اسمه فى الموتى».

﴿أَمْرًا﴾ : أى أنزلنا أمرًا. ﴿مِّنْ عِندِنَآ﴾ : من لدنا، وقال الفراء: نصب على معنى نفرق كل

أمر فرق وأمراً. ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: محمد ﷺ إلى عبادنا. ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: وقيل: أنزلناه رحمة، وقيل: أرسلناه رحمة، وقيل: الرحمة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: كسر أهل الكوفة (باءهُ) رداً على قوله من ربّك، ورفعهُ الآخرون رداً على قوله: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وإن شئت على الابتداء.

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: إن الله ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: فأيقنوا أنّ محمداً رسوله، وأنّ القرآن تنزيله. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَٱرْتَقِبْ﴾: فانتظر. ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.

اختلفوا في هذا الدّخان، ما هو، ومتى هو، فروى الأعمش و[1] مسلم بن صبيح، عن مسروق، قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً، وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنّ قاصاً عند أبواب كندة، يقص ويقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إنّه دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ بأنفاس الكفّار والمنافقين وأسماعهم وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام، فقام عبد الله وجلس، وهو غضبان، فقال: يا أيّها الناس اتقوا الله، مَن عَلمَ شيئاً فليقل ما يعلم، ومن لا يعلم، فليقل الله أعلم، فإن الله تعالى، قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص:٨٦) وسأحدثكم عن ذلك: إنّ قريشاً لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم، فقال: «اللّهم سبع سنين كسني يوسف». فأصابهم من الجهد والجوع ما أكلوا الجيف والعظام والميتة والجلود، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلاّ الدخان من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع، فأتاه أبو سفيان بن حرب، فقال: يا محمد إنّك حيث تأمر بالطاعة وصلة الرحم، وإنّ قومك قد هلكوا فادع الله لهم فإنهم لك مطيعون.

فقال الله تعالى فقالوا:

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: فدعا فكشف عنهم، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى كفركم. ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾: فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر، فهذه خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم.

وقال الآخرون: بل هو دخان يجيء قبل قيام الساعة، فيدخل في أسماع الكفّار والمنافقين، حتّى تكون كالرأس الحنيذ، ويعترى المؤمن منهم كهيئة الزكام، وتكون الأرض

(١) كتب فوق هذا الحرف في المخطوط: «عن».

كلها كبيت أوقد فيه وليس فيه خصاص.

قالوا: ولم يأت بعد، وهو آت وهذا قول ابن عباس وابن عمير والحسن وزيد بن علي، يدل عليه ما أنبأني عقيل بن محمد، أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا عصام بن داود الجراح، حدثنا أبي، حدثنا سفيان بن سعيد، حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول، قال رسول الله ﷺ: «إنّ أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق النّاس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا».

قال حذيفة: يا رسول الله ما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يومًا وليلة. أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره.

وبه عن ابن جرير، حدثنا يعقوب، حدثنا ابن علية، عن ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لمَ؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدُّخان قد طرق فما نمت حتّى أصبحت.

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: من أين لهم للتذكير والاتعاظ بعد نزول البلاء وحلول العذاب. ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: محمد ﷺ. ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾: يعلمه بشر. ﴿مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾: إلى كفركم، وقال قتادة: عائدون في عذاب الله.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: وهو يوم بدر. ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾: هذا قول أكثر العلماء، وقال الحسن: هو يوم القيامة.

وروى، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال ابن مسعود: ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة.



﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٩ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ۝٢١ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝٢٢ فَأَسْرِ

بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: على الله وهو موسى بن عمران (عليه السلام)، وقيل: شريف وسيط[1] فى قومه. ﴿أَنْ أَدُّوٓا﴾: أن ادفعوا. ﴿إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: يعنى بنى إسرائيل فلا يعذبهم. ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: على الوحى.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾: تطغوا وتبغوا. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: فتعصوه وتخالفوا أمره. ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: برهان مبين فتوعدوه بالقتل. فقال: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ يقتلون، وقال قتادة: ترجمون بالحجارة. ابن عباس: يشتمون ويقولون هو ساحر. ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾: فخلوا سبيلى غير مرجوم باللسان ولا باليد.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: مشركون، فقال سبحانه: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾: بنى إسرائيل. ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتبعكم فرعون وقومه.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾: إذا قطعته أنت وأصحابك رهوًا ساكنًا على حالته وهيئته الّتى كان عليها حين دخلته. ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾.

واختلفت عبارات المفسرين عن معنى الرهو فروى الوالبى عن ابن عباس رهوًا، قال: سمتًا[2]. وروى العوفى عنه: هو أن يترك كما كان. وقال كعب: طريقًا. وقال ربيع: سهلاً. وقال الضحاك: دمثًا. وقال عكرمة: يابسًا. وقال ابن زيد: جزرًا، وقيل جذاذًا. وقال قتادة: طريقًا يابسًا، وأصل الرهو فى كلام العرب السكون. قال الشاعر:

---

(١) فى المتن: «بسيط». والتصويب من الهامش.

(٢) فى هامش المخطوط: سعيًا.

كأنما أهل حجر ينظرون متى ... يرونني خارجًا طيرًا سأديد[١]
طيرًا رأت بازيًا نضح الدماء به ... وأمه خرجت رهوًا إلى عيد

يعني عليها سكون.

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ﴾ مجلس ﴿كَرِيمٍ﴾ شريف وإنما سماه كريمًا لأنه مجلس الملوك، قاله مجاهد وسعيد بن جبير، وقالا: هي المنابر، وقال قتادة: الكريم الحسن.

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾: ناعمين فاكهين أشرين بطرين معجبين. ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾: بني إسرائيل نظيره قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٧) الآية.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾: وذلك أن المؤمن إذا مات بكت عليه السّماء والأرض أربعين صباحًا، وقال عطاء: في هذه الآية بكاءها حمرة أطرافها، وقال السدي: لما قتل الحسين بن علي «رضي الله عنهما» بكت عليه السماء، وبكاؤها حمرتها».

حدثنا خالد بن خداش، عن حماد بن زيد، عن هشام، عن محمد بن سيرين. قال: أخبرونا أنّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن، حتّى قتل الحسين رضي الله عنه[٢].

أخبرنا ابن بكر الخوارزمي، حدثنا أبو العياض الدعولي، حدثنا أبو بكر بن أبي خثيمة، وبه عن أبي خثيمة، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا سليم القاضي، قال: مطرنا دمًا أيام قتل الحسين.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا أبو علي المُقري، حدثنا أبو بكر الموصلي، حدثنا أحمد بن إسحاق البصري، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة الرمدني، أخبرني يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنّه قال: «ما من عبد إلاّ له في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾»، وذلك أنّهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحًا تبكي عليهم، ولم يصعد إلى السّماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي.

أخبرنا عقيل بن محمد: أنّ المعافى بن زكريا أخبره، عن محمد بن جرير، حدثنا يحيى بن طلحة، حدثنا عيسى بن يونس، عن صفوان بن عمر، عن شريح بن عبيد الحضرمي: قال

---

(١) في الهامش: «طبر تباذيد».

(٢) هذا قول لا يصح ولا يجب الاعتداد به ولا أظن أن رجلاً مثل ابن سيرين يقول أو ينقل مثل هذا القول إنما هو افتراء عليه رحمنا الله وإياه، وكذا مثله ما بعده.

رسول الله ﷺ: «إنّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، ألا لا غربة على مؤمن، ما مات مؤمن فى غربة غابت عنه فيها بواكيه، إلاّ بكت عليه السماء والأرض». ثم قرأ رسول الله عليه السلام: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾، ثمّ قال: «إنهما لا تبكيان على الكافر».

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ۝ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: قتل الأبناء واستحياء النساء. ﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾: يعنى مؤمنى بنى إسرائيل.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: منّا لهم. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: يعنى عالمى زمانهم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾: قال قتادة: نعمة بينة حين فلق لهم البحر وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسّلوى.

وقال ابن زيد: ابتلاهم بالرخاء والشدة، وقرأ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: يعنى مشركى مكّة. ﴿لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾: بمبعوثين بعد موتنا. ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾: الذين ماتوا. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إنا نُبعث أحياء بعد الموت.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: قال قتادة: هو تبّع الحميرى، وكان سار بالجيوش حتّى حيّر الحيرة، وبنى سمرقند، وكانَ إذا كتب، كَتب باسم الّذى يملك برًا وبحرًا وضحًا وريحًا.

وذكر لنا أنّ كعبًا يقول: ذمّ الله قومهُ ولم يذمّهُ، وكانت عائشة «رضى الله عنها» تقول: لا تسبوا تُبّعًا فإنه كان رجلاً صالحًا، وقال سعيد بن جبير: هو الذى كسا البيت.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا أبو بكر بن محمد القطيعى، حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل، حدثنا أبى، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو زرعة عمرو بن جابر، عن سهل بن سعد، قال: سمعت النبى عليه السلام يقول: «لا تسبوا تُبّعًا، فإنّه قد كان أسلم».

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبة، حدثنا محمد بن على سالم الهمذانى، حدثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابورى، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن أبى ذيب، عن المقبرى، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدرى تُبّع نبيًا كان أم غير نبى».

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الخالية الكافرة.

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ۝ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ : لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا صديق عن صديقه.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ : اختلف النحاة فى محل ﴿مَن﴾ : فقال بعضهم : محله رفع بدلاً من الاسم المضمر فى ينصرون ، وإن شئت جعلته ابتداء وأضمرت خبره ، يريد : ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ : فنغنى عنه ونشفع له ، وإن شئت جعلته نصبًا على الاستثناء والانقطاع ، عن أول الكلام يريد اللّهُم ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ .

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ : الفاجر وهو أبو جهل بن هشام.

أنبأنى عقيل بن حمد ، أخبرنا المعافى بن زكريا ، أخبرنا محمد بن جرير ، حدثنى أبو السائب ، حدثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام بن الحارث ، قال : كان أبو الدرداء يقرئ رجلاً ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ : فجعل الرجل يقول : طعام اليتيم ، فلما أكثر عليه أبو الدرداء فرآه لا يفهم . قال : قل إنَّ شجرت الزقوم طعام الفاجر .

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى﴾ : بالياء ابن كثير وحفص ، ورُوَيس جعل الفعل غيرهم بالتاء لتأنيث الشجرة .

﴿فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ خُذُوهُ﴾ : يعنى الأثيم . ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ : فأدخلوه وادفعوه وسوقوه إلى النّار . يقال : عتله يعتله عتلاً إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب . قال الفرزدق :

ليس الكرام بناحليك أباهم حتّى تردَّ إلى عطية تُعْتَل

أى ساق دفعًا وسحبًا ، وفيه لغتان : كسر التاء ، وهى قراءة أبى جعفر وأبى مرو وأهل الكوفة ، وضمها وهى قراءة الباقى .

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ : وهو الماء الذى قال الله تعالى : ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ (الحج : ١٩) ثم يقال له : ﴿ذُقْ﴾ : هذا العذاب . ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ : فى قومك . ﴿ٱلْكَرِيمُ﴾ : بزعمك ، وذلك أنّ أبا جهل . قال : ما بين جبليها رجل أعز ولا أكرم منى . فيقول له الخزنة هذا على طريق الاستخفاف والتحقيق .

وقراءة العامة إنّك بكسر الألف على الابتداء ، وقرأ الكسائى بالنصب على معنى لأنك .

﴿إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ : تشكون ولا تؤمنون به فقد لقيتموه فذوقوه . ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ : قرأ أهل المدينة والشام بضم (الميم) من المقام على المصدر أى فى إقامة ، وقرأ غيرهم بالفتح أى فى مكان كريم .

﴿فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ : وهو ما رَقَّ من الديباج . ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ : وهو ما غلظ منه معرّب . ﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ﴾ : وكما أكرمناهم بالجنان والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ : وهى النساء النقيات البياض ، قال مجاهد : يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن ، بادية سوقهن من وراء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه فى كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون .

ودليل هذا التأويل أنّها فى حرف ابن مسعود (بعيس عين) وهى البيض ومنه قيل للإبل البيض عيس ، وواحده بعير أعيس ، وناقة عيساء ، وقيل : الحور الشديدات بياض الأعين ، الشديدات سوادها ، واحدها أحور ، والعين جمع العيناء ، وهى العظيمة العينين .

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الطبرى الحاجى ، حدثنا أبو على الحسن ابن إسماعيل بن خلف الخياط ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الفرج ، حدثنا محمد بن عبيد ابن عبد الملك ، حدثنا محمد بن يعلى أبو على الكوفى ، حدثنا عمر بن صبيح ، عن مقاتل بن حيان ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز» .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه ، حدثنا محمد بن عمر بن إسحاق ، عن حبش ، حدثنا

عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا أيوب بن على - يعنى الصباحى - حدثنا زياد بن سيار - مولى لى - عن عزة بنت أبى قرصافة، عن أبيها قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين».

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ﴾: اشتهوها. ﴿ءَامِنِينَ﴾: من نفادها وعدمها فى بعض الأزمنة ومن غائلتها ومضرّتها، وقال قتادة: ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الموت والأوصاب والشيطان.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾: يعنى سوى ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾: وبعدها وضع ﴿إِلَّا﴾: موضع بعد كقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (النساء: ٢٢). يعنى بعدما قد فعل آباؤكم وسواه، وهذا كما يقول فى الكلام: ما ذقت اليوم طعامًا سوى ما أكلته أمس.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ﴾: سهلناه، كناية عن غير مذكور.

﴿بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ فَٱرْتَقِبْ﴾: فانتظر الفتح والنصر من ربّك. ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: بزعمهم قهرك.



سورة الجاثية

مكيّة، وهى سبع وثلاثون آية، وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة،
وألفان ومائة وواحد وتسعون حرفًا

أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر العدل، حدثنا إبراهيم بن شريك بن الفضل، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا سلام بن سليم، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبى أُمامة، عن أُبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا

بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ﴾ .

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب بكسر التاء من آيات وكذلك التي بعدها رداً على قوله: ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ : وقرأ الباقون برفعها على خبر حرف الصفة.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ : يعني الغيث سماه رزقًا لأنّه سبب أرزاق العباد وأقواتهم ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ . أي بعد حديث الله وكلامه. ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ : وحججه ودليله. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ : قرأ أهل الكوفة بالتاء، واختلف فيه عن عاصم ويعقوب عنهم بالياء.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ : كذاب. ﴿أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ﴾ يعني قوله ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ : نزلت في أبي جهل وأصحابه. ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ : أمامهم. ﴿جَهَنَّمُ﴾ : نظيره في سورة إبراهيم (عليه السلام). ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ : من الأموال. ﴿شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ : يعني الأوثان.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا﴾ : القرآن. ﴿هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ : من عذاب موجع.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ : فلا تجعلوا لله أنداداً.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى، حدثنا طلحة وعبد الله، قالا: حدثنا ابن مجاهد، حدثنى ابن أبى مهران، حدثنى أحمد بن يزيد، حدثنا شباب[1]، عن أبى ثميلة، عن عبد العزيز بن على القريشى، حدثنا محمد بن عبد الله بن أيوب الثقفى، عن عثمان بن بشير، قال: سمعت ابن عباس يقرأ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ : مفتوحة (الميم)، مرفوعة (النون)، وبه رواية، عن ابن عمر، قال سمعت مسلمة يقرأ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ مفتوحة (الميم) مرفوعة (النون) وهى مشددة، (والهاء) مضمومة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ : أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمه، قال ابن عباس ومقاتل: نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك أنّ رجلاً من بنى غفار كان يشتمه فهمّ عمر أن يبطش به، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمره بالعفو.

أخبرنا الحسين بن محمد بن عبد الله، حدثنا موسى بن محمد بن على بن عبد الله، حدثنا الحسن بن علويه، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا محمد بن زياد الشكرى، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (البقرة: ٢٤٥). قال يهودى بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج ربّ محمد.

قال: فلما سمع بذلك عمر بن الخطاب اشتمل على سيفه وخرج فى طلبه. فجاء جبريل إلى محمد ﷺ، فقال: إن ربك يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾، واعلم أنّ عمر بن الخطاب قد اشتمل على سيفه وخرج فى طلب اليهودى». فبعث النبى ﷺ فى طلبه، فلما جاءه، قال: «يا عمر خرج سيفك؟». قال: صدقت يا رسول الله، أشهد أنّك أرسلت بالحقّ، قال: «فإنّ ربّك يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾».

قال: لا جرم والّذى بعثك بالحق لا يُرى الغضب فى وجهى.

قال القرظى والسدى: نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكّة كانوا فى أذى شديد من المشركين، قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسختها آية القتال[2].

---

(١) فى المتن: «سيار» والتصويب من الهامش.

(٢) اختلف العلماء فى هذه المسألة.

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾: بفتح الياءين وكسر الزاى، وقرأ أبو جعفر بضم الياء الأُولى وجزم الثانية، قال أبو عمرو: وهو لحن ظاهر، وقال الكسائى: وهذه ليجرى الجزاء قومًا، وقرأ الباقون بفتح الياءين على وجه الخبر عن الله تعالى، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم لذكر الله تعالى قبل ذلك.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الحلالات، يعنى المن والسلوى. ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾: يعنى أحكام التوراة.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: سنة وطريقة. ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾: من الدّين.

﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: يعنى مُراد الكافرين الجاهلين، وذلك حين دُعى إلى دين آبائه.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: إن اتبعت أهواءهم. ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۝ هَٰذَا﴾: يعنى هذا القرآن. ﴿بَصَائِرُ﴾: معالم. ﴿لِلنَّاسِ﴾: فى الحدود والأحكام يبصرون بها.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾: اكتسبوا. ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: يعنى الكفر والمعاصى.

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾: قرأ أهل الكوفة نصبًا واختاره أبو عبيدة، وقال: معناه نجعلهم سواءً، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر، واختاره أبو حاتم، وقرأ الأعمش (ومماتَهم): بنصب التاء على الظرف، أى فى ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بئس ما يقضون، قال المفسرون: معناه المؤمن فى الدّنيا والآخرة مؤمن، والكافر فى الدّنيا والآخرة كافر. نزلت هذه الآية فى نفر من مشركى مكّة قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقًا لنفضلنَّ عليكم فى الآخرة، كما فضلنا عليكم فى الدّنيا.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبة، حدثنا جعفر بن محمّد الفرمانى، حدثنا محمّد بن الحسين البلخى، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبى الضحى، عن مسروق، قال: قال لى رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الدارى، لقد رأيته ذات ليلة، حتّى أصبح أو كاد أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله، ويركع، ويسجد، ويبكى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ . . . الآية.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى، حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل، حدثنى أبو هشام زياد بن أيوب، حدثنا على بن يزيد، حدثنا عبد الرحمن بن عجلان، عن بشير عن أبى طعمة[1]، قال: بتّ عند الربيع بن خيثم ذات ليلة، فقام يصلى فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾ فمكث ليله حتّى أصبح ما يجوز هذه الآية إلى غيرها، ببكاء شديد، وقال إبراهيم بن الأشعث: كثيراً ما رأيت الفضيل بن عياض، يردد من أول الليلة إلى آخرها هذه الآية ونظائرها ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: ثمّ يقول: يا فضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت.

❖ ❖ ❖

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا

---

(١) فى الهامش: بشير بن أبى طعمة.

نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾.

قال ابن عباس والحسين وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئًا إلاّ ركبه، إنّه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله ولا يحل ما أحل الله، إنّما دينه ما هويت نفسه يعمل به ولا يحجزه عن ذلك تقوى.

وقال آخرون: معناه أفرأيت من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما يهوى.

قال سعيد بن جبير: كانت قريش تعبد العُزى - وهو حجر أبيض - حينًا من الدهر، وكانت العرب تعبد الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئًا أحسن من الأول رموه أو كسروه أو ألقوه فى بئر، وعبدوا الآخر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت فى الحارث بن قيس التميمى أحد المستهترين، وذلك أنّه كان يعبد ما تهواه نفسه.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا طلحة وعبيد الله، قالا: حدثنا ابن مجاهد، حدثنى ابن أبى بهرام(١)، حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر، قال: قال سفيان بن عيينة: إنّما عبدوا الحجارة لأنّ البيت حجارة.

وقال الحسين بن الفضل: فى هذه الآية تقديم وتأخير مجازها: أفرأيت من اتخذ هواه إلهه.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبة، حدثنا محمد بن عمران بن هارون، حدثنا أبو عبيد الله المخزومى، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن شبرمة، عن الشعبى، قال: إنما سمى الهوى لأنّه يهوى بصاحبه فى النّار.

وبه عن سفيان، عن سليمان الأحول، عن طاوس، عن ابن عباس، قال: ما ذكر الله عز وجل هوى فى القرآن إلاّ ذمه.

(١) فى المخطوط بالهامش: «مهران».

فروى أبو أُمامة عن النبى ﷺ أنّه قال: «ما عبد تحت السّماء إله أبغض إلى الله من هوى».

وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه».

وروى ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس أنّ النبى ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

وقال مضر القاضى: لنحت الجبال بالأظافير حتّى تتقطع الأوصال، أهون من مخالفة الهوى إذا تمكن فى النفوس.

وسئل ابن المقفع عن الهوى، فقال: هوانٌ سرقت نونه، فنظمه الشاعر:

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال الآخر:

إنّ الهوى لهو الهوان بعينه ... فإذا هويت فقد كسبت هوانا

وإذا هويت فقد تعبدك الهوى ... فاخضع لحبّك كائنًا ما[1] كانا

أنشدنا أبو القاسم الحبيبى، أنشدنا أبو حاتم محمّد بن حبان[2] البستى، قال: ولم أر أكمل منه. قال: وأنشدنا محمد بن على الحلارى لعبد الله المبرك:

ومن البلاء للبلاء علامة ... أن لا يرى لك عن هواك نزوع

العبد عبد النفس فى شهواتها ... والحر يشبع تارة ويجوع

وأنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد الحبيبى، أنشدنا أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلى، أنشدنا أبو المثنى معاذ بن المثنى العنبرى، عن أبيه لأبى العتاهية:

فاعص هوى النفس ولا ترضها ... إنك إن أسخطتها زانكا

حتّى متى تطلب مرضاتها ... وإنّها تطلب عدوانكا

وأنشدنا أبو القاسم الحبيبى، أنشدنا أبو عبيد الطوسى:

والنفس إن أعطيتها مناها ... فاغرة نحو هواها فاها

وسمعت أبا القاسم يقول: سمعت أبا نصر بن منصور بن عبد الله الأصبهانى بهراة يقول: سمعت أبا الحسن عمرو بن واصل البحترى يقول: سئل سهل بن عبد الله التسترى عن الهوى؛ فقال للسائل: هواك يأمرك فإن خالفته فرط بك، وقال: إذا عرض لك أمران شككت فانظر أبعدهما من هواك فإنه خيرها.

(١) فى الهامش: «من» وهو الأصوب على الأرجح.

(٢) فى المتن: «محمد بن حسان» والتصويب من الهامش. قلت: وهو صاحب كتاب الأنساب.

وأنشدنا أبو القاسم الحبيبى، أنشدنا الإمام أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل القفال المشاشى بمرو وأنشدنى أبو بكر الزيدى:

إذا طالبتك النفس يومًا بشهوة وكـان إليها للخلاف طريق

فدعها وخالف ما هويت فإنما هواك عدوٌّ والخلاف صـديق

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: منه بعاقبة أمره. ﴿وَخَتَمَ﴾: طبع. ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾: قرأ حمزة والكسائى وخلف ﴿غِشَٰوَةً﴾: بفتح (الغين) من غير (ألف) والباقون ﴿غِشَٰوَةً﴾ (بالألف) وكسر (الغين).

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُوا۟﴾: يعنى المشركين. ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: يموت الآباء ويحيا الأبناء. ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾: وما يفنينا إلاّ الزمان وطول العمر[1] وفى حرف عبد الله: وما يهلكنا الدهر يمر.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

أخبرنا الحسين بن فنجويه بقراءتى حدثنا أبو حذيفة أحمد بن محمّد بن على الدينورى، حدثنا أبو عبيد[2] بن على بن الحسين بن حرب القاضى، حدثنا أحمد بن المقدام العجلى، حدثنا سفيان بن عيينة بن أبى عمران، عن الزهرى، عن سعيد ابن المسيب، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ، قال: «كان أهل الجاهلية يقولون: إنّما الليل والنهار هو الذى يهلكنا يميتنا ويحيينا» فقال الله تعالى فى كتابه: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ فيسبون الدّهر.

فقال الله تعالى: يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدّهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار».

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتى عليه فى صفر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة فأقر به، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن، حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف، قالوا: حدثنا عبد الرزاق بن همام، أخبرنا معمر بن راشد، عن همام بن منبه بن كامل بن سيج، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن محمد ﷺ، قال: «قال الله تعالى: لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فإنى أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما».

---

(١) فى الهامش: «الدهر».

(٢) فى المتن: «عبيدة» وكتب فوقها فى المتن أيضًا عبيد. وأثبت ما اعتاد عليه المؤلف من قلب فى الإسناد.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن أبى سمرة، حدثنا عبد الملك ابن أحمد البغدادى، حدثنا محمد[١] بن خداش، حدثنا سفيان بن محمد الثورى، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله عليه السلام: «لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر».

قال أبو عبيد القاسم بن سلام فى تفسير هذا الحديث: إنّ هذا مما لا ينبغى لأحد من أهل الإسلام أن يجهل وجهه وذلك أن من شأن العرب أن يذموا الدهر عند المصائب والنوائب ... اجتاحهم الدهر وتخوفتهم الأيام وأتى عليهم الزمان وما أشبه ذلك حتى ذكروها فى أشعارهم، ونسبوا الأحداث إليه.

قال عمرو بن قميئة:

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمى وليس برام

فلو أنَّها نَبلٌ إذًا لاتقيتها ... ولكنّنى أرمى بغير سهام

على الراحتين مرة وعلى العصا ... أنوء ثلاثًا بعدهنْ من قيامى

وروى أن الشعبى دخل على عبد الملك بن مروان وقد ضعف. فسأله عن حاله، فأنشده هذه الأبيات:

فاستأثر الدهر الغداة بهم ... والدهر يرمينى ولا أرمى

يا دهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا ووقدت[٢] فى العظم

وتركتنا لحم على وضم ... لو كنت تستبقى من اللحم

وسلبتنا ما كان[٣] يعجبنا ... يا دهر ما أنصفت فى الحكم

وأنشدنا أبو القاسم السدوسى، أنشدنا عبد السميع بن محمد الهاشمى، أخبرنا أبو الحسن العبسى لابن لنكك فى هذا المعنى:

قل لدهر عن المكارم عطل ... يا قبيح الفعال جهم المحيا

كم كريم حططته من بقاع ... ولئيم ألحقته بالثريا

قال أبو عبيدة: وناظرت[٤] بعض الملاحدة. فقال: ألا تراه يقول: فإنّ الله هو الدهر.

---

(١) فى الهامش: «محمود».

(٢) فى الهامش: «ووقرت».

(٣) فى الهامش: «لست تعنينا».

(٤) كتب فوقه فى المخطوط: «عبيد ناظرت».

فقلت له: وهل كان أحد يسب الله فى أياد الدهر، بل كانوا يقولون كما قال الأعشى:

استأثر الله بالوفاء وبالعدل ... وولى الملامــة الرجــلا

قال: فتأويل قوله ﷺ: «إنّ الله هو الدهر»، أن الله جل ذكره هو الذى يأتى بالدهر والشدائد والمصائب فإذا سببت الدهر وقع السب على الله تعالى لأنه فاعل هذه الأشياء وقاضيها ومدبرها.

وقال الحسين بن الفضل: مجازه: فإنّ الله هو مدهّر الدهور.

وروى عن على رضى الله عنه فى خطبة له: مدهر الدهور، ومن عنده الميسور، ومن لدنه المعسور.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابورى، حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن الكارزى، حدثنا أبو عبد الله محمد بن القاسم الجمحى، حدثنا عسر بن أحمد، قال: بلغنى أنّ سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيراً ما يذكر الدهر، فزجرهُ أبوه عبد الله بن عمر، وقال له: يا بنى إياك وذكر الدهر، وأنشد:

فما الدهر بالجانى لشىء لحينــه ... ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهرا

ولكن متى مــا يبعث الله باعثًا ... على معشر يجعل مياسيرهم عُسْرا

وأنشدنا أبو القاسم الحبيبى، أنشدنا الشيخ أبو محمد أحمد بن عبد الله المزنى، أنشدنا معاذ ابن نجدة بن العريان:

دار الزمان على الأمور فإنّه ... إن لم تدار رمــاك بالإيلام[1]

وذر الزمان على الملام فإنما ... يحكى الزمان مجارى الأقلام

يُشكى الزمــان ويستزاد وإنّما ... بيد المليـك منافذ الأحكــام

وأنشدنا الأستاذ أبو القاسم، أنشدنى أبى، أنشدنى أبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى:

يا عالمًا يعجب من دهره ... لا تلم الدّهر على غدره

الدهر مأمــور له آمرٌ[2] ... يصرف الدهر إلى أمره

كم كافر أمواله جمة ... تزداد أضعافًا على كفره

ومؤمن ليس له درهم ... يزداد إيمــانًا على فقره

(١) فى الهامش: «بالآلام».

(٢) فى الهامش: قد ينتهى الدهر إلى أمْرِه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يعنى ليوم القيامة. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾: مجتمعة مستوفرة على ركبها من هول ذلك اليوم، وأصل الجثوة الجماعة من كلّ شيء.

قال طرفة يصف قبرين:

ترى جثوتين من تراب عليهما ... صفائح صم من صفيح مصمد

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا موسى بن محمد الحلوانى، حدثنا يعقوب بن إسحاق العلوى. حدثنا عبد الله بن يحيى الثقفى، حدثنا أبو عران، عن عاصم الأحول، عن ابن عثمان النهدى، عن سلمان الفارسى، قال: فى القيامة ساعة هى عشر سنين يكون الناس فيها جثاة على ركبهم حتّى إبراهيم (عليه السلام) لينادى: «لا أسألك اليوم إلا نفسى».

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: الذى فيه أعمالها. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾: فيه ديوان الحفظة وقيل اللوح المحفوظ.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عمر بن نوح البجلى حدثنا أبو خليفة، حدثنا عثمان بن عبد الله الشامى، حدثنا عقبة بن الوليد، عن أرطأة بن المنذر، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أول شىء خلق الله القلم من نور مسيره خمسمائة عام، واللوح من نور مسيره خمسمائة عام، فقال للقلم: اجر فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، بردها وحرها، ورطبها ويابسها، ثمّ قرأ هذه الآية: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: قال: وهل يكون النسخ إلاّ من كتاب قد فرغ منه، ومعنى نستنسخ نأمر بالنسخ، وقال الضحاك: نثبت. السدى: نكتب. الحسن: نحفظ.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: جنّته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: الظفر الظاهر. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فيقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: قرأه العامة بالرفع على الابتداء وخبره فيما بعده ودليلهم قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨).

قرأ أبو رجاء وحمزة: ﴿وَٱلسَّاعَةَ﴾: نصبًا عطفًا بها على الوعد لا ريب فيها.

﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ : **إنّها كائنة** . ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ : **أى جزاؤها** . ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ : **نتركككم فى النّار** .

﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ : **كما تركتم الإيمان بيومكم هذا** . ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۝ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ . **قرأه العامة بضم الياء ، وقرأ أهل الكوفة إلاَّ عاصم بفتحة** .

﴿مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ : **يسترضون** . ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ : **قرأه العامة بكسر (الباء) فى ثلاثتها ، وقرأ ابن محيصن رفعًا على معنى هو ربٌّ** .

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ .



سورة الأحقاف

مكّية، وهي خمس وثلاثون آية وستمائة
وأربع وأربعون كلمة. وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفًا

أخبرنا أبو جعفر كامل بن أحمد المفيد، أخبرنا أبو عمرو محمّد بن جعفر بن محمّد الحبرى، حدّثنا إبراهيم بن شريك الكوفى، حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدّثنا سلام ابن سليم، حدّثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبى أُمامة الباهلى، عن أُبىّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحقاف أُعطى من الأجر بعدد كلّ نمل فى الدّنيا عشر حسنات ومحى عنه عشر سيّئات ويرفع له عشر درجات».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ **فى مصحف عبد الله: (أرأيتكم).** ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ﴾ من

عند الله جاءكم.

﴿مِن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾ القرآن فيه بيان ما تقولون. ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ قرأه العامّة بالألف واختلف العلماء في تأويلها، أخبرنا عبد الله بن حامد الوزّان، أخبرنا مكي بن عبدان، حدّثنا عبد الله ابن هاشم، حدّثنا يحيى بن سعيد، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمة، عن ابن عبّاس وأظنّه عن النبي ﷺ ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ قال: (الخط)، وقال ميمون بن مهران وأبو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة: خاصّة من علم. الحسن: أثارة من علم يستخرجونه فيثير.

مجاهد: رواية تأثرونها عمّن كان قبلهم. عكرمة ومقاتل: رواية عن الأنبياء (عليهم السلام).

محمّد بن كعب القرظي: الإسناد وأصل الكلمة من الأثر وهي الرواية. يقال: نموت الحديث أثره، أثرًا وأثارة، كالشجاعة، والجلادة، والصلابة، فما آثروا، ومنه قيل للخبر: أثر.

قال الأعشى:

إنّ الّذي فيه تماريتما ... بيّن للسامع والآثر

وقال الكلبي: بقية من علم. قال الأخفش: تقول العرب لهذه الناقة: أثارة من سمن، أي بقيّة. قال الراعي:

وذات أثارة أكلت عليها ... بناتًا في أكمّتها قصارا

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿أَوۡ أَثۡرَةٖ﴾ بفتح (الألف) وسكون (الثاء) من غير (ألف). وقرأ السلمي ﴿أَوۡ أَثَرَةٖ﴾ بفتح (الهمزة) و(الثاء) من غير (ألف)، أي خاصة من علم أوتيتموه وأوثرتم بها على غيركم. وقول عكرمة: أو ميراث من علم.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝ وَمَنۡ أَضَلُّ﴾ أجهل. ﴿مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ﴾ يعني الأوثان. ﴿عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ لا يسمعون ولا يفهمون. فأخرجها وهي جماد مخرج ذكور بني آدم إذ كانت قد مثّلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ جاحدين وعنهم متبرّئين. بيانه قوله: ﴿كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ (القصص: ٦٣).

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ۝ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ﴾ إن عذّبني على افترائي.

﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾ تخوضون. ﴿فِيهِۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝١١ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢﴾

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ بديعًا مثل نصف ونصيف، من الرسل، لست بأوّل مرسل، فَلِمَ تنكرون نبوّتى؟ هل أنا إلاّ كالأنبياء قبلى؟ وجمع البدع: أبداع، قال عدى بن زيد:

فلا أنا بدعٌ من حـــوادث تعترى رجالاً عرت من بعد بؤسى وأسعدى

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْۖ﴾ اختلف العلماء فى معنى هذه الآية وحكمها، فقال بعضهم: معناها وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة. فلمّا نزلت هذه الآية فرح المشركون فرحًا شديداً، وقالوا: واللات والعُزّى ما أمرنا وأمر محمّد ﷺ عند الله إلاّ واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنّه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذى بعثه بما يفعل به. فأنزل الله تعالى ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢).

فبيّن له أمره ونسخت هذه الآية[1]، فقالت الصحابة: هنيئًا لك يا نبىّ الله، قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (الفتح: ٥) الآية. وأنزل ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٧) فبيّن الله تعالى ما يفعل به وبهم. وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة.

أخبرنى الحسين بن محمّد بن الحسين الدينورى، حدّثنا أحمد بن محمّد بن إسحاق السنى، حدّثنا إسماعيل بن داود، حدّثنا هارون بن سعيد، حدّثنا ابن وهب، أخبرنى يونس بن يزيد،

(١) قد تكلمنا قبل وكثيراً ما سأذكر بعد إن شاء الله أن أهل العلم قد اختلفوا فى مسألة الناسخ والمنسوخ بين مؤيد ومعارض، وفى هذا الموضع ليس هناك نسخ ولا تعارض بين الآيات إنما الآية من سورة الأحقاف إنما تتكلم عن عدم معرفته بالغيب وما سيكون فيه من أمور يقدرها الله تعالى، وهو فى هذا ككل الرسل ولايعلمون من هذا الباب شيئًا فليس هو فيه بدعًا أى محدثًا حتى يأتيهم بعلم ما لم يُعلمه الله تعالى له كما لم يُعلمه لغيره من الأنبياء وما قد استأثر الله تعالى بمعرفته وعلمه.

والآيات الأخرى التى ادعى بها النسخ إنما هى من الآيات المبشرات له ولأصحابه بالمغفرة والقبول والفضل الكبير من الله تعالى سائلين الله أن ينالنا من ذلك الفضل الكبير آمين.

عن أبى شهاب أنّ خارجة بن زيد بن ثابت أخبره أنّ أُمّ العلاء ـ امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله ﷺ ـ أخبرته أنّهم اقتسموا والمهاجرين سكناهم قُرعة.

قالت: فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه أبياتنا، موضعه الّذى توفى فيه، فلمّا توفى غسّل وكفّن فى أثوابه، فدخل رسول الله ﷺ فقلت لعثمان بن مظعون: رحمة الله عليك أبا السائب، لقد أكرمك الله، فقال رسول الله: «وما يدريك أنّ الله تعالى أكرمه».

قالت: فقلت: بأبى أنت وأمى لا أدرى. قال: «أما هو فقد جاءه اليقين وما رأينا إلاّ خيراً. فوالله إنّى لأرجو له الجنّة، فوالله ما أدرى ـ وأنا رسول الله ـ ماذا يفعل بى». قالت: فوالله لا أزكّى بعده أحدًا.

قالوا: وإنّما قال هذا حين لم يخبر بغفران ذنبه، وإنّما غفر الله له ذنبه فى غزوة الحديبية قبل موته بسنتين وشىء، وقال ابن عبّاس: لمّا اشتدّ البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله فيما يرى النائم وهو بمكّة أرضًا ذات سباخ ونخل رُفعت له، يهاجر إليها.

فقال له أصحابه وهم بمكّة: إلى متى نكون فى هذا البلاء الّذى نحن فيه؟ ومتى نهاجر إلى الأرض التى أُريت. فسكت.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ أُترك فى مكانى أو أخرج إلى الأرض التى رفعت لى، وقال بعضهم: معناها: ولا أدرى ما يفعل بى ولا بكم، إلى ماذا يصير أمرى وأمركم فى الدُّنيا؟

أنبأنى عقيل بن محمّد، أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمّد بن جرير، أخبرنا ابن حميد، حدّثنا يحيى بن واضح، حدّثنا أبو بكر الهذلى، عن الحسن. فى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾، فقال: أمّا فى الآخرة فمعاذ الله قد علم أنّه فى الجنّة حين أخذ ميثاقه فى الرسل، ولكن قال: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ فى الدُّنيا، أُخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلى ولا أدرى ما يفعل بكم، أُمّتى المكذِّبة أم المصدّقة، أم أُمّتى المرميّة بالحجارة من السّماء قذفًا أم مخسوف بها خسفًا.

ثمّ أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٨). يقول: سيظهر دينكم على الأديان. ثمّ قال فى أُمّته: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣) فأخبره الله تعالى ما يصنع به وبأُمّته. وهذا قول السدى واليمانى، وقال الضحّاك: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ أى ما تؤمرون وما تنهون عنه.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ قال قتادة والضحاك وابن زيد: هو عبد الله بن سلام شهد على نبوّة المصطفى ﷺ. ﴿فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ اليهود، فلم يؤمنوا.

أخبرنا عبد الرّحمن بن إبراهيم بن محمّد بن يحيى، أخبرنا عبدوس بن الحسين بن منصور، حدّثنا محمّد بن إدريس يعنى الحنظلى، (ح)[1] وأخبرنا عبد الله بن حامد، حدّثنا أبو جعفر محمّد بن محمّد بن عبد الله البغدادى، حدّثنا إسماعيل بن محمّد بن إسحاق، حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الله الأنصارى، حدّثنى حميد الطويل، عن أنس، قال: جاء عبد الله بن سلام إلى رسول الله ﷺ مقدمه المدينة، فقال: إنّى سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلاّ نبى، ما أوّل أشراط السّاعة؟ وما أوّل طعام يأكله أهل الجنّة؟ والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أُمِّه؟.

قال: «أخبرنى جبريل بهنّ آنفًا» قال عبد الله: ذاك عدوّ اليهود من الملائكة.

قال: «أمّا أوّل أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأمّا أوّل طعام يأكله أهل الجنّة مرارة كبد حوت، فأمّا الولد، فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولدَ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت الولدَ».

فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّك رسول الله. ثمّ قال: يا رسول الله إنّ اليهود قوم بهت، وإن علموا بإسلامى قبل أن تسائلهم عنّى بهتوا علىَّ عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبى ﷺ: «أى رجل عبد الله فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله. فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله. قالوا: شرّنا وابن شرّنا. وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر.

ودليل هذا التأويل أنبأنى عقيل بن محمّد أنّ المعافى بن زكريا أخبرهم، عن محمّد بن جرير، أخبرنا يونس، أخبرنا عبد الله بن يوسف السبكى قال: سمعت مالك بن أنس يحدّث، عن أبى النضر، عن عامر بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه، قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشى على الأرض: إنّه من أهل الجنّة، إلاّ لعبد الله بن سلام.

قال: وفيه نزلت ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾.

وقال آخرون: هو موسى بن عمران (عليه السلام).

---

(١) زيادة حديثية يتطلبها السياق.

وروى الشعبى، عن مسروق فى هذه الآية، قال والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام لأنّ ﴿حمٓ﴾ نزلت بمكّة، وإنّما أسلم عبد الله بالمدينة، وإنّما كانت محاجّة من رسول الله لقومه، فأنزل الله تعالى هذه الآية ومثل القرآن التوراة، فشهد موسى على التوراة، ومحمّد على القرآن، وكلاهما مُصدّق أحدهما الآخر، وقيل: هو ابن يامين.

وقيل: هو نبى من بنى إسرائيل ﴿فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ فلم يؤمنوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ لدينه وحجّته، وقال أهل المعانى: هذه الآية محذوفة الجواب مجازها ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ من المحقّ منّا ومنكم، ومن المبطل؟

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من اليهود. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ﴾ دين محمّد ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه، قاله أكثر المفسّرين، وقال قتادة: نزلت هذه الآية فى ناس من مشركى قريش، قالوا: لو كان ما يدعونا إليه محمّد خيراً ما سبقنا إليه فلان، وفلان ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ (البقرة: ١٠٥).

وقال الكلبى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى أسداً وغطفان ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعنى جهينة ومزينة. ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما جاء به محمد ﴿خَيْرًا﴾ ما سبقنا إليه رعاء البهم ورذال الناس.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ أى بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان. ﴿فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ كما قالوا: أساطير الأوّلين. ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أى ومن قبل القرآن.

﴿كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا﴾ يؤتم به. ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن وعمل به، ونصبا على الحال، عن الكسائى، وقال أبو عبيدة: فيه إضمار أى أنزلناه أو جعلناه إمامًا ورحمةً. الأخفش على القطع لأنّ قوله: ﴿كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ معرفة بالإضافة، والنكرة إذا أعيدت وأضيفت أو أدخلت عليها الألف واللام، صارت معرفة.

﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال، وقيل: أعنى لسانًا. وقيل: بلسان. ﴿لِّيُنذِرَ﴾ [1] (بالتاء) مدنى وشامى ويعقوب وأيوب، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم على خطاب النبى (عليه السلام)، وقرأ الباقون (بالياء) على الخبر عنه. وقيل: عن الكتاب.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسهم بالكفر والمعصية. ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وجهان من الإعراب: الرفع على العطف على الكتاب مجازه ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ وبشرى، والنصب على معنى (لتنذر

(١) فى المخطوط: «لتنذر» ورسمت ما فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع والمتداول فلاحظ التغيير الذى أحدثته حتى لا يعترض مع كلام المؤلف.

الذين ظلموا) أو تبشّر. فلمّا جعل مكان وتبشر وبشرى أو وبشارة نصب كما يقال: أتيتك لأزورك وكرامة لك، وقضاء حقّك يعنى لأزورك وأكرمك وأقضى حقّك، فنصبت الكرامة والقضاء بفعل مضمر.

❖ ❖ ❖

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ (١) قرأ العامّة: «حسنًا» بدون ألف، وقرأ أهل الكوفة: (إحسانًا) وهي قراءة ابن عبّاس.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ بكُره ومشقّة. ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ﴾ وفطامه، وقرأ الحسن ويعقوب: «وفصله» بغير ألف. ﴿ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ قال المفسِّرون: حَملهُ ستّةَ أشهر ورضاعه أربعة وعشرون شهرًا.

وقال ابن إسحاق: حمله تسعة أشهر وفصاله من اللبن لأحد وعشرين شهرًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ نهاية قوّته وقامته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ قال السدي والضحاك: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقّاص. وقد مضت القصة، وقال الآخرون: نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرة، وأُمّه أُمّ الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر، فلمّا بلغ أبو بكر أربعين سنة آمن بالنبي ﷺ وقال لربّه: ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا عبيد الله بن محمّد بن شنبة، حدّثنا إسحاق بن صدقة، حدّثنا عبد الله بن هاشم، عن سيف بن عمر، عن عطية، عن أبي أيّوب، عن علي رضي الله عنه في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت: ٨) نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعًا ولم يجتمع لأحد من أصحاب رسول الله (من) المهاجرين (أسلم) أبواه غيره، أوصاه الله بهما ولزم ذلك مَن بعده.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ ألهمني وأوسعني. ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ أن تجعلهم مؤمنين صالحين. قالوا: فأجاب الله تعالى أبا بكر في أولاده فأسلموا، ولم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته إلاّ أبو بكر رضي الله عنه.

﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ (٢) عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ يعني أعمالهم الصالحة فيثيبهم عليها.

---

(١) في المخطوط: «حُسْنًا» ورسمت ما في المصحف الذي برواية حفص عن عاصم المطبوع فلاحظ ذلك حتى تعي ما يقول المؤلف.

(٢) في المخطوط: «يتقبل» ورسمت ما في مصحف حفص عن عاصم المطبوع والمتداول فلاحظ التغيير الذي أدخلته حتى لا يعترض الشرح مع كلام المؤلف.

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ فلا يعاقبهم بها ﴿فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أى مع أصحاب الجنّة، و(فى) بمعنى مع ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ وهو قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ (التوبة: ٧٢) ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ إذا دعوه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث والجزاء. ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ وهى كلمة كراهية.

﴿أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ قراءة العامة (بنونين) خفيفتين، وروى أهل الشام (بنون) واحدة مشدّدة ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من قبرى حيًّا بعد فنائى وبلائى. ﴿وَقَدْ خَلَتِ﴾ مضت ﴿ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ فلم يبعث منهم أحد. وقرأ الحسن والأعمش وأبو معمر أن أَخرج بفتح وضم (الراء).

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يستصرخان الله ويستغيثانه عليه ويقولان له: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ﴾ الذى تعدانني وتدعواننى إليه. ﴿إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال ابن عباس وأبو العالية والسدى ومجاهد: نزلت هذه الآية فى عبد الله. وقيل: فى عبد الرّحمن بن أبى بكر الصدّيق. قال له أبواه: أسلم وألحّا عليه فى دعائه إلى الإيمان. فقال: أحيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتّى أسألهم عمّا يقولون.

قال محمّد بن زياد: كتب معاوية إلى مروان حتّى يبايع الناس ليزيد، فقال عبد الرّحمن بن أبى بكر: لقد جئتم بها هرقلية، أتبايعون لأبنائكم؟

فقال مروان: هذا الذى يقول الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ الآية. فسمعت عائشة رضى الله عنها بذلك فغضبت، وقالت: والله ما هى به، ولو شئت لسمّيته ولكنّ الله لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت نضض[1] من لعنة الله.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ وجب عليهم العذاب. قالوا: يعنى الّذين أشار عليهم ابن أبى بكر، وقال أحيوهم إلىّ، هم الّذين حقّ عليهم القول، وهم الماضون بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾، فأمّا ابن أبى بكر فقد أجاب الله تعالى فيه دعاء أبيه بقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ فأسلم وحسن إسلامه.

وقال الحسن وقتادة: هذه الآية مرسلة عامة، وهى نعت عبد كافر فاجر عاق لوالديه. ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ مع أُمم. ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ۝ وَلِكُلٍّ﴾ واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين.

﴿دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها، وقال

(١) فى المتن: فقص، وفوقها، قصص فأثبت الأنسب للسياق، وعمومًا كل هذا لا يصح فكلهم صحابة رسول الله وكان دار بينهم خلاف لا يدرى تفاصيله على وجه الدقة فرضى الله عن الكل وألحقنا به على الإيمان.

ابن زيد: في هذه الآية دُرج أهل النار تذهب سفالاً، ودُرج أهل الجنّة تذهب علواً. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أجورهم (بالياء) مكي وبصري وهاشم، والباقون (بالنون).

﴿أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب (أذهبتم طيباتكم) بالاستفهام، واختلف فيه عن أهل الشام، وغيرهم بالخبر، وهما صحيحتان فصيحتان لأنّ العرب تستفهم بالتوبيخ وتترك الاستفهام فيه. فتقول: أذهبت ففعلت كذا وكذا؟، وذهبت ففعلت وفعلت؟ ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ أخبرنا ابن محمّد بن الحسين بن فنجويه، حدّثنا عبد الله بن إبراهيم بن علي بن عبد الله حدّثنا محمّد بن أحمد بن إبراهيم الكرابيسي، حدّثنا حميد[1] بن الربيع، حدّثنا أبو معمر، حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا محمّد بن حجارة، عن حميد الشامي، عن سليمان، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، قال: كان رسول الله إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله وأوّل من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام.

فلمّا قدم من غزوة فأتاها فإذا لمحَ على بابها ورأى على الحسن والحسين قلبين من فضة، فرجع ولم يدخل عليها، فلمّا رأت ذلك فاطمة ظنّت أنّه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصّبيين، فقطعتهما، فبكى الصبيان، فقسمته بينهما نصفين، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وهما يبكيان، فأخذه رسول الله منهما، وقال: «يا ثوبان اذهب بهذا إلى بني فلان - أهل بيت بالمدينة - واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج» قال: «فإنّ هؤلاء أهل بيتي ولا أحبّ أن يأكلوا طيّباتهم في الحياة الدُّنيا».

أنبأني عقيل بن محمّد، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمّد بن جرير، حدّثنا كثير، حدّثنا يزيد، حدّثنا سعيد، عن قتادة، قال: حدّثنا صاحب لنا، عن أبي هريرة، قال: إنّما كان طعامنا مع رسول الله ﷺ الأسودان: الماء، والتمر، والله ما كنا نرى سمراكم هذه ولا ندري ما هي. وبه عن قتادة، عن أبي بردة بن عبد الله بن قيس الأشعري، عن أبيه، قال: أي بُني لو شهدتنا ونحن مع نبيّنا ﷺ إذا أصابتنا السماء حسبت أنّ ريحنا ريح الضأن، إنّما كان لباسنا الصوف.

وبه عن قتادة، قال: ذُكر لنا أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان يقول: لو شئت كنت أطيبكم طعامًا وألينكم لباسًا، ولكنّي أستبقي طيباتي. وذكر لنا أنّه لما قدم الشام صُنع له طعام

---

(١) في المتن: «جميل» والتصويب من الهامش.

لم ير قبله مثله. قال: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟! قال خالد بن الوليد: لهم الجنّة. فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظّنا فى الحطام وذهبوا فيما أرى أنا بالجنّة لقد باينونا بونًا بعيدًا. وذُكر لنا أنّ النبى ﷺ دخل على أهل الصفة، مكانًا يجتمع فيه فقراء المسلمين ـ وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعًا.

قال: أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم فى حلة ويروح فى أُخرى، ويغدى عليه بجفنة ويُراح عليه بأُخرى، ويستر بيته كما يستر الكعبة؟ قالوا: نحن يومئذ خير.

أخبرنا الحسين بن فنجويه، حدّثنا محمّد بن أحمد بن نصرويه، حدّثنا أبو العبّاس أحمد ابن موسى الجوهرى، حدّثنا على بن سهل الرملى، حدّثنا الوليد بن مسلم، حدّثنى رزق أبو الهذيل، حدّثنى عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عبّاس، عن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أنّه حدّثه أنّه دخل على رسول الله ﷺ حين هجر نساءه فوافاه على سرير رميل، يعنى مرمُولاً مشدودًا، قد أثّر الحصيرُ فى جنبه، متوسِّد وسادة من أدم محشوة ليف.

فقال عمر: والتفتُّ فى البيت فوالله ما رأيت شيئًا يردّ البصر إلاّ أهب ـ يعنى جلدًا معطوبة ـ قد سطع ريحها، فبكيت، فقلت: يا رسول الله أنت رسول الله وخيرته، فيما أرى وهذا كسرى وقيصر فى الديباج والحرير؟! فاستوى رسول الله جالسًا، وقال: «أوَفى شك أنت يابن الخطّاب؟» «أولئك قوم عجلت لهم طيّباتهم فى حياتهم الدُّنيا».

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى، حدّثنا عبيد الله بن محمّد بن عتبة، حدّثنا الفرمانى، حدّثنا أبو أمية الواسطى، حدّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا مبارك بن فضالة، حدّثنا حفص بن أبى العاص، قال: كنت أتغدى مع رسول الله ﷺ، فتغدينا الخبز والزيت والخل، والخبز واللبن، والخبز[1] والقديد، وأقلّ ذلك اللحم العريض، وكان يقول: «لا تنخلوا الدقيق فإنّه كلّه طعام» فيجىء بخبز منقلع غليظ، فجعل يأكل ويقول لنا: كلوا. فجعلنا نعتذر[2]، فقال: ما لكم لا تأكلون؟! فقلت: لا نأكله والله يا أمير المؤمنين، نرجع إلى طعام ألين من طعامك.

قال: بخ يا بن أبى العاص، ألا ترى أنّى عالم بأن آمر بدقيق أن ينخل بخرقة فَيخبز فى كذا، وكذا؟ أما ترى أنّى عالم أنّ آمر إلى عناق سمين فُيلقى عنها شعرها، ثمّ تخرج صلاء كأنّه كذا وكذا؟ أما ترى أنّى عالم أن أعمل إلىَّ صاع أو صاعين من زبيب فأجعله فى سقاء ثمّ

---

(١) سبق ذكر الخبز فى الخبر قبل ذلك فهو تكرار.

(٢) كذا فى المتن وفى الهامش: نقدر.

أرش عليه من الماء فيصبح[١] كأنّه دم غزال؟

قال: قلت: والله يا أمير المؤمنين إني لأراك عالمًا بطيب العيش، فقال عمر: أجل، والله الذى لا إله إلاّ هو لولا أنّى أخاف أن ينقص من حسناتى يوم القيامة لشاركتكم فى العيش، ولكنّى سمعت الله يقول لقوم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾.

أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز، حدّثنا محمّد بن بكار الريان، حدّثنا أبو معشر، عن محمّد بن قيس، عن جابر بن عبد الله. قال: اشتهى أهلى لحمًا، فمررت بعمر بن الخطّاب رضى الله عنه، فقال: ما هذا يا جابر؟فقلت: اشتهى أهلى لحمًا، فاشتريت لحمًا بدرهم. فقال: أوكلّما اشتهى أحدكم شيئًا جعله فى بطنه؟ أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾؟.

أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا محمّد بن الحسين، حدّثنا بشر، حدّثنا ابن أبى الخصيب، أخبرنى أحمد بن محمّد بن أبى موسى، حدّثنا أحمد بن أبى الحوارى، حدّثنا أبى، قال: قال وهب بن الورد: خلق ابن آدم والخبز معه، فما زاد على الخبز فهو شهوة. قال: فحدّثت به أبا سليمان. فقال: صدق، الملح مع الخبز شهوة.

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعنى هود (عليه السلام).

﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ قال ابن عبّاس: الأحقاف واد بين عمان ومهرة. مقاتل: كانت منازل عاد باليمن فى حضر موت بموضع يقال له: مهرة إليها تنسب الجمال، فيقال: إبل مهرية ومهارى، وكانوا أهل عمد سيارة فى الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم.

وقال الضحّاك: الأحقاف جبل بالشام. مجاهد: هى أرض حَسْمى[٢] من جسمى. قتادة: ذكر لنا أنّ عادًا كانوا أحياء[٣] باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بالأرض يقال لها: الشحر. ابن زيد: هى ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلاً.

الكلبى: الأحقاف ما نضب عنه الماء زمان الغرق، كان ينضب الماء من الأرض ويبقى أثره. الخليل: هى الرمال العظام. الكسائى: هى ما استدار من الرمل، وواحدها حقف وحقاف، مثل دبغ ودباغ، ولبس ولباس. وقيل: الحقاف جمع الحقف، والأحقاف جمع الجمع.

---

(١) فى الهامش: «فيطبخ».
(٢) فى الهامش: «إرم حسمى».
(٣) فى الهامش: «حيًا».

ونظير حقف وأحقاف شبر وأشبار. قال الأعشى:

فبات إلى أرطاة حقف تلفّه حريق شمال يترك الوجه أقتما

وقال:

❖ بنا بطن حرّى ذى حقاف عقنقل ❖

ويقال: حقفٌ أحقف أى رمل متناه فى الاستدار. قال العجاج: بات إلى إرطاة حقف أحقفا، والفعل منه أحقف. قال الراجز:

❖ سماوة الهلال حتّى احقوقفا ❖

أى انحنى واستدار.

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ مضت الرسل. ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أى قبل هود. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ وهى فى قراءة عبد الله (ومن بعده). ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ لتصرفنا. ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بوقت مجىء العذاب.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا عندى وإنّما أنا مبلّغ. ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعنى العذاب. ﴿عَارِضًا﴾ نُصب على الحال، وإن شئت بالتكرير أى رأوهُ عارضًا وهو السحاب، سمّى بذلك لأنّه يعرض أى يبدو فى عرض السماء.

قال مجاهد: استعرض بهم الوادى. قال الأعشى:

يا من يرى عارضًا قد بتُّ أرمقه كأنّما البرق فى حافاته الشعل

قال المفسّرون: ساق الله تعالى السحابة السوداء التى اختار قيل بن عتز رأسه وقد عاد بما فيها من النقمة إلى عاد فخرجت عليهم من واد لهم يقال له: المغيث. وكانوا قد حبس عنهم المطر أيّامًا، فلمّا رأوها.

(قالوا: هذا عارض ممطرنا حتى عرفت أنها ريح امرأة منهم يقال لها مهدر فصاحت وصعقت، فلمّا أفاقت قيل لها: ما رأيت؟ قالت: ريحًا فيها كشهب النار).

﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ استبشروا بها.

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فجعلت تحمل الفسطاط، وتحمل الظعينة، فترفعها حتّى ترى كأنّها جرادة.

أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا عبيد الله بن محمّد بن شنبة، حدّثنا عبيد الله بن أحمد بن منصور الكسائى، حدّثنا الحارث بن عبد الله، حدّثنا هشيم، عن جويبر، حدّثنا أبو داود الأعمى، عن

ابن عبّاس فى قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ الآية، قال: لمّا دنا العارض قاموا فمدّوا أيديهم، فأوّل ما عرفوا أنّها عذاب رأوا ما كان خارجًا من ديارهم، من رحالهم، ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والأرض، مثل الريش[1]، قالوا: فدخلوا بيوتهم، وأغلقوا أبوابهم، فجاءت الريح فغلّقت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله تعالى الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال، وثمانية أيّامًا حسومًا لهم أنين، ثمّ أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال ثمّ أمرها فاحتملتهم، فرمت بهم فى البحر[2].

فهم الذين يقول الله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ مرّت به من رجال عاد وأموالها بإذن ربّها. أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا عمر بن الخطّاب، حدّثنا عبد الله بن الفضل، حدّثنا أبو هشام، حدّثنا حفص، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبىّ ﷺ إذا رأى الريح فزع، وقال: «اللّهم إنّى أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرّها وشر ما فيها، وشرّ ما أرسلت به».

فإذا رأى مخيلة قام، وقعد، وجاء، وذهب، وتغيّر لونه، فنقول: يا رسول الله، فيقول: «إنّى أخاف أن يكون مثل قوم عاد، حيث قالوا هذا عارض ممطرنا».

﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ قرأ الحسن (لا تُرى) بتاء مضمومة ﴿مَسَاكِنُهُمْ﴾ برفع (النون). ومثله روى شعيب بن أيّوب، عن يحيى بن آدم، عن أبى بكر بن عيّاش، عن عاصم. قال أبو حاتم: هذا لا يستقيم فى اللغة إلاّ إنْ أُوّل فيه إضمار كما تقول فى الكلام: لا تُرى النساء إلاّ زينب، ولا يجوز لا تُرى إلاّ زينب، وقال سيبويه: معناه (لا ترى) أشخاصهم. ﴿إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ وأجرى الفرّاء هذه الآية على الاستكراه، وذكر أنّ المفضل أنشده:

نارنا لم تر ناراً مثلهـا قد علمتْ ذاكَ معدّ كرما

فأنّث فعل مثل لأنّه للنّار، قال: وأجود الكلام أن يقول: لم تر مثلها نار.

وقرأ الأعمش وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف (بياء) مضمومة ﴿إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ رفعًا واختاره أبو عبيدة رفعًا وأبو حاتم. قال الكسائى: معناه لا يُرى شىء إلاّ مساكنهم.

وقال الفرّاء: لا يُرى الناس لأنّهم كانوا تحت الرمل، فإنّما يرى مساكنهم لأنّها قائمة. وقرأ الباقون (تَرى) (بتاء) مفتوحة (مساكنهم) نصبًا على معنى (لا ترى) يا محمّد (إلاّ مساكنهم).

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

---

(١) فى المتن: «الرشاء». والتصويب من الهامش.

(٢) لا يعتد بمثل هذا القول لخلوه عن الدليل.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَارُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَاتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٢٦ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٧ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٢٨ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ أى فيما لا يمكنكم فيه من بسطة الأجسام، وقوّة الأبدان، وطول العمر، وكثرة المال.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَارُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَاتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٢٦ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكّة.

﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كحجر ثمود، وأرض سدوم ونحوهما.

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَاتِ﴾ الحجج والبيّنات وأنواع العبر والعظات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم، فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوّف مشركي قريش. ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ يعنى الأوثان، قال الكسائى: القربان كلّ ما يُتقرّب به إلى الله تعالى من طاعة، ونسكة، والجمع قرابين، كالرهبان والرهابين.

﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أى كذبهم الذى كانوا يقولون: إنّها تقرّبهم إلى الله تعالى، وتشفع لهم عنده. وقرأ ابن عبّاس وابن الزبير ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ بفتح (الألف) و(الفاء) على الفعل، أى ذلك القول صرفهم عن التوحيد. وقرأ عكرمة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ بتشديد (الفاء) على التأكيد والتفسير. قال أبو حاتم: يعنى قلبهم عمّا كانوا عليه من النعيم. ودليل قراءة العامّة قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية. قال المفسّرون: لمّا مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ

وحده إلى الطائف يلتمس ثقيف النصرة، والمنعة له من قومه، فروى محمّد بن أحمد عن يزيد ابن زياد عن محمّد بن كعب القرظي، قال: لمّا انتهى رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، بنو عمر بن عمير، عندهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله تعالى وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله تعالى أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أُكلّمك كلمة أبدًا لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطرًا من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أُكلّمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس[1] من خير ثقيف، وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه».

وكره رسول الله أن يبلغ قومه عنه فيديرهم عليه ذلك، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم، وعبيدهم يسبّونه، ويصيحون به، حتّى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة، وشيبة ابني ربيعة، هما فيه، ورجع عنه سفهاء ثقيف.

ولقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة من بني جمح، فقال لها: «ماذا لقينا من أحمائك؟».

فلمّا اطمئن رسول الله، قال: «اللّهم إنّي أشكو إليك ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على النّاس، يا أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدوٍّ ملّكته أمري. إن لم يكن بك عليَّ غضب، فلا أُبالي، ولكن عافيتك هي أوسع، وأعوذ بنور وجهك من أن ينزل بي غضبك، ويحلّ عليَّ سخطك، لك العتبى حتّى ترضى، لا حول ولا قوّة إلاّ بك».

فلمّا رأى أبناء ربيعة ما لقي تحرّكت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له: عداس. فقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق، ثمّ اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس ثمّ أقبل به حتّى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فلمّا وضع رسول الله يده، قال: «بسم الله».

ثمّ أكل، فنظر عداس إلى وجهه، ثمّ قال: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة.

(١) في المتن: «تيأس». والتصويب من الهامش.

قال له رسول الله : «ومن أى أهل البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟». قال: أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى.

فقال له رسول الله : «من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى». قال له: وما يدريك ما يونس ابن متّى؟! قال له رسول الله : «ذاك أخى، كان نبيًّا وأنا نبىّ». فأكبّ عداس على رسول الله ﷺ فقبّل رأسه، ويديه، ورجليه.

قال: فيقول أبناء ربيعة أحدهما لصاحبه، أما غلامك فقد أفسده عليك. فلمّا جاءهم عداس، قالا له: ويلك يا عداس ما لكَ تقبّل رأس هذا الرجل، ويديه، ورجليه؟! قال: يا سيّدى ما فى الأرض خيرٌ من هذا، لقد خبّرنى بأمر ما يعلمه (إلاّ)[1] نبى. فقال: ويحك يا عداس لا يصرفنّك عن دينك، فإنّ دينك خيرٌ من دينه.

ثمّ إنّ رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعًا إلى مكّة حتّى يئس من خير ثقيف، حتّى إذا كان بنخلة، قام من جوف الليل يصلّى، فمرّ به نفر من جنّ أهل نصيبين اليمن، وكان سبب ذلك أنّ الجنّ كانت تسترق السمع، فلمّا حرست السماء ورجموا بالشهب. قال إبليس: إنّ هذا الذى حدث فى السماء لشىء فى الأرض، فبعث سراياه لتعرف الخبر، فكان أوّل بعث بُعث ركب من أهل نصيبين وهم أشراف الجنّ وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة، فاندفعوا حتّى بلغوا وادى نخلة، فوجدوا رسول الله ﷺ يصلّى صلاة الغداة، ببطن نخلة ويتلو القرآن، فاستمعوا إليه، وقالوا: أنصتوا. هذا معنى قول سعيد بن جبير وجماعة من أئمّة الخبر، ورواية العوفى عن ابن عباس، وقال آخرون: بل أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجنّ ويدعوهم إلى الله تعالى، ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله إليه نفرًا من الجنّ من نينوى وجمعهم له، فقال رسول الله ﷺ: «إنّى أُمرت أن أقرأ على الجنّ الليلة فأيّكم يتبعنى؟» فأطرقوا ثمّ استتبعهم فأطرقوا، ثمّ استتبعهم الثالثة فاتبعه عبد الله بن مسعود، قال عبد الله: ولم يحضر معه أحد غيرى، فانطلقنا حتّى إذا كنّا بأعلى مكّة دخل نبى الله ﷺ شعبًا يقال له: شعب الحجون وخط إلىّ خطًّا، ثمّ أمرنى أن أجلس فيه.

قال: «لا تخرج منه حتّى أعود إليك». ثمّ انطلق حتّى قام وافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى تمشى فى رفوفها، وسمعت لغطًا شديدًا، حتّى خفت على نبى الله، وغشيته أسورة كثيرة حالت بينى وبينه، حتّى ما أسمع صوته، ثمّ طفقوا ينقطعون مثل قطع السحاب داهنين، ففزع رسول الله ﷺ مع الفجر، ثمّ انطلق إلىّ، وقال: «أنمت؟» فقلت: لا

(١) زيادة يتطلبها السياق.

والله لقد هممت مرارًا أن أستغيث بالناس حتّى سمعتك تقرعهم بعصاك. تقول: «اجلسوا».

قال: «لو خرجت لم آمن أن يتخطّفك بعضهم».

ثمّ قال: «هل رأيت شيئًا؟». قلت: نعم رأيت رجالاً سودًا مسفرى ثياب بيض. فقال: «أولئك جنّ نصيبين سألونى المتاع» - والمتاع الزاد - «فمتعتهم بكلّ عظم حائل وبعرة وروثة».

فقالوا: يا رسول الله يقذرها الناس علينا. فنهى النبىّ ﷺ أن يُستنجى بالعظم والروث. قال: فقلت: يا رسول الله وما يغنى ذلك عنهم؟ قال: «إنّهم لا يجدون عظمًا إلاّ وجدوا عليه لحمه يوم أُكل، ولا روثة إلاّ وجدوا فيها حبّها يوم أُكلت».

فقلت: يا رسول الله، لغطًا شديدًا. فقال: «إنّ الجنّ يدارك فى قتيل قتل بينهم» - وقيل: قتل - «فتحاكموا إلىّ، فقضيت بينهم بالحقّ». قال: ثمّ تبرّز رسول الله ﷺ، ثمّ أتانى فقال: «هل معك ماء؟». قلت: يا رسول الله معى إداوة فيها شىء من نبيذ التمر، فاستدعاه فصببت على يديه فتوضّأ.

وقال: «تمرة طيبة وماء طهور». قال قتادة: فذكر لنا ابن مسعود لمّا قدم الكوفة رأى شيوخًا شُمطًا من الزط، فأفزعوه حين رآهم. وقال: اظهروا. فقيل له: إنّ هؤلاء قوم من الزط، فقال: ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول الله ﷺ، يريد الجنّ.

قال: أخبرنيه ابن فنجويه، حدّثنا ابن حنش المقرى، حدّثنا ابن زنجويه، حدّثنا سلمة، حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا معمر، عن قتادة بمثل معناه إلاّ أنّه لم يذكر قصة نبيذ التمر.

أخبرنا الحسين بن محمّد الحديثى، حدّثنا محمّد بن الحسن الصوفى، حدّثنا أبو جعفر محمّد بن صالح بن ذريح، حدّثنا مسروق بن المرزبان، حدّثنا ابن أبى زائدة، حدّثنا داود بن أبى هند، عن علقمة، قال: سألت عبد الله بن مسعود، هل كان مع رسول الله ﷺ أحد من الجنّ؟.

فقال: لا لم يصحبه منّا أحدٌ. ولكنّا فقدناه ذات ليلة، فقلنا استطير أو اغتيل، فتفرّقنا فى الشعاب والأودية نلتمسه، فلمّا أصبحنا رأيناه مقبلاً من نحو حراء.

فقلنا: يا رسول الله، بتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، نقول: استطير أو اغتيل.

فقال: «إنّه أتانى داع من الجنّ، فذهبت أُقرئهم القرآن». قال: وأرانى آثارهم وآثار نيرانهم. قال: «فسألوه ليلتئذ الزاد».

فقال: فكلّ عظم لم يذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما كان لحمًا، والبعر لدوابكم».

فقال رسول الله ﷺ: «لا تستنجوا بالعظام ولا بالبعر فإنّه زاد إخوانكم من الجنّ».

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدّثنا أبو بكر بن خرجة، حدّثنا محمّد بن أيّوب، أخبرنا سلمان بن داود الشاذكوى، عن خالد بن عبد الله الواسطى، عن خالد الحذّاء، عن أبى معشر، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لم أكن مع النبىّ ﷺ ليلة الجنّ وودت أنّى كنت معه.

أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا موسى بن محمّد بن على، حدّثنا يوسف بن يعقوب القاضى، حدّثنا سليمان بن حرب، حدّثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سألت أبا عبيدة بن عبد الله، أكان عبد الله مع النبّى ﷺ ليلة الجنّ؟ قال: لا. قال: وسألت إبراهيم. فقال: ليت صاحبنا كان ذاك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ اختلفوا فى مبلغ عددهم، فقال ابن عبّاس: كانوا سبعة نفر من جنّ نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رُسلاً إلى قومهم.

أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا طلحة بن محمّد بن جعفر، وعبيد الله بن أحمد بن يعقوب، قالا: أخبرنا أبو بكر بن مجاهد، حدّثنى أحمد بن حرب، حدّثنا سنيد، حدّثنا حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرنى وهب بن سلمان، عن شعيب الحمانى. أنّ أسماء الجنّ الّذين صرفهم الله تعالى إلى رسوله شاصر، وماصر، ومنشى، وماشى، والأحقم[1] وقال آخرون: كانوا تسعة.

أخبرنى أبو على السراج، أخبرنا أبو بكر العطار[2]، حدّثنا أحمد بن يوسف السّلمى، حدّثنا محمّد بن يوسف الفريابى، قال: ذكر سفيان، عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال: كان زوبعة من التسعة الّذين استمعوا القرآن من النبى ﷺ.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ قالوا: صه. وبإسناده عن سفيان، عن أبى إسحاق، عن ثابت ابن قطبة الثقفى، قال: جاء أُناسٌ إلى عبد الله بن مسعود، قالوا: كنّا فى سفر فرأينا حيّة متشحّطة فى دمها مقتولة، فأخذها رجل منّا، فواريناها، فلمّا ولّوا جاءهم ناس، فقالوا: إنّكم دفنتم عمرًا، فقالوا ومَنْ عمر؟ قالوا: الحيّة التى دفنتم فى مكان كذا وكذا. أما إنّه كان

---

(١) هذا تكلف ما أنزل الله به من سلطان فمن أين لهم بأسماء هؤلاء النفر وعددهم، ثم ما فائدة معرفة أسمائهم وما قيمة الاختلاف فى مثل هذه الأمور كالسائلين عن نوع عصا موسى عليه السلام وحمار العزير، وما شابه ذلك، فكل هذا تكلف نُهينا عنه لا يقود إلى خير فى دين ولا دنيا ولا آخرة عافانا الله وإياكم من المراء فى الدين آمين.

(٢) فى الهامش: «القطان».

من النفر الَّذين استمعوا القرآن من النبى (عليه السلام) وكان بين حيّتين من الجنّ من المسلمين وغيرهم، فزال، فقتل.

أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا عمر بن الخطّاب، حدّثنا عبد الله بن الفضل، حدّثنا سهل بن حمزة، حدّثنا عبد الله بن صالح، حدّثنى معاوية بن صالح، عن أبى الزاهرية، عن جبير بن نفير، عن أبى ثعلبة الخشنى أنّ رسول الله ﷺ، قال: «الجنّ على ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلّون ويظعنون».

فلمّا حضروه، قالوا: قال: بعضهم لبعض أنصتوا، فأنصتوا واستمعوا القرآن، حتّى كاد يقع بعضهم على بعض من شدّة حرصهم، نظير ما فى سورة الجنّ.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من تلاوة القرآن واستماع الجان. وقرأ لاحق بن حميد (قَضَى) بفتح (القاف) و(الضاد)، يعنى النبىّ ﷺ.

﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ مخوّفين داعين بأمر النبى ﷺ.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ يعنى محمّد ﷺ.

﴿وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

قال ابن عبّاس: فاستجاب لهم من فوقهم نحو من سبعين رجلاً من الجنّ فرجعوا إلى رسول الله فوافقوه بالبطحاء. فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم. واختلف العلماء فى حكم مؤمنى الجنّ، فقال قوم: ليس لمؤمنى الجنّ ثواب إلاّ نجاتهم من النار، وتأوّلوا قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وإلى هذا القول ذهب أبو حنيفة.

أخبرنا الحسين بن محمّد بن فنجويه، حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا الحسن بن نجيويه، حدّثنا عمرو بن ثور، وإبراهيم بن أبى سفيان، قالا: حدّثنا محمّد بن يوسف الفريانى، حدّثنا سفيان، عن ليث، قال: الجنّ ثوابهم أن يجاروا من النار، ثمّ يقال لهم: كونوا ترابًا مثل البهائم.

وقال آخرون: إن كان عليهم العقاب فى الإساءة وجب أن يكون لهم الثواب فى الإحسان مثل الإنس. وإليه ذهب مالك وابن أبى ليلى.

أخبرنا أبو عبد الله الثقفى الدينورى، حدّثنا أبو على بن حبش المقرى، حدّثنا محمّد بن عمران، حدّثنا ابن المقرى وأبو عبيد الله. قال: حدّثنا العبدى، عن سفيان، عن جويبر، عن الضحّاك، قال: الجنّ يدخلون الجنّة ويأكلون ويشربون.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

❖ ❖ ❖

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يضعف عن إبداعهن، ولم يعجز عن اختراعهن. ﴿بِقَادِرٍ﴾ قراءة العامة (بالباء) و(الألف) على الأسم واختلفوا فى وجه دخول (الباء) فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: هى صلة، كقوله: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ (المؤمنون: ٢٠) وقال الحارث بن حلزة:

قيل ما اليوم بيّضت بعيون ... النّاس فيها تعيط[1] وإباء

أراد بيضت عيون النّاس.

وقال الكسائى والفراء: (الباء) فيه جلبت الاستفهام والجحد فى أوّل الكلام، كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ﴾ (يس: ٨١). والعرب تدخلها فى الجحود، إذا كانت رافعة لما قبلها، كقول الشاعر:

فما رجفت[2] بخائبة ركاب ... حكيم بن المسيّب منتهاها

وقرأ الأعرج وعاصم الجحدرى وابن أبى إسحاق ويعقوب بن إسحاق (يقدر) (بالياء) من غير (ألف) على الفعل، واختار أبو عبيد قراءة العامّة لأنّها فى قراءة عبد الله (خلق السموات والأرض قادر) بغير (باء).

﴿عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ فيقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ﴾ لهم المقرّ بذلك ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا

(١) فى الهامش: «تعتط».

(٢) فى الهامش: «رجعت».

صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ .

قال ابن عبّاس : ذوو الحزم . ضحّاك : ذوو الجدّ والصّبر . القرظى : ذوو الرأى والصواب . واختلفوا فيهم ، فقال ابن زيد : كلّ الرسل كانوا أُولى عزم ، ولم يتّخذ الله رسولاً ، إلاّ كان ذا عزم ، وهو اختيار على بن مهدى الطبرى ، قال : وإنّما دخلت ﴿مِنَ﴾ للتجنيس لا للتبعيض ، كما يقال : اشتريت أكسية من الخزّ ، وأردية من البز . حكاها شيخنا أبو القاسم بن حبيب عنه .

وقال بعضهم : كلّ الأنبياء (عليهم السلام) أُولو عزم ، إلاّ يونس ، ألا ترى أنّ نبيّنا ﷺ نهى عن أن يكون مثله ، لخفّة وعجلة[1] ظهرت منه حين ولّى من قومه مغاضبًا ، فابتلاه الله بثلاث : سلّط عليه العمالقة حتى أغاروا على أهله وماله ، وسلّط الذئب على ولْده فأكلهم ، وسلّط الحوت عليه حتّى ابتلعه .

سمعت أبا منصور الجمشاذى يحكيها ، عن أبى بكر الرازى ، عن أبى القاسم الحكيم . وقيل : هم نجباء الرّسل المذكورون فى سورة الأنعام وهم ثمانية عشر ، وهم اختيار الحسين بن الفضل ، قال : لقوله فى عقبه : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ (الأنعام : ٩٠) .

وقال الكلبى : هم الّذين أُمروا بالقتال ، فأظهروا المكاشفة ، وجاهدوا الكفرة بالبراءة ، وجاهدوهم . أخبرنا ابن فنجويه الدينورى ، عن أبى على حبش المقرى ، قال : قال بعض أهل العلم : أولو العزم اثنا عشر نبيًّا أُرسلوا إلى بنى إسرائيل بالشام فعصوهم ، فأوحى الله تعالى إلى الأنبياء (عليهم السلام) : «إنّى مرسل عذابى على عصاة بنى إسرائيل» ، فشقّ ذلك عليهم ، فأوحى الله تعالى إليهم أن اختاروا لأنفسكم ، إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بنى إسرائيل ، وإن شئتم أنجيتكم وأنزلت ببنى إسرائيل . فتشاوروا بينهم ، فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجى بنى إسرائيل ، فأنجى الله بنى إسرائيل وأنزل بأولئك العذاب ، وذلك أنّه سلّط عليهم ملوك الأرض ، منهم من نشر بالمناشير ، ومنهم من سُلخ جلد رأسه ووجهه ، ومنهم من رُفع على الخشب ، ومنهم من أُحرق بالنّار[2] ، وقيل هم ستّة : نوح ،

(١) لا يجوز أن يوصف نبى من أنبياء الله تعالى بهذه الأوصاف وإنما يكون غضبهم لله تعالى ، وهذا موسى عليه السلام من أولى العزم بإجماع وبلا خلاف وقد ألقى الألواح ولا يستطيع أحد أن يصفه بهذه الأوصاف فكلهم رسل الله تعالى وجب احترامهم وتوقيرهم وربما كان ذلك زلة فلم ينتبه إليه كاتبه غفر الله لنا وله آمين .

(٢) وهذا أيضًا لا دليل عليه وإنما ما أصاب أنبياء الله تعالى إنما هو فتن وبلاء وليس عذاب أو انتقام ، وحاشى لله تعالى أن يأخذ أحدًا بذنب أحد فضلاً أن يأخذ نبيًا بذنب قومه ، وإنما تلك عقيدة النصارى فإنهم يعتقدون أن عيسى عليه السلام جاء ليغفر خطيئة آدم عليه السلام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . هدانا الله وإياكم سواء السبيل ورزقنا وإياكم حسن الاعتقاد وحسن الختام آمين .

وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى.

وهم المذكورون على النسق فى سورة الأعراف والشعراء. وقيل أصحاب الشرائع، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد ﷺ.

وقال مقاتل: أولو العزم ستّة: نوح صبر على أذى قومه فكانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم صبر على النّار، وإسحاق صبر على الذبح[١]، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر فى البئر وفى السجن، وأيّوب صبر على ضرّه.

وقال الحسن البصرى: هم أربعة: إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى. فقال: إبراهيم فعزمه قيل له: أسلم، قال: أسلمت لربّ العالمين. ثمّ ابتلى فى ماله، وولده، ووطنه، ونفسه، فَوجدَ صادقًا وافيًا[٢] فى جميع ما ابتلى به، وأمّا موسى، فعزمه قوله حين قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ (الشعراء: ٦١) قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء: ٦٢).

وأمّا داود، فعزمه أنّه أخطأ خطيئة، فنُبّه عليها، فبلى أربعين سنة على خطيئته حتّى نبتت من دموعه شجرة، وقعد تحت ظلّها[٣]، وأمّا عيسى فعزمه أنّه لم يضع فى الدُّنيا لبنة على لبنة، وقال: إنّها معبر فاعبروها، ولا تعمروها. فكان الله تعالى يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أى كن صادقًا فيما ابتليت به مثل صدق إبراهيم، واثقًا بنصرة مولاك مثل ثقة موسى، مهتمًّا لما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود، زاهدًا فى الدنيا مثل زهد عيسى (عليه السلام).

حدّثنا الإمام أبو منصور محمّد بن عبد الله الجمشاذى لفظًا، أخبرنا أبو عمرو محمد بن محمد بن أحمد القاضى، أخبرنا أبو عبد الرحمن، أخبرنا ابن أبى الربيع، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، قال: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى (عليهم السلام).

أخبرنا أبو منصور الجمشاذى، أخبرنا أبو عبد الله محمّد بن يوسف الدقّاق، أخبرنا الحسن ابن محمّد بن جابر، حدّثنا عبد الله بن هاشم، حدّثنا وكيع، عن أبى جعفر الرازى، عن

---

(١) من المعلوم أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وقد جاءت بذكره الأخبار المستفاضة، وإنما زعم أنه إسحاق النصارى وصريح القرآن يفيد أن إسماعيل كان أكبر من إسحاق، وأنه هو الذى تله إبراهيم عليهما السلام للجبين فيلاحظ ذلك جيداً.

(٢) تكرر اللفظ بآخر الورقة (١٢١) وأول الورقة (١٢٢) فحذفت التكرار.

(٣) هذا قول لا يقبله عاقل فضلاً عن مسلم موحد.

الربيع بن[١] أنس، عن أبي العالية في قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾، قال: كانوا ثلاثة: نوح، وإبراهيم، وهود، ومحمّد رابعهم، أُمر أن يصبر كما صبروا.

أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه، حدّثنا محمّد بن عبد الله بن برزة، حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة، حدّثنا داود بن المحبر، حدّثنا سليمان بن الحكم، عن الأحوص بن حكيم بن كعب الحبر، قال: في جنّة عدن مدينة من لؤلؤ بيضاء، تكلّ عنها الأبصار، لم يرها نبي مرسل ولا ملك مُقرَّب، أعدّها الله سبحانه وتعالى لأُولي العزم من الرُّسل والشهداء والمجاهدين، لأنّهم فضّلوا الناس عقلاً وحلمًا وإنابة ولبًّا[٢].

﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل﴾ العذاب. ﴿لَّهُمۡۚ﴾ فإنّه نازل بهم لا محالة. ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾ يعني في جنب يوم القيامة، وقيل: لأنّه ينسيهم هول ما عاينوا قدر مكثهم في الدُّنيا. ثمّ قال: ﴿بَلَٰغٞۚ﴾ أي هذا القرآن وما ذكر فيه من البيان بلاغ بلغكم محمّد ﷺ عن الله تعالى، دليله ونظيره في سورة إبراهيم. (عليه السلام).

﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ﴾ بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله تعالى.

أخبرنا الحسين بن محمّد الحديثي، حدّثنا سعد بن محمّد بن إسحاق الصيرفي، حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبي شنبة، حدّثنا منجاب بن الحارث، حدّثنا علي بن مهير، حدّثنا ابن أبي ليلى، عن الحكيم عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: إذا عسر على المرأة ولدها، فلتكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة، ثمّ تُغسّل، ثمّ تسقى منها: بسم الله الرحمن الرّحيم لا إله إلاّ الله الحليم الكريم سبحان الله ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (المؤمنون: ٨٦).

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[٣].

❖ ❖ ❖

(١) في المتن: «عن» والتصويب من الهامش.

(٢) من المعلوم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، غير أن ما قاله ليس عليه دليل وهو من غيب الله تعالى فلا نقبل فيه إلاّ قرآن أو قول نبي صحيح.

(٣) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً إنما جعل القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الإيمان والاعتقاد المخالف لما فطر الله الناس عليه، وجعل الله للطب أسبابه فلا يغتر بذلك مغتر فيفتري على الله ورسوله ما لم ينزل به الله من سلطان.

سورة محمد

مدنية، وهى ثمان وثلاثون آية وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة،
وألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون حرفًا

أخبرنا أبو الحسين[١] محمّد بن القاسم بن أحمد الفارسى بقراءتى عليه، أخبرنا أبو عمر، وإسماعيل بن مجيد بن أحمد بن يوسف السلمى، أخبرنا أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن سعيد البوشيخى، حدّثنا سعيد بن حفص، قال: قرأت على معقل بن عبد الله، عن عكرمة بن خالد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، عن أُبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة محمّد كان حقًا على الله تعالى أن يسقيه من أنهار الجنّة».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ

(١) فى الهامش: «أبو الحسن».

عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أى أبطلها فلم يقبلها، وقال الضحّاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى ﷺ وجعل الدائرة عليهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ حالهم، وجمعُهُ بالات. قال سفيان الثورى: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ لم يخالفوه فى شىء. قال ابن عبّاس: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾ أهل مكّة. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ الأنصار.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ يعنى الشياطين. ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعنى القرآن. ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ يبيّن الله للنّاس. ﴿أَمْثَـٰلَهُمْ﴾ أشكالهم.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل الحرب. ﴿فَضَرْبَ﴾ نصب على الإغراء ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ الأعناق، واحدتها رقبة. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أى غلبتموهم، وقهرتموهم، وصاروا أسرى فى أيديكم. ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ كى لا يفلتوا منكم، فيهربوا. ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا﴾ عليهم ﴿بَعْدُ﴾ الأسر، بإطلاقكم إيّاهم من غير عوض، ولا فدية.

﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ (و) نصبا بإضمار الفعل، مجازه: فإمّا أن تمنّوا عليهم منًّا، وإمّا أن تفادوهم، واختلف العلماء فى حكم هذه الآية، فقال قوم: هى منسوخة بقوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ (الأنفال: ٥٧) الآية. وقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ (التوبة: ٥)، وإلى هذا القول ذهب قتادة، والضحاك، والسدى، وابن جريج، وهى رواية العوفى، عن ابن عبّاس.

أخبرنا عقيل بن محمّد أنّ أبا الفرج البغدادى أخبرهم، عن محمّد بن جرير، حدّثنا ابن عبد الأعلى، حدّثنا ابن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزرى، قال: كُتب إلى أبى بكر رضى الله عنه فى أسير أُسر، فذكر أنّهم التمسوه بفداء كذا، وكذا، فقال أبو بكر: اقتلوه، لَقتل رجل من المشركين أحبّ إلىّ من كذا، وكذا.

وقال آخرون: هى مُحكمة[1] والإمام مخيّر بين القتل، والمنّ، والفداء. وإليه ذهب ابن عمر، والحسن، وعطاء، وهو الاختيار؛ لأنّ النبى ﷺ والخلفاء الراشدين كلّ ذلك فعلوا، فقتل رسول الله عقبة بن أبى معيط، والنضر بن الحارث، يوم بدر صبرًا وفادى سائر أسارى بدر. وقيل: بنى قريظة، وقد نزلوا على حكم سعد، وصاروا فى يده سلمًا ومنّ على أمامة بن أثال الحنفى وهو أسير فى يده.

أخبرنا عقيل أنّ أبا الفرج القاضى البغدادى أخبرهم، عن محمّد بن جرير، حدّثنا ابن عبد الأعلى، حدّثنا ابن ثور، عن معمر، عن رجل من أهل الشام ممّن كان يحرس عمر بن عبد العزيز، قال: ما رأيت عمر قتل أسيرًا إلاّ واحدًا من الترك، كان جيء بأسارى من الترك، فأمر بهم أن يسترقوا، فقال رجل ممّن جاء بهم: يا أمير المؤمنين لو كنت رأيت هذا ـ لأحدهم ـ وهو يقتل المسلمين، لكثر بكاؤك عليهم فقال عمر: قد فدك، فاقتله، فقام إليه فقتله.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أثقالها وأحمالها فلا تكون حرب، وقيل: حتّى تضع الحرب آثامها، وأجرامها، فيرتفع، وينقطع، لأنّ الحرب لا تخلو من الإثم فى أحد الجانبين والفريقين. وقيل: معناه حتّى يضع أهل الحرب آلتها وعدّتها أو آلتهم وأسلحتهم فيمسكوا عن الحرب.

والحرب القوم المحاربون كالشرب والركب، وقيل حتّى يضع الأعداء المتحاربون أوزارها وآثامها بأن يتوبوا من كفرهم ويؤمنوا من كفرهم ويؤمنوا بالله ورسوله. ويقال للكراع: أوزار، قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحًا طوالاً وخيلاً ذكورا

ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتّى يظهر الإسلام على الأديان كلّها، ويدخل فيه أهل كلّ ملّة[2] طوعًا أو كرهًا ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩) فلا نحتاج إلى قتال وجهاد، وذلك عند نزول عيسى (عليه السلام).

وقال الحسن: معناه حتّى لا يُعبد إلاّ الله. الكلبى: حتّى يسلموا أو يسالموا. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكرت وبيّنت من حكم الكفّار ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير قتال.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ من حكم الكفّار ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قرأ الحسن بضم (القاف) وكسر (التاء) مشدّدًا من غير (ألف)، وقرأ أبو عمرو

(١) هذا من بيان اختلافهم فى الناسخ والمنسوخ فقال جماعة بالنسخ وقالت أخرى بالإحْكَام.
(٢) فى الهامش: «مكة».

ويعقوب وحفص بضمّ (القاف) وكسر (التاء) مخففًا من غير (ألف)، واختاره أبو حاتم يعنى الشهداء، وقرأ عاصم الجحدرى (قَتلوا) بفتح (القاف) و(التاء) من غير (ألف)، يعنى والذين قتلوا المشركين.

وقرأ الباقون (قاتلوا) (بالألف) من المقاتلة، وهم المجاهدون، واختاره أبو عبيد. ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ قال قتادة: ذُكر لنا أنّ هذه الآية أُنزلت يوم أحُد ورسول الله ﷺ فى الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون: اعلُ هُبل، فنادى المسلمون: الله أعلى وأجلّ. فنادى المشركون: يوم بيوم والحرب سجال، لنا عزّى ولا عزّى لكم.

فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، إنّ القُتّال مختلفة، أما قتلانا فأحياء عند ربّهم يرزقون، وأمّا قتلاكم ففى النّار يُعذّبون».

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ فى الدُّنيا إلى الطاعة وفى العقبى إلى الدرجات.

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ يرضى خصماءهم، ويقبل أعمالهم ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أى بيّن لهم منازلهم فيها حتّى يهتدوا إلى مساكنهم، ودرجاتهم التى قسم الله لهم، لا يخطئون، ولا يستدلّون عليها أَحدًا، كأنّهم سكّانها منذ خُلقوا، وإنّ الرجل ليأتى منزله منها إذا دخلها كما كان يأتى منزله فى الدنيا، لا يشكل ذلك عليه. وإنّه أهدى إلى درجته وزوجته وخدمه ونعمه منه إلى أهله ومنزله فى الدُّنيا. هذا قول أكثر المفسِّرين، وقال المؤرج: يعنى طيبها، والعرف: الريح الطيّبة، تقول العرب: عرّفت المرقة إذا طيّبتها بالملح والأبازير، قال الشاعر:

وتدخل أيد فى حناجر أقنعت ... لعادتها من الحزير المعرّف

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أى رسوله ودينه.

﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ على الإسلام، وفى القتال ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ قال ابن عبّاس: بُعدًا لهم، وقال أبو العالية: سقوطًا، وقال الضحّاك: خيبة، وقال ابن زيد: شقًا، وقال ابن جرير: حزنًا، وقال الفراء: هو نصب على المصدر على سبيل الدعاء، وأصل التعس فى النّاس والدواب، وهو أن يقال للعاثر: تعسًا، إذا لم يريدوا قيامه، ويقال: أتعسه الله، فتعس وهو متعس، وضدّه لعاء إذا أرادوا قيامه وقد جمعها الأعمش فى بيت واحد يصف ناقته.

بذات لوث غفرناه إذا عثرت ... فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ لأنّها كانت فى طاعة الشيطان خالية عن الإيمان. ﴿ذَ ٰلِكَ﴾ الإضلال، والإبعاد. ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أى أهلكهم ودمّر عليهم منازلهم، ثمّ توعّد مشركى قريش. ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكرت، وفعلت ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وليّهم، وناصرهم، وحافظهم، وفى حرف ابن مسعود ذلك بأنّ الله ولى الّذين آمنوا.

﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ محلّه رفع على الابتداء ﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ فى الدّنيا ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ ليس لهم همّة إلاّ بطونهم، وفروجهم، وهم لاهون ساهون عمّا فى غدهم، وقيل: المؤمن فى الدّنيا يتزوّد، والمنافق يتزيّن، والكافر يتمتّع.

﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾.



﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ۝١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ۝١٤ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ۝١٥ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ۝١٦ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ۝١٧ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ۝١٨ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ۝٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ۝٢٣﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ أى أخرجك أهلها يدلّ عليه ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ لم يقل: أهلكناها ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ عن ابن عبّاس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكّة إلى الغار، التفت إلى مكّة، وقال: «أنت أحبّ بلاد الله إلى الله، وأحبّ بلاد الله إلىّ، ولو أنّ المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك». فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهو محمّد ﷺ والمؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ وهم أبو جهل والمشركون.

﴿مَّثَلُ﴾ شبه وصفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى﴾ وقرأ على بن أبى طالب أمثال الجنّة التى ﴿وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ آجن متغيّر منتن، يقال: آسن الماء يأسن، وآجن يأجن، وأسن يأسن ويأسُن، وأجن يأجن، ويأجُن، وأسونًا، وأجونًا، إذا تغيّر، ويقال: أسِنَ الرجل: بكسر السين لا غير، إذا أصابته ريح منتنة، فغشى عليه قال زهير:

يغـــادر القرنُ مصفرًا أنامله يميد فى الرمح ميل المائح الأسن

وقرأ العامّة آسن بالمد، وقرأ ابن كثير بالقصر وهما لغتان.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لم تدنسها الأيدى، ولم تدنسها الأرجل، ونظير لذّ ولذيذ، طب وطبيب. ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء الجنّة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر[1].

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعنى المتّقين الّذين هم أهل الجنّة، كمن هو خالد فى النّار، فاستغنى بدلالة لكلام عليه، وقال ابن كيسان: مَثَلُ الجنّة التى فيها هذه الأنهار، والثمار، كمَثَلُ النّار التى فيها الحميم، ومَثَلُ أهل الجنّة فى النعيم المقيم، كمثل أهل النّار فى العذاب الأليم.

﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ﴾ إذا أُدنى منهم شوى وجوههم، ووقعت فروة رؤوسهم، فإذا شربوه قطّع ﴿أَمْعَآءَهُمْ ۝ وَمِنْهُم﴾ يعنى ومن هؤلاء الكفّار ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ وهم المنافقون يستمعون قولك، فلا يعونه، ولا يفهمونه تهاونًا منهم بذلك، وتغافلاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ من الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ (الآن) وأصله الابتداء. قال مقاتل: وذلك أن النبىّ ﷺ كان يخطب ويحث المنافقين، فسمع المنافقون قوله، فلمّا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود عمّا قال رسول الله ﷺ استهزاءً وتهاونًا منهم بقوله.

---

(١) هذا خبر لا يصح ومعروف من هو كعب الأحبار وما هى أخباره فهو وهى أشهر من أن تُعرف.

قال ابن عبّاس فى قوله: ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ : أنا منهم وقد سئلت فيمن سئل. قال قتادة: هؤلاء المنافقون، دخل رجلان: رجل عقل عن الله تعالى وانتفع بما سمع، ورجل لم يعقل عن الله، فلم ينتفع بما سمع، وكان يقال: النّاس ثلاثة: سامع عاقل، وسامع عامل، وسامع غافل تارك.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلم يؤمنوا. ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ۝ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ يعنى المؤمنين. ﴿زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود والأعمش وأنطاهم وأعطاهم ﴿تَقْوَىٰهُمْ﴾ ألهمهم ذلك، ووفّقهم، وقال سعيد بن جبير: وآتاهم ثواب تقواهم.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون. ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أماراتها وعلاماتها، وبعث (النبى) ﷺ منها وقيل: أدلّتها وحجج كونها، واحدها شرط، وأصل الأشراط الإعلام، ومنه الشرط، لأنّهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، ومنه الشرط فى البيع وغيره.

ويقال: أشرط نفسه فى عمل كذا، وأعلمها وجعل له. قال أوس بن حجر يصف رجلاً وقد تدلّى بحبل من رأس جبل إلى نبعة ليقطعها ويتخذ منها قوسًا:

فأشرط فيها نفسه وهو معصم ... وألقى بأسباب له وتوكلا

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ يعنى فمن أين لهم التذكّر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم السّاعة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (سبأ: ٥٢).

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال بعضهم: الخطاب للنبىّ ﷺ والمراد به غيره وأخواتها كثيرة، وقيل: فاثبت عليه، وقال الحسين بن الفضل: فازدد علمًا على علمك، وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى: هو أنّ النبى ﷺ كان يضجر، ويضيق صدره من طعن الكافرين، والمنافقين فيه، فأنزل الله هذه الآية، يعنى فاعلم أنّه لا كاشف يكشف ما بك إلاّ الله، فلا تعلق قلبك على أحد سواه.

وقال أبو العالية وابن عيينة: هذا متصل بما قبله، معناه فاعلم أنّه لا ملجأ، ولا مفزع عند قيام السّاعة، إلاّ الله. سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن عدش يقول: معناه فاعلم أنّه لا قاضى فى ذلك اليوم إلاّ الله، نظيره ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤).

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ليستنّ أُمّتك بسنّتك، وقيل: واستغفر لذنبك من التقصير الواقع لك فى معرفة الله.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ أخبرنى عقيل بن محمّد أنّ أبا الفرج القاضى أخبرهم، عن محمّد

ابن جرير، حدّثنا أبو كريب، حدّثنا عثمان بن سعيد، حدّثنا إبراهيم بن سليمان، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس، قال: دخلت على رسول الله ﷺ، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال رجل من القوم: استغفر لك يا رسول الله؟! قال: «نعم ولك» ثمّ قرأ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه الدينوري، حدّثنا أحمد بن علي بن عمر بن حبش الرازي، حدّثنا أبو بكر محمّد بن عيّاش[1] العتبي، حدّثنا أبو عثمان سعيد بن عنبسة الحراز، حدّثنا عبد الرّحمن ابن محمّد، عن بكر بن حنيس، عن محمّد بن يحيى، عن يحيى بن وردان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يكن عنده مال يتصدّق به، فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنّها صدقة».

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ قال عكرمة: يعني منقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأُمّهات، ومثواكم: مقامكم في الأرض. ابن كيسان: متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم: مقامكم في القبور. ابن عبّاس والضحّاك: منصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدُّنيا، ومثواكم: مصيركم إلى الجنّة وإلى النّار. ابن جرير: متقلبكم: منصرفكم لأشغالكم بالنهار، ومثواكم: مضجعكم للنوم بالليل، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اشتياقًا منهم إلى الوحي وحرصًا على الجهاد. ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ تأمرنا بالجهاد. ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ بالأمر والنهي، قال قتادة: كلّ سورة ذكر فيها الجهاد، فهي محكمة، وهي أشدّ القرآن على المنافقين. وفي حرف عبد الله (سورةٌ محدثة) ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني المنافقين ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ شزرًا، بتحديق شديد كراهة منهم للجهاد، وجبنًا منهم على لقاء العدوّ ﴿نَظَرَ﴾ كنظر ﴿ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ وعيد وتهديد، قال: ﴿طَاعَةٌ﴾ مجازه، ويقول هؤلاء المنافقون قبل نزول الآية المحكمة (طاعةٌ) رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منّا طاعة.

﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ حسن وقيل: هو متصل بالكلام الأوّل، (واللام) في قوله (لهم) بمعنى (الباء) مجازه فأولى بهم طاعة لله ورسوله ﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ بالإجابة والطاعة.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي جدّ الأمر وعُزم عليه وأُمروا بالقتال. ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ في إظهار الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝ فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ فلعلّكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان، وعن القرآن، وفارقتم أحكامه.

---

(١) في الهامش: «عباس».

﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعصية، والبغى، وسفك الدماء، وتعودوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفرقة، بعدما جمعكم الله تعالى بالإسلام، وأكرمكم بالألفة.

قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولّوا عن كتاب الله؟ ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرّحمن؟، وقال بعضهم: هو من الآية. قال المسيب بن شريك والفراء: يقول: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ إن ولّيتم أمر الناس ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالظلم، نزلت فى بنى أمية، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا الحسين بن محمّد بن الحسين، حدّثنا هارون بن محمّد ابن هارون، حدّثنا محمّد بن عبد العزيز، حدّثنا القاسم بن يونس الهلالى، عن سعيد بن الحكم الورّاق، عن ابن داود، عن عبد الله بن مغفل، قال: سمعت النبىّ ﷺ يقرأ ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ثم قال: «هم هذا الحى من قريش أخذ الله عليهم إن وُلوا الناس ألاّ يفسدوا فى الأرض ولا يقطّعوا أرحامهم».

وقرأ على بن أبى طالب ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ بضمّ (التاء) و(الواو) وكسر (اللام)، يقول: إن وليتكم ولاة جائرة خرجتم معهم فى الفتنة، وعاونتموهم. ومثله روى رويس عن يعقوب.

﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ قرأ يعقوب، وأبو حاتم، وسلام (وتقطعوا) خفيفة من القطع اعتباراً بقوله: ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ (البقرة: ٢٧) وقرأ الحسن (يقطّعوا) مفتوحة الحروف، اعتباراً بقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ (المؤمنون: ٥٣)، وقرأ غيرهم ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ﴾ بضم (التاء) مشدّداً من التقطيع على التكثير لأجل الأرحام.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ عن الحقّ.



﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ۝٢٦ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ۝٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٢٨ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ۝٢٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٠ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ۝٣١ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ تفهم مواعظ القرآن، وأحكامه، أخبرنا عقيل بن محمّد، أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمّد بن جرير، حدّثنا ابن حميد، حدّثنا يحيى بن واضح، حدّثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، قال: ما من النّاس أحدٌ إلاّ وله أربع أعين: عينان في وجهه لدنياه، ومعيشته، وعينان في قلبه لدينه، وما وعد الله من الغيب. وما من أحد إلاّ وله شيطانٌ متبطّن فقار ظهره، عاطف عنقه على عاتقه، فاغرٌ فاه إلى ثمرة قلبه، فإذا أراد الله بعبد خيراً أبصرت عيناه اللّتان في قلبه ما وعد الله تعالى من الغيب، فيعمل به، وإذا أراد الله بعبد شرّاً طمس عليهما، فذلك قوله: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾.

وبه عن ابن جرير، حدّثنا بشير، حدّثنا حمّاد بن زيد، حدّثنا هشام بن عبدة عن أبيه، قال: تلا رسول الله ﷺ يومًا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها حتّى يكون الله يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر حتّى ولي فاستعان به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ قال قتادة: هم كفّار أهل الكتاب كفروا بمحمّد وهم يعرفونه ويجدون نعته مكتوبًا عندهم، وقال ابن عبّاس والضحّاك والسدي: هم المنافقون.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ زيّن لهم ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ قرأ أبو عمرو بضم (الألف) وفتح (الياء) على وجه ما لم يُسمَّ فاعله. وقرأ مجاهد، ويعقوب بضمّ (الألف) وإرسال (الياء) على وجه الخبر

من الله تعالى عن نفسه أنّه يفعل ذلك بهم وهو اختيار أبى حاتم. وقرأ الآخرون ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ بفتح (الألف) بمعنى وأملى الله لهم وهو اختيار أبى عبيدة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ يعنى هؤلاء المنافقين أو اليهود ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ وهم المشركون. ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ فى مخالفة محمّد ﷺ، والقعود عن الجهاد.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ أهل الكوفة إلاّ أبا بكر بكسر (الألف) على الفعل، غيرهم بفتحها على جمع السر.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ﴾ (بالتاء) قراءة العامّة، وقرأ عيسى بن عمر (توفّيهم) (بالياء). ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ عند الموت، نظيرها فى الأنفال والنحل. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك، يعنى المنافقين ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾ أحقادهم على المؤمنين، واحدها ضغن، فيبديها لهم حتّى يعرفوا نفاقهم. ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾ أى لأعلمناكهم، وعرفناكهم، ودللناك عليهم، تقول العرب: سأُريك ما أصنع بمعنى سأعلمك، ومنه قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ (النساء: ١٠٥).

﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ بعلامتهم، قال أنس بن مالك: ما أخفى على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شىء من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهم، ولقد كنّا معه فى غزاة وفيها سبعة من المنافقين يشكوهم النّاس، فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كلّ واحد منهم مكتوب هذا منافق، فذلك قوله: ﴿بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [1].

وقال ابن زيد: قد أراد الله إظهار نفاقهم، وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد، فأبوا إلاّ أن يمسكوا بلا إله إلاّ الله، فلمّا أبوا أن يمسكوا إلاّ بلا إله إلاّ الله، حُقنت دماؤهم، ونكحوا، ونكحوا بها.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ قال ابن عبّاس: فى معنى ﴿ٱلْقَوْلِ﴾: الحُسن فى فحواه. القرظى: فى مقصده ومغزاه. واللحن وجهان: صواب، وخطأ، فأمّا الصواب فالفعل منه لحن يلحن لحنًا، فهو لحن إذا فطن للشىء، ومنه قول النبى ﷺ: «ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض» والفعل من الخطأ لحن يلحن لحنًا، فهو لاحن، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، وفى الخبر أنه قيل لمعاوية: إنّ عبيد الله بن زياد يتكلّم بالفارسية، فقال: أليس طريفًا من ابن أخى أن يلحن فى كلامه أى يعدل به من لغة إلى لغة، قال الشاعر:

وحديث ألذه هو ممّا ... ينعت الناعتون يوزن وزنا

(١) هذا الخبر تلوح عليه علامات الوضع.

منطق صائب وتلحن أحيانًا وخير الحديث ما كان لحنا

يعني ترتل حديثها.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالجهاد ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ قرأ العامّة كلّها بالنون لقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾. وروى أبو بكر والمفضل، عن عاصم كلّها (بالياء). وقرأ يعقوب، (ونبلوا) ساكنة (الواو) ردًا على قوله: (نعلم).

قال إبراهيم بن الأشعث: كان الفضل إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللّهم لا تبلنا، فإنّك إن بلوتنا هتكت أستارنا، وفضحتنا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ قال ابن عبّاس: هم المطعمون يوم بدر، نظيره قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٦)... الآية.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ بمعصيتهما[1]، قال مقاتل والثمالي: لا تمنوا على رسول الله فتبطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد. وسنذكر القصة في سورة الحجرات إن شاء الله. وقيل: بالعجب والرياء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل: هم أصحاب القليب، وحكمها عام ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ إلى الصلح ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ لأنّكم مؤمنون محقّون.

﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ قال قتادة: لا تكونوا أوّل الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ قال ابن عبّاس وقتادة والضحّاك وابن زيد: لن يظلمكم. مجاهد: لن ينقصكم أعمالكم بل يثيبكم عليها، ويزيدكم من فضله، ومنه قول النبيّ ﷺ: «من فاته صلاة العصر فكأنّما وتر أهله وماله» أي ذهب بهما.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ﴾ ربّكم. ﴿أَمْوَٰلَكُمْ﴾ لا يسألكم الأجر، بل يأمركم بالإيمان، والطاعة ليثيبكم عليها الجنّة، نظيره قوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ (الذاريات: ٥٧).. الآية، وقيل: (ولا يسألكم) محمّد صدقة أموالكم، نظيره قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ...﴾ (ص: ٨٦) وقيل: معنى الآية ولا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلّها إنّما يسألانكم غيضًا من فيض، ربع العشر فطيبوا بها نفسًا، وإلى هذا القول ذهب ابن عُيينة وهو اختيار أبي بكر بن عبدش، قال: حكى لنا ابن حبيب

(١) كذا في الأصل، والأولى أن يقول بمعصية الله ورسوله ﷺ. والله أعلم.

عنه، يدلّ عليه سياق الآية.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ فيجهدكم ويلحّ ويلحفكم عليها، وقال ابن زيد: الإحفاء أن تأخذ كلّ شيء بيدك.

﴿تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾ قال قتادة: قد علم الله تعالى أنّ فى مسألة المال خروج الأضغان ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن صدقاتكم وطاعتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إليها ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم﴾ فى الطواعية، بل يكونوا أطوع لله تعالى وأمثل منكم، قال الكلبى: هم كندة والنخع. الحسن: هم العجم عكرمة: فارس والروم. وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمّد ابن الحسين بن عبد الله بن فنجويه الدينورى، حدّثنا عمر بن الخطّاب، حدّثنا عبد الله بن الفضل، حدّثنا يحيى بن أيّوب، حدّثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرنى عبد الله بن نجيح، عن العلاء بن عبد الرّحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة، قال: قال أُناس من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله مَنْ هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن إن تولّينا استبدلوا، ثمّ لا يكونوا أمثالنا؟ قال: وكان سلمان إلى جانب رسول الله ﷺ، فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان وقال: «هذا وقومه، والّذى نفسى بيده لو كان الإيمان معلّقًا بالثريا لتناوله رجال من فارس».



سورة الفتح

مدنية، وهى تسع وعشرون آية، وخمسمائة وستّون كلمة، وألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفًا

أخبرنا عبيد الله بن محمّد الزاهد بقراءتى عليه، حدّثنا أبو العبّاس السرّاج، حدّثنا أبو الأشعث، حدثنا أبو المعتمر، قال: سمعت أبى يحدث عن قتادة، عن أنس، قال: لمّا رجعنا من غزوة الحديبية، قد حيل بيننا وبين نسكنا، فنحن بين الحزن والكآبة، فأنزل الله تعالى عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآية كلّها.

فقال رسول الله: «لقد نزلت علىّ آية هى أحبُّ إلىَّ من الدُّنيا جميعًا».

أخبرنا أبو الحسن بن أبى الفضل القهندرى بقراءتى عليه، أخبرنا مكى بن عبدان، حدّثنا محمّد بن يحيى، قال: وفيما قرأت على عبد الله بن نافع وحدّثنى مطرف، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ كان يسير فى بعض أسفاره وعمر بن الخطّاب رضى الله عنه يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شىء فلم يجبه، ثمّ سأله فلم يجبه، قال عمر: فحرّكت بعيرى حتّى تقدّمت أمام الناس، وخشيت أن يكون نزل فىَّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ، فقال: «لقد أُنزلت علىَّ الليلة سورة[1] لهى أحبُّ إلىَّ ممّا طلعت عليه الشمس»، ثمّ قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [2].

أخبرنا الحسين بن محمّد بن فنجويه الثقفى، حدّثنا الفضل بن الفضل الكندى، حدّثنا حمزة بن الحسين بن عمر البغدادى، حدّثنا محمّد بن عبد الملك، قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: سمعت المسعودى يذكر، قال: بلغنى أنّ من قرأ فى أوّل ليلة من رمضان ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فى التطوّع حفظ ذلك العام.

---

(١) فى المخطوط فوق هذه الكلمة: «آية».

(٢) أخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح فى باب (٤٨) من كتاب التفسير فى تفسير سورة الفتح حديث رقم (٣٢٦٢) بنحوه، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

ورواه بعضهم عن مالك مرسلاً.

والبخارى فى المغازى فى باب غزوة الحديبية وفضائل القرآن باب فضل سورة الفتح، والتفسير باب تفسير: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ أخبرنا عبيد الله بن محمّد الزاهد، أخبرنا أبو العبّاس السرّاج، حدّثنا هنّاد بن السرى، حدّثنا يونس بن بكير، حدّثنا على بن عبد الله التيمى يعنى أبا جعفر الرازى، عن قتادة، عن أنس ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: فتح مكّة، وقال مجاهد والعوفى: فتح خيبر، وقال الآخرون: فتح الحديبية.

روى الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر، قال: ما كنّا نعدّ فتح مكّة إلاّ يوم الحديبية.

وروى إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن البراء، قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكّة، وقد كان فتح مكّة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنّا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة. والحديبية بئر.

أخبرنا عقيل بن محمّد الفقيه أنّ أبا الفرج القاضى البغدادى، أخبرهم، عن محمّد بن جرير، حدّثنا موسى بن سهل الرملى، حدّثنا محمّد بن عيسى، حدّثنا مجمع بن يعقوب الأنصارى، قال: سمعت أبى يحدّث، عن عمّه عبد الرّحمن بن يزيد، عن عمّه، محمد[1]

(١) كذا وفى الهامش: مجمع.

ابن حارثة الأنصارى ـ وكان أحد القرّاء الذين قرءوا القرآن ـ قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلمّا انصرفنا عنها، إذا الناس يهزون الأباعر، فقال بعض النّاس لبعض: ما بال النّاس؟ قالوا: أُوحى إلى رسول الله ﷺ. قال: فخرجنا نوجف، فوجدنا النبى (عليه السلام) واقفًا على راحلته عند كراع العميم، فلمّا اجتمع إليه الناس، قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم والّذى نفسى بيده إنّه لفتح». فقسم ﷺ الخمس بخيبر على أهل الحديبية، لم يدخل فيها أحد إلاّ من شهد الحديبية.

أخبرنا الحسين بن محمّد بن فنجويه العدل، حدّثنا أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن شنبة، حدّثنا عبيد الله بن أحمد الكسائى، حدّثنا الحارث بن عبد الله، أخبرنا هشيم، عن مغيرة، عن الشعبى فى قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: فتح الحديبية، غفر له ما تقدّم من ذنبه، وما تأخّر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدى محلّه، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس.

وقال مقاتل بن حيان: يسّرنا لك يُسراً بيّنًا، وقال مقاتل بن سليمان: لمّا نزل قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ (الأحقاف: ٩) فرح بذلك المشركون، والمنافقون، وقالوا: كيف نتّبع رجلاً لا يدرى ما يفعل به وبأصحابه، ما أمرنا وأمره إلاّ واحد، فأنزل الله تعالى بعدما رجع من الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ أى قضينا لك قضاءً بيّنًا.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فنسخت هذه الآية تلك الآية[1]، وقال ﷺ: «لقد نزلت علىّ آية ما يسرنى بها حمر النعم».

وقال الضحاك: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ بغير قتال، وكان الصلح من الفتح، وقال الحسن: فتح الله عليه بالإسلام.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ قال أبو حاتم: هذه (لام) القسم، لما حذفت (النون) من فعله كسرت اللام ونُصبَ فعلها بسببها بلام كى، وقال الحسين بن الفضيل: هو مردود إلى قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (محمد: ١٩) ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وقال محمّد بن جرير: هو راجع إلى قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ

---

(١) سبق الكلام عن الخلاف بين العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ فمن مؤيد ومعارض، وهنا لا تعارض بين الآيتين ظاهراً حتى يستدعى قول هؤلاء ولا هؤلاء فالأولى مبينة أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، والثانية: مبشرة له ومخبرة عن مغفرة الله عزّ وجلّ له ﷺ.

كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ١ - ٣) ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ قبل الرسالة ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إلى وقت نزول هذه السورة.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو عمرو عثمان بن عمر بن حقيف الدرّاج، حدّثنا حامد بن شعيب، حدّثنا شريح بن يونس، حدّثنا محمّد بن حميد، عن سفيان الثورى ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ ما عملت فى الجاهلية ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ كلّ شىء لم تعمله.

وقال عطاء بن أبى مسلم الخراسانى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ يعنى ذنب أبويك آدم وحوّاء ببركتك ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ديوان أُمّتك بدعوتك. سمعت الطرازى يقول: سمعت أبا القاسم النصر آبادى يقول: سمعت أبا على الروذبارى بمصر يقول: فى قول الله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، قال: لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أى ويثبتك عليه، وقيل: يهدى بك ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ غالبًا. وقيل: مُعزًا. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الرحمة، والطمأنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عبّاس: كلّ سكينة فى القرآن فهى الطمأنينة إلاّ التى فى البقرة.

﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ قال ابن عبّاس: بعث الله نبيّه ﷺ بشهادة أن لا إله إلاّ الله، فلمّا صدّقوا فيها زادهم الحجّ، ثمّ زادهم الجهاد، ثمّ أكمل لهم دينهم بذلك، وقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ أى تصديقًا بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان.

وقال الضحاك: يقينًا مع يقينهم، وقال الكلبى: هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أخبرنا عبيد الله بن محمّد الزاهد، أخبرنا أبو العبّاس السرّاج، حدّثنا محمّد بن عبد الله بن المبارك، حدّثنا يونس بن محمّد، حدّثنا شيبان، عن قتادة فى قوله سبحانه: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال أنس بن مالك: إنّها نزلت على النبىّ ﷺ بعد مرجعه من الحديبية، وأصحابه مخالطو الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم ونحروا الحديبية، فقال النبى ﷺ: «لقد أُنزلت علىّ آية هى أحبّ إلىّ من الدُّنيا جميعًا» فقرأها على أصحابه، فقالوا: هنيئًا مريئًا يا رسول الله، قد بيّن الله تعالى ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قال أهل المعانى: وإنّما كرّر (اللام) فى قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بتأويل تكرير الكلام مجازه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إنّا فتحنا لك ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ أى لن ينصر الله محمّداً ﷺ والمؤمنين.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ بالذلّ والعذاب ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو أربعتها[1] بالياء، واختاره أبو عبيد، قال: لذكر المؤمنين قبله، وبعده، فأمّا قبله فقوله تعالى: ﴿قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وبعده قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ (الفتح: ١٠) وقرأها الآخرون بالتاء، واختاره أبو حاتم.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ وقرأ محمّد بن السميقع بزايين، (وقرأ)[2] وغيره بالراء أى لتعينوه، وتنصروه. قال عكرمة: تقاتلون معه بالسيف، أخبرنا على بن محمّد بن محمّد بن أحمد البغدادى، أخبرنا أبو محمّد عبد الله بن محمّد الشيبانى، أخبرنا عيسى بن عبد الله البصرى بهراة، حدّثنا أحمد بن حرب الموصلى، حدّثنا القاسم بن يزيد الحرمى، حدّثنا سفيان بن سعيد الثورى، عن يحيى بن سعيد القطان، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله، قال: لمّا نزلت على النبىّ ﷺ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾، قال لنا: ماذا كُم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: لتنصروه وتُوقِّرُوهُ وتعظّموه وتفخموه. وهاهنا وقف تام.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أى وتسبحوا الله بالتنزيه والصلاة. ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ۝ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ

(١) يريد: ليؤمنوا، ويعزروه، ويوقروه ويسبحوه، فهذه هى الأربعة التى قصد أنها كلها بالياء المثناة من تحت والتى هى آخر الحروف.

(٢) زيادة تركها المؤلف اختصاراً.

ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يا محمّد بالحديبية على أن لا يفروا ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا ابن حبش المقرى، حدّثنا محمّد بن عمران، حدّثنا أبو عبد الله المخزومى، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار أنّه سمع جابراً يقول: كنّا يوم الحديبية ألف وأربعمائة، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض». قال: وقال لنا جابر: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة، وقال: بايعنا رسول الله تحت السّمرة على الموت على أن لا نفرّ، فما نكث أحد منّا البيعة، إلاّ جد بن قيس وكان منافقًا، اختبأ تحت إبط بعيره، ولم يسر مع القوم. ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن عبّاس: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ بالوفاء لما وعدهم من الخير ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالوفاء.

وقال السدى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك أنّهم كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه، و ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ عند المبايعة.

وقال الكلبى: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة، وقال ابن كيسان: قوّة الله

ونصرته فوق قوّتهم ونصرتهم.

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ يعنى البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ عليه وباله ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ قرأ أهل العراق (بالياء)، و(قرأها)[1] غيرهم بالنون.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنّة ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ قال ابن عبّاس ومجاهد: يعنى أعراب غفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، والديك، وذلك أنّ النبىّ ﷺ حين أراد المسير إلى مكّة عام الحديبية معتمرًا استنفر من حول المدينة من الأعراب، وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرًا من قريش أن يعرضوا له بحرب ويصدّوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ، وساق معه الهدى ليعلم النّاس أنّه لا يريد حربًا، فتثاقل عنه كثير من الأعراب، وقالوا: نذهب معه إلى قوم، قد جاؤوه، فقتلوا أصحابه، فنقاتلهم، فتخلّفوا عنه. واعتلّوا بالشغل، فأنزل الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ الّذين خلّفهم الله عن صحبتك، وخدمتك فى حجّتك، وعمرتك إذا انصرفت إليهم، فعاتبتهم على التخلّف عنك.

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ ثمّ كذّبهم فى اعتذارهم واستغفارهم وأخبر عن إسرارهم وإضمارهم، فقال: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ قرأ حمزة والكسائى وخلف بضمّ (الضاد) والباقون بالفتح، واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، قالا: لأنّه قابله بالنفع ضدّ الضرّ.

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وذلك بأنّهم قالوا: إنّ محمّدًا وأصحابه أكلة رأس فلا يرجعون، فأين تذهبون؟ انتظروا ما يكون من أمرهم.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ هالكين، فاسدين، لا تصلحون لشىء من الخير. ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الحديبية ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ يعنى غنائم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر فنشهد معكم، فقال أهلها: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ قرأ حمزة والكسائى (كلم الله) بغير (ألف)، و(قرأ)[2] غيرهما: (كلام الله)، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قال الفرّاء: الكلام مصدر، والكلم جمع الكلمة، ومعنى الآية يريدون أن يغيّروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية، وذلك أنّ الله تعالى جعل غنائم خيبر لهم عوضًا من غنائم

(١) زيادة تركها المؤلف اختصاراً.

(٢) زيادة تركها المؤلف اختصاراً.

أهل مكّة، إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم[1] شيئًا، وقال ابن زيد: هو قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ (التوبة: ٨٣). والقول الأوّل أصوب، وإلى الحقّ أقرب، لأنّ عليه عامّة أهل التأويل، وهو أشبه بظاهر التنزيل لأنّ قوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا﴾ نزلت فى غزوة تبوك. ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خيبر. ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أى من قبل مرجعنا إليكم: إنّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، ليس لغيرهم فيها نصيب.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم. ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عبّاس، وعطاء بن أبى رباح، وعطاء الخراسانى، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، ومجاهد: هم فارس. كعب: الروم. الحسن: فارس، والروم. عكرمة: هوازن. سعيد بن جبير: هوازن، وثقيف. قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. الزهرى، ومقاتل: بنو حنيفة أهل اليمامة، أصحاب مُسيلمة الكذّاب.

قال رافع بن خديج: والله لقد كنّا نقرأ هذه الآية فيما مضى ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فلا نعلم من هم حتّى دعا أبو بكر رضى الله عنه إلى قتال بنى حنيفة، فعلمنا أنّهم هم، وقال أبو هريرة: لم تأت هذه الآية بعد.

﴿تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ قرأ العامّة يسالمون فى محل الرفع عطفًا على قوله: ﴿تُقَـٰتِلُونَهُمْ﴾، وفى حرف أُبى (أو يسلموا) بمعنى حتّى يسلموا، كقول امرىء القيس: أو يموت فنعذرا.

﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يعنى عام الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو النّار. قال ابن عبّاس: فلمّا نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: فكيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ فى التخلّف عن الجهاد، والقعود عن الغزو.

﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فى ذلك: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قرأ أهل المدينة والشام (يدخله) (ويعذّبه) فيهما (بالنون) فيهما وقرأ الباقون (بالياء) فيهما، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قالا: لذكر الله تعالى قبل ذلك.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية على أن يناجزوا قريشًا، ولا يفروا. ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وكانت سمرة، ويروى أنّ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه مرّ بذلك المكان بعد أن

---

(١) فى المخطوط فوق تلك الكلمة: «منها».

ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول: هاهنا، وبعضهم هاهنا، فلمّا كثر اختلافهم قال: سيروا، هذا التكلف، وقد ذهبت الشجرة، إما ذهب بها سيل وإمّا شيء سوى ذلك. وكان سبب هذه البيعة أنّ رسول الله ﷺ، دعا خراش بن أُمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكّة، وحمله على جمل له يقال له: الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، وذلك حين نزل الحديبية.

فعقروا له جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش، فخلّوا سبيله حتّى أتى رسول الله، فدعا رسول الله (عليه السلام) عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكّة، فقال: يا رسول الله إنّي أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكّة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها، وغلظتي عليهم، ولكنّي أدلُّك على رجل هو أعزّ بها منّي، عثمان بن عفّان، فدعا رسول الله عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنّه لم يأت لحرب، وإنّما جاء زائرًا لهذا البيت، معظّمًا لحرمته، فخرج عثمان إلى مكّة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكّة، أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابّته وحمله بين يديه، ثمّ ردفه وأجازه حتّى بلّغ رسالة رسول الله ﷺ فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنت لأفعل حتّى يطوف به رسول الله.

فاحتبسته قريش عندهم، فبلغ رسول الله ﷺ، والمسلمين أنّ عثمان قد قُتل، فقال رسول الله: «لا نبرح حتّى نناجز القوم». ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله على الموت، وقال بكر[1] بن الأشج: بايعوه على الموت، فقال رسول الله (عليه السلام): «بل على ما استطعتم».

وقال عبد الله بن معقل: كنت قائمًا على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم، وبيدي غصن من السمرة، أذبّ عنه، وهو يبايع النّاس، فلم يبايعهم على الموت، وإنّما بايعهم على أن لا يفرّوا، وقال جابر بن عبد الله: فبايع رسولَ الله ﷺ النّاس ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها إلاّ الجد بن قيس أخو بني سلمة، لكأنّي أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته مستتر بها من النّاس.

وكان أوّل من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له: أبو سنان بن وهب. ثمّ أتى رسول الله ﷺ إنّ الّذي ذُكر من أمر عثمان باطل، واختلفوا في مبلغ عدد أهل بيعة الرضوان،

(١) كذا، وفي الهامش: «بكير».

فروى شعبة، عن عمرو بن مُرّة، قال: سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول: كنّا يوم الشجرة ألف وثلاثمائة، وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين.

وقال قتادة: كانوا خمسة عشر ومائة. وروى العوفى عن ابن عبّاس، قال: كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرون. وقال آخرون: كانوا ألفًا وأربعمائة.

أخبرنا الحسين بن محمّد بن فنجويه، حدّثنا على بن أحمد بن نصرويه، حدّثنا أبو عمران موسى بن سهل بن عبد الحميد الخولى، حدّثنا محمّد بن رمح، حدّثنا الليث بن سعد، عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ. قال: «لا يدخل النّار أحدٌ ممّن بايع تحت الشجرة».

﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق، والصبر، والوفاء. ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو خيبر ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ وكانت خيبر ذات عقار وأموال. فاقتسمها رسول الله بينهم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهى الفتوح التى تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ﴾ يعنى يوم خيبر. ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أهل مكّة عنكم بالصلح، وقال قتادة: يعنى وكفّ اليهود من خيبر، وحلفاءهم من أسد، وغطفان، عن بيضتكم، وعيالكم، وأموالكم بالمدينة، وذلك أنّ مالك بن عوف النصيرى[1]، وعيينة بن حصن الفزارى، ومن معهما من بنى أسد وغطفان جاءوا لنصرة أهل خيبر فقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب فانصرفوا.

﴿وَلِتَكُونَ﴾ هزيمتهم، وسلامتكم ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليعلموا أنّ الله هو المتولّى حياطتهم، وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ طريق التوكّل، والتفويض حتّى تتقوا فى أُموركم كلّها بربّكم، وتتوكّلوا عليه، وقيل: يثبتكم على الإسلام، ويزيدكم بصيرة ويقينًا بصلح الحديبية، وفتح خيبر، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة الحديبية إلى المدينة، أقام بها بقية ذى الحجّة، وبعض المحرم، ثمّ خرج فى بقيّة المحرم سنة سبع إلى خيبر، واستخلف على المدينة سماع بن عرفطة الغفارى.

أخبرنا عبد الله بن محمّد بن عبد الله الزاهد، قرأه عليه، أخبرنا أبو العبّاس محمّد بن إسحاق السرّاج، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا عثمان بن عمر، أخبرنا ابن عون، عن عمرو بن سعيد، عن أنس بن مالك، (ح)[2] وأخبرنا عبيد الله بن محمّد، أخبرنا أبو العبّاس

---

(١) فى الهامش: «النضيرى» بالضاد المعجمة.

(٢) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

السرّاج، حدّثنا عبد الأعلى بن حمّاد أبو يحيى الباهلى، حدّثنا يزيد بن زريع، حدّثنا عن ابن أبى عروبة، (ح)[1] وأخبرنا عبيد الله بن محمّد، حدّثنا أبو العبّاس السرّاج، حدّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى، حدّثنا روح، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، قال: كنت رديف أبى طلحة يوم أتينا خيبر، فصبّحهم رسول الله ﷺ وقد أخذوا مساحيهم، وفؤوسهم، وغدوا على حرثهم، وقالوا: محمّد والخميس. فقال رسول الله: «الله أكبر هلكت خيبر، إنّا إذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين». ثمّ نكصوا، فرجعوا إلى حصونهم.

أخبرنا عبيد الله بن محمّد، حدّثنا أبو العبّاس السرّاج، حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا حاتم ابن إسماعيل، عن يزيد بن أبى عبيد، عن سلمة بن الأكوع.

(ح)[1] وأخبرنا عبيد الله بن محمّد، أخبرنا أبو العبّاس السرّاج، حدّثنا أحمد بن يوسف السلمى، حدّثنا النضر بن محمّد، حدّثنا عكرمة بن عمّار، حدّثنا سلمة بن الأكوع، عن أبيه.

(ح)[1] وحدّثت عن محمّد بن جرير، عن محمّد بن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن رحالة.

(ح)[1] وعن ابن جرير، حدّثنا ابن بشار، حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا عوف، عن ميمون أبى عبد الله، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، دخل حديث بعضهم فى بعض، قالوا: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر يسير بنا ليلاً، وعامر بن الأكوع معنا، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: "ألا تسمعنا من هنياتك[2]؟ وكان عامر شاعراً فنزل يحدو بالقوم وهو يرجز لهم:

اللهُمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا	ولا تصدّقنا ولا صلّينا
إنّ الذين هم بغوا علينا	ونحن عن فضلك ما استغنينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا	وثبّت الأقدام إن لاقينا
وألقيَنْ سكينةً علينا	إنّا إذا صيح بنا أتينا

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ هذا؟». قالوا: عامر بن الأكوع. فقال: «غفر لك ربّك». فقال رجل من القوم: وجبت يا نبى الله، لو أمتعتنا به. وذلك أنّ رسول الله (عليه السلام) ما استغفر قطّ لرجل يخصّه إلاّ استشهد. قالوا: فلمّا قدمنا خيبر وتصافّ القوم، خرج يهودى، فبرز إليه عامر، وقال:

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

(٢) فى الهامش: «هتيهاتك».

قد علمت خيبر أنّى عامر   شاك السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف اليهودى فى ترس عامر، ووقع سيف عامر عليه، وأصاب ركبة نفسه، وساقه، فمات منها، قال سلمة بن الأكوع: فمررت على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يقولون: بطل عمل عامر، فأتيت نبى الله وأنا شاحب أبكى، فقلت: يا رسول الله أبطلَ عمل عامر؟ فقال: «ومَنْ قال ذاك؟» قلت: بعض أصحابك. قال: «كذب من قال، بل له أجره مرّتين، إنّه لجاهد مجاهد».

قال: فحاصرناهم حتّى أصابتنا مخمصة شديدة ثمّ إنّ الله تعالى فتحها علينا، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطّاب، ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر، وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يحينه أصحابه، ويحينهم، وكان رسول الله قد أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى النّاس، فأخذ أبو بكر راية رسول الله، ثمّ نهض فقاتل قتالاً شديدًا، ثمّ رجع، فأخذها عمر، فقاتل قتالاً شديدًا، وهو أشدّ من القتال الأوّل، ثمّ رجع، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «أما والله لأعطينّ الراية غدًا رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله يأخذها عنوة».

وليس ثَمّ على، فلمّا كان الغد تطاول لها أبو بكر وعمر وقريش رجاء كلّ واحد منهم أن يكون صاحب ذلك، فأرسل رسول الله ﷺ سلمة بن الأكوع إلى على، فدعاه، فجاء على على بعير له حتّى أناخ قريبًا من خباء رسول الله، وهو أرمد قد عصب عينيه بشقة برد قطرى، قال سلمة: فجئت به أقوده إلى النبىّ ﷺ.

فقال رسول الله: «ما لكَ؟». قال: رمدت. فقال: «ادن منّى». فدنا منه فتفل فى عينيه، فما وجعهما بعد حتّى مضى لسبيله، ثمّ أعطاه الراية، فنهض بالراية وعليه حلّة أُرجوان حمراء، قد أخرج حملها، فأتى مدينة خيبر، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفر، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يقول:

قد علمت خيبر أنّى مرحب
شاكى السلاح بطلٌ مجرّب
أطعن أحيانًا وحينًا أضرب
إذا الحروب أقبلت تلهّب
كان حمائى كالحمى لا يقرب

فبرز إليه على رضى الله عنه، وقال:

أنا الّذى سمّتنى أُمّى حيدره
كليث غابات شديد قسوره
أكيلكَم بالسيف كيل السندره

فاختلفا ضربتين، فبدره على، فضربه، فقدَّ الحجر والمغفرة، وفلق رأسه حتّى أخذ السيف فى الأضراس، وأخذ المدينة، وكان الفتح على يديه، ثمّ خرج بعد مرحب أخوه ياسر بن نحر، وهو يقول:

قد علمت خيبر أنّى ياسر
شاكى السلاح بطل مغاور
إذا الليوث أقبلت تبادر
وأحجمت عن صولتى المغاور
إنّ حمائى فيه موت حاضر

وهو يقول: هل من مبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوّام، وهو يقول:

قد علمت خيبر أنّى زبار
قرم لقرم غير نكس فرار
ابن حماة المجد ابن الأخيار
ياسر لا يغررْك جمع الكفّار
وجمعهم مثل السراب الحبار

فقالت أُمّه صفية بنت عبد المطّلب: أيقتل ابنى يا رسول الله؟ فقال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله» ثمّ التقيا، فقتله الزبير[١].

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: خرجنا مع على بن أبى طالب حين بعثه رسول الله (عليه السلام) برايته، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده، فتناول على بابًا كان عند الحصن، فتترّس به عن نفسه، فلم يزل فى يده، وهو يقاتل حتّى فتح الله تعالى عليه، ثمّ ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم

(١) فى إسناد هذا الحديث بعض المجاهيل، وفى إسناده محمد بن إسحاق وهو ضعيف وفى متن الحديث غمز فى الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وتمجيد فى سيدنا على رضى الله عنهم أجمعين، وعلى المسلم عدم الاندفاع فى الطعن ولا السير وراء التمجيد فكلٌ صحابة رسول الله ﷺ فنترضى عن الجميع ونمسك ألسنتنا عن الطعن فيهم فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وقد أثنى الله عليهم فى كتابه فى غير موضع. هدانا الله وإياكم للحق.

نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه.

ثمّ لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحُصون حصنًا حصنًا، ويحوز الأموال حتّى انتهوا إلى حصن الوطيح والسلالم، وكان آخر حصون خيبر افتتح، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة، فلمّا أمسى النّاس يوم الفتح أوقدوا نيرانًا كثيرة، فقال رسول الله: «على أىّ شيء توقدون؟» قالوا: على لحم، قال: «على أىّ لحم؟» قالوا: لحم الحمر الإنسية. فقال رسول الله ﷺ: «اهريقوها واكسروها». فقال رجل: أوَ نهرقها ونغسلها؟ فقال: «أو ذاك».

قال ابن إسحاق: ولمّا افتتح رسول الله (عليه السلام) القموص حصن بنى أبى الحقيق أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حيى بن أخطب، وبأُخرى معها، فمرّ بهما بلال، وهو الذى جاء بهما على قتلى من قُتل من اليهود، فلمّا رأتهما التى مع صفية، صاحت، وصكّت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلمّا رآها رسول الله ﷺ، قال: أغربوا عنّى هذه الشيطانة». وأمر بصفية، فجرت خلفه وألقى عليها رداءه، فعلم المسلمون أنّ رسول الله قد اصطفاها لنفسه.

فقال رسول الله ﷺ لبلال لمّا رأى من تلك اليهودية ما رأى: «أَنُزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما؟» وكانت صفية قد رأت فى المنام، وهى عروس بكنانة ابن الربيع بن أبى الحقيق أنّ قمراً وقع فى حجرها، فعرضت رؤيتها على زوجها، فقال: ما هذا إلاّ أنّك تمنين مَلك الحجاز محمّدًا، فلطم وجهها لطمة اخضرّت عينها منها، فأتت رسول الله ﷺ وبها أثر منها. فسألها: «ما هو؟» فأخبرته هذا الخبر، وأتى رسول الله بزوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وكان عنده كنز بنى النضير، فسأله، فجحده أن يكون يعلم مكانه، فأتى رسول الله برجل من اليهود، فقال لرسول الله (عليه السلام): إنّى قد رأيت كنانة يطيف هذه الخزنة كلّ غداة، فقال رسول الله لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك». قال: نعم.

فأمر رسول الله ﷺ بالخزنة، فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثمّ سأله ما بقى، فأبى أن يؤدّيه، فأمر به رسول الله الزبير بن العوّام. فقال: «عذّبه حتّى تستأصل ما عنده».

فكان الزبير يقدح زنده فى صدره حتّى أشرف على نفسه، ثمّ دفعه رسول الله إلى محمّد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة، وكانت اليهود ألقت عليه حجراً عند حصن ناعم، فقتله، كان أوّل حصن افتتح من حصون خيبر[1].

---

(١) فى إسناده محمد بن إسحاق قد سبق أن أشرنا إلى تضعيف أهل الحديث لروايته ثم إن متن هذا الحديث حاش لله أن يكون جرى على لسان نبيه الذى أرسله الله رحمة للعالمين أن يأمر أحد أصحابه بتعذيب رجل مهما كان موجه إليه من التهم وهل أشد من الكفر، فإنه لم يعذب عليه أحداً فكيف بالمال إن هذا لبهتان عظيم.

قالوا: فلمّا سمع أهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بخيبر، بعثوا إلى رسول الله أن يسترهم ويحقن لهم دماءهم ويخلّوا له الأموال، ففعل، ثمّ إنّ أهل خيبر سألوا رسول الله أن يعاطيهم الأموال على النصف ففعل على أنّا إن شئنا فخرجنا أخرجناكم، وصالحه أهل فدك على مثل ذلك، وكانت خيبر فيئًا للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله (عليه السلام) لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

فلما اطمئنّ رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية، وقد سألت، أى عضو من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السمّ، وسمّت سائر الشاة، ثمّ جاءت بها، فلمّا وضعتها بين يدى رسول الله، تناول الذراع، فأخذها، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ منها رسول الله، فأما بشر فأساغها، وأمّا رسول الله فلفظها، ثمّ قال: «إنّ هذا العظم ليخبرنى أنّه مسموم». ثمّ دعاها، فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟» قالت: بلغت من قومى ما لم يخف عليك، إن كان نبيًّا فسيخبر، وإن كان ملكًا استرحت منه. قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من أكلته التى أكل.

قال: ودخلت أُم بشر بن البراء على رسول الله ﷺ تعوده فى مرضه الذى توفى فيه، فقال: «يا أُمّ بشر ما زالت أكلة خيبر التى أكلت بخيبر مع ابنك تعادنى، فهذا أوان انقطاع أبهرى».

وكان المسلمون يرون أنّ رسول الله مات شهيدًا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوّة. ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أى وعدكم فتح بلدة أُخرى. ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ حتّى يفتحها عليكم، وقال ابن عبّاس: علم الله أنّه يفتحها لكم. واختلفوا فيها، فقال ابن عبّاس وعبد الرّحمن بن أبى ليلى والحسن ومقاتل: هى فارس والروم.

وقال الضحّاك وابن زيد وابن إسحاق: هى خيبر، وعدها الله تعالى نبيّه قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها، حتّى أخبرهم الله تعالى بها. وهى رواية عطية، وماذان، عن ابن عبّاس، وقال قتادة: هى مكّة. عكرمة: هى خيبر. مجاهد: ما فتحوا حتّى اليوم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

❖ ❖ ❖

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ

عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى أسد، وغطفان، وأهل خيبر، وقال قتادة: يعنى كفّار قريش ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أى كسنّة الله ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ فى نصرة أوليائه، وقهر أعدائه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ وهو الحديبية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الياء) أبو عمرو، وغيره (بالتاء)، واختلفوا فيهم، فقال أنس: إنّ ثمانين رجلاً من أهل مكّة هبطوا على رسول الله وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله سلمًا، وأعتقهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية. عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: إن قريشًا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله عام الحديبية ليصيبوا من أصحابه أحدًا، وأُخذوا أخذًا، فأتى بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم، وخلّى سبيلهم، وقد كانوا يرمون عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة، والنّبل فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية.

وقال عبد الله بن المغفل: كنّا مع النبىّ ﷺ بالحديبية فى أصل الشجرة وعلى ظهره غصنٌ من أغصان تلك الشجرة، فرفعته عن ظهره، وعلىّ بن أبى طالب بين يديه يكتب كتاب الصُّلح، وسهيل بن عمرو، فخرج علينا ثلاثون شابًّا عليهم السّلاح، فثاروا فى وجوهنا، فدعا رسول الله (عليه السلام)، فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم، فأخذناهم، فخلّى عنهم رسول الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد: أقبل نبى الله ﷺ معتمرًا، وأخذ أصحابه ناسًا من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبىّ ﷺ فذلك الإظفار ببطن مكّة، وقال قتادة: ذُكر لنا أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله يقال له: زنيم اطّلع الثنية من الحديبيّة، فرماه المشركون بسهم، فقتلوه، فبعث رسول الله خيلاً، فأتوا باثنى عشر فارسًا من الكفّار، فقال لهم نبىّ الله: «هل لكم علىّ عهد؟ هل لكم علىّ ذمّة؟». قالوا: لا، فأرسلهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال ابن أبزى، والكلبى: هم أهل الحديبية، وذلك أنّ النبىّ ﷺ لمّا خرج بالهدى وانتهى إلى ذى الحليفة، فقال له عمر رضى الله عنه: يا نبى الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح، ولا كراع؟ قال: فبعث إلى المدينة، فلم يدع فيها كراعًا ولا سلاحًا إلاّ حمله، فلمّا دنا من مكّة منعوه أن يدخل، فسار حتّى أتى منى، فنزل منى، فأتاه عينه أنّ عكرمة بن أبى جهل قد خرج عليك فى خمسمائة، فقال لخالد بن الوليد: «يا خالد هذا ابن عمّك قد أتاك فى الخيل».

فقال خالد: أنا سيف الله، وسيف رسوله، يا رسول الله، ارم به حيث شئت، فيومئذ سمّى سيف الله، فبعثه على خيل، فلقى عكرمة فى الشعب فهزمه حتّى أدخله حيطان مكّة، ثمّ عادوا فى الثانية، فهزمه حتّى أدخله حيطان مكّة، ثمّ عاد فى الثالثة فهزمه حتّى أدخله حيطان مكّة، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فكفّ النبىّ ﷺ لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية، أن تطأهم الخيل بغير علم، وذلك قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ محبوسًا. أى وصدّوا الهدى معكوفًا محبوسًا.

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ منحره، وكان سبعين بدنة، روى الزهيرى، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، قالا: خرج رسول الله ﷺ من المدينة عام الحديبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كلّ بدنة عن[1] عشرة نفر، فلمّا بلغ ذا الحليفة، تنامى إليه النّاس، فخرج فى بضع عشرة مائة من أصحابه، حتّى إذا كانوا بذى الحليفة قلّد الهدى، وأشعره، وأحرم بالعمرة، وكشف بين يديه عينًا من خزاعة يخبره عن قريش.

وسار النبىّ ﷺ حتّى إذا كان بغدير أسطاط[2]، قريبًا من عسفان أتاه عينه الخزاعى، فقال:

(١) فى الهامش: «بين».
(٢) فى الهامش: «الأشطاط».

إنّى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى، قد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادّوك عن البيت، فقال النبى ﷺ: «أشيروا علىَّ، أترون أن نميل على ذرارى هؤلاء الّذين عاونوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن نجوا تكن عنقًا قطعها الله أو ترون أن نأمّ البيت، فمن صدّنا عنه قاتلناه».

فقام أبو بكر رضى الله عنه، فقال: يا رسول الله إنّا لم نأت لقتال أحد، ولكن من حال بيننا، وبين البيت قاتلناه، فقال رسول الله (عليه السلام): «فروحوا إذًا».

وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحدًا قط أكثر مشاورة لأصحابه من النبىّ ﷺ، فراحوا حتّى إذا كانوا بعسفان، لقيه بشر بن سفيان الكعبى، فقال له: يا رسول الله هذه قريش، قد سمعوا بسيرك، فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود المنون، ونزلوا بذى طوى، يحلفون بالله لا يدخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدّموها إلى كراع العميم. وقد ذكرت قول من قال: إنّ خالد بن الوليد يومئذ كان مع رسول الله ﷺ مسلمًا، فقال رسول الله (عليه السلام): «يا ويح قريش، قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بينى وبين سائر العرب؟ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة، فما تظنّ قريش، فوالله لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله به حتّى يظهره الله، أو تنفرد هذه السّالفة».

ثمّ قال: «مَن رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها»، فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله. فخرج على طريق وعر حزن بين شعاب، فلمّا خرجوا منه، وقد شقّ ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى، قال رسول الله ﷺ للناس: «قولوا: نستغفر الله، ونتوب إليه». ففعلوا، فقال: «والله إنّها للحطّة التى عُرِضَت على بنى إسرائيل، فلم يقولوها».

ثمّ قال رسول الله للنّاس: «اسلكوا ذات اليمين» فى طريق يخرجه على ثنية المرار على مهبط الحديبية من أسفل مكّة.

فسلك الجيش ذلك الطريق، فلمّا رأت خيل قريش فترة قريش وأنّ رسول الله قد خالفهم عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش ينذرونهم، وسار رسول الله ﷺ حتّى إذا سلك ثنية المرار بركت به ناقته، فقال النّاس: حل حل. فقال: «ما حل؟» قالوا: حلأت القَصْوَى[1].

---

(١) العبارة فى المخطوط على النحو التالى: فقال رسول الله ﷺ: «حل حل» فقال: «ما حل؟» قالوا: خلت القصوى. . وقد أصاب العبارة اضطراب، فأثبت ما يوافق الصواب. وفى الهامش إشارة إلى أن بدل: «رسول» الناس.

فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل».

ثمّ قال: «والّذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يعظمون بها حرمات الله، وفيها صلة الرحم إلاّ أعطيتهم إيّاها»، ثمّ قال للناس: «انزلوا» فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء، إنّما يتبرضه الناس تبرضًا، فلم يلبث الناس أن ترجوه، فشكا الناس إلى رسول الله ﷺ العطش فنزع سهمًا من كنانته، وأعطاه رجلاً من أصحابه يقال له: ناجية بن عمير بن يعمر ابن دارم، وهو سائق بدن رسول الله، فنزل فى ذلك البئر، فغرزه فى جوفه، فجاش الماء بالرىّ، حتّى صدروا عنه، ويقال: إنّ جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية فى القليب يمتح على الناس، فقالت:

يا أيّها الماتح دلوى دونكا ... إنّى رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيرًا ويمجّدونكا ... أرجوك للخير كما يرجونكا

فقال:

قد علمت جارية يمانية ... أنّى أنا الماتح واسمى ناجية

وطعنة ذات رشاش واهية ... طعنتها عند صدور العادية

قال: فبينا هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إنّى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد نزلوا بعَداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك، وصادّوك عن البيت.

فقال النبىّ ﷺ: «إنّا لم نأت لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإنّ قريشًا قد نهكتهم الحرب، وأضرّت بهم، فإن شاءوا ماددناهم مدة، ويخلّوا بينى وبين الناس، فإن أظهر، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلاّ فقد حموا، فوالله لأُقاتلنّهم على أمرى هذا، حتّى تنفرد سالفتى أو لينفذنّ الله أمره».

فقال بديل: سنبلغهم ما تقول.

فانطلق حتّى أتى قريشًا، فقال: إنّا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا فى أن تحدّثنا بشىء عنه، وقال ذوو الرأى منهم: هات ما سمعته يقول. قل: سمعته يقول كذا، وكذا. فحدّثهم بما قال النبىّ ﷺ، فقام عروة بن مسعود الثقفى، فقال: أى قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: ألستُ بالولد؟ قالوا: بلى.

قال: فهل تتّهموننى؟ قالوا: لا. قال: أفلستم تعلمون أنّى استنفرت أهل عُكاظ، فلمّا

ألحّوا علىّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى؟ قالوا: بلى. قال: فإنّ هذا الرجل، قد عرض عليكم خطة رُشد فاقبلوها ودعونى آتيه، قالوا: ايته. فأتاه، فجعل يكلّم النبىّ ﷺ فقال النبى نحوًا من مقالته لبديل، فقال عروة عند[1] ذلك: يا محمّد، أرأيت إن استأصل قومك، فهل سمعت بأحد من العرب استباح، ـ وقيل اجتاح ـ أصله قبلك؟ وإن تكن الأُخرى فوالله إنّى لأرى وجوهًا وأشوابًا من الناس خُلقًا أن يفرّوا ويدعوك.

فقال أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه: امصص بظر اللات[2] ـ واللات طاغية ثقيف التى كانوا يعبدون ـ أنحن نفرّ وندعه؟ فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: أبو بكر. فقال: أما والّذى نفسى بيده، لولا يدٌ كانت لك عندى لم أجزك بها، لأجبتك، وجعل يكلّم النبىّ ﷺ فكلّما كلّمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله، ومعه السيف وعلى رأسه المغفر، فكلّما أهوى عروة بيده إلى لحية النبى ﷺ ضرب يده بنصل السيف، وقال: أخّر يدك عن لحيته، فرفع عروة رأسه، فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. قال: أى غدّار، أوَلستَ أسعى فى غدرتك؟ وكان المغيرة قد صحب قومًا فى الجاهلية، فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثمّ جاء فأسلم، فقال النبىّ ﷺ: «أمّا الإسلام فقد قبلنا، وأمّا المال، فإنّه مال غدر لا حاجة لنا فيه». وإنّ عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله بعينه، فقال: والله لن يتنخم النبىّ ﷺ نخامة إلاّ وقعت فى كفّ رجل منهم، فدلك بها وجهه، وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيمًا له.

فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أى قوم لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشى، والله إنْ رأيت مَلكًا يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمّد محمّدًا، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم أمرًا ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم، وما يحدونْ النظر تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من كنانة: دعونى آتيه. قالوا: ايته؛ فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه، قال

---

(١) كتب على السطر فى المخطوط: «عندى» وفوقها كتب «عند»، فأثبت الأنسب للسياق.

(٢) هذا قول لا يمكن أن يكون قد صدر عن أبى بكر الصديق العفيف الحيىّ وأين ومتى وفى حضرة مَن؟ لا إنما هى كتب السير والتاريخ تأتى بالعبارات اللاذعة لتؤكد الحدث أو الخبر فلتحذر ولتتنبه أخى القارئ عند قراءة مثل هذه الأخبار.

النبى : «هذا فلان من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له» فبعثت له، واستقبله قوم يلبون، فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، ثم بعثوا إليه الجليس بن علقمة بن ريان، وكان يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال ﷺ: «إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا بالهدى فى وجهه حتى يراه»

فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده، قد أكل أوتاده من طول الحبس، رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظامًا لما رأى، فقال: يا معشر قريش، إنى قد رأيت ما لا يحل صده، الهدى فى قلائده، قد أكل أوتاده من طول الحبس عن محله، فقالوا له: اجلس، فإنما أنت أعرابى لا علم لك، فغضب الجليس عند ذلك، فقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظمًا له، والذى نفس الجليس بيده، لتخلن بين محمد، وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: كف عنا يا جليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به.

فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص، فقال: دعونى آته. فقالوا: ائته. فلما أشرف عليهم، قال النبى ﷺ: «هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر» فجعل يكلم النبى ﷺ إذ جاء سهيل بن عمرو فلما رآه النبى ﷺ قال: «قد سهل لكم أمركم، القوم يأتون إليكم بأرحامكم، وسائلوكم الصلح، فابعثوا الهدى وأظهروا التلبية لعل ذلك يلين قلوبهم» فلبوا من نواحى العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية، فجاءوا فسألوا الصلح، وقال سهيل: هات نكتب بيننا وبينكم كتابًا، فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: أما الرحمن فلا أدرى ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبى ﷺ لعلى: «اكتب باسمك اللهم» ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله» فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال النبى ﷺ: «والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى» ثم قال لعلى: «امح رسول الله» فقال: والله لا أمحوك أبدًا، فأخذه رسول الله وليس يحسن يكتب، فمحاه، ثمّ قال: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله سهيل بن عمرو، واصطلحا[1] على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهنّ الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، وعلى أنّه من قدم مكّة من

(١) فى الهامش: «اصطلاحًا».

أصحاب محمّد حاجًّا أو معتمرًا أو يبغى من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازًا إلى مصر أو إلى الشام يبتغى من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله، وعلى أنّه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممّن مع رسول الله لم يردّوه عليه».

فاشتدّ ذلك على المسلمين، فقال رسول الله (عليه السلام): «من جاءهم منّا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجًا، وإنّ بيننا عيبة مكفوفة، وإنّه لا أسلال، ولا أغلال، وإنّه من أحبّ أن يدخل فى عقد محمّد، وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل فى عقد قريش، وعهدهم دخل فيه».

فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن فى عقد محمّد وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن فى عقد قريش وعهدهم. فقال النبى ﷺ: «وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به». فقال سهيل: ولا يتحدّث العرب أنّا أخذتنا ضغطة، ولكن لك ذلك من العام المقبل، فكتب: وعلى أنّك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكّة، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك، فدخلتها بأصحابك، فأقمت فيها ثلاثًا، ولا تدخلها بالسّلاح إلاّ السيوف فى القراب، وسلاح الراكب، وعلى أنّ هذا الهدى حيث ما حبسناه محلّه، ولا تقدمه علينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «نحن نسوقه، وأنتم تردون وجوهه».

قال: فبينا رسول الله يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، وإذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يرسف فى قيوده، قد انفلت، وخرج من أسفل مكّة حتّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فلمّا رأى سهيل أبا جندل، قام إليه، فضرب وجهه، وأخذ سلسلته، وقال: يا محمّد قد تمّت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا، وهذا أوّل من أقاضيك عليه، أترده إلينا؟ ثمّ جعل يجرّه ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أردّ إلى المشركين، وقد جئت مسلمًا لتنفرنى عن دينى؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذّب عذابًا شديدًا فى الله، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جندل احتسب، فإنّ الله جاعل لك، ولمن معك من المستضعفين فرجًا، ومخرجًا، إنّا قد عقدنا بيننا، وبين القوم عقدًا، وصُلحًا، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهدًا، وإنّا لا نغدر».

فوثب عمر بن الخطّاب إلى أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنّما هم المشركون وإنّما دم أحدهم دم كلب، ويدنى قائم السيف منه، قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضنّ الرجل بأبيه.

قالوا: وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا، وهم لا يشكّون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ. فلما رأوا ذلك دخل الناسَ أمر عظيم حتى كادوا يهلكون[١]، وزادهم أمر أبى جندل شراً إلى ما بهم، فقال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلى يومئذ، فأتيت النبىّ ﷺ فقلت: ألست رسول الله؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فَلِمَ نعطى الدّنية فى ديننا إذًا؟

قال: «إنّى رسول الله، ولستُ أعصيه، وهو ناصرى».

قلت: ألستَ تحدّثنا أنّا سنأتى البيت، فنطوف به؟ قال: «بلى». قال: «هل أخبرتك أنّا نأتيه العام؟». قل: لا، قال: «فإنّك آتيه ومطوِّف به»، قال: ثمّ أتيت أبا بكر، وقلت: أليس هذا نبىّ الله حقا؟

قال: بلى. قلت: أفلسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟قال: بلى قلت: فلمَ نعطى الدّنية فى ديننا إذًا؟ قال: أيّها الرجل إنّه رسول الله، وليس يعصى ربّه، فاستمسكَ بغرزه حتّى تموت، فوالله إنّه لعلى الحقّ. قلت: أوليس كان يحدِّث أنّا سنأتى البيت، ونطوّف به؟ قال: بلى. قال: أفأخبرك أنّك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنّك آتيه وتطوف به. قال عمر: فمازلت أصوم وأتصدّق، وأُصلّى، وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلّمت به.

قالوا: فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد رجالاً على الصلح من المسلمين، ورجالاً من المشركين، أبا بكر، وعمر، وعبد الرّحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد ابن أبى وقاص، ومحمود بن مسلمة أخا بنى عبد الأشهل، ومكرز بن حفص بن الأحنف، وهو مشرك، وعلى بن أبى طالب، وكان هو كاتب الصحيفة.

فلمّا فرغ رسول الله من قصّته سار مع الهدى، وسار الناس، فلمّا كان الهدى دون الجبال التى تطلع على وادى الثنية، عرض له المشركون فردوا وجوهه، فوقف النبىّ ﷺ حيث حبسوه، وهى الحديبية وقال لأصحابه: «قوموا، فانحروا، ثمّ احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل. حتّى قال ذلك ثلاث مرّات فلمّا لم يقم منهم أحد. قام فدخل على أُمّ سلمة، فذكر لها ما لقى من الناس.

فقالت أُمّ سلمة: يا نبىّ الله اخرج، ثمّ لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتّى تنحر بدنتك وتدعو حلاّقك فيحلقك. فقام فخرج، فلم يكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى نحر بدنته، ودعا حالقه،

(١) فى متن المخطوط: يهلكوا، والتصويب من الهامش.

فحلقه، وكان الذى حلقه ذلك اليوم خراش بن أُمية بن الفضل الخزاعى، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا[١].

قال ابن عمر وابن عباس: حلق رجال يوم الحديبية وقصّر آخرون، وقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلّقين». قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلّقين»، قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قالوا: فلم ظاهرت الترحم للمحلّقين دون المقصّرين؟. قال: «لأنهم لم يشكّوا». قال ابن عمر: وذلك أنّه تربض القوم، قالوا: لعلّنا نطوف بالبيت. قال ابن عبّاس: وأهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية فى هداياه جملاً لأبى جهل فى رأسه برة من فضّة، ليغيظ المشركين بذلك، ثمّ جاءه ﷺ نسوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ (الممتحنة: ١٠) الآية، قال: فطلّق عمر امرأتين كانتا له فى الشرك. قال: فنهاهم أن يردوهنّ وأمرهم أن ترد الصدّقات، حينئذ، قال رجل للزهرى: أمن أجل الفروج؟ قال: نعم، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبى سفيان والأُخرى صفوان بن أمية، ثمّ رجع النبىّ ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد بن حارثة وهو مسلم، وكان ممّن جلس بمكّة، فكتب فيه أزهر بن عبد عوف، والأخنس بن شريق الثقفى إلى رسول الله ﷺ وبعثا رجلاً من بنى عامر بن لؤى، ومعه مولى لهم، فقدما على رسول الله ﷺ بكتابهما، وقالا: العهد الذى جعلت لنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإنّ الله تعالى جاعل لك، ولمن معك من المستضعفين فرَجًا، ومخرجًا».

ثمّ دفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتّى إذا بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنّى لأرى سيفك هذا جيّدًا، فاستلّه الآخر، فقال: أجل والله إنّه لجيد. قال: أرنى أنظر إليه. فأخذه وعلا به أخا بنى عامر حتّى قتله، وفرّ المولى وخرج سريعًا حتّى أتى رسول الله (عليه السلام)، وهو جالس فى المسجد، فلمّا رآه رسول الله ﷺ طالعًا قال: «إنّ هذا الرجل قد رأى فزعًا».

فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: «ويلك ما لكَ؟» قال: قَتل صاحبكم صاحبى. فوالله ما

---

(١) فى قصة الحلاقة ونحر البدن نظر ومن المعلوم أن النبى ﷺ كان موصولاً بالسماء، وكان كثيرًا ما يشاور أصحابه، ولكن لحدود، وأمهات المؤمنين فضليات ولكن فى إطار ما يخصهن ورضى الله عن جميع الصحابة الذين لم يثبت أنهم خالفوا له أمرًا يومًا ما وأثنى الله تعالى عليهم بحسن السمع والطاعة والدقة والاجتهاد فى اتباعه والسير على ما أمرهم وشرع لهم.

برح حتّى طلع أبو بصير متوشّحًا بالسيف ، حتّى وقف على رسول الله ، فقال : يا رسول الله وفت ذمّتك أسلمتنى ورددتنى - وقيل : وذريتنى إليهم - ثمّ نجّانى الله منهم ، فقال النبىّ ﷺ «ويلُ أُمّه مستعر حرب لو كان معه رجال» .

فلمّا سمع ذلك عرف أنّه سيردّه إليهم ، فخرج أبو بصير حتّى أتى سيف البحر ، ونزل بالغيْض من ناحية ذى المروة ، وعلى ساحل البحر بطريق قريش ، الذى كانوا يأخذون إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكّة قول رسول الله (عليه السلام) لأبى بصير : «ويل أُمّه مستعر حرب لو كان معه رجال» . فخرج عصابة منهم إليه ، وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير حتّى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، حتّى ضيّقوا على قريش ، فأرسلت قريش إلى النبىّ ﷺ يناشدونه الله والرحم ، لما أرسل إليهم ، فمن أتاه فهو آمن ، فآواهم رسول الله ﷺ فقدموا عليه المدينة .

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بأن يقتلوهم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ قال ابن زيد : إثم ، وقال ابن إسحاق : غرم الدية . وقيل : الكفّارة ؛ لأنّ الله تعالى إنّما أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها ، ولم يعلم قاتله إيمانه الكفّارة دون الدّية ، فقال جلّ ثناؤه : ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (النساء : ٩٢) .

ولم يوجب على قاتل خطأ دية ، وقيل : هو أنّ المشركين يعيبونكم ويقولون : قتلوا أهل دينهم . (والمعرّة) المشقّة ، وأصلها من العرّ وهو الحرب لإذن ذلك فى دخولها ، ولكنّه حال بينكم ، وبين ذلك ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ دينه الإسلام ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من أهل مكّة قبل أن تدخلوها ، هكذا نظم الآية وحكمها ، فحذف جواب (لولا) استغناء بدلالة الكلام عليه ، وقال بعض العلماء : قوله : (لعذّبنا) جواب لكلامين : أحدهما ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ ، والثانى : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أى تميزوا .

ثمّ قال : ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يعنى المؤمنين ، والمؤمنات ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ جنّته . قال قتادة : فى هذه الآية إنّ الله يدفع بالمؤمنين عن الكفّار ، كما يدفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكّة .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى ، حدّثنا أبو على بن حبش المقرى ، حدّثنا أبو الطيّب أحمد بن عبد الله بن بجلى الدارمى بأنطاكية ، حدّثنى أحمد بن يعقوب الدينورى ، حدّثنا

محمّد بن عبد الله بن محمّد الأنصارى، حدّثنى محمّد بن الحسن الجعفرى، قال: سمعت جعفر بن محمّد يحدِّث، عن أبيه، عن جدّه على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أنّه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: «هم المشركون من أجداد النبىّ ﷺ ممّن كان بعده فى عصره، كان فى أصلابهم المؤمنون، فلو تزيّل المؤمنون عن أصلاب الكفّار يعذب الله عذابًا أليمًا». إذ من صلة قوله تعالى: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حين صدّوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقرّوا ببسم الله الرّحمن الرّحيم، ولا برسالة رسول الله، (والحميّة) فعيلة من قول القائل: حمى فلان أنفه، يحمى حميّة، وتحمية. قال المتلمس:

ألا إنّنى منهم وعرضى عرضهم كذا الرأس يحمى أنفه أن يهشّما

أى يمنع. ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ يعنى الإخلاص، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ (الحج: ٣٧)، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧).

أخبرنا أبو بكر محمّد بن أحمد بن شاذان الرازى بقراءتى عليه، حدّثنا أبو عبد الله الحسين ابن على بن أبى الربيع القطان، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن محمّد بن حنبل، وهميم[1] ـ أو هضيم ـ ابن همام الآملى، وعلى بن الحسين بن الجنيد، قالوا: حدّثنا الحسن بن قزعة، حدّثنا سفيان بن حبيب، حدّثنا شعبة، عن يزيد بن أبى ناجية، عن الطُّفيل بن أُبى، عن أبيه، عن أُبى بن كعب أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: فى قول الله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قال: «لا إله إلاّ الله».

وهو قول ابن عبّاس، وعمرو بن ميمون، ومجاهد، وقتادة، والضحّاك، وسلمة بن كهيل، وعبيد بن عمير، وعكرمة، وطلحة بن مصرف، والربيع، والسّدى، وابن زيد، وقال عطاء الخراسانى: هى لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله.

أخبرنا عبد الخالق بن على بن عبد الخالق، أخبرنا أبو بكر بن حبيب، حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عيسى المزنى، حدّثنا أبو نعيم، وأبو حذيفة، قالا: حدّثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عباية بن ربعى، عن علىّ رضى الله عنه ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إله إلاّ الله والله أكبر. وهو قول ابن عمر، وقال عطاء بن رباح: هى لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلّ شىء قدير.

(١) فى المتن: «هميهم»، والتصويب من الهامش.

أخبرنا أبو سعيد محمّد بن عبد الله بن حمدون، أخبرنا أبو بكر محمّد بن حمدون بن خالد، حدّثنا أحمد بن منصور المروزى بنيسابور، حدّثنا سلمة بن سليم السلمى، حدّثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن ابن شهاب الزهرى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: بسم الله الرّحمن الرّحيم.

﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ﴾ محمّدًا عليه السلام. ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ التى أراها إيّاه فى مخرجه إلى الحديبية، أنّه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام. ﴿بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ كلها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض رؤوسكم ﴿لَا تَخَافُونَ ۖ﴾ وقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ يعنى وقال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ لأنّ عبارة (الرؤيا) قول، وقال ابن كيسان: قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله تعالى، عن رسوله أنّه قال ذلك، ولهذا استثنى تأدّبًا بأدب الله تعالى حيث قال له: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ (الكهف: ٢٣، ٢٤)، وقال أبو عبيدة: ﴿إِن﴾ بمعنى إذ مجازه إذ شاء الله كقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩١)﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ (النور: ٣٣).

وقال الحسين بن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأنّ بين (الرؤيا) وتصديقها سنة، ومات منهم فى السنة أُناس، فمجاز الآية لتدخلن المسجد الحرام كلّكم إن شاء الله آمنين.

ويجوز أن يكون الاستثناء واقعًا على الخوف، والأمن لا على الدخول، لأنّ الدخول لم يكن فيه شك، لقوله ﷺ عند دخول المقبرة: «وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون» فالاستثناء واقع على اللحوق دون الموت.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ أنّ الصلاح كان فى الصلح، وهو قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ الآية. ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أى من دون دخولهما المسجد الحرام، وتحقيق رؤيا رسول الله ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو صلح الحديبية عن أكثر المفسِّرين، قال الزهرى: ما فتح فى الإسلام كان أعظم من صلح الحديبية، لأنّه إنّما كان القتال حيث التقى النّاس، فلمّا كانت الهدنة وضعت الحرب، وأمنَ النّاس بعضهم بعضًا، فالتقوا فتفاوضوا فى الحديث، والمناظرة، فلم يكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلاّ دخل فيه فى تينك السنتين فى الإسلام، مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك وأكثر، وقال ابن زيد: هو فتح خيبر فتحها الله تعالى عليهم حين رجعوا من الحديبية، فقسّمها رسول الله ﷺ على أهل الحديبية كلّهم إلاّ رجلاً واحدًا من الأنصار، وهو أبو دجانة سماك بن خرشة كان قد شهد الحديبية، وغاب عن خيبر.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنّك نبى صادق فيما تخبر، ونصب ﴿شَهِيدًا﴾ على التفسير وقيل: على الحال، والقطع، ثمّ قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ تمّ الكلام هاهنا، ثمّ قال مبتدئًا: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ (الواو) فيه (واو) الاستئناف ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ في محل الرفع على الابتداء ﴿أَشِدَّآءُ﴾ غلاظ ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لا تأخذهم فيهم رأفة. ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ متعاطفون متوادّون بعضهم على بعض كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤).

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أن يدخلهم جنّته ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ أن يرضى عنهم. ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم ﴿فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ واختلف العلماء فى هذه السيماء، فقال قوم: هو نور وبياض فى وجوههم يوم القيامة، يعرفون بتلك العلامة، أنّهم سجدوا فى الدُّنيا، وهى رواية العوفى، عن ابن عبّاس، وقال عطاء بن أبى رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلّوا.

وقال شهر بن حوشب: تكون مواضع السجود من وجوههم، كالقمر ليلة البدر. قال آخرون: السمتُ الحسن، والخشوع، والتواضع، وهو رواية الوالبى عن ابن عبّاس، قال: أما إنّه ليس بالذى ترون، ولكنّه سيماء الإسلام وسجيّته، وسمته وخشوعه، وقال منصور: سألت مجاهدًا عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾، أهو الأثر يكون بين عينى الرجل؟ قال: لا ربّما يكون بين عينى الرجل، مثل ركبة العنز، وهو أقسى قلبًا من الحجارة، ولكنّه نور فى وجوههم من الخشوع، وقال ابن جريج: هو الوقار، والبهاء، وقال سمرة بن عطية: هو البهج، والصُّفرة فى الوجوه، وأثر السهرة. قال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى، وما هم بمرضى، وقال الضحّاك: أما إنّه ليس بالندب فى الوجوه، ولكنّه الصُّفرة.

وقال عكرمة، وسعيد بن جبير: هو أثر التراب على جباههم. قال أبو العالية: يسجدون على التراب لا على الأثواب، وقال سفيان الثوري: يصلّون بالليل، فإذا أصبحوا رؤى ذلك في وجوههم، بيانه قوله ﷺ: «من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار».

قال الزهري: يكون ذلك يوم القيامة، وقال بعضهم: هو ندب السجود، وعلته في الجبهة من كثرة السجود.

وبلغنا في بعض الأخبار أنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا نار أنضجي، يا نار أحرقي، وموضع السجود فلا تقربي، وقال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كلّ من حافظ على الصلوات الخمسة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾ وهاهنا تمّ الكلام، ثمّ قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي الْإِنجِيلِ﴾ فهما مثلان ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ قرأه العامّة بجزم (الطاء)، وقرأ بعض أهل مكّة، والشام بفتحه، وقرأ أنس، والحسن، ويحيى بن وثاب (شطاه) مثل عصاه. وقرأ الجحدري (شطه) بلا همزة، وكلّها لغات. قال أنس: (شطأه) نباته، وقال ابن عبّاس. سنبلة حين يلسع نباته عن جنانه. ابن زيد: أولاده. مجاهد، والضحّاك: ما يخرج بجنب الحقلة فينمو ويتمّ عطاء جوانبه. مقاتل: هو نبت واحد، فإذا خرج ما بعده، فهو (شطأه). السدّي: هو أن يخرج معه ألطافه الأخرى. الكسائي: طرفه. الفراء: شطأ الزرع أن ينبت سبعًا، أو ثمانيًا، أو عشرًا. قال الأخفش: فراخه يقال: أشطأ الزرع، فهو مشطي إذا أفرخ، وقال الشاعر:

أخرج الشطأ على وجه الثرى ... ومن الأشجار أفنان الثمر

وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمّد (عليه السلام) يعني أنّهم يكونون قليلاً، ثمّ يزدادون، ويكثرون، ويقوون، وقال قتادة: مثل أصحاب محمّد (عليه السلام) في الإنجيل مكتوب أنّه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. ﴿فَآزَرَهُ﴾ قوّاه وأعانه وشد أزره، فآزره فضره (قاله)[1] ابن زكوان ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ فغلظ، وقوى ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ نما وتلاحق نباته، وقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ أصوله ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ يعني أنّ الله تعالى فعل ذلك بمحمّد ﷺ وأصحابه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

أخبرنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق، أخبرنا أبو بكر محمّد بن يوسف بن حاتم بن نصر، حدّثنا الحسن بن عثمان، حدّثنا أحمد بن منصور الحنظلي، المعروف بزاج المروزي،

(١) زيادة يتطلبها السياق تركها المؤلف اختصاراً.

حدّثنا سلمة بن سليمان، حدّثنا عبد الله بن المبارك، حدّثنا مبارك بن فضلة، عن الحسن فى قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ قال: هو محمّد ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان بن عفّان رضى الله عنه ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ على بن أبى طالب رضى الله عنه ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وأبو عبيدة بن الجرّاح ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: المبشَّرون عشرة أوّلهم أبو بكر، وآخرهم أبو عبيدة بن الجراح ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ قال: نعتهم فى التوراة والإنجيل ﴿كَزَرْعٍ﴾ قال: الزرع محمّد ﷺ ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أبو بكر الصدّيق، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ عمر بن الخطّاب ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ عثمان ابن عفّان، يعنى استغلظ بعثمان الإسلام ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ على بن أبى طالب يعنى استقام الإسلام بسيفه ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ قال: المؤمنون ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ قال: قول عمر لأهل مكّة: لا نعبد الله سراً بعد هذا اليوم.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى، حدّثنا عبد الله بن محمّد بن شنبة، حدّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدّثنا محمّد بن مسلم بن وارة، حدّثنا الحسين بن الربيع، قال: قال ابن إدريس هما ما آمن بأن يكونوا قد ضارعوا الكفّار، يعنى الرافضة، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمّد العدل، حدّثنا محمّد بن عمر بن عبد الله بن مهران، حدّثنا أبو مسلم الكجى، حدّثنا عبد الله بن رجاء، أخبرنا عمران، عن الحجّاج، عن ميمون بن مهران، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون فى آخر الزمان قوم ينبزون أو يلمزون الرافضة[1] يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم فإنّهم مشركون»[2].

أخبرنا الحسين بن محمّد، حدّثنا أبو حذيفة أحمد بن محمّد بن على، حدّثنا زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسى، حدّثنا أبى، حدّثنا أبو العوام أحمد بن يزيد الديباجى، حدّثنا المدنى، عن زيد، عن ابن عمر، قال: قال النبىّ ﷺ لعلىّ: «يا على أنت فى الجنّة وشيعتك فى الجنّة، وسيجىء بعدى قوم يدّعون ولايتك، لهم لقب يقال له: الرافضة، فإن أدركتهم فاقتلوهم فإنّهم مشركون».

قال: يا رسول الله ما علامتهم؟ قال: «يا على إنّهم ليست لهم جمعة، ولا جماعة يسبّون

(١) كذا فى متن المخطوط، وفى هامش المخطوط: بالرافضة.

(٢) هذا خبر لا يصح.

أبا بكر، وعمر»[١].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أى الطاعات، وقد مرّ تأويله، وقال أبو العالية فى هذه الآية: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ يعنى الذين أحبّوا أصحاب رسول الله المذكورين فيها فبلغ ذلك الحسن، فارتضاه، فاستصوبه منهم، قال ابن جرير: يعنى من الشطأ الذى أخرجه الزرع، وهم الداخلون فى الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة رد (الهاء) و(الميم) على معنى الشطأ لا على لفظه، لذلك قال: ﴿مِنْهُم﴾ ولم يقل: منه. ﴿مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.



(١) وهذا أيضًا خبر موضوع كسابقه وضعه غلاة الفرق التى كانت فى صدر الإسلام عندما تناحروا لمذاهبهم وفرقهم فنسبوا إلى رسول الله ﷺ الكثير من كذبهم لترويج مذاهبهم هدانا الله وإياكم سواء السبيل.

فى فَضلِ المُفَصَّل

حدّثنا الشيخ أبو محمّد المخلدى، إملاء يوم الجمعة فى شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، قال: أخبرنا أبو بكر محمّد بن حمدون بن خالد، وعبد الله بن محمّد بن مسلم، قالا: حدّثنا هلال بن العلاء، قال: حدّثنا حجّاج بن محمّد، عن أيّوب بن عتبة، عن يحيى بن أبى كثير، عن شداد بن عبد الله، عن أبى أسماء الرجبى، عن ثوبان، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله أعطانى السبع الطوال مكان التوراة، وأعطانى المئين مكان الإنجيل، وأعطانى مكان الزبور المثانى، وفضّلنى بالمُفَصَّل».

وأخبرنا أبو الحسن الحبارى، قال: حدّثنا أبو الشيخ الأصبهانى، قال: أخبرنا ابن أبى عاصم، قال: حدّثنا هشام بن عمّار، قال: حدّثنا محمّد بن شعيب بن[1] شابور، قال: حدّثنا سعد بن قيس، عن قتادة، عن أبى الملح الهذلى، عن واثلة بن الأسقع، أنّ النبىّ ﷺ قال: «أُعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المثانى مكان الإنجيل، وأعطيت المئين مكان الزبور، وفُضلت بالمُفَصَّل».



(١) فى الهامش: «عن».

سورة الحجرات

مدنية. وهى ألف وأربعمائة وخمسة وسبعون حرفًا،
وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة، وثمانى عشرة آية

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم العبدوى قرأه عليه سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، قال: أخبرنا أبو عمر ومحمّد بن جعفر بن محمّد العدل، قال: حدّثنا إبراهيم بن شريك بن الفضل، قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدّثنا سلام بن سليم المدائنى، قال: حدّثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبى أمامة عن أُبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ الحُجرات أُعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومَنْ عَصاه».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرأ العامة ﴿تُقَدِّمُوا۟﴾ بضم (التاء) وكسر (الدال) من التقديم، وقرأ الضحّاك، ويعقوب بفتحهما من التقدّم. واختلف المفسِّرون فى معنى الآية، فروى على بن أبى طلحة، عن ابن عبّاس، قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنّة. عطية عنه: لا تتكلّموا بين يدى كلامه.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا أبو الحسين عمر بن الحسن بن مالك الشيبانى، قال: حدّثنا أحمد بن الحسن بن سعيد بن عثمان الخزاز. قال: حدّثنا حسين بن مخارق بن[1]

(١) فى المخطوط: كتبت: «أبو» وفوقها «ابن» فأثبت ما هو مدون.

جنادة، عن عبد الله بن سلامة، عن السبعى، عن جابر بن عبد الله ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قال: فى الذبح يوم الأضحى، وإليه ذهب الحسن، قال: لا تذبحوا قبل أن يذبح النبىّ ﷺ، وذلك أن ناسًا من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبى ﷺ فأمرهم أن يعيدوا الذبح.

وأخبرنا عبد الخالق بن على أخبرنا أبو بكر بن خنب[1] حدّثنا أبو بكر بن أبى العوام الرياحى، قال: حدّثنا أبى. قال: حدّثنا النعمان بن عبد أسلم التميمى[2]، عن زفر بن الهذيل، عن يحيى بن عبد الله التيمى عن جبير[3] بن رفيدة، عن مسروق، عن عائشة رضى الله عنها فى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قالت: لا تصوموا قبل أن يصوم نبيّكم.

وروى عن مسروق أيضًا، قال: دخلت على عائشة فى اليوم الذى جئت فيه، فقالت للجارية: اسقه عسلاً، فقلت: إنّى صائم. فقالت: قد نهى الله تعالى عن صوم هذا اليوم، وفيه نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وأخبرنا ابن فنجويه، قال: حدّثنا عمر بن الخطّاب. قال: حدّثنا عبد الله بن الفضل. قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم. قال: حدّثنى هشام بن يوسف، عن ابن جريج، قال: أخبرنى ابن أبى مليكة أنّ عبد الله بن الزبير أخبرهم، قال: قدم ركب من بنى تميم على النبىّ ﷺ فقال أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد بن زرارة، وقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلاّ خلافى، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[4] الآية.

وقال قتادة: نزلت فى ناس كانوا يقولون: لو أنزل فى كذا، لوضع كذا. فكره الله ذلك وقدّم فيه. مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله بشىء حتّى يقضيه الله على لسانه.

الضحّاك: يعنى فى القتال وشرائع الدين يقول: لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله. حيان، عن الكلبى لا تستبقوا رسول الله بقول، ولا فعل حتّى يكون هو الذى يأمركم به[5].

قال السدّى: وقال عطاء الخراسانى: نزلت فى قصة بئر معونة، وقيل فى الثلاثة الذين نجّوا الرجلين السّلميين، اللذين اعتزما إلى بنى عامر وأخْذهم مالهما وكانا من أهل العهد، فلمّا

---

(١) فى الهامش: حبيب.

(٢) فى الهامش: التيمى.

(٣) فى الهامش: حبال بن رفيدة.

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه عن الحسن بن محمد بن الصباح.

(٥) فى هامش المخطوط: «ريه».

أتوا رسول الله ﷺ وقد سبق الخبر إليه، فقال: «بئس ما صنعتم، هما من أهل ميثاقى وهذا الذى معكم من نسوتى»، قالا: يا رسول الله إنّهما زعما أنّهما من بنى عامر، فقلنا: رجلان ممّن قتل إخواننا.

فقلنا: هما لذلك. وأتاه السّلميون، فقال رسول الله ﷺ: «لا قود لهما لأنّهما اعتزما إلى عدوّنا». ولكنّه أيدهما، فوداهما رسول الله ﷺ وأنزل الله سبحانه فى ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حين قتلوا الرجلين، وهذه رواية ماذان عن ابن عبّاس.

وقال ابن زيد: لا تقطعوا أمراً دون رسول الله، وقيل: لا تمشوا بين يدى رسول الله، وكذلك بين أيدى العلماء فإنّهم ورثة الأنبياء.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو الحسن الخبازى، قال: حدّثنا أبو القاسم موسى بن محمّد الدينورى بها، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى، قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدّثنا رجل بمكّة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبى الدرداء، قال: رآنى النبى ﷺ أمشى أمام أبى بكر، فقال: «تمشى أمام من هو خير منك فى الدّنيا والآخرة، ما طلعت الشمس، ولا غربت على أحد بعد النبىّ ﷺ والمرسلين خيراً وأفضل من أبى بكر».

وقيل: إنّها نزلت فى قوم كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فإذا سُئل الرسول عن شىء، خاضوا فيه، وتقدّموا بالقول، والفتوى، فنهوا عن ذلك، وزجروا عن أن يقول أحد فى شىء من دين الله سبحانه، قبل أن يقول فيه رسول الله ﷺ.

وقيل: لا تطلبوا منزلة وراء منزلته. قال الأخفش: تقول العرب: فلان تقدّم بين يدى أبيه، وأُمّه، ويتقدّم إذا استبدّ بالأمر دونهما. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ فى تضييع حقه، ومخالفة أمره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم، وأحوالكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس، كان فى أذنه وقر، وكان جهورى الصّوت، فإذا كلّم إنسانًا جهر بصوته، فربّما كان يكلّم رسول الله ﷺ فينادى بصوته، فأنزل الله سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أى لا تغلظوا له فى الخطاب، ولا تنادوه باسمه يا محمّد، يا أحمد، كما ينادى بعضكم بعضًا، ولكن فخّموه، واحترموه، وقولوا له قولاً ليّنًا، وخطابًا حسنًا، بتعظيم، وتوقير: يا نبى الله، يا رسول الله، نظيره قوله سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾ (النور: ٦٣).

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ كى لا تبطل حسناتكم، تقول العرب: أسند الحائط أن يميل ﴿وَأَنتُمْ لَا

﴿تَشْعُرُونَ﴾ فلما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق فمر به عاصم بن عدى فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوّف أن تكون نزلت فىَّ، وأنا رفيع الصوت، أخاف أن يحبط عملى، وأن أكون من أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتًا البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسى، فشدّى على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى إذا خرجت عطفه، وقال: لا أخرج حتّى يتوفّانى الله، أو يرضى عنّى رسول الله، فأتى عاصم رسول الله، فأخبره بخبره. فقال: «اذهب، فادعه لى». فجاء عاصم إلى المكان الذى رآه فلم يجده، فجاء إلى أهله، فوجده فى بيت الفرس، فقال له: إنّ رسول الله يدعوك، فقال: أكسر الضبّة، فأتيا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت؟» فقال: أنا صيّت وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فىَّ، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تعيش سعيدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنّة»، فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتى أبدًا على رسول الله، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

قال أنس: فكنّا ننظر إلى رجل من أهل الجنّة، يمشى بين أيدينا، فلمّا كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة، رأى ثابت فى المسلمين بعض الانكسار[1]، وانهزمت طائفة منهم، فقال: أف لهؤلاء، وما يصنعون. ثمّ قال ثابت لسالم مولى أبى حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله مثل هذا، ثمّ ثبتا، ولم يزالا يقاتلان حتّى قُتلا. وثابت بن قيس عليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام أنّه قال له: اعلم أنّ فلانًا - رجلٌ من المسلمين - نزع درعى، فذهب بها وهى فى ناحية من العسكر عنده فرس تستر فى طوله، وقد وضع على درعى لأمة، فأت خالد بن الوليد، فأخبره حتّى يسترد درعى وائت أبا بكر خليفة رسول الله وقل له: إنّ علىَّ دينًا حتّى يقضى، وفلان من رقيقى عتيق.

فأخبر الرجل خالدًا فوجد درعه والفرس على ما وصفه، فاسترد الدرع، وأخبر خالد أبا بكر تلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر وصيّته. قال مالك بن أنس: لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلاّ هذه.

حدّثنا أبو محمّد المخلدى، قال: أخبرنا أبو العبّاس السرّاج، قال: حدّثنا زياد بن أيّوب، قال: حدّثنا عباد بن العوّام، ويزيد بن هارون وسعيد بن عاد، عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، قال: حدثنا سعيد، عن أبى هريرة. قال: لمّا نزلت ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾

(١) فى المتن: «إنكار» والتصويب من هامش المخطوط.

الآية، قال أبو بكر: والله لا أرفع صوتى إلاّ كأخى السرار.

وروى ابن أبى مليكة عن أبى الزبير، قال: لمّا نزلت هذه الآية، ما حدث عمر النبىّ ﷺ بعد ذلك، فيسمع النبىّ ﷺ كلامه حتّى يستفهمه ممّا يخفض صوته، فأنزل الله سبحانه فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ إجلالاً له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أى اختبرها، فأخلصها، واصطفاها كما يمتحن الذهب بالنار، فيخرج خالصه، وقال ابن عبّاس: أكرمها.

وأخبرنا أبو سعيد محمّد بن موسى بن الفضل النيسابورى، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمّد ابن عبد الله بن أحمد الأصبهانى، قال: حدّثنا أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبد القريشى، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى بن أبى حاتم، قال: حدّثنى جعفر بن أبى جعفر، عن أحمد بن أبى الخولدى، قال: سمعت أبا سلمان يقول: قال عمر بن الخطّاب فى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ قال: أذهب الشهوات منها ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ويقال: إنّ هذه الآيات الأربع من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نزلت فى وفد تميم.

وهو ما أخبرنى أبو القاسم الحسن بن محمّد، قال: حدّثنى أبو جعفر محمّد بن صالح بن هانئ الورّاق سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدّثنا الفضل بن محمّد بن المسيب بن موسى الشعرانى، قال: حدّثنا القاسم بن أبى شيبة، قال: حدّثنا مُعلّى بن عبد الرّحمن، قال: حدّثنا عبد الحميد بن جعفر بن عمر بن الحكم، عن جابر بن عبد الله، قال: جاءت بنو تميم إلى النبىّ ﷺ، فنادوا على الباب: يا محمّد اخرج علينا، فإنّ مدحنا زين وذمّنا شين. قال: فسمعها النبىّ ﷺ، فخرج عليهم، وهو يقول: «إنّما ذلكم الله الذى مدحه زين وذمّه شين».

قالوا: نحن ناس من بنى تميم، جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك، فقال رسول الله ﷺ: «ما بالشعر بعثت، ولا بالفخار أمرت، ولكن هاتوا».

فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم فاذكر فضلك، وفضل قومك. فقام، فقال: الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه وآتانا أموالاً نفعل فيها ما نشاء، فنحن من خير أهل الأرض، من أكثرهم عدّة، ومالاً، وسلاحًا، فمن أنكر علينا قولنا، فليأت بقول هو أحسن من قولنا، وفعال هى خير من فعالنا. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس، وكان خطيب رسول الله: قم فأجبه».

فقام، فقال: الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلاّ

الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، ثمّ دعا المهاجرين من بنى عمّه أحسن الناس وجوهًا وأعظمهم أحلامًا. فأجابوه، فقالوا: الحمد لله الذى جعلنا أنصاره، ووزراء رسوله، وعزًّا لدينه، فنحن نقاتل الناس، حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، فمن قالها منع منّا ماله، ونفسه، ومن أبى قتلناه، وكان زعمه فى الله علينا هينًا، أقول قولى وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات.

فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم يا فلان، فقل أبياتًا تذكر فيها فضلك، وفضل قومك. فقام الشاب، فقال:

نحن الكرام فلا حىٌّ يعادلنا ... فينا الرؤوس وفينا يقسم الربع
ونطعم الناس عند القحط كلّهم ... من السديف إذا لم يؤنس القزع
إذا أبينا فلا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى حسّان بن ثابت، فانطلق إليه الرّسول، فقال: وما تريد منّى وكنت عنده؟ قال: جاءت بنو تميم بشاعرهم، وخطيبهم، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس، فأجابه، وتكلّم شاعرهم، فأرسل إليك لتجيبه.

وذكر له قول شاعرهم. قال: فجاء حسّان، فأمره رسول الله ﷺ أن يجيبه فقال: يا رسول الله مره، فليُسمعنى ما قال، فقال النبى ﷺ: «أسمعه ما قلت»، فأنشده ما قال، فقال حسّان:

إنّ الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد شرّعوا سُنّة للنّاس تتّبع
يرضى بها كلّ من كانت سريرته ... تقوى الإله وكلّ الخير يصطنع

ثمّ قال حسّان:

نصرنا رسول الله والدين عنوة ... على رغم عات من معد وحاضر
بضرب كأبزاغ المخاض مشاشه[1] ... وطعن كأفواه اللقاح الصوادر
وسل أُحدًا يوم استقلت شعابه ... بضرب لنا مثل الليوث الجواذر
ألسنا نخوض الموت فى حومة الوغى ... إذا طاب ورد الموت بين العساكر
ونضرب هام الدارعين وننتمى ... إلى حسب من جذم غسان قاهر
فلولا حياء الله قلنا تكرّمًا ... على النّاس بالخيفين هل من منافر
فأحياؤنا من خير من وطئ الحصى ... وأمواتنا من خير أهل المقابر

قال: فقام الأقرع بن حابس، فقال: إنّى والله لقد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء، وإنّى قد

(١) فوقها بقلم دقيق: «رشاشة».

قلت شعرًا، فاسمعه منّى، فقال: هات، فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا إذا خالفونا عند ذكر المكارم
وإنّا رءوس النـاس من كلّ معشر وأنّ ليس فى أرض الحجاز كدارم
وإنّ لنا المِرْبَاع(١) فى كلّ غارة تكون بنجد أو بأرض التهائم(٢)

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حسّان فأجبه». فقام حسّان، فقال:

بنى دارم لا تفخروا إنّ فخركم يعود وبالاً عند ذكر المكارم
هبلتم(٣) علينا تفخرون وأنتمُ لنا خَوَلٌ(٤) من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله ﷺ: «لقد كنت غنيًا يا أخا دارم أن يذكر منك ما قد ظننت أنّ الناس قد نسوه».

قال: فكان قول رسول الله ﷺ أشدّ عليهم من قول حسّان. ثمّ رجع حسّان إلى شعره. فقال:

كأفضل ما نلتم من المجد والعلى ردافتنا من بعد ذكر الأكارم
فإن كنتمُ جئتمْ لحقن دمائكم وأموالكم أن تقسموا فى المقاسم
فلا تجعلوا لله ندًّا وأسلموا ولا تفخروا عند النبىّ بدارم
وإلاّ وربّ البيت مالت أكفّنا على هامكم بالمرهفات الصوارم

قال: فقام الأقرع بن حابس، فقال: إنّ محمّدًا المولى، إنه والله ما أدرى ما هذا الأمر، تكلّم خطيبنا، فكان خطيبهم أحسن قولاً، وتكلّم شاعرنا، فكان شاعرهم أشعر، وأحسن قولاً. ثمّ دنا من النبىّ ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسوله.

فقال له النبىّ ﷺ: «ما يضرّك ما كان قبل هذا». ثمّ أعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وقد كان يخلف فى ركابهم عمرو بن الأهتم، وكان قيس بن عاصم يبغضه لحداثة سنه، فأعطاه رسول الله مثل ما أعطى القوم، فأزرى به قيس، وقال فيه أبيات شعر وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يعنى جزاء وافرًا، وهو الجنّة.

(١) المرباع: هو ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنائم، وذلك لكثرة عدد أتباعه أو قبيلته فى الغزو.
(٢) ونجد، وتهامة معروفة من أرض الحجاز.
(٣) فقدتم.
(٤) حشم وأتباع المرء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ يعنى أعراب تميم، حيث نادوا: يا محمّد اخرج علينا، فإنّ مدحنا زين وذمّنا شين، قاله قتادة. قال ابن عبّاس: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حى من بنى العنبر وأمّر عليهم عُيينة بن حصين الفزارى، فلمّا علموا أنّه توجّه نحوهم، هربوا، وتركوا عيالهم، فسباهم عُيينة، وقدم بهم على رسول الله ﷺ، فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى، فقدموا وقت الظهيرة، ووافقوا رسول الله فى أهله قائلاً، فلمّا رأتهم الذرارى جهشوا إلى آبائهم يبكون، وكان لكلّ امرأة من نساء رسول الله ﷺ بيت، وحجرة، فعجلوا أن يخرج إليهم رسول الله ﷺ وجعلوا ينادون: يا محمّد اخرج إلينا حتّى أيقظوه من نومه، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمّد فادنا عيالنا.

فنزل جبريل، فقال: يا محمّد، إنّ الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أترضون أن يكون بينى وبينكم سمرة بن عمرو، وهو على دينكم؟».

فقالوا: نعم. قال سمرة: أنا لا أحكم بينهم وعمّى شاهد، وهو الأعور بن شامة فرضوا به.

فقال الأعور: أرى أن يفادى نصفهم، ويعتق نصفهم. فقال النبى ﷺ «قد رضيت».

ففادى نصفهم وأعتق نصفهم، فقال رسول الله ﷺ: «من كان عليه محرر من ولد إسماعيل، فليعتق منهم». فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ الآية، وقال زيد بن

أرقم: جاء ناس من الغرف إلى النبىّ ﷺ فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبيًّا فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكًا نعشْ فى جناحه. فجاءوا إلى حجرة النبىّ ﷺ، فجعلوا ينادونه: يا محمّد، يا محمّد، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ وهى جمع الحجر، والحجر جمع حجرة، فهو جمع الجمع، وفيه لغتان: فتح (الجيم) وهى قراءة أبى جعفر، كقول الشاعر:

أما كـــان عباد كفيًا لدارم يلى ولأبيات بها الحجرات

يعنى يلى ولبنى هاشم.

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ جهلاء ﴿لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ لأنّك كنت تعتقهم جميعًا، وتطلقهم بلا فداء. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أخبرنا ابن فنجويه، قال: حدّثنا عبد الله ابن يوسف، قال: حدّثنا أحمد بن عيسى بن السكين البلدى، قال: حدّثنى هاشم بن القاسم الحرانى، قال: حدّثنى يعلى بن الأشدق، قال: حدّثنى سعد بن عبد الله، أنّ النبىّ ﷺ سُئل عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ قال: «هم الجفاة من بنى تميم، لولا أنّهم من أشدّ الناس قتالاً للأعور الدجّال، لدعوت الله عزّ وجلّ أن يهلكهم»[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق بعد الوقعة مصدّقًا، وكان بينه، وبينهم عداوة فى الجاهلية، فلمّا سمع به القوم تلقوه تعظيمًا لأمر رسول الله ﷺ، فحدّثه الشيطان أنّهم يريدون قتله، فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ بنى المصطلق، قد منعوا صدقاتهم ه أرادوا قتلى، فغضب رسول الله، وهمّ أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقّاه، ونكرمه، ونؤدى إليه ما قبلنا من حقّ الله، فبدا له فى الرجوع، فخشينا أن يكون إنّما ردّه من الطريق كتاب جاءه منك لغضَب غضبته علينا، وإنّا نعوذ بالله من غضبه، وغضب رسوله، فأبهمهم رسول الله ﷺ، وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية فى عسكر، وأمره أن يخفى عليهم قدومه.

وقال له: «انظر، فإن رأيت منهم ما يدلّ على إيمانهم، فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم ترَ ذلك، فاستعمل فيهم ما يُستعمل فى الكفّار».

ففعل ذلك خالد ووافاهم، فسمع منهم أذان صلاتى المغرب والعشاء، فأخذ منهم

(١) فى أحاديث المهدى، والدجال، ونزول عيسى عليه السلام كلام كثير والأرجح فى جميعها الضعف وعدم الصحة.

صدقاتهم، ولم ير منهم إلاّ الطاعة والخير، فانصرف خالد إلى رسول الله، وأخبره الخبر، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ يعنى الوليد بن عقبة بن أبى معيط سمّاه الله فاسقًا، نظيره ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ (السجدة: ١٨)، قال سهل بن عبد الله وابن زيد: الفاسق الكذّاب. أبو الحسين الورّاق: هو المعلن بالذنب، وقال أبو[1] طاهر وابن زيد: الفاسق الذى لا يستحى من الله سبحانه.

﴿بِنَبَإٍ﴾: بخبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ﴾ كى لا تصيبوا بالقتل، والقتال. ﴿قَوْمًا﴾ براء ﴿بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ فاتقوا أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإنّ الله سبحانه يخبره أنباءكم، ويعرّفه أحوالكم، فتفتضحوا. ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ فيحكم برأيكم، ويقبل قولكم. ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأثمتم وهلكتم. ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ فأنتم تطيعون رسول الله وتأتمّون به، فيقيكم الله بذلك العنت. ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ وحسّنه ﴿فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾.

ثمّ انتقل من الخطاب إلى الخبر، فقال عزّ من قائل: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ نظيرها قوله سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم: ٣٩)، قال النابغة:

يا دار ميّة بالعليـــاء فالسند ... أقوتْ وطال عليها سالف الأبد

﴿فَضْلًا﴾ أى كان هذا فضلاً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ قال أكثر المفسِّرين: وقف رسول الله ﷺ ذات يوم على مجلس من مجالس الأنصار وهو على حماره، فبال حماره، فأمسك عبد الله بن أُبى بأنفه وقال: إليك عنّا بحمارك، فقد آذانا نتنه. فقال عبد الله بن رواحة: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك.

فغضب لعبد الله بن أُبى رجل من قومه، وغضب لعبد الله بن رواحة رجل من قومه، فغضب لكلّ واحد منهما أصحابه حتّى استسبّوا، وتجالدوا بالأيدى، والجريد، والنعال، ولم يقدر رسول الله ﷺ على إمساكهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، فلمّا نزلت قرأها رسول الله ﷺ فاصطلحوا، وكفّ بعضهم عن بعض، وأقبل بشير بن النعمان الأنصارى مشتملاً على سيفه، فوجدهم قد اصطلحوا، فقال عبد الله بن أُبى: أعلىَّ تشتمل بالسيف يا بشير؟ قال: نعم، والّذى أحلف به لو جئت قبل أن تصطلحوا لضربتك حتّى أقتلك، فأنشأ عبد الله بن أُبى يقول:

متى ما يكن مولاك خصمك جاهداً ... تظلم ويصرعك الذين تصـــارع

---

(١) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: «ابن».

قال قتادة: نزلت فى رجلين من الأنصار، كانت بينهما مداراة فى حقّ بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذنّ حقّى منك عنوة، لكثرة عشيرته، وإنّ الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبىّ الله ﷺ، فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر بينهما، حتّى تدافعوا، وقد تناول بعضهم بعضًا بالأيدى، والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف. وروى محمّد بن الفضيل، عن الكلبى أنّها نزلت فى حرب سمير وحاطب، وكان سمير قتل حاطبًا، فجعل الأوس والخزرج يقتتلون إلى أن أتاهم النبىّ ﷺ، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، وأمر نبيّه، والمؤمنين أن يصلحوا بينهم.

وروى سفيان عن السدّى، قال: كانت امرأة من الأنصار يقال لها: أُمّ زيد تحت رجل، وكان بينها، وبين زوجها شىء، فرمى بها إلى عُلية، وحبسها فيها، فبلغ ذلك قومها فجاءوا، وجاء قومه، فاقتتلوا بالأيدى، والنعال، فأنزل الله سبحانه تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ الآية.

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ بالدعاء إلى حكم كتاب الله سبحانه، والرضا بما فيه لهما، وعليهما. ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾ ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وأبت الإجابة إلى حكم الله تعالى له، وعليه فى كتابه الذى جعله عدلاً بين خلقه. ﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ رجعت إلى الحقّ ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ بحملهما على الإنصاف والرضى بحكم الله، وهو العدل، ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ واعدلوا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فى الدين، والولاية ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا اختلفا، واقتتلا، وقرأ ابن سيرين، ويعقوب. بين (إخوتكم) (بالتاء) على الجمع، وقرأ الحسن (إخوانكم) (بالألف) و(النون). ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

قال أبو عثمان البصرى: أخوة الدّين أثبت من أخوّة النسب، فإن أخوّة النسب تنقطع لمخالفة الدين، وأُخوّة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب. وسُئل الجنيد عن الأخ، فقال: هو أنت فى الحقيقة إلاّ أنه غيرك فى الشخص. أخبرنى ابن فنجويه، قال: حدّثنا عمر بن الخطّاب. قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق المسوحى. قال: حدّثنا عمرو بن على، قال: حدّثنا أبو عاصم. قال: حدّثنا إسماعيل بن رافع، عن ابن أبى سعيد، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يعيبه، ولا يخذله، ولا يتطاول عليه فى البنيان، فيستر عليه الريح إلاّ بإذنه، ولا يؤذيه بقتار قدره إلاّ أن يعرف له، ولا يشترى لبنيه الفاكهة، فيخرجون بها إلى صبيان جاره، ولا يطعمونهم منها».

قال رسول الله ﷺ: «احفظوا، ولا يحفظه منكم إلاّ قليل».

وفى هاتين الآيتين دليل على أنّ البغى لا يزيل اسم الإيمان، لأنّ الله سبحانه وتعالى سمّاهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين، عاصين. يدلّ عليه ما روى الأعور أنّ على بن أبى طالب رضى الله عنه سُئل وهو القدوة فى قتال أهل البغى، عن أهل الجمل وصفّين، أمشركون هم؟

فقال: لا، من الشرك فرّوا. فقيل: أهم منافقون؟ قال: إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلاّ قليلاً. قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

وقد أخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن شنبة، قال: حدّثنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبّار الصوفى قال: حدّثنا أبو نصر التمّار، قال: حدّثنا كوثر، عن نافع، عن ابن عمر أنّ النبىّ ﷺ قال: «يا عبد الله هل تدرى كيف حكم الله سبحانه فيمن بغى من هذه الأُمّة؟».

قال: الله ورسوله أعلم. قال: «لا يجهز على جريحها، ولا يقتل أسيرها، ولا يطلب هاربها، ولا يقسم فيئها». وسُئل محمّد بن كعب القرظى عن هاتين الآيتين، فقال: جعل النبىّ ﷺ أجر المصلح بين الناس، كأجر المجاهد عند الناس، وقال بكر بن عبد الله: امش ميلاً، وعد مريضًا، امش ميلين، وأصلح بين اثنين، امش ثلاثة أميال، وزر أخاك فى الله.



﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ الآية، قال ابن عبّاس: نزلت فى ثابت بن قيس، وذلك أنّه كان فى أذنه وقر، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ، وقد سبقوه بالمجلس، أوسعوا له حتّى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم، وقد فاته من صلاة الفجر ركعة مع رسول الله ﷺ، فلمّا انصرف النبىّ ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم (منه، فربض) كلّ رجل بمجلسه، فلا يكاد يوسع أحد لأحد، فكان الرجل إذا جاء، فلم يجد مجلسًا، قام قائمًا كما هو، فلمّا فرغ ثابت من الصلاة، وقام منها، أقبل نحو رسول الله ﷺ فجعل يتخطّى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فجعلوا يتفسحون له حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه

وبينه رجل.

فقال له: تفسح. فقال له الرجل: قد أصبت مجلسًا، فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبًا، فلمّا أبينت الظلمة، غمز ثابت الرجل، وقال: مَنْ هذا؟ قال: أنا فلان. فقال له: ثابت ابن فلانة. ذكر أُمًا له كان يعيَّر بها فى الجاهلية. فنكس الرجل رأسه واستحيى، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية.

وقال الضحّاك: نزلت فى وفد تميم الذين ذكرناهم فى صدر السورة، استهزءوا بفقراء أصحاب رسول الله ﷺ مثل عمّار، وخباب، وبلال، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبى حذيفة، لما رأوا من رثاثة حالهم، فأنزل الله سبحانه فى الذين آمنوا منهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ أى رجالٌ من رجال، والقوم اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يخْتص بجمع الرجال، كقول زهير:

وما أدرى وسوف أخال أدرى ... أقوم آل حصن أم نساء

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ نزلت فى امرأتين من أزواج النبىّ ﷺ سخرتا من أُمّ سلمة، وذلك أنّها ربطت خصريها بسبية - وهى ثوب أبيض ومثلها السب - وسدلت طرفيها خلفها. فكانت تجرها.

فقالت عائشة لحفصة: انظرى ما تجرّ خلفها كأنّه لسان كلب. فهذا كان سخريتهما[1].

وقال أنس: نزلت فى نساء رسول الله ﷺ عيّرن أُمّ سلمة بالقصَر. ويقال: نزلت فى عائشة، أشارت بيدها فى أُمّ سلمة أنّها قصيرة، وروى عكرمة، عن ابن عبّاس أنّ صفية بنت حى بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: إنّ النساء يعيّرننى فيقلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ: «هلاّ قلت: إنّ أبى هارون، وابن عمّى موسى، وإنّ زوجى محمّد»، فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أى لا يعيب بعضكم بعضًا، ولا يطعن بعضكم على بعض. وقيل: اللمز العيب فى المشهد، والهمز فى المغيب، وقال محمّد بن يزيد: اللمز باللسان، والعين، والإشارة، والهمز لا يكون إلاّ باللسان، قال الشاعر:

إذا لقيتك عن سخط تكاشرنى ... وإنى تغيبتُ كنت الهامز اللمزه

---

(١) يلاحظ أن هذا قول غير مسند فلا يعتد به ثم إن أمهات المؤمنين خير نساء الخلق اختارهن رب العالمين لنبيه ﷺ وهن زوجاته فى الجنة فلا يقبل فى حقهن إلا كل ما هو زين، ويرد كل ما هو شين مهما حَقُر فلا يجب ترديده حتى لا يقع قائله فى الإثم.

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قال أبو جبير بن الضحّاك: فينا نزلت هذه الآية في[1] بني سلمة، قدم رسول الله ﷺ المدينة، وما منّا رجل إلاّ له اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا الرجل الرجل باسم، قلنا: يا رسول الله، إنّه يغضب من هذا. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

قال قتادة، وعكرمة: هو قول الرجل للرجل: يا فاسق، يا منافق، يا كافر، وقال الحسن: كان اليهودى، والنصرانى يسلم، فيقال له بعد إسلامه: يا يهودى، يا نصرانى، فنُهوا عن ذلك، وقال ابن عبّاس: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيّئات، ثمّ تاب منها، وراجع الحقّ، فنهى الله أن يعيّر بما سلف من عمله.

﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يقول: من فعل ما نهيت عنه من السخرية، واللمز والنبز، فهو فاسق، و﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ فلا تفعلوا ذلك، فتستحقّوا (اسم الفسوق) وقيل: معناه بئس الاسم الذى تسميه، بقولك فاسق، بعد أن علمت أنّه آمنَ.

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ الآية نزلت فى رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقيهما، وذلك أنّ رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر، ضمّ الرجل المحتاج إلى رجلين موسورين يخدمهما، ويحقب حوائجهما، ويتقدّم لهما إلى المنزل، فيهيّئ لهما ما يصلحهما من الطعام، والشراب، فضم سلمان الفارسى رضى الله عنه إلى رجلين فى بعض أسفاره، فتقدّم سلمان، فغلبته عيناه، فلم يهيّئ لهما شيئًا، فلمّا قدما، قالا له: ما صنعت شيئًا؟ قال: لا. قالا: ولمَ؟ قال: غلبتنى عيناى، فقالا له: انطلق إلى رسول الله ﷺ، واطلب لنا منه طعامًا وإدامًا، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: «انطلق إلى أُسامة بن زيد وقل له: إن كان عنده فضل من طعام، وإدام، فليعطك».

وكان أُسامة خازن رسول الله ﷺ وعلى رحله، فأتاه، فقال: ما عندى شىء، فرجع سلمان إليهما، وأخبرهما بذلك، فقالا: كان عند أُسامة، ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة، فلم يجد عندهم شيئًا، فلمّا رجع سلمان، قالا: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثمّ انطلقا يتجسّسان هل عند أُسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ.

فلمّا جاءا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: «ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما» قالا: يا رسول الله، والله ما تناولنا يومنا هذا لحمًا، فقال: «ظللتم تأكلون لحم سلمان، وأسامة».

فأنزل الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا

(١) فى المخطوط: كتبت «من»، ثم كتب فوقها بقلم الناسخ «فى»، فأثبت المناسب للسياق.

تَجَسَّسُواْ﴾ قرأه العامّة (بالجيم) وقرأ ابن عبّاس، وأبو رجاء العطاردى (ولا تحسّسوا) (بالحاء)، قال الأخفش: ليس يبعد أحدهما عن الآخر. إلاّ أنّ التجسّس لما يُكتم، ويُوارى، ومنه الجاسوس، والتحسس (بالحاء) تخبر الأخبار، والبحث عنها، ومعنى الآية خذوا ما ظهر، ودعوا ما ستر الله ولا تتّبعوا عورات المسلمين.

أخبرنى ابن فنجويه، قال: حدّثنا ابن شنبة، قال: حدّثنا الفريابى قال: حدّثنا قتيبة بن سعد، عن مالك، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إيّاكم والظنّ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث، ولا تجسّسوا، ولا تحسّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

وأخبرنى ابن فنجويه، قال: حدّثنا ابن حبش، قال: أخبرنا على بن زنجويه. قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن الزهرى، عن زرارة بن مصعب بن عبد الرّحمن بن عوف، عن المسور بن مخرمة، عن عبد الرّحمن بن عوف، أنّه حرس ليلة عمر بن الخطّاب بالمدينة، فبينا هم يمشون شب لهم سراج فى بيت، فانطلقوا يؤمّونه، فلمّا دنوا منه، إذا باب يجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر، وأخذ بيد عبد الرّحمن: أتدرى بيت من هذا؟ قال: قلت: لا.

قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن بيثرب، فما ترى؟ قال عبد الرّحمن: أرى أنّا قد أتينا ما قد نهى الله سبحانه، فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ فقال تجسسنا، (فانصرف)[1] عمر عنهم، وتركهم.

وبه عن معمر، قال: أخبرنى أيّوب، عن أبى قلابة أنّ عمر بن الخطّاب، حُدِّث أنّ أبا محجن الثقفى شرب الخمر فى بيته هو وأصحابه، فانطلق عمر حتّى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلاّ رجل، فقال أبو محجن: يا أمير المؤمنين إنّ هذا لا يحلّ لك، فقد نهاك الله عزّ وجلّ عن التجسّس، فقال عمر: ما يقول هذا؟ فقال زيد بن ثابت، وعبد الله بن الأرقم: صدق يا أمير المؤمنين، هذا التجسّس، قال: فخرج عمر رضى الله عنه، وتركه. وروى زيد بن أسلم أنّ عمر بن الخطّاب خرج ذات ليلة، ومعه عبد الرّحمن بن عوف رضى الله عنهما يعسّان إذ شبّ لهما نار، فأتيا الباب، فاستأذنا، ففتح الباب، فدخلا، فإذا رجل، وامرأة تغنّى، وعلى يد الرجل قدح، وقال عمر للرجل: وأنت بهذا يا فلان؟ فقال: وأنت بهذا يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: فمن هذه منك؟ قال: امرأتى. قال: وما فى القدح؟ قال: ماء زلال. فقال

(١) زيادة يتطلبها السياق.

للمرأة: وما الّذى تغنّين؟ فقالت: أقول:

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه وأرّقنى ألاّ حبيب ألاعبه

فوالله لولا خشيـة الله والتقى لزُعزع من هذا السرير جوانبه

ولكن عقلى والحياء يكفنى وأكرم بعلى أن تنال مراكبه

ثمّ قال الرجل: ما بهذا أُمرنا يا أمير المؤمنين، قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ فقال عمر: صدقت، وانصرف. وأخبرنا الحسين، قال: حدّثنا موسى بن محمّد بن على. قال: حدّثنا الحسين بن علويه. قال: حدّثنا إسماعيل بن عيسى، قال: حدّثنا المسيب، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال: قيل لابن مسعود: هل لك فى الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرًا؟ فقال: إنّا قد نهينا عن التجسّس، فإن يظهر لنا شيئًا نأخذه به.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ أخبرنا الحسين، قال: حدّثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرى. قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن زيد أبو بكر السطوى، قال: حدّثنا على بن إشكاب، قال: حدّثنا عمر بن يونس اليمامى، قال: حدّثنا جهضم بن عبد الله، عن العلاء بن عبد الرّحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال: «أن يُذكر أخاك بما يكره، فأمّا إن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه».

وقال معاذ بن جبل: كنا مع رسول الله ﷺ فذكر القوم رجلاً، فقالوا: ما يأكل إلاّ ما أطعم، ولا يرحل إلاّ ما رحّل، فما أضعفه، فقال رسول الله ﷺ: «اغتبتم أخاكم» قالوا: يا رسول الله وغيبة أن نحدّث بما فيه؟ فقال: «بحسبكم[1] أن تحدّثوا عن أخيكم بما فيه».

وروى موسى بن وردان عن أبى هريرة أنّ رجلاً قام من عند رسول الله، فرأوا فى قيامه عجزًا، فقالوا: يا رسول الله ما أعجز فلانًا. فقال رسول الله ﷺ «أكلتم أخاكم واغتبتموه».

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، قال قتادة: يقول: كما أنت كاره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها، فكذلك فاكره لحم أخيك وهو حىّ، ﴿فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ قال الكسائى، والفراء: معناه، فقد كرهتموه. وقرأ أبو سعيد الخدرى (فكرهتموه) بالتشديد على غير تسمية الفاعل.

أخبرنى الحسن، قال: حدّثنا عمر بن نوح البجلى، قال: حدّثنا أبو صالح عبد الوهاب بن أبى عصمة. قال: حدّثنا إسماعيل بن يزيد الأصفهانى. قال: حدّثنا يحيى بن سليم، عن كهمس، عن ميمون بن سياه، وكان يفضل على الحسن، ويقال: قد لقى من لم يلق، قال:

(١) فى الهامش: «فحسبكم».

بينما أنا نائم إذا أنا[١] بجيفة زنجى وقائل يقول لى: كُلْ، قلت: يا عبد الله، ولمَ آكل؟ قال: بما اغتبت عبد فلان، قلت: والله ما ذكرت منه خيراً، ولا شراً، قال: لكنّك استمعت، ورضيت، فكان ميمون بعد ذلك لا يغتاب أحداً، ولا يدع أن يغتاب عنده أحد، وحُكى عن بعض الصالحين أنّه قال: كنت قاعداً فى المقبرة الفلانية، فاجتازنى شاب جلد، فقلت: هذا، وأمثاله، وبالٌ على الناس، فلمّا كانت تلك الليلة رأيت فى المنام أنّه قُدِّم إلىَّ جنازة عليها ميّت وقيل لىّ كُل من لحم هذا، وكشف عن وجهه، فإذا ذلك الشاب، فقلت: أنا لم آكل من لحم الحيوان الحلال منذ سنين، فكيف آكل هذا؟ فقيل: فلمَ اغتبته إذاً؟ فانتبهت حزينًا، فكنت آوى إلى تلك المقبرة سنة واحدة، فرأيت الرجل، فقمتَ إليه لأستحلّ منه، فنظر إلىَّ من بعيد، فقال: تبت. قلت: نعم، قال: ارجع إلى مكانك[٢].

وقد أخبرنا ابن فنجويه، قال: حدّثنا عمر بن الخطّاب. قال: حدّثنا عبد الله بن الفضل قال: أخبرنا على بن محمّد. قال: حدّثنا يحيى بن آدم. قال: حدّثنا ابن المبارك، عن ابن جريج، عن أبى الزبير، عن ابن عمر، لأبى هريرة، قال: جاء ماعز إلى النبى ﷺ، فقال: إنّه زنى، فأعرض عنه، حتّى أقرّ أربع مرّات، فأمر برجمه، فمرّ النبىّ ﷺ على رجلين يذكران ماعزاً، فقال أحدهما: هذا الذى ستر عليه، فلم تدعه نفسه حتّى رُجم برجم الكلب.

قال: فسكت عنهما حتّى مرّا معه على جيفة حمار شائل رجله، فقال ﷺ لهما: «انزلا فأصيبا منه». فقالا: يا رسول الله غفر الله لك، وتؤكل هذه الجيفة؟

قال: «ما أصبتما من لحم أخيكما آنفًا أعظم عليكما، أما إنّه الآن فى أنهار الجنّة منغمس فيها».

وأخبرنى ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن شيبة، قال: حدّثنا الفريابى، قال: حدّثنا محمّد ابن المصفى، قال: حدّثنا أبو المغيرة، حدّثنا عبد القدوس بن الحجّاج، قال: حدّثنى صفوان بن عمرو، قال: حدّثنا راشد بن سعد، وعبد الرّحمن بن جبير، عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «لمّا عُرج بى مررتُ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم، وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم النّاس ويقعون فى أعراضهم»[٣].

---

(١) كذا، وفى هامش المخطوط: «أتىَ»، والمعنى واحد.

(٢) هذه من حكايات الصوفية وغيرَها من نظائرها كثير، فلا يعتد بذلك، ولكن ليحذر المسلم غيبة أخيه فإن معظم النار من مستصغر الشرر.

(٣) حديث لتضعيف ابن حزم لراشد بن سعد الحبرانى المقرئ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ أخبرنى الحسين، قال: حدّثنا موسى بن محمّد بن على، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى الحلوانى، قال: حدّثنا يحيى بن أيّوب، قال: حدّثنا أسباط، عن أبى رجاء الخراسانى، عن عبّاد بن كثير، عن الحريرى، عن أبى نصرة، عن جابر بن عبد الله، وأبى سعيد الخُدرى، قالا: قال رسول الله ﷺ «الغيبة أشدّ من الزنا». قيل: وكيف؟ قال: «إنّ الرجل يزنى، ثمّ يتوب، فيتوب الله عليه، وإنّ صاحب الغيبة لا يُغفر له حتّى يغفر له صاحبه».

وأخبرنى الحسين، قال: حدّثنا الفضل. قال: حدّثنا أبو عيسى حمزة بن الحسين بن عمر البزاز البغدادى، قال: حدّثنا محمّد بن على الورّاق، قال: حدّثنا هارون بن معروق، قال: حدّثنا ضمرة، عن ابن شوذى، قال: قال رجل لابن سيرين: إنّى قد اغتبتك، فاجعلنى فى حلّ، قال: إنّى أكره أن أحلّ ما حرّم الله.

وأخبرنا ابن فنجويه، قال: حدّثنا أبو الطيب بن حفصويه، قال: حدّثنا عبد الله بن جامع. قال: قرأت على أحمد بن سعيد، حدّثنا سعيد، قال: حدّثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن حسّان عن خالد الربعى، قال: قال عيسى ابن مريم لأصحابه: أرأيتم لو أنّ أحدكم رأى أخاه المسلم قد كشف الريح عن ثيابه؟ قالوا: سبحان الله إذاً كنّا نردّه. قال: لا، بل كنتم تكشفون ما بقى، مثلاً ضربه لهم يسمعون للرجل سيئة أو حسنة، فيذكرون أكثر من ذلك.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم﴾ الآية. قال ابن عبّاس: نزلت فى ثابت بن قيس وقوله للرجل الذى لم يفسح له: ابن فلانة، فقال رسول الله ﷺ: «من الذاكر فلانة؟». فقام ثابت، فقال: أنا يا رسول الله. فقال: «انظر فى وجوه القوم». فنظر إليهم، فقال: «ما رأيت يا ثابت؟».

قال: رأيت أبيض وأسود وأحمر. قال: «فإنّك لا تفضلهم إلاّ فى الدّين والتقوى»، فأنزل الله سبحانه فى ثابت هذه الآية وبالّذى لم يفسح له: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ ...﴾ (المجادلة: ١١) الآية.

وقال مقاتل: لّما كان يوم فتح مكّة، أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتّى علا على ظهر الكعبة وأذّن، فقال عتاب بن أسد بن أبى العيص: الحمد لله الذى قبض أبى حتّى لم ير هذا اليوم، وقال الحارث بن هاشم: أما وجد محمّدٌ غير هذا الغراب الأسود مؤذّنًا؟ وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئًا يغيره، وقال أبو سفيان بن حرب: إنّى لا أقول شيئًا أخاف أنى يخبر به ربّ السماء.

فأتى جبريل رسول الله ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم رسول الله ﷺ وسألهم عمّا قالوا، فأقرّوا، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء[1]، وقال يزيد بن سخرة: كان رسول الله ﷺ ذات يوم يمرّ ببعض أسواق المدينة، فإذا غلام أسود قائم، ينادى عليه ليباع، فمن يريد.

وكان الغلام قال: من اشترانى فعلى شرط، قيل: ما هو، قال: ألا يمنعنى عن الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ، فاشتراه رجل على هذا الشرط، فكان رسول الله ﷺ يراه عند كلّ صلاة مكتوبة، ففقده ذات يوم، فقال لصاحبه: «أين الغلام؟». فقال: محموم يا رسول الله، فقال لأصحابه: «قوموا بنا نعوده». فقاموا معه فعادوه، فلما كان بعد أيّام قال لصاحبه: «ما حال الغلام؟».

قال: يا رسول الله، إنّ الغلام لما به، فقام رسول الله ﷺ فدخل عليه وهو فى ذهابه، فقبض على تلك الحال، فتولّى رسول الله ﷺ غسله، وتكفينه، ودفنه، فدخل على المهاجرين، والأنصار من ذلك أمر عظيم، فقال المهاجرون: هاجرنا ديارنا، وأموالنا، وأهالينا[2]، فلم ير أحد منّا فى حياته ومرضه وموته ما لقى منه هذا الغلام، وقال الأنصار: آويناه، ونصرناه، وواسيناه فآثر علينا عبداً حبشيًا، فعذر الله سبحانه رسوله ﷺ، فيما تعاطاه

(١) فى المخطوط: بالفقر. وهو سهو والسياق يقتضى ما أثبت.
(٢) فى الهامش: وأهلينا.

من أمر الغلام، وأراهم فضل التقوى[1]، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبًا﴾ وهي رؤوس القبائل وجمهورها مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج. واحدها شَعب بفتح الشين، سُمّوا بذلك لتشعّبهم واجتماعهم، كتشعّب أغصان الشجر، والشعب من الأضداد يقال: شعبته إذا جمعته، وشعبته إذا فرّقته، ومنه قيل للموت: شعوب.

﴿وَقَبَآئِلَ﴾ وهي دون الشعوب، واحدها قبيلة، وهم كندة من ربيعة، وتميم من مضر، ودون القبائل العمائر، واحدها عمارة بفتح العين كشيبان من بكر، ودارم من تميم، ودون العمائر البطون، واحدها بطن، وهم كبني غالب ولؤي من قريش، ودون البطون الأفخاذ، واحدها فخذ، وهم كبني هاشم، وأمية من بني لؤي، ثمّ الفصائل، والعشائر، واحدتها فصيلة، وعشيرة، وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل، وقال أبو رزين وأبو روق: الشعوب الذين لا يصيرون إلى أحد، بل ينسبون إلى المدائن، والقرى، والأرضين، والقبائل العرب الذين ينسبون إلى آبائهم.

﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ يعرف بعضكم بعضًا في قرب النسب، وبعده لا لتفاخروا. وقرأ الأعمش (ليتعارفوا)، وقرأ ابن عبّاس (ليعرفوا) بغير (ألف).

﴿إِنَّ [2] أَكۡرَمَكُمۡ﴾ بفتح (الألف)، وقرأه العامة (إنّ) بكسر (الألف) على الاستئناف، والوقوف على قوله لتعارفوا إنّ أكرمكم ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ قال قتادة: في هذه الآية أكرم الكرم التقوى. وألأم اللؤم الفجور، وقال ﷺ: «من سرّه أن يكون أكرم الناس، فليتق الله».

وقال: «كرم الرجل دينه، وتقواه، وأصله عقله، وحسبه خلقه»، وقال ابن عبّاس: كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

أخبرنا الحسن، قال: حدّثنا أبو حذيفة أحمد بن محمّد بن علي، قال: حدّثنا زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسي، قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله المقري، قال: حدّثنا ابن رجاء، عن موسى بن عقبة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: طاف رسول الله ﷺ على راحلته القصواء يوم الفتح يستلم الركن بمحجنه، فما وجد لها مناخ في المسجد، حتى أخرجنا إلى

---

(١) يلاحظ أن كثيراً من كتب السير والتفاسير تحمل الكثير من الإسرائيليات فلا يغتر أحد بمثل هذه الأخبار أو الأقوال، والصحابة سواء من أهل مكة أو المدينة مدحهم الله تعالى في أكثر من آية، وأكثر من موضع في القرآن الكريم ويكفيهم هذا تزكية، وأنا لا أضعهم في موضع العصمة ولكن مثل هذا الخبر لا يليق قبوله في حقهم.

(٢) في المخطوط: بفتح الألف ورسمت على ما في المصحف المطبوع وتركت المؤلف يشرح الفرق.

بطن الوادى، فأناخت فيه، ثمّ حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «أمّا بعد أيّها الناس، قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية، وفخرها بالآباء - وفى بعض الألفاظ: وتعظمها بآبائها - إنّما الناس رجلان، برّ تقى كريم على الله، وفاجر شقىّ هيّن على الله». ثمّ تلا هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ الآية، وقال: «أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم».

وأخبرنى الحسين، قال: حدّثنا محمّد بن على بن الحسين الصوفى. قال: حدّثنا أبو شعيب الحرانى. قال: حدّثنا يحيى بن عبد الله الكابلى. قال: حدّثنا الأوزاعى، قال: حدّثنى يحيى ابن أبى كثير، أنّ النبىّ ﷺ قال: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأعمالكم، وإنّما أنتم بنو آدم ﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾».

وأخبرنا ابن فنجويه، قال: حدّثنا ابن حفصويه، قال: حدّثنا عبد الله بن جامع المقرى، قال: حدّثنا أحمد بن خادم. قال: حدّثنا أبو نعيم، قال: حدّثنا طلحة، عن عطاء، عن أبى هريرة، قال: الله سبحانه يقول يوم القيامة: إنّى جعلت نسبًا، وجعلتم نسبًا، فجعلت ﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فأنتم تقولون: فلان ابن فلان، وأنا اليوم أرفع نسبى، وأضع أنسابكم، أين المتّقون؟ أين المتّقون؟ إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

وأخبرنا ابن فنجويه، قال: حدّثنا عبد الله بن إبراهيم بن أيّوب. قال: حدّثنا يوسف بن يعقوب. قال: حدّثنا محمّد بن أبى بكر. قال: حدّثنى يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن عمر، قال: حدّثنى سعيد بن أبى سعيد المقرى، عن أبى هريرة، قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم».

وأنشدنى ابن حبيب، قال: أنشدنا ابن رميح، قال: أنشدنا عمر بن الفرحان:

ما يصنع العبد بعزّ الغنى ... والعزّ كُلّ العزّ للمتّقى
من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقى

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ الآية نزلت فى نفر من بنى أسد بن خزيمة، ثمّ من بنى الحلاف بن الحارث بن سعيد، قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فى سنة جدبة، وأظهروا شهادة أن لا إله إلاّ الله، ولم يكونوا مؤمنين فى السرّ، وأفسدوا طرق المدينة بالعدوان، وأغلوا أسعارها، وكانوا يغدون، ويروحون على رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأفعال، والعيال والذرارى، يمنون على رسول الله ﷺ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، وبنو فلان، ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطنا، فأنزل الله سبحانه فيهم

هذه الآية .

وقال السدى : نزلت فى الأعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح ، وهم أعراب مزينة ، وجهينة ، وأسلم ، وأشجع ، وغفار ، كانوا يقولون : آمنّا بالله ، ليأمنوا على أنفسهم ، وأموالهم ، فلمّا استُنفروا إلى الحديبية تخلّفوا ، فأنزل الله سبحانه : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ أى انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبى . ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ فأخبر أنّ حقيقة الإيمان التصديق بالقلب ، وأنّ الإقرار به باللسان ، وإظهار شرائعه بالأبدان ، لا يكون إيمانًا دون الإخلاص الذى محلّه القلب ، وأنّ الإسلام غير الإيمان .

يدلّ عليه ما أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقى ، قرأه عليه محمّد بن زكريا فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، قال : أخبرنا أبو العبّاس محمد بن الدغولى ، قال : حدّثنا محمّد بن الليث المروزى ، قال : حدّثنا عبد الله بن عثمان بن عبدان قال : حدّثنا عبد الله ابن المبارك ، قال : أخبرنا يونس ، عن الزهرى . قال : أخبرنى عامر ، عن سعد بن أبى وقّاص أنّ رسول الله ﷺ أعطى رهطًا ، وسعد جالس فيهم ، فقال سعد : فترك رسول الله ﷺ رجلاً منهم ، فلم يعطه ، وهو أعجبهم إلىّ . فقلت : يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إنّى لأراه مؤمنًا ، فقال رسول الله : «أو مُسلمًا» .

فسكت قليلاً ، ثمّ غلبنى ما أعلم منه ، فقلت : يا رسول الله (ما لك)[1] عن فلان ، فوالله إنّى لأراه مؤمنًا ، فقال رسول الله ﷺ : «أو مُسلمًا» .

فسكت قليلاً ، ثمّ غلبنى ما أعلم منه ، فقلت : يا رسول الله ما لك عن فلان ، فوالله إنّى لأراه مؤمنًا ، فقال رسول الله ﷺ : «أو مسلمًا ، فإنّى لأعطى الرجل ، وغيره أحبّ إلىّ منه خشية أن يكبّ فى النار على وجهه» .

فاعلم أنّ الإسلام الدخول فى السلم ، وهو الطاعة والانقياد ، والمتابعة ، يقال : أسلم الرجل إذا دخل فى السلم وهو الطاعة والانقياد والمتابعة .

يقال : أسلم الرجل إذا دخل فى السلم ، كما يقال : أشتى الرجل إذا دخل فى الشتاء ، وأصاف إذا دخل فى الصيف ، وأربع إذا دخل فى الربيع ، وأقحط إذا دخل فى القحط ، فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والأبدان فالجنان ، كقوله عزّ وجلّ لإبراهيم : ﴿أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ (البقرة : ١٣١) ، وقوله : ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات : ٣٥ - ٣٦) .

---

(١) سقط من السياق .

ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله: ﴿وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ بيانه قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمۡ﴾.

﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ظاهراً وباطنًا، سراً وعلانية ﴿لَا يَلِتۡكُم﴾ [1] (بالألف) أبو عمر، ويعقوب، واختاره أبو حاتم اعتباراً بقوله: ﴿وَمَآ أَلَتۡنَـٰهُم﴾ (الطور: ٢١) يقال ألت يألت ألتًا، قال الشاعر:

أبلغ بنى ثعل عنى مغلغلة جهد الرسالة لا ألتًا ولا كذبا

وقرأ الآخرون (يلتكم) من لات يليت ليتًا، كقول رؤبة:

وليلة ذات ندًى سريتُ ولم يلتني عن سراها ليتُ

ومعناهما جميعًا لا ينقصكم، ولا يظلمكم. ﴿مِّنۡ أَعۡمَـٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ثمّ بيّن حقيقة الإيمان، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ لم يشكّوا فى وحدانية الله، ولا بنبوّة أنبيائه ولا فيما آمنوا به، بل أيقنوا وأخلصوا.

﴿وَجَـٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ فى إيمانهم، لا من أسلم خوف السيف[2] ورجاء الكسب، فلمّا نزلت هاتان الآيتان، أتت الأعراب رسول الله ﷺ فحلفوا بالله إنّهم مؤمنون فى السرّ، والعلانية، وعرف الله غير ذلك منهم، فأنزل الله سبحانه ﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾ الذى أنتم عليه. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ۝ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسۡلَـٰمَكُم﴾ أى بإسلامكم. ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَـٰنِ﴾ وفى مصحف عبد الله (إذ هداكم للإيمان) ﴿إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ﴾ أنّكم مؤمنون. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، والأعمش، وطلحة، وعيسى (بالياء)، (وقرأ)[3] غيرهم (بالتاء).



---

(١) فى المخطوط: (لا يألتكم) ورسمت ما فى المصحف المطبوع برواية حفص عن عاصم وتركت شرح المؤلف كما هو.

(٢) فى الهامش: «السيب».

(٣) زيادة تركها المؤلف اختصاراً.

سورة ق

مكّية، وهي ألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفًا،
وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة، وخمس وأربعون آية

أخبرنا أبو الحسين محمد بن القاسم بن أحمد الماوردي، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن سادة الكرابيسي، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن الحسين، قال: حدّثنا محمد بن يحيى، قال: حدّثنا مسلم بن قتيبة، عن سعيد، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن أُبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ق، هوّن الله عليه تارات الموت، وسكراته».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾

﴿قٓ﴾ قال ابن عبّاس: هو اسم من أسماء الله سبحانه، أقسم به. قتادة: اسم من أسماء القرآن، القرظي: افتتاح أسماء الله، قدير، وقادر، وقاهر، وقاضي، وقابض. الشعبي: فاتحة

السُّورة. بُريد، وعكرمة، والضحّاك: هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، خضرة السماء منه، وعليه كتفا السماء، وما أصاب الناس من زمرد، فهو ما يسقط من الجبل، وهى رواية أبى الحوراء، عن ابن عبّاس[١]. قال وهب بن منبه: إنّ ذا القرنين أتى على جبل قاف، فرأى حوله جبالاً صغاراً، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا قاف، قال: فما[٢] هذه الجبال حولك؟ قال: هى عروقى، وليست مدينة من المدائن إلاّ وفيها عرق منها، فإذا أراد الله أن يزلزل تلك الأرض أمرنى، فحرّكت عرقى ذلك، فتزلزلت تلك الأرض، فقال له: يا قاف، فأخبرنى بشىء من عظمة الله، قال: إنّ شأن ربّنا لعظيم، تقصر عنه الصفات، وتنقضى دونه الأوهام.

قال: فأخبرنى بأدنى ما يوصف منها. قال: إنّ ورائى لأرضًا مسيرة خمسمائة عام فى عرض خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضه بعضًا، لولا ذاك الثلج لاحترقت من حرّ جهنّم. قال: زدنى، قال: إنّ جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله سبحانه ترعد فرائصه، يخلق الله من كلّ رعدة مائة ألف ملك، وأُولئك الملائكة صفوف بين يدى الله سبحانه، منكّسو رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم فى الكلام، قالوا: لا إله إلاّ الله، وهو قوله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ (النبأ: ٣٨) يعنى لا إله إلاّ الله[٣].

وقال الفرّاء: وسمعت من يقول: ﴿قٓ﴾: قضى ما هو كائن، وقال أبو بكر الورّاق: معناه قف عند أمرنا، ونهينا، ولا تعدهما. وقيل: معناه قل يا محمّد.

أحمد بن عاصم الأنطاكى، هو قرب الله سبحانه من عباده، بيانه ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦) وقال ابن عطاء: أقسم بقوّة قلب حبيبه محمّد ﷺ حيث حمل الخطاب، ولم يؤثر ذلك فيه لعلوّ حاله[٤]. ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ الشريف، الكريم على الله الكبير، الخبير.

واختلف العلماء فى جواب هذا القسم، فقال أهل الكوفة: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾، قال الأخفش: جوابه محذوف مجازه ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ لتبعثن، وقال ابن كيسان: جوابه قوله: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ﴾ الآية، وقيل: قد علمنا.

---

(١) فى المخطوط: فمن. وقد صوب فوقه على ما أثبته.

(٢) يبدو أنه قد استغل اسم ابن عباس وكونه اشتهر بأنه ترجمان القرآن ليلصق به كل قول لا يوافق العلم ومن المعلوم أن جبال الأرض معروفة الآن بأسمائها وأماكنها وخصائصها لدى علماء الأرض ومثل هذا القول لا يجب على عاقل أن يكرره حتى لا يتهم الإسلام بالجهل وهو الداعى إلى العلم والتعلم من أول آية نزلت منه.

(٣) هذا خبر غير مسند، ونحن أمة لا تأخذ إلا بما هو مسند متصل الإسناد إلى رسول الله ﷺ اتصالاً صحيحًا ورجاله ثقات لا يطعن فى أحدهم بمطعن يؤثر فى روايته، وعليه فلا يعتد بمثل هذا الخبر ولا نظائره، وبالله التوفيق.

(٤) هذا ما قاله أهل التفسير من الأولين سواء أصاب الحق أو قاربه أو جانبه.

وجوابات القسم سبعة:

(إنّ) الشديدة، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ١٤).

و(ما) النفى كقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ... مَا وَدَّعَكَ﴾ (الضحى: ١ ـ ٣).

و(اللام) المفتوحة، كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٩٢).

و(إنْ) الخفيفة كقوله سبحانه: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى﴾ (الشعراء: ٩٧).

و(لا) كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ﴾ (النحل: ٣٨).

و(قد) كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا..قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس: ١ ـ ٩).

و(بل)[١] كقوله: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعرفون حسبه، ونسبه، وصدقه، وأمانته. ﴿فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ غريب.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نُبعث، فترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه. ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ يقال: رجعته رجعًا، فرجع هو رجوعًا، قال الله سبحانه: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ (التوبة: ٨٣) قال الله سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما تأكله من عظامهم، وأجسامهم، وقيل: معناه قد علمنا ما يبلى منهم، وما يبقى لأنّ العصعص لا تأكله الأرض كما جاء فى الحديث: «كلّ ابن آدم يبلى، إلاّ عجب الذنب، (منه خلق)[٢] ومنه يركب» وأبدان الأنبياء والشهداء أيضًا لا تبلى.

وقال السدى: والموت يقول: قد علمنا من يموت منهم، ومن يبقى. ﴿وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ محفوظ من الشياطين، ومن أن يدرس، ويبعثر، وهو اللوح المحفوظ، المكتوب فيه جميع الأشياء المقدّرة.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ بالقرآن. ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ قال أبو حمزة: سُئل ابن عبّاس عن المريج، فقال: هو الشيء المكر، أما سمعت قول الشاعر:

فجالت فالتمست به حشاها ... فخر كأنه خوط مريج

الوالبى عنه: أمر مختلف. العوفى عنه: أمر ضلالة. سعيد بن جبير، ومجاهد: ملتبس، قال قتادة: فى هذه الآية من نزل الحقّ مرج أمره عليه، والتبس دينه عليه. ابن زيد: مختلط، وقيل: فاسد، وقيل: متغير. وكلّ هذه الأقاويل متقاربة، وأصل المرج الاضطراب، والقلق، يقال: مرج أمر الناس، ومرج الدّين، ومرج الخاتم فى إصبعى وخرج إذا قلق من الهزال، قال

(١) كذا فى المخطوط ذكر ستة فقط ولم يذكر السابع، وقد قال فى أول الكلام إنهم سبعة.

(٢) سقط من متن الحديث.

الشاعر:

مرج الدّين فأعـــددت له   مشرف الحارك محبوك الكتد

وفى الحديث: «مرجت عهودهم، وأماناتهم»(١).

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أى شقــوق، وفتــوق، واحدها فرج، وقال ابن زيد: الفروج الشيء المتفرّق المتبرى بعضه من بعض، وقال الكسائى: ليس فيها تفاوت، ولا اختلاف ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ لون ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن كريم يُبهج به أى يُسر. ﴿تَبْصِرَةً﴾ أى جعلنا ذلك تبصرة، وقال أبو حاتم: نُصبت على المصدر. ﴿وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ يعنى تبصر أو تذكّر إنابتها له، لأنّ من قدر على خلق السموات، والأرض، والنبات، قدر على بعثهم، ونظير التبصرة من المصادر التكملة، والتفضلة، ومن المضاعف النخلة، والبعرة.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ يعنى البر، والشعير، وسائر الحبوب التى تحصد وتدّخر وتقتات، وأضاف الحَبّ إلى الحصيد، وهما واحد، لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع، وربيع الأوّل، وحقّ اليقين، وحبل الوريد، ونحوها. ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾ قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة: طوالاً، وقال عبد الله بن شداد بن الهاد: سوقها لاستقامتها فى الطول. سعيد بن جبير: مستويات. الحسن والفرّاء: مواقير حوامل، يقال للشاة إذا ولدت: أبسقت، ومحلّها نصب على الحال، والقطع.

أخبرنى الحسن، قال: حدّثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى، قال: حدّثنا عبيد بن محمد بن صبح الكنانى. قال: حدّثنا هشام بن يونس النهشلى، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك. قال: سمعت النبىّ ﷺ يقرأ: (والنّخل باصقات) بالصاد.

﴿لَّهَا طَلْعٌ﴾ تمر، وحمل سمّى بذلك لأنّه يطلع. ﴿نَّضِيدٌ﴾ متراكب متراكم، قد نضد بعضه على بعض. قال ابن الأجدع: نخل الجنّة نضيد من أصلها إلى فرعها، وثمرها أمثال (القلال) والدلاء، وأنهارها تجرى فى عبر أخدود ﴿رِّزْقًا﴾ أى جعلناه رزقًا ﴿لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾.

أخبرنى ابن فنجويه، قال: حدّثنا ابن صقلاب. قال: حدّثنا ابن أبى الخصيب، قال: حدّثنى ابن أبى الجوادى، قال: حدّثنا (عتيق) بن يعقوب، عن إبراهيم بن قدامة، عن أبى عبد الله الأغر، عن أبى هريرة، قال: كان النبىّ ﷺ إذا جاءهم المطر، فسالت الميازيب، قال:

(١) كذا فى المتن وفى الهامش: «أماناتهم» وهو الأصوب، الله أعلم وأحسبه تصويبًا من الناسخ رحمنا الله وإياه آمين.

«لا محْل عليكم العام» أى الجدب. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ من القبور.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو ملك اليمن، ويسمّى تبّعًا لكثرة أتباعه، وكان يعبد النار فأسلم، ودعا قومه إلى الإسلام، وهم من حمْيَرَ، فكذّبوه، وكان خبره وخبر قومه ما أخبرنا عبد الله بن حامد، قال: أخبرنى أبو على إسماعيل بن سعدان، قال: أخبرنى على بن أحمد، قال: حدّثنا محمد بن جرير، (ح)[1] وأخبرنى عقيل أنّ أبا الفرج أخبرهم عن ابن جرير، قال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، قال: كان تبّع الآخر، وهو أسعد أبو كرب بن ملكى كرب، حين أقبل من المشرق، جعل طريقه على المدينة، وكان حين مر بها لم يهيج أهلها، وخلّف بين أظهرهم ابنًا له، فقتل غيلة، فقدمها، وهو مجمع لإخراجها، واستئصال أهلها، وقطع نخيلها، فجمع له هذا الحىّ من الأنصار، حين سمعوا ذلك من أمره امتنعوا منه، ورئيسهم يومئذ عمرو بن ظلم أخو بنى النجار أحد بنى عمرو، فخرجوا لقتاله، وكان تبّع نزل بهم قبل ذلك، فقتل رجل منهم، من بنى عدى بن النجّار، يقال له: أحمر، رجلاً من صحابة تبّع، وجده فى عذق له بجدة فضربه بنخلة فقتله.

وقال: إنّما التمر لمن أبره، ثمّ ألقاه حين قتله فى بئر من آبارهم معروفة، يقال لها: ذات تومان، فزاد ذلك تبعًا حنقًا عليهم، فبينا تبّع على ذلك من حربهم يقاتلهم ويقاتلونه، قال: فيزعم الأنصار أنّهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويقرونه بالليل، فيعجبه ذلك، ويقول: والله إنّ قومنا هؤلاء لكرام، إذ جاءه حبران من أحبار يهود بنى قريظة، عالمان راسخان، وكانا ابنى عمرو، وكانا أعلم أهل زمانهما، فجاءا تبّعًا حين سمعا ما يريد من إهلاك المدينة، وأهلها، فقالا له: أيّها الملك لا تفعل، فإنّك إن أتيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم يأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولِمَ ذاك؟ قالا: هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحىّ من قريش فى آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى لقولهما عمّا كان يريد بالمدينة، ورأى أنّ لهما علمًا، وأعجبه ما سمع منهما، أنّهما دعواه إلى دينهما، فليتبعهما على دينهما، فقال تبع فى ذلك:

ما بال نومك مثل نوم الأرمد ... أرقا كأنك لا تزال تسهد

حنقًا على سبطين حلاّ يثربًا ... أولى لهم بعقاب يوم مفسد

ولقد هبطنا يثربًا وصدورنا ... تغلى بلابلها بقتل محصد

ولقد حلفت يمين صبر مؤليًا ... قسمًا لعمرك ليس بالتمردد

---

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

إن جئت يثرب لا أغادر وسطها عـذقًا ولا بسراً بيثرب يخلد
حتى أتانى من قريظـة عالم خبر لعمرك فى اليهـود مسود
قال ازدجر عن قرية محفوظة لنبى مكّـة من قريش مهتـد
فعفوت عنهم عفواً غير مُثَرِّب[1] وتركتهم لعقـاب يوم سرمـد
وتركتهم لله أرجـــو عفـوه يوم الحساب من الجحيم لموقد
ولقـــد تركت بها له من قومنا نفرًا أُولى حسب وبأس يحمد
نفراً يكـون النصر فى أعقابهم أرجـو بذاك ثواب ربّ محمّد

فلمّا أجابهـما تُبَّعٌ إلى دينهما أكرمهما وانصرف عن المدينة، وخرج بهما إلـى اليمن ولمّا دنا من اليمـن ليدخلها حالت حمْير بينه وبين ذلك، وقالـوا: لا تدخلها علينـا، وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه، وقال: إنَه دين خير من دينكم.

قالوا: فحاكمنـا إلى النار. وكانت بـاليمن نار فى أسفل جبل يقـال له: براء[2]، يتحاكمون إلـيها، فيما يختلفون فيه، فتحكم بينهم، فتـأكل الظالم، ولا تأكل[3] المظلوم، فلمّا قالوا ذلك لتبّع، قـال: أنصفتـم، فخرج قـومه بأوثـانهم، ومـا يتقرّبـون به فى دينهـم، وخرج الحبران، مصاحفهما فى أعناقهما متقلّداهـما، حتّى قعدوا للنّار عند مخرجها التى تخرج منه، فخرجت النار إليهم، ولمّا أقبلت نحو حـمْير، حادوا عنها، وهابوهـا فذمهم[4] من حضرهم من الناس، وأمروهم بالـصبر لها؛ فـصبروا حتّى غـشيتهم، فأكلـت الأوثان، وما قربـوا معها، ومن حَمَلَ ذلك مـن رجال حمير، وخـرج الحبـران ومصـاحفهمـا فى أعـناقهـما، يتلـون التـوراة، تعرق جباههما، لم تضـرّهما، ونكصت النار حتّى رجعت إلى مخرجها الذى خرجت منه، فأطبقت حمير عند ذلك على دينهما.

فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن.

وكان لهـم بيت يعظمـونه، وينحرون عنـده، ويكلّمون منه، إذ كـانوا على شـركهم، فقال الحبران القرظيان، واسماهـما كعب وأسد لتبّع: إنّما هو شيطـان (يفنيهم ويلغيهم)، فخلّ بيننا وبينـه. قال: فشأنكمـا به. فاستخرجـا منه كلبًا أسود، فـذبحاه، ثمّ هدمـا ذلك البيت، فبقاياه

(١) فى الهامش: مُثَوّب.
(٢) فى الهامش: يَدًا.
(٣) فى الهامش: تضر.
(٤) فى الهامش: «فزجرهم».

اليوم باليمن كما ذكر لى[١].

وروى أبو دريد، عن أبى حاتم، عن الرياشى، قال: كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة، آمن بالنبىّ محمّد ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة، وقال فى ذلك شعراً:

شهدت على أحمد أنّه ... رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى إلى عمره ... لكنت صهرًا له وابن عم[٢]

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ﴾ وجب ﴿وَعِيدِ﴾ لهم بالعذاب يخوف كفّار مكّة، قال قتادة: دمر الله سبحانه وتعالى قوم تبّع، ولم يدمّره، وكان من ملوك اليمن، فسار بالجيوش، وافتتح البلاد، وقصد مكّة ليهدم البيت، فقيل له: إنّ لهذا البيت ربًّا يحميه، فندم وأحرم، ودخل مكّة، وطاف بالبيت، وكساه، فهو أوّل من كسا البيت ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أى عجزنا عنه، وتعذر علينا (الأول فهم فى شك الإعادة للخلق) الثانى. ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث.

❖ ❖ ❖

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ يحدّثه قلبه، فلا يخفى علينا أسراره، وضمائره ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أى أعلم به، وأقدر عليه ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ لأنّ أبعاضه، وأجزاءه يحجب بعضها بعضًا، لا يحجب علم الله سبحانه عن جميع ذلك شىء، وحبل الوريد: عرق

---

(١) هذا الخبر من قول محمد بن إسحاق صاحب السير وهو ضعيف ولم يخبرنا عمن نقل هذه الأخبار أو الأحداث فلا يعتد كثيراً بما يرويه ابن إسحاق ما لم يكن له شواهد تقويه من أحاديث صحيحة أو آيات قرآنية قاطعة الدلالة.

(٢) وزاد ابن كثير فى تفسير هذا الشعر بيتًا آخر هو:

وجاهدت بالسيف أعداءه ... وفرجت عن صده كل غَمْ

وفى إسلام تبع خلاف فمن قائل إنه مسلم، ومن قائل إنه نبى، ومن قال إنه غير مسلم، فالله أعلم، والمتفق أنه ملك من ملوك اليمن.

العنق، وهو عرق بين الحلقوم، والعلباوين، وجمعه أوردة، والحبل من الوريد وأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين، قال الشاعر:

فقرت للفجار فجاء سعيًا إذا ما جاش وانتفخ الوريد

﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ﴾ أى يتلقّى، ويأخذ الملكان الموكلان عليك، وكّل الله سبحانه بالإنسان مع علمه بأحواله، ملكين بالليل، وملكين بالنهار يحفظان عمله، ويكتبان أثره، إلزامًا للحجّة، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيّئات، فذلك قوله سبحانه: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ولم يقل: قعيدان. قال أهل البصرة: لأنّه أراد عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، كقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

وقول الفرزدق:

إنّى ضمنت لمن أتانى ما جنى وأبى فكان وكنت غير غدور

ولم يقل: غدورين، والقعيد، والقاعد كالسميع، والعليم، والقدير، فقال أهل الكوفة: أراد قعودًا رده إلى الجنس، فوضع الواحد موضع الجمع، كالرسول فى الاثنين يجعل للاثنين، والجمع، قال الله سبحانه فى الاثنين: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء:١٦) وقال الشاعر:

ألكنى إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحى الخبر

أخبرنا الحسين، قال: حدّثنا أحمد بن جعفر بن سليمان[1] الختلى. قال: حدّثنا أحمد بن أيّوب الرخانى. قال: حدّثنا جميل بن الحسن، قال: حدّثنا أرطأة بن الأشعث العدوى، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن على بن أبى طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجرى ـ أظنّه قال: ـ فيما لا يعنيك لا تستحى من الله، ولا منهما».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الدينورى، قال: حدّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: حدّثنا الفضل بن العبّاس بن مهران. قال: حدّثنا طالوت. قال: حدّثنا حمّاد بن سلمة. قال: أخبرنا جعفر بن الزبير، عن القاسم بن محمد، عن أبى أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيّئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات مُوَكَّل[2] على كاتب السيّئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة،

(١) فى الهامش: «أسلم».
(٢) فى الهامش: «أمير».

قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعلّه يسبِّح أو يستغفر».

قال الحسن: إنّ الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائطه، وعند جماعه، وقال أبو الجوزاء، ومجاهد: يكتبان عليه كلّ شيء حتّى أنينه فى مرضه، وقال عكرمة: لا يكتبان عليه إلاّ ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه، وقال الضحّاك: مجلسهما تحت الشعر على الحنك. ومثله روى عوف عن الحسن، قال: وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته.

وقال عطية ومجاهد: القعيد الرصيد.

أخبرنا أبو القاسم بن حبيب فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، قال: حدّثنا أبو محمد البلاذرى. قال: حدّثنا محمد بن أيّوب الرازى. قال: حدّثنا أبو التقى هشام بن عبد الملك. قال: حدّثنا مبشر بن إسماعيل الحلبى، عن تمام بن نجيح، عن الحسن، عن أبى هريرة، وأنس، قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما من حافظين يرفعان إلى الله سبحانه ما حفظا فيرى الله سبحانه فى أوّل الصحيفة خيراً. وفى آخرها خيراً، إلاّ قال لملائكته: اشهدوا أنّى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة».

وأخبرنا أبو سهل بن حبيب بقراءتى عليه، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن موسى، قال: حدّثنا زنجويه بن محمد. قال: حدّثنا إسماعيل بن قتيبة. قال: حدّثنا يحيى بن يحيى. قال: حدّثنا عثمان بن مطر الشيبانى، عن ثابت عن أنس: أنّ رسول الله ﷺ، قال: «بأنّ الله سبحانه وكّل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا مات، قال الملكان اللّذان وكّلا به يكتبان عمله: قد مات فلان، فيأذن الله عز وجل لنا[1]، فنصعد إلى السماء، فيقول الله سبحانه: سمائى مملوءة من ملائكتى يسبِّحون، فيقولان: نقيم فى الأرض. فيقول الله سبحانه: أرضى مملوءة من خلقى يسبِّحون. . فيقولان: فأين؟ فيقول: قوما على قبر عبدى. فكبّرانى، وهللانى، واكتبا ذلك لعبدى ليوم القيامة».

﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ يتكلّم. ﴿مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾ عنده ﴿رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر، وهو بمعنى المعتد من قوله: ﴿أَعْتَدْنَا﴾ والعرب تعاقب بين (التاء) و(الذال) لقرب مخرجهما، فيقول: أعتدت، وأعذدت، وهرذ، وهرت، وكبذ، وكبت، ونحوهما، قال الشاعر:

لئن كنت منى فى العيان مغيبًا فذكرك عندى فى الفؤاد عتيد

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أى وجاءت سكرة الحقّ بالموت؛ لأنّ السكرة هى الحقّ، فأضيفت إلى نفسه لاختلاف الاسمين، وقيل: الحقّ هو الله عزّ وجلّ، مجازه وجاء سكرة

(١) فى الهامش: فتأذن لنا.

أمر الله بالموت. أنبأني عقيل، قال: أخبرنا المعافى، قال: أخبرنا جويبر. قال: حدّثنا ابن المثنى، قال: حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا شعبة، عن واصل، عن أبي وائل قال: لما كان أبو بكر يقضي، قالت عائشة:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر: يا بنية لا هو لي، ولكنّه كما قال الله سبحانه: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ أي تكره، عن ابن عبّاس، وقال الحسن: تهرب. الضحّاك: تروغ. عطاء الخراساني: تميل. مقاتل بن حيان: تنكص.

وأصل الحيد الميل، يقال: حدت عن الشيء أحيد حيدًا، ومحيدًا إذا ملت عنه. قال طرفة:

أبا منذر رمت الوفاء فهبته وحدت كما حاد البعير عن الدحض

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ يعني نفخة البعث. ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ الذي وعده الله سبحانه للكفّار يلعنهم فيه. ﴿وَجَآءَتۡ﴾ ذلك اليوم ﴿كُلُّ نَفۡسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ يسوقها إلى المحشر ﴿وَشَهِيدٌ﴾ شهد عليه بما عملت في الدّنيا من خير أو شرّ. وروى أنّ عثمان بن عفّان خطب، وقرأ هذه الآية، فقال: السائق يسوقها إلى الله سبحانه، والشاهد يشهد عليه بما عملت، وقال الضحّاك: السائق الملائكة، والشاهد من أنفسهم الأيدي، والأرجل. وهي رواية العوفي عن ابن عبّاس، وقال أبو هريرة: السائق الملك، والشهيد العمل، وقال الباقون: هما جميعًا من الملائكة، فيقول الله سبحانه لها: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٍ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ ورفعنا عنك عماك، وخلّينا عنك سترك، حتّى عاينته. ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٌ﴾ قوي، نافذ، ثابت، ترى ما كان محجوبًا عنك. وروى عبد الوهاب، عن مجاهد، عن أبيه ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٌ﴾ قال: نظرك إليّ لبيان ميزانك حين توزن حسناتك، وسيّئاتك.

وقيل: أراد بالبصر العلم، علمَ حين لم ينفعه العلم، وأبصر حين لم ينفعه البصر. وقرأ عاصم الجحدري ﴿لَّقَدۡ كُنتَ﴾ بكسر (التاء)، وبكسر (الكاف)، رد الكتابة إلى النفس.



﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ۝٢٧ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ۝٢٨

مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الملك الموكّل به ﴿هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ معد محفوظ محضر، قال مجاهد: هذا الذى وكّلنى به من بنى آدم، قد أحضرته، وأحضرت ديوان أعماله، فيقول الله سبحانه لقرينه: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ قال الخليل، والأخفش: هذا كلام العرب الصحيح أن يخاطب الواحد بلفظ الاثنين، وهو جيد حسن، فيقول: ويلك ارحلاها، وازجراها، وخذاه وأطلقاه للواحد. قال الفراء: وأصل ذلك إذا دنا أعوان الرجل فى إبله، وغنمه، وبقره، اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم للواحد فى الشعر: خليلى (ثم يقول: يا صاح). قال امرؤ القيس:

خليلى مُرَّا بى على أُمّ جندب	نقض لبانات الفؤاد المعـذّب

وقال:

❖ قفا نبك عن ذكرى حبيب ومنزل ❖

وقال:

❖ قفا نبك من ذكرى حبيب وعروان ❖

قال الآخر:

فقلت لصاحبى لا تعجلانا	بنزع أصـوله واجتز شيحا

وأنشد أبو ثروان:

فإن تزجرنى يا ابن عفان أنزجر	وإن تدعـانى أحم عرْضًا ممنعا

وقيل: يشبه أن يكون عنى به تكرار القول فيه، فكأنّه يقول: ألق ألَق، فناب ألقيا مناب التكرار، ويجوز أن تكون ألقيا تثنية على الحقيقة، ويكون الخطاب للمتلقيين معًا أو السائق والشاهد جميعًا، وقرأ الحسن (ألقينْ) بنون التأكيد الخفيفة، كقوله: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾ (يوسف: ٢٣) ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ عاص معرض عن الحقّ، قال مجاهد وعكرمة: مجانب للحق معاند لله.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أى للزكاة المفروضة، وكلّ حقّ واجب فى ماله.

﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم. ﴿مُّرِيبٍ﴾ مشكّك، وقال قتادة: شاك ومعناه: أنّه داخل فى الريب ﴿الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ النار، وقيل: نزلت فى الوليد بن المغيرة، فأراد بقوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أنّه كان يمنع بنى أخيه عن الإسلام، ويقول: لئن دخل أحدكم فى دين محمّد لا أنفعه بخير ما عشت.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعنى الشيطان الذى قُيّض لهذا الكافر العنيد ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ ما أضللته، وما أغويته.

وقال القرظى: ما أكرهته على الطغيان. ﴿وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ فتبرأ شيطانه عنه، وقال ابن عبّاس، ومقاتل: قال قرينه يعنى الملك، وذلك أنّ الوليد بن المغيرة يقول للملك الذى كان يكتب السيئات: ربّ إنّه أعجلنى، فيقول الملك ربّنا ما أطغيته، ما أعجلته، وقال سعيد بن جبير: يقول الكافر: ربِّ إن الملك زاد علىَّ فى الكتابة، فيقول الملك: ربّنا ما أطغيته، يعنى ما زدت عليه، وما كتبت إلاَّ ما قال وعمل، فحينئذ يقول الله سبحانه: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ فقد قضيت ما أنا قاض. ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ فى القرآن حذّرتكم وأنذرتكم، فلا تبديل لقولى[1] ولوعيدى. قال ابن عبّاس: إنّهم اعتذروا بغير عذر، فأبطل الله حجّتهم، ورد عليهم قولهم ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩)، وقال الفرّاء: معناه ما يكذب عندى لعلمى بالغيب ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأعاقبهم[2] بغير جرم أو أجزى بالحسن سيّئًا. ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ قرأ قتادة، والأعرج، وشيبة، ونافع ﴿نَقُولُ﴾ (بالتاء)، ومثله روى أبو بكر عن عاصم، اعتبارًا بقوله، قال: لا تختصموا لدىّ، وقرأ الحسن يوم (يقال) وقرأ الباقون ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ (بالنون) ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ لما سبق من وعده إيّاها أنّه يملؤها ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩) وهذا السؤال منه على طريق التصديق بخبره، والتحقيق لوعده والتقريع لأهل عذابه، والتنبيه لجميع عباده. ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ يحتمل أن يكون جحدًا مجازه ما من مزيد، ويحتمل أن يكون استفهامًا، بمعنى هل من مزيد، فأزاده وإنّما صلح ﴿هَلْ﴾ للوجهين جميعًا، لأنّ فى الاستفهام ضربًا من الجحد، وطرفًا من النفى، قال ابن عبّاس: إنّ الله سبحانه وتعالى، قد سبقت كلمته ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩) فلمّا بعث للنّاس، وسبق أعداء الله إلى النار زمرًا، جعلوا يقحمون

(١) فى المخطوط: «هو لى» وهو تحريف.

(٢) فى المخطوط: «فأعقبهم». وهو تحريف.

فى جهنّم فوجًا فوجًا، لا يلقى فى جهنّم شىء إلاّ ذهب فيها، ولا يملؤها شىء.

فقالت: ألست قد أقمت لتملأنى؟ فوضع قدمه عليها، ثمّ يقول لها: هل امتلأت؟ فتقول: قط قط، قد امتلأت، فليس من مزيد. قال ابن عبّاس: ولم يكن يملؤها شىء حتّى مس قدم الله فتضايقت فما فيها موضع إبرة، ودليل هذا التأويل ما أنبأنى عقيل، قال: أخبرنا المعافى، قال: أخبرنا ابن جرير، قال: حدّثنا بشر، قال: حدّثنا يزيد، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنّم يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتّى يضع ربّ العالمين فيها قدمه، فتتزاوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزّتك، وكرمك، ولا يزال فى الجنّة فضل حتّى ينشئ الله سبحانه لها خلقًا، فيسكنهم فضل الجنّة».

وأخبرنا ابن حمدون قال: أخبرنا ابن الشرقى قال: حدّثنا محمّد بن يحيى، وعبد الرّحمن ابن بشر، وأحمد بن يوسف، قالوا: حدّثنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدّثنا أبو هريرة، عن محمّد رسول الله ﷺ قال: «تحاجت الجنّة والنّار، فقالت النّار: أُوثرت بالمتكبّرين والمتجبّرين، وقالت الجنّة: فما لى لا يدخلنى إلاّ ضعفاء الناس وسقطهم؟ فقال الله سبحانه للجنّة: إنّما أنت رحمتى، أرحم بك من أشاء من عبادى، وقال للنّار: إنّما أنت عذابى، أُعذّب بك من أشاء من عبادى، ولكلّ واحدة منكما ملؤها، فأمّا النار، فإنّهم يلقون فيها وتقول: هل من مزيد؟ فلا تمتلئ حتّى يضع الله سبحانه وتعالى فيها رجله فتقول: قط قط، فهناك تمتلأ وتزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأمّا الجنّة، فإنّ الله عزّ وجلّ ينشئ لها خلقًا».

قلت: هذان الحديثان فى ذكر القدم، والرجل، صحيحان مشهوران، ولهما طرق من حديث أبى هريرة، وأنس، تركتُ ذكرهما كراهة الإطالة، ومعنى القدم المذكور فى هذا الحديث المأثور قوم يقدمهم الله إلى جهنّم، ملؤها بهم، قد سبق فى علمه أنّهم صائرون إليها وخالدون فيها، وقال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن معنى هذا الحديث، فقال: هم قوم قدمهم الله للنار، وقال عبد الرّحمن بن المبارك: هم مَن قد سبق فى علمه أنّه من أهل النّار. وكلّ ما يقدم، فهو قدم. قال الله سبحانه: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (يونس: ٢) يعنى أعمال صالحة قدّموها، وقال الشاعر يذمّ رجلا:

قعدت به قدم الفجار وغودرت وعود ربّ أسبابه من فتنة من خالق

يعنى ليس له ما يفتخر بهم.

على أنّ الأوزاعى روى هذا الحديث عن حسّان بن عطية، حتى يضع الجبّار قدمه بكسر

القاف، وكذلك روى وهب بن منبه، وقال: إنّ الله سبحانه كان قد خلق قومًا قبل آدم، يقال لهم: القدم، رؤوسهم كرؤوس الكلاب والذباب، وسائر أعضائهم كأعضاء بنى آدم، فعصوا ربّهم، وأهلكهم الله، يملأ الله بهم جهنّم حين تستزيد. وأمّا الرِّجل فهو العدد الكبير من الناس وغيرهم.

يقال: رأيت رجلاً من الناس، ومرّ بنا رجل من جياد، وقال الأصمعى: سمعت بعض الأعراب يقول: ما هلك على رِجل نبىّ من الأنبياء ما هلك على رِجل موسى، يعنى القبط، وقال الشاعر:

فمرّ بنا رِجل من النّاس وانزوى ... إليهم من الحىّ اليمانين أرجل

قبائل من لخم وحمير ... على ابنى نزار بالعداوة أحفل

ويصدق هذا التأويل قوله ﷺ فى سياق الحديث: «ولا يظلم الله من خلقه أحدًا»، فدلّ أنّ الموضوع الملقى فى النّار خلق من خلقه، وقال بعضهم: أراد قَدم بعض ملائكته ورجله، وأضاف إليه كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢). والله أعلم. ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ وأدنيت ﴿ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ حتّى يروها قبل أن يدخلوها. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم وهو تأكيد، ويقال لهم: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ فى الدنيا على ألسنة الأنبياء.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ توّاب، عن الضحّاك. وقيل: رجّاع إلى الطاعة عن ابن زيد، وقال ابن عبّاس وعطاء: الأوّاب المسبِّح من قوله سبحانه: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ (سبأ: ١٠). الحكم بن عيينة: هو الذاكر لله فى الخلاء. الشعبى ومجاهد: الذى يذكر ذنوبه[1] فى الخلاء، فيستغفر منها. قتادة: المصلّى. مقاتل بن حيان: المطيع. عبيد بن عسر: هو الذى لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله تعالى. أبو بكر الورّاق: المتوكّل على الله سبحانه فى السراء والضراء لا يهتدى إلى غير الله. المحاسنى: هو الراجع بقلبه إلى ربّه. القاسم: هو الذى لا ينشغل إلاّ بالله.

﴿حَفِيظٍ﴾ قال ابن عبّاس: هو الذى حفظ ذنوبه[1] حتّى يرجع عنها. قتادة: حفيظ لما استودعه الله سبحانه من حقّه ونعمته. وعن ابن عبّاس أيضًا: الحافظ لأمر الله. الضحّاك: المحافظ على نفسه المتعهّد لها. عطاء: هو الذى يذكر الله فى الأرض القفر. الشعبى: هو المراقب. أبو بكر الورّاق: الحافظ لأوقاته وهماته وخطواته. سهل: المحافظ على الطاعات والأوامر. ﴿مَّنْ خَشِىَ﴾ فى محلّ مَن وجهان من الإعراب: الخفض على نعت الأوّاب، والرفع

(١) فى المخطوط: «ديوته» وهو تحريف.

على الاستئناف، وخبره فى قوله ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾، ومعنى الآية من خاف ﴿ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ولم يره، وقال الضحّاك والسدّى: يعنى فى الخلاء حيث لا أحد، وقال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب.

﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ مقبل إلى طاعة الله. قال أبو بكر الورّاق: علامة المنيب أن يكون عارفًا لحرمته، مواليًا له، متواضعًا لجلاله تاركًا لهوى نفسه. ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾ أى يقال لأهل هذه الصفة: ﴿بِسَلَٰمٍۖ﴾ بسلامة من العذاب وسلام الله وملائكته عليهم، وقيل: السلامة من زوال النعيم وحلول النقم.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ يعنى الزيادة لهم فى النعم ممّا لم يخطر ببالهم، وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى بلا كيف.



﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ۝٣٧ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ۝٣٨ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ۝٤٤ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ قال ابن عبّاس: أثروا. مجاهد: ضربوا. الضحّاك: طافوا. النضر بن شميل: دوحوا. الفرّاء: خرقوا. المؤرج: تباعدوا. ومنه قول امرئ القيس:

لقد نقّبت فى الآفاق حتّى رضيت من الغنيمة بالإياب

وقرأ الحسن فنقبوا بفتح القاف مخفّفة. وقرأ السلمى ويحيى بن معمر بكسر القاف مشدّدًا على التهديد والوعيد أى طوّفوا فى البلاد، وسيروا فى الأرض، فانظروا ﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ من الموت وأمر الله سبحانه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أى فى القرى التى أهلكت والعبر التى ذكرت ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ التذكرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أى عقل، فكنّى عن العقل بالقلب لأنّه موضعه ومتبعه. قال قتادة: لمن كان له قلب حىّ، نظيره ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ (يس: ٧٠)، وقال الشبلى: قلب حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين، وقال يحيى بن معاذ: القلب قلبان: قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الآخرة لم يدر ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا. وقلب قد احتشى بأهوال الآخرة، حتّى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه فى الآخرة. وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول: سألت أبا الحسن على بن عبد الرّحمن العبّاد عن هذه الآية، فقال: معناها إنّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب مستقرّ لا يتقلّب عن الله فى السراء والضراء.

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أى استمع القرآن، يقول العرب: ألق إلىّ سمعك أى استمعْ، وقال الحسين ابن الفضل: يعنى وجه سامعه وحولها إلى الذكر كما يقال اتبعى إليه.

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أى حاضر القلب، وقال قتادة: وهو شاهد على ما يقرأ ويسمع فى كتاب الله سبحانه من حبّ محمّد ﷺ وذكره. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ إعياء وتعب.

نزلت فى اليهود حيث قالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله تعالى من الخلق فى هذه الأيّام الستّة؟

فقال ﷺ: «خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسموات والملائكة يوم الخميس، إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة وخلق فى أوّل الثلاث ساعات الآجال، وفى الثانية الآفة، وفى الثالثة آدم».

قال: قالوا: صدقت إن أتممت. فقال: وما ذاك؟ فقالوا: ثمّ استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من كذبهم فإنّ الله سبحانه لهم بالمرصاد، وهذا قبل الأمر بقتالهم[1]، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يعنى قل: سبحان الله والحمد لله. عن عطاء الخراسانى، وقال الآخرون: وصلّ بأمر ربّك وتوفيقه، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعنى صلاة الصبح، ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ صلاة العصر، وروى عن ابن عباس، ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ يعني صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: يعنى صلاة العشاءين، وقال مجاهد: من الليل كلّه، يعنى: صلاة الليل، فى أى وقت صلّ، ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وأبو هريرة والحسن

(١) فى المخطوط: ففيالهم. وهو تحريف.

ابن على والحسن البصرى والنخعى والشعبى والأوزاعى: أدبار السجود: الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم: الركعتان قبل الفجر، وهى رواية العوفى عن ابن عباس، وقد روى عنه مرفوعًا أخبرنيه عقيل قال: أخبرنا المعافى، قال حدثنا ابن جرير، قال: حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن فضيل عن رشيد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس قال: قال لى النبى ﷺ: «يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب أدبار السجود».

وقال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبت صلاته فى عليّين، قال أنس: يقرأ فى الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وفى الأخرى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

قال مقاتل: وقتهما ما لم يغب الشفق، وقال مجاهد: هو التسبيح باللسان فى أدبار الصلوات المكتوبات، ورواه عن ابن عباس. وقال ابن زيد: هو النوافل أدبار المكتوبات.

واختلف القرّاء فى قوله: ﴿وَأَدْبَـٰرَ﴾، فقرأ الحسن والأعرج وخارجة وأبو عمر ويعقوب وعاصم والكسائى: بفتح الألف، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، وقرأ الآخرون: بالكسر، وهى قراءة علىّ وابن عباس.

وقال بعض العلماء فى قوله سبحانه: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ قال: ركعتى الفجر، ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ قال: الركعتين قبل المغرب.

روى عمارة بن زاذان عن ثمامة بن عبد الله عن أنس بن مالك قال: كان ذوو الألباب من أصحاب محمد ﷺ يصلون الركعتين قبل المغرب.

وروى شعبة عن يزيد بن جبير عن خالد بن معدان عن رغبان مولى حبيب بن مسلمة قال: رأيت أصحاب النبى ﷺ يهبّون إليها كما يهبّون إلى المكتوبة ـ يعنى الركعتين قبل المغرب.

وقال قتادة: ما أدركت أحدًا يصلّى الركعتين قبل المغرب إلاّ أنسًا وأبا برزة.

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يا محمد صيحة القيامة ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ إسرافيل عليه السلام تأتيه العظام البالية والأوصال[١] المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة: إن الله (يأمركن) أن تجتمعن بفصل القضاء. ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ صخرة بيت المقدس، وهى وسط الأرض[٢] وأقرب الأرض إلى

---

(١) تكررت هذه الكلمة فى المخطوط.

(٢) أثبت العلم أن مكة هى مركز الأرض وصار هذا الأمر أمرًا مسلمًا به بين علماء علوم الأرض يقر بذلك المسلم وغير المسلم منهم، وذهب البعض إلى أنه يصلح أن يكون تفسيرًا لقول الله تعالى: ﴿أمة وسطًا﴾ فقالوا حتى فى المكان وقوله: ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ لكونها فى مركز الأرض. والله تعالى أعلم.

السماء بثمانية عشر ميلا، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهى النفخة الأخيرة، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ۝ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ جمع سريع، وهو نصب على الحال، مجازه: فيخرجون سراعًا، ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ۝ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ : بمسلط قهّار يجبرهم على الإسلام، إنما بعثت مذكّرًا مجددًا.

قال ثعلب: قد جاءت أحرف فعّال بمعنى مفعل وهى شاذة، جبّار بمعنى مُجْبر، ودرّاك بمعنى مدرك، وسرّاع بمعنى مسرع، وبكّاء بمعنى مبك، وعدّاء بمعنى معد، وقد قرئ: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ (غافر:٢٩) بمعنى المرشد، وسمعت أبا منصور الجمشاذى يقول: سمعت أبا حامد الجازرنجى يقول: (العون) سيفٌ سقّاط، بمعنى مُسْقط.

وقال بعضهم: الجبّار من قولهم جَبَرْتُه على الأمر بمعنى أجبرته، وهى لغة كنانة وهما لغتان.

وقال الفرّاء: وضع الجبّار فى موضع السلطان من الجبرية. قال: وأنشدنى المفضّل:

ويوم الحزن إذ حشدت مَعدٌّ وكــان الناس إلا نحن دينا
عصتنا عزمـة الجبّار حتى صبحنا الجـوف ألفًا معلمينا

قال: أراد بالجبّار المنذر بن النعمان لولايته.

﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمّد ﴿بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ قال ابن عباس: قالوا يا رسول الله لو خوّفتنا؟ فنزلت ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ .



سورة الذاريات

[مكية، وهى ألف ومائتان وسبعة وثمانون حرفًا،
وثلاثمائة وستون كلمة، وستون آية] [(١)]

أخبرنى نافل بن راقم بن أحمد بن عبد الجبار الناجى قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد البلخى قال: حدثنا عمرو بن محمد قال: حدثنا أسباط بن اليسع قال: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمى قال: حدثنا نوح بن أبى مريم عن على بن زيد عن خنيس عن أُبى قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والذاريات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾

(١) ما بين المعقوفين زيادة من القرآن الكريم من عنوان سورة الذاريات وقد سقط من الناسخ تصدير السورة على حسب ما هو معتاد عليه المؤلف، أو قد يكون سها عنها المؤلف فالله أعلم.

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ الرياح التى تذرو التراب ؛ يقال ذرت الريح التراب وأذرته .

أخبرنا ابن فنجويه قال : حدثنا ابن ماجه قال : حدثنا الحسن بن أيوب ، قال : حدثنا عبد الله ابن أبى زياد قال : حدثنا سيار بن حاتم قال : حدثنا أيوب بن خوط قال : حدثنا الأعرج قال : بلغنا أن مساكن الرياح تحت أجنحة الكروبيين حملة الكرسى ، فتهيج من ثم فتقع بعجلة الشمس ، ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برؤوس الجبال ، ثم تهيج من رؤوس الجبال فتقع فى البر . فأما الشمال فإنها تمر بجنة عدن ، فتأخذ من عرق طيبها فتمر على أرواح الصديقين ثم تأخذ حدها من كرسى بنات نعش إلى مغرب الشمس ، ويأتى الدبور حدها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل ، ويأتى الجنوب حدها من مطلع سهيل ، ويأتى الصبا حدها من مطلع الشمس إلى كرسى بنات نعش ، فلا تدخل هذه فى حد هذه ، ولا هذه فى حد هذه .

أخبرنى الحسن قال : حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال : حدثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ، قال : حدثنا الحكم سليمان ، قال : حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن الحارث عن على رضى الله عنه ، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ الرياح ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ السحاب يحمل ثقلاً من الماء ، ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ السفن تجرى فى الماء جريًا سهلاً ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ : هى الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به . أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعته وقدرته .

ثم ذكر المُقْسَم عليه فقال : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أى من الثواب والعقاب لصادق ﴿لَصَادِقٞ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ أى الحساب والأمر ﴿لَوَٰقِعٞ﴾ أى كائن .

ثم ابتدأ قسمًا آخر بقوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ قال ابن عباس وقتادة والربيع : ذات الخلق الحسن المستوى وإليه ذهب عكرمة قال : ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه قيل : ما أحسن حُبُكه ؟!

وقال سعيد بن جبير : ذات زينة . وقال الحسن : حُبكت بالنجوم .

وقال مجاهد : هو المتقن البنيان . وقال الضحاك : ذات الطرائق ، وكلها تبعد من العباد فلا يرونها . قال ومنه : حُبُك الرمل والماء إذا ضربها الريح ، وحُبُك الشعر الجعد والدرع ، وهو جمع حباك ، وحبيكة ، قال الراجز :

كأنما جللها الحوّاك طنفسة فى وشيها حبَاك

ومنه الحديث فى صفة الدجال : «رأسه حُبُكٌ حَبُكٌ» يعنى الجعود ، وقال ابن زيد : ذات الشدّة ، وقرأ قوله تعالى : ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا﴾ (النبأ : ١٢) وقال عبد الله بن عمرو : هى

السماء السابعة.

﴿إِنَّكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: فى القرآن ومحمد عليه السلام، فمن مصدق ومكذب، ومقر، ومنكر، وقيل: نزلت فى المقتسمين.

﴿يُؤْفَكُ﴾: يصرف ﴿عَنْهُ﴾: أى عن الإيمان بهما ﴿مَنْ أُفِكَ﴾: صرف، فنجويه. وقيل: يصرف عن هذا القول أى من أجله وسببه عن الإيمان من صرف، وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون له إنه ساحر، وكاهن، ومجنون فيصرفونه عن الإيمان، وهذا معنى قول مجاهد.

وقد يكون (عن) بمعنى (أجل)، أنشد القتيبى:

عن ذات أوليـــة أساود ربها وكأن لون الملح فوق شفارها

أى من أجل ناقة ذات أولية.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ﴾: لعن ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾: الكذّابون.

وقال ابن عباس: المرتابون، وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب الله واقتسموا القول فى النبى ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام.

وقال مجاهد: هم الكهنة.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: شبهة وغفلة ﴿سَاهُونَ﴾: لاهون.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾: متى يوم القيامة استهزاء منهم بذلك وتكذيبًا.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ﴾: أى ويكون هذا الجزاء فى يوم هم.

﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: أى يعذبون، ويحرقون وينضجون بالنار كما يفتن الذهب بالنار. ومجاز لفظه: ﴿عَلَى﴾ ها هنا أنهم يوقفون على النار. وقيل: هو بمعنى الباء، فتقول لهم الخزنة.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا﴾: ولم يقل هذه لأن الفتنة ههنا بمعنى العذاب، فرد الإشارة إلى المعنى ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: من الثواب وأنواع الكرامات.

وقال سعيد بن جبير: يعنى آخذين بما أمرهم ربهم عاملين بالفرائض التى أوجبها عليهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾: قبل دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾: فى الدنيا، وقيل: قبل نزول الفرائض محسنين فى أعمالهم.

﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ : اختلف العلماء في حكم: (ما) فجعله بعضهم جحدًا، فقال: تمام الكلام عند قوله: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا﴾ أي كانوا قليلاً من الناس ثم ابتدأ ﴿مَا يَهۡجَعُونَ﴾ أي لا ينامون بالليل بل يقومون للصلاة، والعبادة، وجعله بعضهم بمعنى الذى، والكلام متصل بعضه ببعض، ومعناه كانوا قليلاً من الليل الذى يهجعون، أي كانوا قليلاً من هجوعهم لأن «ما» إذا اتصل بها الفعل صار في تأويل المصدر كقوله ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ (النمل: ٥٢) أي بظلمهم، وجعله بعضهم صلة، أي كانوا قليلا من الليل يهجعون.

قال محمد بن علي: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة، وقال أنس بن مالك: يصلون ما بين المغرب والعشاء، وقال مُطرف: قل ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله تعالى إما من أولها، وإما من وسطها، وقال الحسن: لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السَّحر.

﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ : قال ابن عباس، وسعيد بن المسيب: ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يسأل الناس، ﴿ٱلۡمَحۡرُومِ﴾ المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.

قال قتادة والزهري: ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ : الذي يسألك ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ : والمتعفف الذي لا يسألك. وقال إبراهيم: هو الذي لا سهم له في الغنيمة، يدل عليه ما روى سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسين بن محمد أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاء قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية. وقال عكرمة: ﴿ٱلۡمَحۡرُومِ﴾ الذي لا ينمى له مال. وقال زيد بن أسلم: هو المصاب بثمره أو زرعه، أو نسل ماشيته.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد بن علي بن الحسن الصوفي أخبرنا الحسن ابن علي الفارسي أخبرنا عمرو بن محمد الناقد أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن مسلم الطائفي عن أيوب بن موسى عن محمد بن كعب القرظي قال: ﴿ٱلۡمَحۡرُومِ﴾ صاحب الحاجة، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ۝ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ (الواقعة: ٦٦، ٦٧) نظيره في قصة. . .[1]: ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ (القلم: ٢٧)، وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عمر بن أحمد بن القاسم أخبرنا محمد بن أيوب أخبرنا القاسم أخبرنا محمد بن أيوب أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة أخبرنا غندر عن شعبة عن عاصم - يعني الأحول - عن أبي قلابة قال: كان رجل من أهل اليمامة له مال فجاء سيل، فذهب بماله، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: هذا المحروم. فاقْسموا له.

وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم؟ لقد سألت عن المحَروم منذ سبعين سنة فما أنا اليوم بأعلم من يومئذ.

(١) كلمة ممحوة والعبارة كلها من الهامش.

وأصله فى اللغة الممنوع من الحرمان، وهو المنع.

أخبرنا أبو سهل عبد الملك بن محمد ابن أحمد بن حبيب المقرى أخبرنا أبو بكر أحمد بن موسى أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد أخبرنا على ابن عثمان النفيلى الحرانى أخبرنا على ابن عياش الحمصى أخبرنا سعيد بن عمارة وابن صفوان الكلاعى عن الحارث بن النعمان ابن أخت سعيد بن جبير قال: سمعت أنس بن مالك يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا أنس ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون يا ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم» قال: «فيقول: وعزتى لأقربنّكم ولأبعدنّهم».

قال: وتلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾: عبر وعظات إذا ساروا فيها ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: آيات أيضًا ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾:

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن جعفر بن الطيب الكلماباذى بقراءتى عليه أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص أخبرنا السرى ابن خزيمة الأبيوردى أخبرنا أبو نعيم عن سفيان عن ابن جريج عن محمد بن المرتفع عن أبى الزبير: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال: سبيل الغائط، والبول، وقال ابن شريك: تأكل وتشرب من مكان واحد، وتخرج من مكانين، ولو شرب لبنا محضًا خرج ماء فتلك الآية فى النفس.

وقال أبو بكر الوراق: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعنى فى تحويل الحالات، وضعف القوة، وقهر المنة وعجز الأركاب وفسخ الصريمة، ونقض العزيمة، ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه وضع رزقك حيث لا يأكله السوس، ولا يناله اللصوص، فقال عز من قائل: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾: يعنى المطر والثلج اللذين بهما تخرج الأرض النبات الذى هو سبب الأقوات.

وقال بعض أهل المعانى: معناه، وفى المطر والنبات سبب رزقكم فسمى المطر سماء لأنه عن السماء نزل، قال الشاعر:

إذا سقط السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

وقال ابن كيسان: يعنى على رب السماء رزقكم ﴿فِى﴾ بمعنى على كقوله: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ (طه: ٧١)، وذكر الرب مختصرًا كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢) نظيره قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾(هود: ٦).

أخبرنا عقيل بن محمد أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا ابن حميد أخبرنا هارون بن المغيرة - من أهل الرى عن سفيان قال: قرأ واصل الأحدب هذه الآية: ﴿وَفِى

﴿ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال: ألا أرى رزقى فى السماء، وأنا أطلبه فى الأرض. فدخل خربة فمكث ثلاثًا لا يصيب شيئًا، فلما كان فى اليوم الثالث إذا هو بدَوْخَلَة من رطب، وكان له أَخ أحسن نِيَّة منه فدخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دَأبهما حتى فرق بينهما الموت.

وأخبرنا الحسين بن فنجويه أخبرنا ابن حبيش[1] المقرى أخبرنا ابن مجاهد أخبرنا إبراهيم بن هاشم البغوى أخبرنا ابن أبى بزة أخبرنا حسن بن محمد بن عبيد الله عن أبى يزيد عن شبل[2] ابن عباد عن ابن محيصن أنه قرأ: (وفى السماء رازقكم وما توعدون) بالألف يعنى الله.

قال مجاهد: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: من خير وشر، وقال الضحاك: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة والنار.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا المسيب بن شريك قال: قال أبو بكر بن عبد الله: سمعت ابن سيرين يقول: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: الساعة.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ﴾: يعنى الذى ذكرت من أمر الرزق ﴿لَحَقٌّ مِّثْلَ﴾: بالرفع قرأه أهل الكوفة إلاّ حفصًا بدلاً من الحق. وقرأ غيرهم بالنصب أى كمثل.

﴿مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾: فتقولون: لا إله إلا الله، وقيل: كما أنكم ذوو منطق خصصتم بالقوة الناطقة العاقلة فتتكلمون، فهذا حق كما حق أن الآدمى ناطق، وقال بعض الحكماء: يعنى أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له، ولا يقدر على أن يأكل رزق غيره، وقال الحسن فى هذه الآية: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه».

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب أخبرنا أبو الحسن الكارزى وأبو الطيب الخياط، وأبو محمد يحيى بن منصور الحاكم واللفظ له قالوا: أخبرنا أبو رجاء محمد ابن أحمد القاضى أخبرنا أبو الفضل العباسى بن الفرج الرياشى البصرى قال سمعت الأصمعى يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع فى البصرة فبينا أنا فى بعض سككها، إذ طلع أعرابى جلف جاف على قعود له متقلد سيفه وبيده قوس، فدنا وسلم، وقال لى: ممن الرجل؟ قلت: من بنى الأصمع. قال: أنت الأصمعى؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من

(١) فى هامش المخطوط: «حبش».
(٢) فى هامش المخطوط: «شباب».

موضع يُتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟

قلت: نعم. قال: اقرأ عليّ شيئًا منه. فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل، وابتدأت بسورة والذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. قال: يا أصمعى، هذا كلام الرحمن؟ قلت: إى والذى بعث محمداً ﷺ بالحق إنه لكلامه الذى أنزله على نبيه محمد ﷺ. فقال لى: حسبك. ثم قام إلى ناقته فنحرها، وقطعها بجلدها. وقال: أعنى على توزيعها؛ ففرقها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى قوسه وسيفه فكسرهما، وجعلهما تحت الرمل، وولى مدبراً نحو البادية، وهو يقول: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

وأقبلت على نفسى باللوم وقلت: لم تنتبهى لما انتبه له الأعرابى. فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة فبينا أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بى هاتف بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابى قد نحل مُصْفَارٌ فسلم عليَّ وأخذ بيدى وأجلسنى وراء المقام. وقال لى: اتل كلام الرحمن. فأخذت فى سورة والذاريات، فلما انتهيت إلى قوله: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ صاح الأعرابى فقال: وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا. قال: وهل غير هذا. قلت: نعم يقول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾. فصاح الأعرابى، وقال: يا سبحان الله، من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يُصَدِّقُوهُ بقوله حتى ألجؤوه إلى اليمين، قالها ثلاثًا، وخرجت فيها نفسه[١].

وأخبرنى ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد ابن شنبه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا أبو حاتم أخبرنا شبابة أخبرنا صدقة أخبرنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد: أن رجلا جاع فى مكان ليس فيه شىء، فقال: اللهم رزقك الذى وعدتنى فائتنى به، قال: فشبع، وروى من غير طعام ولا شراب.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن القاسم الخطيب أخبرنا إسماعيل بن العباس بن محمد الوراق أخبرنا الحسن بن سعيد أبو محمد المخزومى أخبرنا على بن يزيد الصُّدائى أخبرنا فضيل ابن مرزوق عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخُدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم فرَّ من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت» وأنشد فى معناه:

الرزق فى القُرب وفى البعد ... أطلب للعبد من العبد
لو قصر الطالب فى سعيه ... أتاه ما قُدِّرَ فى قصد

---

(١) هذه قصة من قصص صرعى العشق الإلهى ومعظمها إن لم يكن كلها قصص لا حقيقة لها أو مبالغ فيها. والله أعلم.

وقال دعبل:

أسعى لأطلب رزقى وهو يطلبنى والرزق أكثر لى منى له طلبًا

❖ ❖ ❖

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾: يا محمد ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: اختلفوا فى عددهم: فقال ابن عباس، ومقاتل: كانوا اثنى عشر ملكًا. وقال محمد بن كعب: كان جبريل معه سبعة. وقال عطاء، وجماعة: كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: قال ابن عباس: سَمَّاهم المكرمين لأنهم كانوا غير مدعوين.

أخبرنا محمد بن القاسم بن أحمد الفقيه، حدثنى عبد الله بن أحمد الشعرانى، أخبرنا عبد الواحد بن سعيد الأرغيانى قال سمعت محمد بن عبد الوهاب يقول: قال لى على بن غنائم: عندى هريسة ما رأيك فيها؟ قلت: ما أحسن رأيى فيها. قال: امضِ فدخل الدار فجعل ينادى يا غلام يا غلام، والغلام غائب. فأدخلنى بيتًا فجلست فيه ما راعنى إلاّ به معه القُمقُمَةُ والطست، وعلى عاتقه المنديل. فقلت: إنا لله يا أبا الحسن، لو علمت أن الأمر عندك

هكذا ما دخلت. قال: هون عليك، حدثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾، قال: خدمته إيّاهم بنفسه. فقال عبد العزيز بن يحيى الكتاني: كانوا مُكرمين عند الله تعالى؛ نظيره في سورة الأنبياء عليهم السلام: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦).

وقال أبو بكر الوراق، وابن عطاء: سماهم مكرمين لأن أضياف الكرام مُكرمون، وكان إبراهيم عليه السلام أكرم الخليقة وأطهرهم فتوة.

﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ﴾: أي أنتم قوم ﴿مُّنكَرُونَ﴾: غرباء لا نعرفكم. وقيل إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلاَمهم في ذلك الزمان وفي تلك البلاد.

﴿فَرَاغَ﴾: فعدل ومال إبراهيم ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾: قال الفراء: لا ينطق بالرُّعْب[1] حتى يكون صاحبه مخفيًا لذهابه ومجيئه ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾: قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾: أي في صيحة، ولم يكن ذلك بإقبال من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي.

﴿فَصَكَّتۡ﴾: قال ابن عباس: لطمت.

﴿وَجۡهَهَا﴾ وقال الآخرون: ضربت بيدها على جبهتها تعجبًا كعادة النساء إذا أنكرن شيئًا أو تعجبن منه، وأصل الصك الضرب ﴿وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾: مجازه: أتلد عجوز عقيم.

وكانت سارة لم تلد قبل ذلك، وكانت بين البشارة والولادة سنة، فولدت سارة وهي بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم يومئذ ابن مائة سنة.

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدوس إملاءً أخبرنا أبو سهل القطان ببغداد أخبرنا يحيى بن جعفر أخبرنا يزيد بن هارون.

(ح)[2] وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن يوسف أخبرنا يوسف بن يعقوب بن يوسف أخبرنا نصر بن علي قال أخبرنا نوح بن قيس أخبرنا عون ابن أبي شداد: أن ضيف إبراهيم المكرمين لَمَّا دخلوا عليه قرّب إليهم العجل فمسحه جبريل بجناحه فقام العجل يدرج في الدار حتى لحق بأمه.

---

(١) في الهامش: «بالروع».

(٢) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ : قال الكلبى : من سَنك وكل بيانه قوله : ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ (هود: ٨٢).

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ : عبرة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ : أى وتركنا فى إرسال موسى عبرة، وقال الفراء: هو معطوف على قوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ . . . وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ ، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ .

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ : فأعرض وأدبر عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ بقوته وقومه؛ نظيره: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠) يعنى المَنَعَة والعشيرة. وقال المؤرج: بجانبه ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ : قال أبو عبيدة: ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، لأنهم قد قالوهما جميعًا له، وأنشد بيت جرير:

أثعلبة الفوارس أو رياحَا عدلت بهم طُهَيَّةَ والخشَابَا

وقد توضع أو بمعنى الواو كقوله: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٢٤) والواو بمعنى أو كقوله عز وجل: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ (النساء: ٣).

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ : قد أتى بما يلام عليه.

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ : وهى الريح التى لا تلقح شجرًا، ولا تُنْشِئ سَحَابًا ولا رحمة فيها ولا بركة.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ : كالنبت الذى قد يبس وديس.

قال ابن عباس كالشىء الهالك. وقال مقاتل: كالبالى. وقال مجاهد: كالتبن اليابس. وقال قتادة: كرميم الشجر. وقال أبو العالية: كالتراب المدفون. وقال يمان: ما رمته الماشية بمرمتها من الكلأ. وقيل: أصله من العظم البالى.

﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ : يعنى وقت فناء آجالهم.

﴿فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ قرأها الكسائى بإسكان العين من غير ألف. قال الحسين ابن واقد: كل صاعقة فى القرآن فهى عذاب ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ : إليها نهارًا ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ﴾ : فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض به ولا دفاع ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ : منتقمين منّا.

قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله تعالى.

❖ ❖ ❖

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ قرأ أبو عمرو، والأعمش، وحمزة، والكسائى، وخلف: وقَوْمِ بجر الميم ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ﴾ أى وفى قوم نوح.

وقرأ الباقون: بالنصب، وله وجوه: أحدها: أن يكون مردودًا على الهاء والميم فى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أى أخذت قوم نوح. والثانى: وأهلكنا قوم نوح. والثالث: واذكر قوم نوح.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: أى من قبل عاد، وثمود، وقوم فرعون ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: قال ابن عباس: قادرون. وعنه أيضًا: لموسعون الرزق على خلقنا. قال الضحاك: أغنياء. دليله قوله تعالى: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ (البقرة: ٢٣٦) وقال القتيبى: ذوو السعة على خلقنا، وقال الحسن بن الفضل: عالمون أحاط علمنا بكل شىء. وقال الحسن: مطيقون.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: بسطناها ومَهَّدْناها[1] لكم ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾: الباسطون، والمعنى فى الجمع التعظيم.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والحق والباطل، والذكر والأنثى والجنة والنار.

---

(١) فى الهامش: «مَدَدْناها».

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ : فتعلمون أن خالق الأزواج فَرْدٌ.

قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ : أي فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان ومجانبة العصيان.

قال ابن عباس: فِرُّوا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال أبو بكر الوراق: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو يوسف أخبرنا محمد بن حمدان بن سفيان أخبرنا محمد ابن زياد أخبرنا يعقوب بن القاسم أخبرنا محمد بن معن أخبرنا محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان في قوله عز وجل: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال: احترزوا من كل شيء دونه، فمن فَرَّ إلى غيره لم يمتنع منه.

وقال الجنيد: الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه. وقال ذو النون: ففروا من الجهل إلى العلم ومن الكفر إلى الشكر. وقال عمرو بن عثمان: ففروا من أنفسكم إلى ربكم. وقال الواسطي: ففروا إلى ما سبق لكم من الله، ولا تعتمدوا على حركاتكم. وقال سهل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ : أي كما كذبك قومك وقالوا: ساحر أو مجنون كذلك ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ : أوصى بعضهم بعضًا بالتكذيب، وتواطئوا عليه. والألف فيه ألف التوبيخ.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ : أي عاصون.

﴿فَتَوَلَّ﴾ : فأعرض ﴿عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ : فقد بلغت ما به أُرسلت، وما قصرت فيما أمرت به من تعريفهم.

قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ وخاف من ذلك على أصحابه. ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد آن، فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ : قال علي بن أبي طالب عليه السلام: معناه إلاّ لآمرهم أن يعبدون، وأدعوهم إلى عبادتي، واعتمد الزجاج هذا القول، ويؤيده قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا﴾ (التوبة: ٣١)، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (البينة: ٥) وقال ابن عباس: إلا ليقروا لي بالعبودية طوعًا وكرهًا.

فإن قيل: كيف كفروا وقد خلقهم للإقرار بربوبيته والتذلل لأمره ومشيئته؟ قيل: إنهم قد

تذللوا لقضائه الذى قضى عليهم.

لأن قضاءه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه إذا نزل بهم. وإنما خالفه من كفر به فى العمل بما أمره به. فأما التذلل لقضائه، فإنه غير ممتنع فيه. وقال مجاهد: إلاّ ليعرفون.

ولقد أحسن فى هذا القول لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده. ودليل هذا التأويل قوله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ (الزخرف: ٨٧) الآيات.

وروى حيان عن الكلبى: إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده فى الشدة والرخاء. وأما الكافر فيوحده فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء. بيانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (العنكبوت: ٦٥) الآية.

وقال عكرمة: إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد، وقال الضحاك، وسفيان: هذا خالص لأهل عبادته وطاعته، يدل عليه قراءة ابن عباس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾ من المؤمنين ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ثم قال فى آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ (الأعراف: ١٧٩) وقال بعضهم: معناه: ما خلقت السُّعَداء من الجن والإنس إلاّ لعبادتى، والأشقياء إلاّ لمعصيتى.

وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال: هو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة. وقال الحسين ابن الفضل: هو الاستعباد الظاهر.

وليس هذا على القَدَر لأنه لو قَدَّرَ عليهم عبادته لما عصوه ولما عبدوا غيره قط، وإنما هو كقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨). ثم قال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٠)، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣).

ووجه الآية فى الجملة: أن الله تعالى لم يخلقهم للعبادة خلق جبلة وإجبار، وإنما خلقه لهم خلق تكليف، فمن وفقه وسدده أقام العبادة التى خلق لها ومن خذله وطرده حُرمها، وعمل بما خالف نبى الله ﷺ (وقد قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق» والله أعلم).

قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾: أى رزقًا.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾: قراءة العامة برفع النون على نعت الله عز وجل، وهو ذو القوة المبالغ فى القوة والقدرة.

قال ابن عباس: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ الشديد. وقرأ يحيى، والأعمش: ﴿ٱلْمَتِينِ﴾ خفضًا على نعت القوة. وقال الفراء: كان حقه المتينة فذكره لأنه ذهب به إلى الشىء المبرم المحكم الفتل. كما يقال: حبل متين، وأنشد الفراء:

لكل دهر قـــد لبست أثوبا حتى اكتسى الرأس قناعًا أشيبا
من ريطـــة واليمنـــة المُعَصّبا بعـــده أبيض لا لذًا ولا مجيبا

فذكر المعصب لأن اليُمنة صنف من الثياب ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (البقرة: ٢٧٥) أى وعظ.

وقوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ (هود: ٦٧) أى الصياح والصوت.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى أخبرنا يحيى بن آدم، ويحيى ابن أبى كثير قالا: أخبرنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ابن مسعود قال: أقرأنى رسول الله: «إني أنا الرزاق ذو القوة المتين».

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا من أهل مكة ﴿ذَنُوبًا﴾: قال ابن عباس: دَلْوًا. وقال سعيد بن جبير: سجلاً.

وقال مجاهد: سبيلاً. وقال النخعى: طرفًا. وقال عطاء، وقتادة: عذابًا. وقال الحسن: دولة. وقال الكسائى: حظًا. وقال الأخفش: نصيبًا.

وأصل الذنوب فى اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، قال الراجز:

لنا ذنوب ولكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب

ثم يستعمل فى الحظ والنصيب كقول علقمة بن عبيدة:

وفى كل يوم قد خَبَطْتَ بنعمة فحـق لِشَأسٍ من نداك ذنوب

وقال آخر:

لعمرك والمنايا طارقات لكل بنى أب منهم ذَنُوبُ

﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ﴾: من كفار الأمم الخالية ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾: بالعذاب، فإنما أمهلوا مع ذنوبهم لأجل ذنوبهم.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾: وهو يوم بدر، وقيل: يوم القيامة.

❖ ❖ ❖

سورة الطور

مكية وهى ألف وخمسمائة حرف،
وثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة وتسع وأربعون آية[١]

أخبرنا أبو الحسن الفارسى أخبرنا أبو محمد بن أبى حامد أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن الأصفهانى أخبرنا المؤمل بن إسماعيل، أخبرنا سفيان الثورى أخبرنا أسلم المنقرى عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أُبَىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطور كان حقًا على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه، وأن ينعمه فى جنته».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨﴾

﴿وَالطُّورِ﴾: كل جبل طور، ولكنه سبحانه عنى بالطور ها هنا الجبل الذى كلم عليه موسى بالأرض المقدسة وهو بمدين واسمه: زَبير وقال مقاتل بن حيان: هما طوران، يقال لأحدهما: طور تينا، والآخر: طور زيتونا، لأنهما ينبتان التين والزيتون.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾: مكتوب ﴿فِي رَقٍّ﴾: جلد ﴿مَنْشُورٍ﴾: وهو صحيفة، واختلفوا فى هذا الكتاب ما هو؟ فقال الكلبى: هو ما كتب الله تعالى بيده لموسى من التوراة، وموسى يسمع صرير القلم، فكان كلما مَرَّ القلم بمكان خرقه إلى الجانب الآخر، وكان كتابًا له وجهان: وقيل: اللوح المحفوظ. وقيل: دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة فآخذ بيمينه وآخذ بشماله، دليله ونظيره قوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (الإسراء: ١٣). وقوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝﴾ (التكوير: ١٠) وقيل: هو ما كتب الله فى قلوب أوليائه من الإيمان. بيانه قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (المجادلة: ٢٢). وقيل: هو ما كتب الله تعالى للخلق من السابقة والعاقبة.

(١) كذا فى المخطوط، وفى المصحف، وفى تفسير القرطبى: ثمان وأربعون آية.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ : يعنى بكثرة الحاشية والأهل ، وهو بيت فى السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له : الضُّرَاح ، حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ، ثم لا يعودون إليه أبدًا ، وخازنه ملك يقال له : زَرين .

وقيل : كان البيت المعمور فيه الجنة ، فحمل إلى الأرض لأجل آدم عليه السلام ، ثم رفع إلى السماء أيام الطوفان .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا هارون بن محمد بن هارون أخبرنا إبراهيم ابن الحسين بن ديزيل أخبرنا موسى بن إسماعيل حدثنى سفيان بن نشيط عن أبى محمد عن أبى الزبير عن عائشة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ قدم مكة حرسها الله ، فأرادت عائشة أن تدخل البيت - يعنى ليلاً - فقال لها بنو شيبة : إن أحدًا لا يدخله ليلاً ، ولكنا نخليه لك نهارًا . فدخل عليها النبى ﷺ ، فشكت إليه أنهم منعوها أن تدخل البيت ، فقال : «إنه ليس لأحد أن يدخل البيت ليلاً ، إن هذه الكعبة بحيال البيت المعمور الذى فى السماء ، يدخل ذلك المعمور سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدًا إلى يوم القيامة ، لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة ، ولكن انطلقى أنت وصواحبك فصلين فى الحجر» .

ففعلت ، فأصبحت وهى تقول : دخلت البيت على رغم أنف من رغم .

وأخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا هارون ابن محمد بن هارون أخبرنا محمد بن عبد العزيز أخبرنا كثير بن يحيى بن كثير أخبرنا أبى عن عمرو عن الحسن فى قوله عز وجل : ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ قال : هو الكعبة البيت الحرام الذى هو معمور من الناس يعمره الله عز وجل كل سنة ، أول مسجد وضع للعباد فى الأرض .

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ : يعنى السماء سماها سقفًا لأنها للأرض كالسقف للبيت ، دليله ونظيره قوله سبحانه : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ (الأنبياء : ٣٢) .

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ . . . . [١] .

وقال الضحاك ، وشمر بن عطية ، ومحمد بن كعب ، والأخفش يعنى : الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور . ومنه قيل للمسْعَر مسجور ، ودليل هذا التأويل ما روى أن النبى ﷺ قال : «لا يركبن البحر إلا حاج أو معتمر أو مجاهد فى سبيل الله فإن تحت البحر نارًا وتحت النار بحرًا وتحت البحر نارًا فى نار» .

(١) كلمة ممحوة من صورة المخطوط .

وقال ﷺ: «البحر نار فى نار» وروى سعيد بن المسيب أن عليًا عليه السلام قال لرجل من اليهود: أين جهنم؟ قال: البحر. فقال: ما أراك إلا صادقًا، (وتلا)[1]: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: ٦) مخففة.

وتفسير هذا ما روى فى الحديث: «إن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارًا فيسجر بها نار جهنم».

وقال قتادة: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾ المملوء، وقال ابن كيسان: المجموع ماؤه بعضه إلى بعض، ومنه قول لبيد:

متوسطًا عرض السَّرِيّ وصدعا   مسجورة متجاورًا قدامها

فقال النمر بن تولب:

إذا شاء الطالع مسجورة   ترى حولها النبع والسَّماسَمَا[2]

وقال أبو العالية: هو اليابس الذى ذهب ماؤه، ونضب.

وهو رواية عطية، وذى الرمة عن ابن عباس. أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن عبد الله ابن سمرة أخبرنيه أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث أخبرنا أبو جعفر السدوسى أخبرنا الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء عن ذى الرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾: الفارغ. قال: خرجت أمة تستقى فرجعت، فقالت: إن الحوض مسجور تعنى فارغ.

قال ابن أبى داود: وليس لذى الرمة حديث غير هذا، وروى على بن أبى طلحه عن ابن عباس قال: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: المحبوس، وقال الربيع بن أنس: المختلط العذب بالملح.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرجى أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر أخبرنى جويبر عن الضحاك، ومقاتل بن سليمان عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال فى ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾: هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، وهو ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الأولى أربعين صباحًا، فينبتون فى قبورهم[3].

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) النبع والسماسم: شجر يتخذ منه لقسى السهام.

(٣) الساعة وعلاماتها وأحداث يوم القيامة كل ذلك من علم ربى سبحانه وجاءت فيه بعض الأحاديث القليلة جدًا وما عدا ذلك فلا يعتد به، وهذا مما لا يعتد به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: لنازل ﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾: مانع.

قال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأكلم النبى ﷺ فى أسارى بدر، فرفعت إليه وهو يصلى بأصحابه المغرب، وصوته يخرج من المسجد سمعته يقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ فكأنما صدع قلبى، فكان أول ما دخل قلبى الإسلام، فأسلمت خوفًا من نزول العذاب، وما كنت أظن أن أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب.

وأخبرنا أبو عبد الله . . .[1] المكى عن هشام بن حسان قال: انطلقت أنا ومالك بن دينار إلى الحسن، فانتهينا إليه وعنده رجل يقرأ، فلما بلغ هذه الآية: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ بكى الحسن وبكى أصحابه، وجعل مالك يضطرب حتى غشى عليه.



﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝ هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝﴾

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ . . .[1] تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفأ السفينة، ويموج بعضها فى بعض.

واختلفت عبارات المفسرين فيها: فقال ابن عباس: تدور دورانًا. وقال قتادة: تتحرك. وقال الضحاك: تحرك. وقال عطاء الخراسانى: تختلف أجزاؤها بعضها ببعض. قطرب: تضطرب. وقال عطية: تختلف. وقال المؤرج: تتجول بعضهم. وقال الأخفش: تتكفأ.

(١) موضع النقط كلمات ممحوة من المخطوط.

وكلها متقاربة.

وقال عطاء: المور: الاختلاف والاضطراب قال رؤبة:

مسودة الأعطاف من وشم العرق   مائرة الضبعين مصلاة العُنُق

أى مضطربة العضدين.

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾: فتزول عن أماكنها، وتصير هباء منثوراً[1].

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: إنما دخل الفاء فى قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾ لأن فى الكلام معنى المجازاة. مجازه: إذا كان هذا فويل للمكذبين.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ﴾: باطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾: غافلين جاهلين ساهين لاهين.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾: يدفعون ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: دفعًا، ويزعجون إليها إزعاجًا. وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم إلى النار دفعًا على وجوههم، وزجًا فى أقفيتهم حتى يردوا النار.

وقرأ أبو رجاء العطاردى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾. بالتخفيف من الدعاء قالوا: فإذا دنوا من النار قالت لهم الخزنة: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿ٱصْلَوْهَا﴾: ادخلوها ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ﴾: ذوو فاكهة كثيرة. وفكهين: معجبين ناعمين.

قوله تعالى: ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: ما يشاء الله تعالى إياهم ثم قال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ﴾ قد صف بعضها إلى بعض، وقوبل بعضها ببعض ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: قرأ أبو عمرو: (وأتبعناهم) بالنون والألف (ذرياتهم): بالألف، وكسر التاء فيها لقوله: ﴿أَلْحَقْنَا﴾ و﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ ليكون الكلام على نسق واحد. وقرأ الآخرون: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾ بالتاء من غير ألف. ثم اختلفوا فى قوله: ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾: فقرأ أهل المدينة الأولى بغير ألف وضم التاء، والثانية بالألف وكسر التاء، وقرأ أهل الشام بالألف فيهما، وكسر التاء الثانية، وهو اختيار يعقوب، وأبى حاتم، وقرأ الباقون بغير ألف فيهما، وكسر التاء الثانية، وهو اختيار أبى عبيد.

واختلف المفسرون فى معنى الآية: فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم ﴿بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: المؤمنين فى الجنة بدرجاتهم، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات

---

(١) فى هامش المخطوط: «منبثًا».

آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم، وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقال آخرون معناه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الذين بلغوا الإيمان ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان، وهو قول الضحاك، ورواية العوفى عن ابن عباس: فأخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا إليه، ويدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء من أجور أعمالهم شيئًا فذلك قوله عز وجل ﴿وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾: يعنى الآباء. والهاء، والميم راجعتان إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ والألت: النقص والبخس. وقرأ ابن كثير بكسر اللام.

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الحديثى أخبرنا سعد بن محمد بن إسحاق الصيرفى أخبرنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة أخبرنا جنادة بن المغيث أخبرنا قيس بن الربيع أخبرنا عمرو ابن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه» ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ قال: «ما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين».

وأخبرنا الحسن بن فنجويه أخبرنا أحمد بن محمد بن على الهمذانى أخبرنا أبو عبد الله عثمان بن نصير البغدادى ببردعة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أخبرنا شريك عن سالم الأفطس عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: أظنه ذكره عن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، فيسأل الرجل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركت، فيقول لقد عملت لى ولهم فيؤمر بإلحاقهم به» ثم قال ابن عباس: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا أبو بكر ابن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا عثمان بن أبى شيبة أخبرنا محمد بن الفضل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن على عليه السلام قال: سألت خديجة النبى ﷺ عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله ﷺ: «هما فى النار»[1] (فلما رأى الكراهية فى وجهها قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما».

---

(١) إلى هنا ثم سقطت الأوراق التى تحمل تفسير باقى السورة حتى نهايتها فرأيت استتمام ما سقط من أوراقها من تفسير القرطبى حيث إن القرطبى ينقل كثيراً من الثعلبى بالنص، وسأشير فى بعض المواضع إلى أن هذا قول القرطبى وسأختصر فى بعض العبارات إذا اقتضت الضرورة والله الموفق والهادى إلى الصواب بفضله، وسأجعل ذلك بين معقوفين يبدأ المعقوف الأول من أول هنا وعند النهاية أغلق بالمعقوف الثانى فى نهاية السورة إن شاء الله وأشير إلى ذلك فى موضعه ولينتبه القارئ لذلك حتى لا يحدث خلط بين قول الثعلبى فى تفسيره والقرطبى فى تفسيره، وإن كان ينقل كثيراً عنه.

قالت: يا رسول الله، فولداى منك؟

قال: «فى الجنة». ثم قال: «إن المؤمنين وأولادهم فى الجنة، والمشركين وأولادهم فى النار». ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية.

قال ابن الأعرابى: أَلَته يألته ألْتا، وآلَته إيلاَتا، ولاَته يَليته لَيْتا كلّها إذا نَقصه.

وفى الصحاح: لاَتَه عن وَجهه يلُوته ويَليته أى حبسه عَن وجهه وصرفه، وكذلك ألاته عن وجهه فعل وأَفْعل بمعنًى. ويقال أيضًا: ما أَلاَته من عمله شيئًا، أى ما نَقَصَه، مثل أَلَتَه، وقد مضى بالحجرات.

﴿كُلُّ ٱمْرِيٍۭ بِمَا كَسَبَ﴾ من الخير والشر﴿رَهِينٌ﴾: قيل: يرجع إلى أهل النار، قال ابن عباس: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم، وصار أهل الجنة إلى نعيمهم، ولهذا قال: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ وقيل: هو عام لكل إنسان مرتهن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله، فأما الزيادة على ثواب العمل فهى تفضل من الله. ويحتمل أن يكون هذا فى الذرية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مرتهنين بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: أى أكثرنا لهم من ذلك زيادة من الله، أمدّهم بها غير الذى كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾: أى تناولها بعضهم من بعض، وهو المؤمن وزوجاته وخدمه فى الجنة، والكأس إناء الخمر، وكل إناء مملوء من الشراب وغيره، فإذا فرغ لم يسم كأسًا. وشاهد التنازع والكأس فى اللغة قول الأخطل:

وشارب مُربِح بالكأس نادمنى ... لا بالحصور ولا فيها بسوَّار

نازعته طيب الرّاح الشمول وقد ... صاح الدجاج وحانت وقعت السادى

وقال امرؤ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسْمَحَتْ ... هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾: أى فى الكأس وهو أى لا يجرى بينهم لغو.

﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: ولا ما فيه إثم، والتأثيم تفعيل من الإثم، أى تلك الكأس لا تجعلهم آثمين لأنه مباح لهم. وقيل: ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أى فى الجنة، قال ابن عطاء: أى لغو يكون فى مجلس محله جنة عدن!! وسقاتهم الملائكة وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله والقوم أضياف الله.

﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: ولا كذب، قاله ابن عباس، وقال الضحاك: يعنى لا يكذب بعضهم بعضًا

وقرأ ابن كثير، وابن محيصن: لا لَغْوَ فيها ولا تأثيم، بفتح آخره. وقرأ الباقون بالرفع والتنوين.

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: بالخدمة أى بالفواكه والتحف، والطعام، والشراب.

ثم قيل: هم الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم، فأقر الله تعالى بهم أعينهم. وقيل: إنهم من أخذ منهم الله تعالى إياهم من أولاد غيرهم. وقيل: هم غلمان خلقوا فى الجنة.

قال الكلبى: لا يكبرون أبدًا.

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ﴾: فى الحسن والبياض ﴿مَّكْنُونٌ﴾: فى الصدف، والمكنون المصون.

قوله تعالى: ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾: قيل: هم أولاد المشركين، وهم خدم أهل الجنة، وليس فى الجنة نصب، ولا حاجة إلى خدمة، ولكنه أخبرنا بأنهم فى نهاية النعيم.

أخبرنى الحسن بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن على بن عمر بن خنيس، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن عصام، قال: حدثنا عمر بن عبد العزيز المصرى، قال حدثنا يوسف بن أبى طيبة عن وكيع بن الجراح عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها: أن نبى الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدمه فيجيبه ألف يناديه كلهم لبيك لبيك».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أبو على المقرئ، قال: حدثنا محمد بن عمران قال: حدثنا هانى بن المسرى، قال: حدثنا عبيدة بن سعيد عن قتادة عن عبد الله بن عمر قال: قال النبى ﷺ: «ما من أحد من أهل الجنة إلاّ يسعى عليه ألف غلام كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب المنوى قال: حدثنا الحسن بن الكميت الموصلى قال: حدثنا المعلى بن مهدى، قال: أخبرنا مسكين عن حوشب عن الحسن أنه كان إذا تلا هذه الآية ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ قالوا: يا رسول الله كأن الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم؟ فقال: «ما بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين أصغر الكواكب».

قال الكسائى: كننت الشيء سترته، وصنته من الشمس، وأكننته فى نفسى أسررته.

وقال أبو زيد: كننته، وأكننته، بمعنى واحد فى الكنى وفى النفس جميعًا، تقول: كننت العلم وأكننته فهو مكنون ومُكَنّ، وكننت الجارية وأكننتها فهى مكنونة ومُكَنَّة.

❖ ❖ ❖

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قال ابن عباس: إذا بعثوا من قبورهم سأل بعضهم بعضًا. وقيل: فى الجنة ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: أى يتذاكرون ما كانوا عليه فى الدنيا من التعب والخوف من العاقبة، ويحمدون الله تعالى على زوال الخوف عنهم. وقيل: يقول بعضهم لبعض: بم صرت فى هذه المنزلة الرفيعة ﴿قَالُوٓا۟﴾: أى قال كل مسئول منهم لسائله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: أى فى الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالجنة والمغفرة. وقيل: بالتوفيق والهداية.

﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾: قال الحسن: ﴿ٱلسَّمُومِ﴾ اسم من أسماء النار وطبقة من طباق جهنم. وقيل: هو النار، كما تقول جهنم. وقيل: نار عذاب السموم. والسَّمُوم: الريح الحارة تؤنث، يقال منه: سُمَّ يومنا، فهو مسموم، والجمع سمائم.

قال أبو عبيدة: السَّمُوم بالنهار، وقد تكون بالليل، والحرور بالليل وقد تكون بالنهار، وقد

تستعمل السموم فى لفح البرد وهو فى لفح الحَرّ والشمس أكثر قال الراجز:

اليوم يوم بارد سَمُومُـــه   من جزع اليوم فلا أُلُومه

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا أبى قال: حدثنا أنس بن عياض، قال: حدثنى شيبة بن نصاح عن القاسم بن محمد قال غدوت يومًا وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها أُسلِّم عليها، فوجدتها ذات يوم تصلى السبحة وهى تقرأ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ وترددها وتبكى، فقمت حتى مللت ثم ذهبت إلى السوق بحاجتى ثم رجعت فإذا هى تقرأ وترددها وتبكى وتدعو.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ﴾: أى فى الدنيا ﴿نَدۡعُوهُۖ﴾ بأن يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا. وقيل: ﴿نَدۡعُوهُۖ﴾ أى نعبده ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾: وقرأ نافع والكسائى: (أنه) بفتح الهمزة أى لأنه وهو اختيار أبى حاتم. وقرأ الباقون بالكسر على الابتداء. وهو اختيار أبى عبيدة و﴿ٱلۡبَرُّ﴾: اللطيف، قاله ابن عباس. وعنه أيضًا: إنه الصادق فيما وعد. وقاله ابن جريج ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ﴾ أى فذكر يا محمد قومك بالقرآن ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ﴾: يعنى برسالة ربك ﴿بِكَاهِنٖ﴾: يبتدع القول ويخبر بما فى غد من غير وحى، والكاهن الذى يقول: إن معى قرينًا من الجن.

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾: نزلت هذه الآية فى الخراصين الذين اقتسموا عقاب مكة، يصدون الناس عن الإيمان، ويرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والجنون والسحر والشعر. فذلك قوله سبحانه: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾ وهذا رد لقولهم فى النبى ﷺ فى عقبة بن أبى مُعيط قال: إنه مجنون وشيبة بن ربيعة قال: إنه ساحر. وغيرهما قال: كاهن. فأكثر بهم الله تعالى وردّ عليهم ثم قيل: إن معنى ﴿بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ﴾ القسم، أى وبنعمة الله ما أنت بكاهن ولا مجنون. وقيل: ليس قسمًا، وإنما هو كما تقول: ما أنت بحمد الله بجاهل، أى قد برأك الله من ذلك.

قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ يعنى هؤلاء المقتسمين الخراصين أى بل يقولون: محمد شاعر، قال سيبويه: خوطب العباد بما جرى فى كلامهم.

قال أبو جعفر النحاس: وهذا كلام حسن إلاّ أنه غير مبين ولا مشروع. يريد سيبويه: أن ﴿أَمۡ﴾ فى كلام العرب الخروج من حديث إلى حديث كما قال:

❖ أتهجر غانية أم تُلمّ ❖

فتم الكلام ثم خرج إلى شىء آخر فقال:

❖ أم الحبل وَاه بها منجذم ❖

فما جاءه فى كتاب الله تعالى من هذا فمعناه التقرير، والتوبيخ، والخروج من حديث إلى حديث والنحويون يمثلونها ببل.

﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: قال قتادة: قال قوم من الكفار تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفى شاعر بن فلان، قال الضحاك: هؤلاء بنو عبد الدار نسبوه إلى أنه شاعر، أى يهلك عن قريب كما هلك من قبل من الشعراء، وأن أباه مات شابًا، فربما يموت كما مات أبوه، وقال الأخفش: نتربص به إلى ريب المنون، فحذف حرف الجر، كما تقول: قصدت زيداً، وقصدت إلى زيد. والمنون: الموت، فى قول ابن عباس؛ قال أبو الغول الطهوى:

هم منعوا حمى الوقبى بضرب يؤلف بين أشتات المنون

يقول: إن الضرب يجمع بين قوم متفرِّقى الأمكنة لو أتتهم مناياهم فى أماكنهم لأتتهم متفرقة، فاجتمعوا فى موضع واحد، فأتتهم المنايا مجتمعة، وقال السدى عن أبى مالك عن ابن عباس: ريب فى القرآن: شك إلاّ مكانًا واحدًا (ريب المنون): يعنى حوادث الأمور.

وقال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يومًا أو يموت حليلها

وقال مجاهد: (ريب المنون) حوادث الدهر. والمنون: هو الدهر؛ قال أبو ذؤيب:

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجذع

وقال الأعشى:

أأن رأت رجلاً أعشى أضَرَّ به ريب المنون ودهر متبل خبل

قال الأصمعى: المنون: الليل والنهار وسمى بذلك لأنهما ينقصان الأعمار، ويقطعان الآجال. وعنه: أنه قيل للدهر منون، لأنه يذهب بمُنَّة الحيوان أى قوته، وكذلك المنية، قال أبو عبيدة: قيل للدهر منون لأنه مضعف من قولهم: حبل منين أى ضعيف. والمنين: الغبار الضعيف، قال الفراء: والمنون مؤنثة، وتكون واحداً وجمعًا، قال الأصمعى: المنون واحد لا جماعة له، قال الأخفش: هو جماعة لا واحد له، والمنون يذكر ويؤنث فمن ذَكَّرَهُ جعله الدهر أو الموت، ومن أنثه، فعلى الحمل على المعنى، كأنه أراد المنية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾: أى قل لهم، يا محمد ﴿تَرَبَّصُوا۟﴾: أى انتظروا حتى يأتى أمر الله فيكم ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾: أى من المنتظرين بكم العذاب، فعذبوا يوم بدر بالسيف.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾: أى عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾: أى بالكذب عليك ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ

طَاغُونَ﴾ : أى أم طغوا بغير عقول . وقيل : ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل . أى بل كفروا طغيانًا وإن ظهر لهم الحق ، وقيل لعمرو بن العاص : ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل؟ فقال : تلك عقول كادها الله ، أى لم يصحبها بالتوفيق . وقيل : ﴿أَحْلَـٰمُهُم﴾ أى أذهانهم لأن العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لآمن وإنما يعطى للكافر الذهن فصار عليه حجة . والذهن يقبل العلم جملة والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الأمر والنهى .

وروى عن النبى ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما أعقل فلانًا النصرانى؟! فقال : «مه ، إن الكافر لا عقل له ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك : ١٠)» وفى حديث ابن عمر : فزجره النبى ﷺ ، ثم قال : «مه ، فإن العاقل من يعمل بطاعة الله» . ذكره الترمذى الحكيم أبو عبد الله بإسناده .

﴿أَمْ﴾ بل هم ﴿يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ : أى افتعله وافتراه ، يعنى القرآن ، والتقول : تكلف القول ، وإنما يستعمل فى الكذب فى غالب الأمر ، ويقال : قولتنى ما لم أقل ، وأقولتنى ما لم أقل ، أى ادعيته علىّ وتقول عليه : أى كذب عليه ، واقتال عليه : أى تحكم ، قال :

ومنزله فى دار صـدق وغبطة وما اقتال من حكم على طيب

(فأمْ) الأولى للإنكار ، والثانية للإيجاب . أى ليس كما يقولون .

﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ : جحدًا واستكبارًا ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ : أى بقرآن يشبهه من تلقاء أنفسهم ﴿إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ : فى أن محمدًا افتراه ، وتقوله من تلقاء نفسه فإن اللسان لسانهم وهم مستوون فى البشرية واللغة والقوة ، وقرأ الجحدرى : فليأتوا بحديث مثله ، بالإضافة ، والهاء فى (مثله) للنبى ﷺ ، وأضيفت حديث الذى يراد به القرآن إليه لأنه المبعوث به ، والهاء على قراءة الجماعة للقرآن .

قوله تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ : (أم) صلة زائدة ، والتقدير : أخلقوا من غير شىء .

قال ابن عباس : من غير رب خلقهم ، وقدرهم . وقيل : من غير أم ولا أب ، فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليه حجة . ليسوا كذلك ، أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ، ومضغة ، قاله ابن عطاء ، وقال ابن كيسان : أم خلقوا عبثًا وتركوا سدى (من غير شىء) أى لغير شىء فمن بمعنى اللام .

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ : أى أيقولون أنهم خلقوا أنفسهم فهم لا يأتمون بأمر الله؟ وهم لا يقولون ذلك ، وإذا أقروا أن ثَمَّ خالقًا غيره فما الذى يمنعهم من الإقرار له بالعبادة دون الأصنام

ومن الإقرار بأنه قادر على البعث ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾: أى ليس الأمر كذلك فإنهم لم يخلقوا شيئًا.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾: بالحق ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: أم عندهم ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن أمره، وقال ابن عباس: ﴿خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ المطر والرزق، وقيل: مفاتيح الرحمة، وقال عكرمة: النبوة، أى أفبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاءوا، وضرب المثل بالخزائن لأن الخزانة بيت يهيأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر، ومقدورات الرب كالخزائن التى فيها من كل الأجناس، فلا نهاية لها ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: قال ابن عباس: المسلطون الجبارون. وعنه أيضًا المبطلون، وقاله الضحاك. وعن ابن عباس أيضًا: أى المتولون. وقال عطاء: أم هم أرباب قاهرون. وقال عطاء (أيضًا)[1]: يقال تسيطرت عَلَىَّ أى اتخذتنى خولاً لك. وقاله أبو عبيدة، وفى الصحاح: المسيطر والمصيطر، المسلط على الشىء ليشرف عليه ويتعهد أحواله، ويكتب عمله، وأصله من السطر لأن الكتاب يسطر، والذى يفعله مُسطر، ومسيطر، يقال: سيطرت علينا.

قال ابن بحر: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ أى هم الحفظة مأخوذ من تسطير الكتاب الذى ما كتب فيه، فصار المسيطر ههنا حافظًا ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ، وفيه ثلاث لغات: الصاد، وبها قراءة العامة، والسين وهى قراءة ابن محيصن وحميد، ومجاهد، وقنبل، وهشام، وأبى حيوة. وبإشمام الصاد الزاى، وهى قراءة حمزة كما تقدم فى الصراط.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: أى أيدعون أن لهم مرتقًى إلى السماء ومصعدًا وسببًا ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أى عليه الأخبار، ويصلون به إلى علم الغيب كما يصل إليه محمد ﷺ بطريق الوحى ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾: أى بحجة بينة أن هذا الذى هم عليه حق والسُّلَّم واحد السلالم التى يرتقى عليها وربما سمى الغرز بذلك، قال أبو الربيس الثعلبى يصف ناقته:

مطارة قلب إن ثنى الرجل ربها ... يسلم غرز فى مناخ يعاجله

قال زهير:

ومن هاب أسباب المنية يلقها ... ولو رام أسباب السماء بسلم

وقال آخر:

تجنبت لى ذنبًا وإن جنبته ... لتتخذى عذرًا إلى الهجر سلما

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

وقال ابن مقبل في الجمع:

لا تحرز المرءَ أحجاء البلال ولا يبنى له فى السماء السلاليم

الأحجاء: النواحى مثل الأرجاء، واحدها حَجًا ورَجًا مقصور. ويروى: أعناء البلاد، والأعناء أيضًا النواحى، واحدها: عِنو بالكسر. وقال ابن الأعرابى: واحدها عنًا مقصور. وجاءنا أعناء من الناس، واحدهم عِنو بالكسر، وهم قوم من قبائل شتى.

﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أى عليه كقوله تعالى: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه:٧١) أى عليها، قال الأخفش. وقال أبو عبيدة: يستمعون به. وقال الزجاج: أى ألهم كجبريل الذى يأتى النبى ﷺ بالوحى.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾: سفه أحلامهم توبيخًا لهم وتقريعًا، أى أتضيفون إلى الله البنات مع أنفتكم منهن، ومن كان عقله هكذا، فلا يستبعد منه إنكار البعث.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: أى على تبليغ الرسالة، وجعلاً على ما جئتهم به ودعوتهم إليه ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: أى فهم من المغرم الذى تطلبهم به ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ مجهدون لما كلفتهم به.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: أى يكتبون للناس ما أرادوه من علم الغيوب، وقيل: أم عنده علم ما غاب عن الناس حتى علموا أن ما أخبرهم به الرسول ﷺ من أمر القيامة والجنة والنار، والبعث باطل، وقال قتادة: لما قالوا: نتربص به ريب المنون، قال الله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ حتى علموا متى يموت محمد أو ما يؤول إليه أمره، وقال ابن عباس: أم عندهم اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه ويخبرون الناس بما فيه.

وقال القتبى: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾

أى يحكمون، والكتاب الحكم ومنه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام:٥٤) أى حكم، وقوله ﷺ: «والذى نفسى بيده لأحكمن بينكم بكتاب الله». أى بحكم الله.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: أى مكرًا بك فى دار الندوة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾: أى المكور بهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وذلك أنهم قتلوا ببدر.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: يخلق ويرزق ويمنع ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: نزه نفسه أن يكون له شريك، قال الخليل: كل ما فى سورة الطور من ذكر ﴿أَمْ﴾ كلمة استفهام وليس بعطف.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾: قال ذلك جوابًا لهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ (الشعراء: ١٨٧) وقولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ (الإسراء: ٩٢) فأعلم أنه لو فعل ذلك.

﴿يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: أي بعضه فوق بعض سقط علينا، وليس سماء، هذا فعل المعاند أو فعل من استولى عليه التقليد وكان فى المشركين القسمان. والكسَفُ: جمع كسفة وهى القطعة من الشيء، يقال: أعطنى كسفة من ثوبك، ويقال: فى جمعها أيضًا كسْف. ويقال الكسف والكسفة واحد. قال الأخفش: من قرأ كسْفًا جعله واحدًا ومن قرأ كسَفًا جعله جمعًا.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: منسوخ بآية السيف[1] ﴿حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: بفتح الياء قراءة العامة، وقرأ الأعمش وابن عامر وعاصم بضمها. قال الفراء: هما لغتان، صَعِقَ وصُعِقَ مثل سَعِدَ وسُعِدَ، قال قتادة: يوم يموتون. وقيل: يوم بدر. وقيل: يوم النفخة الأولى. وقيل: يوم القيامة يأتيهم فيه من العذاب ما يُزيل عقولهم. وقيل: ﴿يُصْعَقُونَ﴾: بضم الياء من أصعقه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾: أى ما كادوا به النبى ﷺ فى الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: من الله. و﴿يَوْمَ﴾ منصوب على البدل من ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: أى كفروا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: قيل: قبل موته. قال ابن زيد: مصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا مذهب الأموال والأولاد. قال مجاهد: هو الجوع والجهد سبع سنين. وقال ابن عباس: هو القتل. وعنه: عذاب القبر. وقال البراء بن عازب وعلى رضى الله عنهما: فدون بمعنى غير. وقيل: عذابًا أخف من عذاب الآخرة.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما يصيرون إليه، إن العذاب نازل بهم، قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: قيل: لقضاء ربك فيما حملك من رسالته. وقيل: لبلائه فيما ابتلاك به من قومك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: أى بمرأى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرصك ونرعاك والمعنى واحد، ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ (طه: ٣٩) أى بحفظى وحراستى.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: اختلف فى تأويل قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ فقال عون بن مالك وابن مسعود وعطاء وسعيد بن جبير وأبو

---

(١) سبق الكلام فى أكثر من موضع عن خلاف العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ والمرجح أن هذه الآية غير منسوخة.

الأحوص: يسبح الله حين يقوم من مجلسه فيقول: سبحان الله وبحمده أو سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيراً ازددت ثناء حسنًا وإن كان غير ذلك كان كفارة له، ودليل هذا التأويل ما أخرجه الترمذى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك». قال: حديث حسن صحيح غريب. وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع: المعنى حيث تقوم إلى الصلاة، قال الضحاك: يقول الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فإن التكبير هو الذى يكون بعد القيام والتسبيح يكون وراء ذلك فدل على أن المراد فيه: حين تقوم من كل مكان كما قال ابن مسعود رضى الله عنه، وقال أبو الجوزاء وحسان بن عطية: المعنى حين تقوم من منامك، قال الحسن: ليكون مفتتحًا لعمله بذكر الله. وقال الكلبى: واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل الصلاة وهى صلاة الفجر.

وفى هذا روايات مختلفات صحاح منها: حديث عبادة عن النبى ﷺ قال: «من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله». ثم قال: «اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته». أخرجه الترمذى، تعار الرجل من الليل: إذا ذهب من نومه مع صوت ومنه عَارَّ الظليم يَعَارُّ عِراراً هو صوته، وبعضهم يقول: عَرَّ الظليم تَعِرُّ عرارا كما قالوا زمر النعام يزمر زمارا.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق ومحمد حق والنبيون حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك». متفق عليه.

وعن ابن عباس أيضًا أنه عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ من الليل مسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات الأخر من آل عمران، وقال زيد بن أسلم: المعنى حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر، قال ابن العربى: أما نوم القائلة فليس فيه أثر وهو ملحق بنوم الليل، وقال

الضحاك : إن التسبيح فى الصلاة إذا قام إليها ، قال الماوردى : وفى التسبيح قولان : أحدهما : وهو قوله سبحان ربى العظيم «فى الركوع» و«سبحان ربى الأعلى» فى السجود . الثانى : أنه التوجه فى الصلاة يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، قال ابن العربى : من قال إنه التسبيح للصلاة فهذا أفضله والآثار فى ذلك كثيرة أعظمها ما ثبت عن على بن أبى طالب عن النبى ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : «وجهت وجهى» الحديث .

وفى البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : قلت : يا رسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى فقال : «قل : اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم» .

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أى وصلِّ له ، يعنى صلاتى المغرب والعشاء وأما ﴿وَإِدۡبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ : فقال على وابن عباس وجابر وأنس يعنى : ركعتى الفجر .

فحمل بعض العلماء الآية على هذا القول على الندب ، وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس[١] .

وعن الضحاك وابن زيد أن قوله : ﴿وَإِدۡبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ : يريد به صلاة الصبح وهو اختيار الطبرى . وعن ابن عباس أنه التسبيح فى آخر الصلوات . وبكسر الهمزة فى : ﴿وَإِدۡبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ قرأ السبعة على المصدر . وقرأ سالم ابن أبى الجعد ومحمد بن السميقع : (وأدبار النجوم) بالفتح ومثله روى عن يعقوب وسلام وأيوب . وهو جمع دُبْر ودُبُر ، ودُبْر الأمر ودُبُره آخره .

وروى الترمذى من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كُريب عن أبيه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : «إدبار النجوم : الركعتان قبل الفجر» ، «إدبار السجود : الركعتان بعد المغرب» ، قال حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب ، وسألت محمد ابن إسماعيل عن محمد بن فضل ورشدين بن كريب : أيهما أوثق؟ فقال : ما أقربهما ورشدين بن كريب أرجحهما عندى ، قال الترمذى : والقول ما قال أبو محمد ورشدين بن كريب عندى أرجح من محمد وأقدم وقد أدرك رشدين ابن عباس ورآه .

(١) سبق أن ذكرنا الخلاف بين العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ وهذه الآية داعية إلى التطوع والصلوات فرائض .

وفى صحيح مسلم رضى الله عنها: قالت: «لم يكن النبى ﷺ على شىء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح»، وعنها عن النبى ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»[١].



انتهى بفضل الله تعالى الجزء الخامس من تفسير الثعلبى

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء السادس وأوله: سورة النجم



(١) إلى هنا انتهى النقل عن تفسير القرطبى لما سقط من أوراق من مخطوط الثعلبى.

فهرس الموضوعات